منطقة الرياض

دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية

الجزء الثالث

منطقة الرياض خلال التاريخ الحديث والمعاصر



صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

الجزء الثالث

منطقة الرياض خلال التاريخ الحديث والمعاصر

الفصل الأول: تاريخ منطقة الرياض منذ قيام إمارة الدرعية حتى قيام الدولة السعودية الأولى (٨٥٠-١١٥٧هـ/١٤٤٦-١٧٤٤م)

الفصل الثاني: تاريخ منطقة الرياض خلال عهد الدولة السعودية الأولى

الفصل الثالث: تاريخ منطقة الرياض خلال عهد الدولة السعودية الثانية

الفصل الرابع: تاريخ منطقة الرياض خلال عهد الدولة السعودية المعاصرة

ⓗ إمارة منطقة الرياض، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

منطقة الرياض، دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية/ تحرير عبدالله بن ناصر الوليعي... [وآخ].- الرياض.

٨ج ٢١ X ٢٨ سم.

ردمك: ٠-٤٠-٦٦٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٥-٤٣-٦٦٠-٩٩٦٠ (ج٣)

١- الرياض - تاريخ ٢- الرياض - وصف ورحلات ٢- الرياض - الأحوال الاجتماعية أ- الوليعي، عبدالله بن ناصر، محرر

ب- العنوان

ديوي ١١١، ٩٥٣ ١٩/٣١٦١

رقم الإيداع: ١٩/٣١٦١
ردمك ٠-٤٠-٦٦٠-٩٩٦٠ (مجموعة) ٥-٤٣-٦٦٠-٩٩٦٠ (ج٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

تاريخ منطقة الرياض منذ قيام إمارة الدرعية حتى قيام الدولة السعودية الأولى
(٨٥٠-١١٥٧هـ/١٤٤٦-١٧٤٤م)

إعداد

الدكتور

فهد بن عبدالعزيز الدامغ

قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تمهيد:

سبقت الإشارة في مطلع حديثنا عن الفترة السابقة لهذه الفترة، الممتدة من مطلع القرن السادس حتى منتصف القرن التاسع الهجري إلى ندرة المعلومات عن تلك الحقبة من ناحية، وإلى عدم وجود سلطة مركزية تحكم بلاد اليمامة خلالها من ناحية أخرى، مما نتج عنه انتشار حالة من الفوضى السياسية والأمنية أدت إلى تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وفي هذه الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع الهجري حتى ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- وقيام الدولة السعودية الأولى سنة ١١٥٧هـ (١٧٤٤م)، لم تكن الأوضاع أفضل حالاً في المنطقة عن سابقتها؛ فقد استمر الفراغ السياسي، واستمر الصراع بين القوى المحلية المتنافسة؛ سواء منها الإمارات الحضرية أم الزعامات القبلية.

وهو صراع شبه دائم، وثأر لا ينقطع، وحياة يسيطر عليها القلق، والخوف، والتربص، والمرابطة الدائمة تحسباً لأخطار، وفتن، وحروب، وغارات أضرت بالمجتمع بشرياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وسياسياً، وفكرياً، وتردت بسببها الأوضاع إلى مستوى لا يبعد كثيراً عن أوضاع هذه البلاد في العصر الجاهلي في كثير من جوانب الحياة.(١)

بيد أن هذه الفترة وإن كانت تشبه إلى حد كبير الفترة السابقة لها من حيث أوضاعها السياسية والأمنية، إلا أنها تعد أفضل حالاً إلى حد ما من حيث وفرة المعلومات عنها؛ فقد بدأت كتب التاريخ النجدي المحلية تورد نتفاً عن تاريخ هذه البلاد، يمكن من خلال تتبعها إعطاء صورة أكثر وضوحاً عن بعض جوانب تاريخ المنطقة، وبخاصة تاريخ بعض الإمارات الحضرية التي ظهرت منذ منتصف القرن التاسع الهجري، ومن أهمها إمارة الدرعية.

وفي تتبعنا لتاريخ هذه الفترة التي تمتد أكثر من ثلاثمائة سنة سوف نتحدث -بمشيئة الله- عن إمارة الدرعية باعتبارها نواة الدولة السعودية الأولى التي وحدت هذه البلاد على أساس من العقيدة

---

(١) الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، **مقدمة تاريخ أحمد بن محمد المنقور**، الرياض، ص ص٢٢-٢٣.

الشبل، عبدالله بن يوسف، (د.ت.)، **مقدمة تحقيق كتاب الأخبار النجدية** لمحمد بن عمر الفاخري، إدارة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، جامعة الإمام، الرياض، ص ص١٢-١٣.

الصحيحة، ونظام يطبق أحكام الشريعة الإسلامية. ثم نشير بعد ذلك بإيجاز إلى الإمارات الحضرية الأخرى التي ظهرت في المنطقة وطبيعة العلاقات بينها، والقوى القبلية ذات الطابع البدوي والعلاقات بينها.

هذا بالنسبة للقوى المحلية، أما عن نفوذ القوة الخارجية المجاورة في المنطقة، فسوف نشير إلى نفوذ دولة الجبور، ثم بني خالد، ثم أشراف الحجاز، ونختم البحث بلمحة موجزة عن الأوضاع الحضارية بالمنطقة خلال تلك الفترة.

المبحث الأول

إمارة الدرعية (٨٥٠-١١٥٧هـ/١٤٤٦-١٧٤٤م)

أولاً: تأسيس الدرعية (٨٥٠هـ/١٤٤٦م):

كانت منطقة وسط اليمامة مركز قبيلة بني حنيفة حتى منتصف القرن الثالث الهجري، وبعد قيام الدولة الأخيضرية كانت هذه القبيلة أكثر القبائل تضرراً بسياسة الأخيضريين التسلطية، مما أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من أبناء هذه القبيلة إلى مواطن أخرى داخل الجزيرة العربية وخارجها، ومن ثَمّ فقدانها لمكانتها في هذه البلاد، وقد أشرنا إلى هذا في الفصل الخامس من الجزء الثاني، كما أشرنا إلى أن بني حنيفة أخذوا يستعيدون شيئاً من نفوذهم ومكانتهم في وسط بلاد اليمامة منذ مطلع القرن السابع الهجري، ثم تطور الأمر بدخول بطون منهم في حلف عائذ ممثلين في آل يزيد وآل مزيد، وأصبح هؤلاء يسيطرون على البلاد الممتدة من الفرع (الحوطة والحريق) إلى ملهم.

وقد استمر نفوذ آل يزيد وآل مزيد بعد ذلك، إلا أنه أخذ يضعف فيما يبدو مع مرور الزمن وأخذت تظهر بجوارهم قوى أخرى منافسة. وتشير مصادر تاريخ نجد إلى أنه في منتصف القرن التاسع الهجري كان أحد زعماء بني حنيفة - ويدعى ابن درع - يسيطر على حَجْر والجِزْعَة[(١)] وما حولها.[(٢)] ولم تذكر المصادر المتقدمة اسم ابن درع،[(٣)] ولكن ذكره مقبل الذكير باسم علي بن درع[(٤)]، وذكره خالد السليمان

---

(١) الجِزْعَة: بكسر الجيم، وإسكان الزاء، وفتح العين، بلدة في وادي حنيفة تقع إلى الجنوب من حَجْر (الرياض)، وهي الآن منطقة زراعية تقع بين المصانع والمنصورية (ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، **معجم اليمامة**، مطابع الفرزدق، الرياض، ج١، ص ص٢٧١-٢٧٢).

(٢) ابن لعبون، حمد بن محمد، (ت بعد ١٢٥٥هـ، مخطوط)، **تاريخ حمد بن محمد بن لعبون**، نسخة مخطوطة منها صورة لدى الباحث، ص٤١؛ الفاخري، محمد بن عمر، (ت ١٢٧٧هـ، ط د.ت.)، **الأخبار النجدية**، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، الرياض، ص٦٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ت ١٢٩٠هـ، ط ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ج٢، ص ص١٣، ٢٩٦-٢٩٧.

(٣) مثل: ابن لعبون، والفاخري، وابن بشر، وابن عيسى.

(٤) الذكير، مقبل بن عبدالعزيز، (مخطوط)، مؤلف مخطوط في تاريخ نجد لم يضع المؤلف له اسماً، كلية الآداب، جامعة بغداد، رقم ٥٧١، ص٣٠.

-نقلاً عن إبراهيم بن ريِّس- باسم عيسى بن علي الدروع(١). وعلى أي حال: فالجميع متفقون على أن الدروع من بني حنيفة.

وكان لابن درع هذا أبناء عم يدعون المُرَدَة يرجعون في نسبهم إلى الدروع أيضاً، وكانوا يقطنون بلدة تدعى الدرعية(٢) قرب القطيف في بلاد البحرين، وكان زعيمهم آنذاك مانع بن ربيعة المُرَيدي.(٣)

وحيث إن كلاً من المُرَدَة والدروع من بني حنيفة،(٤) فلا شك أن موطنهم الأصلي ديار بني حنيفة

(١) السليمان، خالد بن أحمد، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، **معجم مدينة الرياض**، الجمعية السعودية للثقافة والفنون، الرياض، ص٢٤٢.

(٢) يوجد حتى الآن موقع في جهات القطيف يسمى الدرعية فيه آثار نخل ومورد ماء قديم، ثم حفر فيه مؤخراً بئر ماء حديثة، والدرعية هذه تقع في منطقة صحراوية تبعد عن الدمام نحو ٤٣ كيلاً (العيسى، محمد الفهد، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، **الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى**، مكتبة العبيكان، الرياض، ص٣٨؛ العبيد، عبدالرحمن بن عبدالكريم، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، **الموسوعة الجغرافية لشرقي المملكة العربية السعودية**، ج٢، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام، ص٣٥١).

(٣) ابن لعبون، حمد، (ت بعد ١٢٥٥هـ، مخطوط)، مصدر سابق، ص٤١؛ الفاخري، محمد بن عمر، (ت١٢٧٧هـ، ط د. ت)، **الأخبار النجدية**، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، الرياض، ، ص٦٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ت ١٢٨٨هـ، ط١٩٨٣م)، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ج٢، ص ص٢٩٦-٢٩٧؛ ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (ت١٣٤٣هـ، ط١٩٦٦م)، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**، تحقيق حمد الجاسر، ص٣٦.

(٤) القول بأن مانع بن ربيعة المُرَيْدي الجد الأعلى لآل سعود يرجع نسبه إلى بني حنيفة، هو ما قال به أغلب مؤرخي نجد القدماء مثل: ابن خنين وابن سلوم -فيما نقل عنهما- وابن لعبون، والفاخري، وابن بشر، وابن عيسى وغيرهم. ومع ذلك فقد نسبهم كثير من المؤرخين المحدثين ومنهم عدد كبير من المستشرقين إلى عنزة. وقد كتب الدكتور منير العجلاني (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) بحثاً مفصلاً بعنوان "نسب آل سعود" في كتابه تاريخ البلاد السعودية (ج١، ص ص٦٧-٧٩) تتبع فيه هذا الأمر، وذكر فيه أنه سأل الأمير عبدالله بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود -رحمه الله- وهو من المهتمين بالتاريخ والأنساب، فقال: "نحن حنفيون" وخلص العجلاني إلى أن آل سعود من بني حنيفة من حيث الأصل العرقي وتسلسل النسب، أما نسبتهم إلى عنزة فليست نسبة بنوة، وإنما هي نسبة "سياسية"، لأن عنزة كانت ذات شأن وقوة في فترة من الفترات، فانضمت إليها كثير من القبائل والبطون بالحلف، فأصبحت عبارة عن اتحاد قبائل، وأصبحت النسبة إليها في فترة من الفترات أشبه بالجنسية القومية أو السياسية، ولا تعني بالضرورة وجود رابطة البنوة، هذا مع العلم أن حنيفة من أقرب القبائل إلى عنزة فكلاهما في نهاية المطاف أبناء وائل بن ربيعة، فلا غرابة أن تدخل بعض بطونها في حلف مع عنزة. =

في وسط اليمامة. ولا تتوافر لدينا معلومات عن تاريخ نزوحهم من موطنهم هذا إلى بلاد البحرين، ولا الأسباب التي أدت إلى ذلك. ولكن من المعلوم أن بني حنيفة تعرضوا لضغوط سياسية منذ منتصف القرن الثالث الهجري، كما تعرضوا لضغوط أخرى ناتجة عن ظروف اقتصادية وطبيعية تتمثل في القحط والجفاف.

ولعل هذه العوامل والضغوط كانت سبباً في نزوحهم. ومن المعلوم أيضاً أن كثيراً من أهل نجد نزحوا إلى بلاد البحرين[(١)] قبل هذا التاريخ وبعده.

ومهما يكن الأمر فقد حدثت مراسلات واتصالات قبيل سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦م) بين ابن درع صاحب حَجْر والجزعة، وابن عمه مانع بن ربيعة المريدي صاحب بلدة الدرعية قرب القطيف، قرر الأخير إثرها العودة إلى بلاد آبائه وأجداده. ولعل مانعاً اتخذ هذا القرار لأنه رأى أن العودة إلى موطن أسلافه في وادي حنيفة الخصب، والاستقرار بجوار أبناء عمه أفضل اقتصادياً وسياسياً من الاستمرار في الإقامة في بلدته في بلاد البحرين، التي يبدو أن الظروف الاقتصادية والمناخية فيها وفي المناطق المجاورة لها كانت سيئة،[(٢)] ولا يستبعد أيضاً أن من أسباب قراره هذا تعرضه لبعض الضغوط السياسية من قبل الدولة الجبرية التي ظهرت في تلك الآونة في بلاد البحرين.[(٣)]

هذا عن الأسباب والدوافع المحتملة التي جعلت مانعاً يقرر العودة إلى بلاد اليمامة، أما ابن درع فيبدو أنه من جانبه أيضاً كان يرى مصلحة في انتقال بني عمه الأدنين إلى جانبه، إذ يبدو أن التنافس على مناطق النفوذ كان قائماً بينه وبين آل يزيد الذين كانوا يقطنون المناطق الواقعة إلى الشمال من بلاد ابن

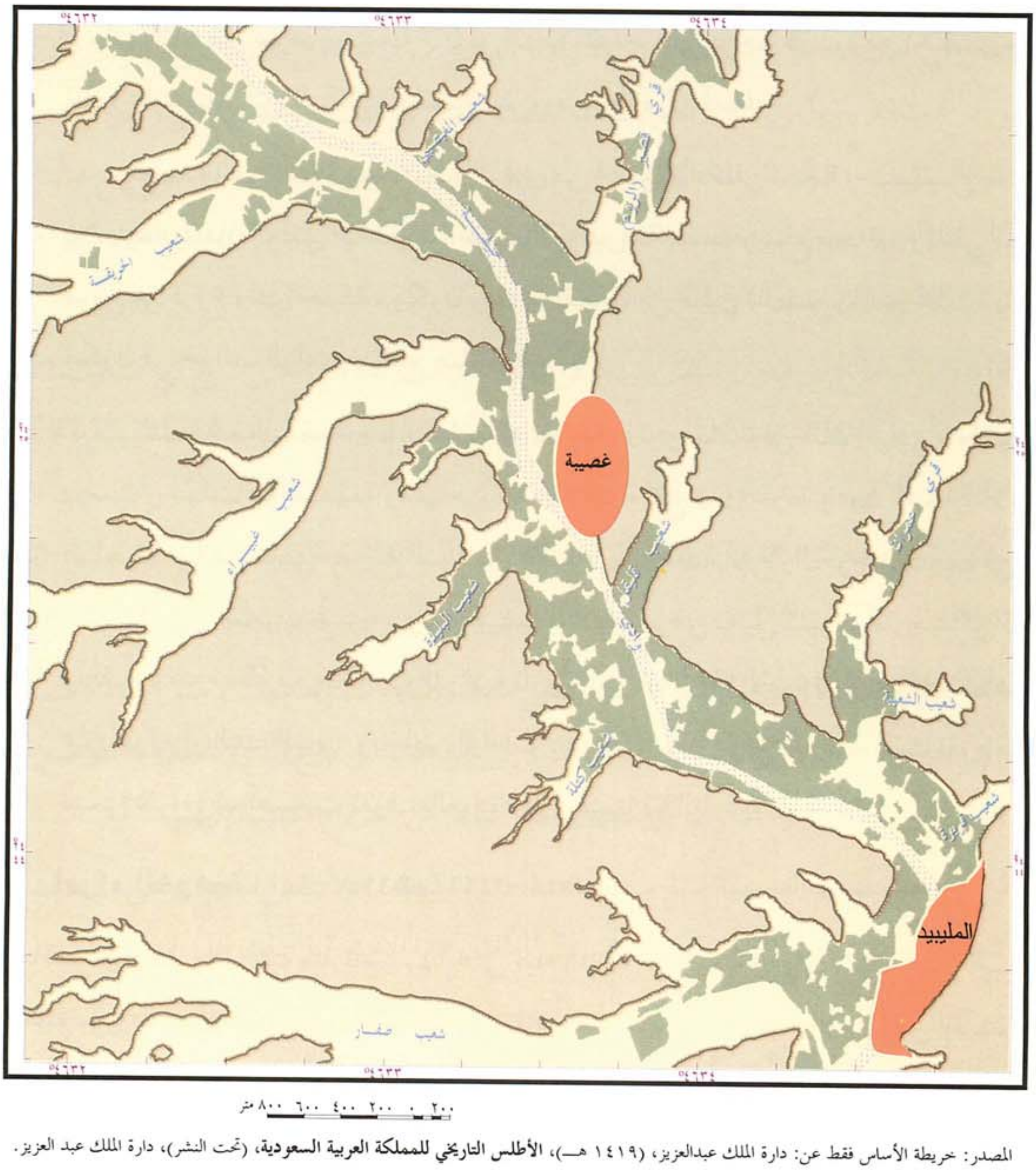
= وهذا التفسير الذي ذكره العجلاني أمر مقبول -من وجهة نظرنا- فقد رأينا من قبل أن المؤرخ ابن فضل الله العمري وغيره ذكروا أن آل يزيد وآل مزيد والدواسر من عائذ مع أنهم ينتمون إلى قبائل مختلفة، ولكن جمعهم حلف قبلي سياسي. ونود أن نضيف هنا أن صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز -وهو من المهتمين بالتاريخ والأنساب والعارفين بهما- ذكر في مقابلة مع سموه أن آل سعود من بني حنيفة، وأشار إلى صلة بني حنيفة بعنزة (ذكر سموه هذا في حوار تلفزيوني وثائقي، أجراه التلفزيون السعودي مع سموه بمناسبة اليوم الوطني للمملكة في ١٢/ ٥/ ١٤١٧هـ. وقد نشرت المجلة العربية نص هذا الحوار في ملحق خاص تحت عنوان: "حوار حول الملك عبدالعزيز"، في شهر شعبان سنة ١٤١٧هـ، وما ذكره سموه حول هذا الأمر ورد في ص١٤ من الملحق المشار إليه).

(١) إقليم البحرين يشمل المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وقطر والبحرين والإمارات والكويت حالياً.

(٢) ابن خميس، عبدالله، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، مرجع سابق، ص٨٥.

(٣) العثيمين، عبدالله بن صالح، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ج١، الرياض، ص٨١.

شكل (٣-١-١) موقع المليبيد وغصيبة وشعيب غبيراء حيث أسست الدرعية سنة ٨٥٠ هـ



المصدر: خريطة الأساس فقط عن: دارة الملك عبدالعزيز، (١٤١٩ هـ)، **الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية**، (تحت النشر)، دارة الملك عبد العزيز.

١- مانع بن ربيعة المُرَيْدي:

هو مؤسس الدرعية كما أشرنا من قبل، أسسها سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦م) هي وبلدة غصيبة المجاورة لها، وسكن بها هو وأبناؤه وأتباعه، وتولى إمارتها. وقد وافقت هجرة مانع إلى هذا الموضع قبولاً وتوفيقاً، فبارك الله له في الولد والمال والحرث والزرع،[١] فأخذت هذه البلدة في النمو السريع، وأصبحت من أهم بلدان وادي حنيفة.

ولا تتوافر لدينا معلومات عن أعمال مانع، ولا عن علاقاته بجيرانه بعد استقراره في الدرعية. وكان يجاوره من جهة الشمال آل يزيد الذين تمتد بلادهم مما يلي غصيبة شمالاً إلى ما دون الجبيلة، وتشمل الوَصَيْل،[٢] والنَّعَمية،[٣] وكانت بلاد آل يزيد أوسع من ذلك بكثير قبيل قدوم مانع لكنهم باعوا المنطقة التي تمتد من الجبَيلة حتى موضع حريملاء بما في ذلك موضع بلدة العيينة على حسن بن طوق التميمي جدّ آل معمّر، الذي أعاد تأسيس بلدة العيينة في التاريخ نفسه الذي أسست فيه بلدة الدرعية،[٤] ولعل بيع آل يزيد لهذه المنطقة الواسعة يدل على ضعفهم واضطراب أمرهم في ذلك التاريخ.

أما من جهة الجنوب فقد كان يجاور مانعاً ابن عمه ابن درع. وكما أشرنا لا تتوافر لدينا معلومات عن العلاقات بين هذه القوى في فترة حكم مانع، كما أن المصادر لا تمدنا بتحديد لتاريخ وفاته، وقد وردت إشارة في بعض المراجع تذكر أنه توفي -رحمه الله- سنة ٨٥٨هـ (١٤٥٤م)،[٥] أو سنة ٨٦٠هـ (١٤٥٦م).[٦]

---

(١) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٣-١٤، ٢٩٧؛ الذكير، مقبل، (مخطوط)، مصدر سابق، ص٣٠.

(٢) الوَصَيْل: بفتح الواو والصاد وإسكان الياء، منطقة من وادي حنيفة بين الدرعية والجبيلة، وأهل المنطقة الآن يطلقون هذا الاسم على ما بين الملقى جنوباً حتى الجبيلة شمالاً (ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٨٨م)، مرجع سابق، ج٢، ص ص٤٤٤-٤٤٥).

(٣) النَّعَميّة: بفتح النون المشددة، والعين، وكسر الميم، والياء المشددة، بلدة تقع إلى الشمال من الدرعية، كان يسكنها آل يزَيد، ولا يعرف موقعها الآن على وجه التحديد، ولعلها ما يسمى الآن بالعلب (ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ-١٩٨٨م)، مرجع سابق، ج٢، ص٤٢١).

(٤) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٤، ٢٩٦-٢٩٧.

(٥) الزركلي، خير الدين، (١٩٩٢م)، **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، دار العلم للملايين، بيروت، ج١، ص٣٢.

(٦) الزركلي، خير الدين، (١٩٨٠م)، **الأعلام**، ج٥، دار العلم للملايين، بيروت، ص٢٦٨. وتجدر الإشارة هنا =

٢- ربيعة بن مانع:

هو أكبر أبناء مانع وكان بصحبة والده عندما قدم من بلدة الدرعية في بلاد البحرين إلى ابن عمه ابن درع في وادي حنيفة،[١] ولا شك أنه ساعد والده في تأسيس الدرعية، ثم خلفه في إمارتها بعد وفاته. وكان ربيعة حسن السيرة جسوراً مقداماً، قوي نفوذه في المنطقة واستفاضت شهرته، وأصبحت إمارة الدرعية في عهده من أبرز إمارات المنطقة وأقواها، ويذكر ابن بشر: أن أتباع ربيعة كثروا، وأنه وسع ملكه وحارب آل يزيد.[٢] وقوله هذا يدل على أن ربيعة استطاع أن يبني قوة ذات وزن في المنطقة، وأن علاقته بآل يزيد الذين يجاورنه من جهة الشمال لم تكن جيدة، وأنه دخل في حرب معهم وانتزع بعض أملاكهم وأضافها إلى إمارة الدرعية.

استمر ربيعة في إمارة الدرعية حتى ثار عليه ابنه موسى وانتزع الإمارة منه، فلجأ ربيعة إلى العيينة وأقام بها، وكان أميرها آنذاك حمد بن حسن بن طوق،[٣] وقد رحب بربيعة وأكرمه لمعروف سابق لربيعة عليه، وبقي ربيعة هناك إلى أن توفي.[٤]

٣- موسى بن ربيعة:

كان رجلاً قوي الشكيمة طموحاً مقداماً، تولى قيادة الغزوات والمعارك أثناء إمارة والده، ويبدو أن الشؤون العسكرية أثناء ولاية والده كان معظمها في يده، فأصبحت له مكانة وشهرة، وقد أشرنا إلى أنه

= إلى أن ما ذكره راشد بن علي الجريسي في كتاب مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، من أن مانع المريدي كان له سلطة ونفوذ على الأحساء والقطيف وقطر وعمان، وأنه أول من بنى فيها القلاع المنيعة والحصون المكينة، وأنه جد المنانعة المعروفين في تلك الجهات. (انظر طبعة دارة الملك عبدالعزيز، ص٤٣)، كل هذا لا أساس له من الصحة وليس من الحقيقة في شيء، فبلاد الأحساء والقطيف وسائر البحرين كانت تحكمها الدولة الجبرية آنذاك. وقد تابع الجريسي في قوله هذا عدد من الباحثين منهم أمين الريحاني، والليدي بلنت، وسليمان الدخيل.

(١) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص٣٦.

(٢) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٤، ٢٩٧.

٣) حمد بن حسن بن طوق: هو ثاني أمراء العيينة من أسلاف آل معمر، تولى إمارتها سنة ٨٦٥هـ (١٤٦١م) عقب وفاة والده (ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص٢٩٧؛ ابن معمر، عبدالمحسن بن محمد، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، **إمارة العيينة وتاريخ آل معمر**، دار الأمين للنشر، القاهرة، ص٢٧٤).

(٤) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٢٩٧.

انتزع الإمارة من والده ولم تشر المصادر إلى تاريخ استيلائه على الإمارة، ولا إلى السبب الذي دفعه لذلك، ولعل خلافاً نشأ بين الابن وأبيه حول سياسة التوسع ومحاربة الجيران التي يبدو أن موسى كان ينزع إليها، ولعل والده كان يخالفه الرأي في طبيعة العلاقة ببعض جيرانه.

وعلى أي حال فقد جمع موسى عدداً كبيراً من الأتباع، ممن أطلق عليهم الموالفة وغيرهم، وكوّن قوة كبيرة، ودخل في حروب مع آل يزيد وجرح في إحدى المعارك جراحات كثيرة،[١] لكنه كان مصراً على القضاء على نفوذ آل يزيد في المناطق الواقعة إلى الشمال من الدرعية، ولعل الخلافات على مصادر المياه من العيون وغيرها، وكذلك على طريقة تقسيم مياه السيول، كانت أهم أسباب هذا العداء.[٢]

ومهما يكن الأمر فقد جمع موسى عدداً كبيراً من أتباعه وباغت آل يزيد بغارة مفاجئة وألحق بهم هزيمة ساحقة وسيطر على ممتلكاتهم في الوصيل والنعمية وقضى على نفوذهم في تلك المنطقة، ويضرب المثل بهذه الغارة عند أهل نجد فيقال: "صبحهم صباح الموالفة لآل يزيد". واستمر موسى في إمارة الدرعية حتى توفي،[٣] ولا تتوافر لدينا معلومات عن تاريخ وفاته، ويبدو أنه قضى في الإمارة مدة طويلة.

٤- إبراهيم بن موسى بن ربيعة:

تولى إمارة الدرعية بعد وفاة والده، ولا تتوافر لدينا معلومات عن فترة حكمه، إلا أن المصادر أشارت إلى أنه رزق بذرية كثيرة العدد، تفرع عنها فيما بعد عدد كبير من الأسر، ومن أبنائه مرخان الذي تولى الإمارة بعده، وعبدالرحمن، وسيف، وعبدالله.[٤]

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٢٩٧.

(٢) العجلاني، منير، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، مرجع سابق، ج١، ص٥٤.

(٣) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٢٩٧؛ ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص٣٧؛ ابن خميس، عبدالله، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، مرجع سابق، ص ص٨٦-٨٧.

(٤) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٢٩٧؛ ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص ص٣٧-٣٨.

٥- مرخان بن إبراهيم:

تولى الإمارة بعد وفاة والده، وكانت الدرعية قد توسعت وزاد عدد سكانها بشكل كبير. وضاقت أراضيها الزراعية والسكنية عن استيعاب هذه الأعداد المتزايدة من السكان، فقرر بعض إخوة مرخان الرحيل إلى مناطق أخرى أرحب وأوسع مجالاً للزراعة وطلب الرزق، فرحل عبدالرحمن بن إبراهيم إلى بلدة ضرما واستقر هو وأبناؤه هناك، وعرف أحفاده (آل عبدالرحمن) هناك بالشيوخ، وأصبح لهم مكانة وزعامة. ورحل سيف بن إبراهيم وأبناؤه إلى بلد أبي الكباش(١) وعرف بعض ذريته هناك بآل أبي يحيى. وبقي عبدالله بن إبراهيم إلى جانب أخيه الأمير مرخان في الدرعية.(٢)

وقد أعقب مرخان أربعة أبناء هم: ربيعة، ومقرن، وزيد، ومحمد، وقد انحصرت إمارة الدرعية فيما بعد في عقب ولديه: مقرن (جد الأسرة السعودية الكريمة) وربيعة (جد آل وطبان).

٦، ٧- ربيعة بن مرخان، وأخوه مقرن (بالمشاركة):

قبل الحديث عن إمارة ربيعة وأخيه مقرن لابد من الإشارة إلى أن الفترة التالية لإمارة أبيهما مرخان ابن إبراهيم حتى إمارة سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان سنة ١١٣٢هـ (١٧١٨م) فيها اضطراب وغموض، بسبب قلة المعلومات، وتناقضها أحياناً، فمصادر تاريخ نجد، التي يعوّل عليها في هذا الأمر، لا تمدنا بمعلومات واضحة عن أمراء الدرعية في تلك الفترة، وكل ما هناك إشارات عارضة إلى مشاركة بعضهم في غزوه أو قتله أو وفاته. ولهذا فالمعلومات التي سوف نوردها عن أمراء هذه الفترة تقوم في جزء منها على الاستنتاج والترجيح، في ظل ما يفهم من إشارات المصادر، وبالتالي فبعضها يبقى قابلاً لإعادة النظر.

وعلى أي حال فهناك اختلاف فيمن تولى بعد مرخان، فبعض الباحثين يرى أن ربيعة بن مرخان

---

(١) أبو الكباش: بكسر الكاف وفتح الباء، وفي استخدام أهل نجد (أبا الكباش) في الحالات الإعرابية المختلفة، قرية ومزارع تقع في رحبة واسعة من وادي العمارية، وهي بلدة قديمة ولا يستبعد أنها التي ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب باسم مهمشة (ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٨٨م)، مرجع سابق، ج٢، ص ص ٣٠٣-٣٠٤).

(٢) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٢٩٨؛ ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص٣٨.

تولى إمارة الدرعية بعد والده باعتباره أكبر أبنائه سناً.[١] ويذكر مقبل الذكير أن ربيعة تولى إمارة بلدة غصيبة، في حين تولى مقرن إمارة الدرعية.[٢]

أما ابن لعبون فقد قال في معرض سرده لأمراء الدرعية: "ثم بعد مرخان ابنيه مقرن وربيعة"،[٣] وعبارة ابن لعبون هذه تتضمن عدة احتمالات، منها أن يكونا توليا الإمارة بالمشاركة، أو أنهما اقتسما إمارة والدهما فأصبح أحدهما أميراً في الدرعية والآخر في غصيبة، أو أنهما توليا على التوالي مقرن ثم ربيعة، والاحتمال الأخير هو أضعف الاحتمالات، لكنه يبقى غير مستبعد تماماً.

والذي نميل إليه ونرجحه أن الأخوين ربيعة ومقرن اتفقا بعد وفاة والدهما على اقتسام الإدارة المحلية بحيث يتولى أحدهما إدارة شؤون بلدة الدرعية والآخر يتولى إدارة شؤون بلدة غصيبة، في ظل تعاون ووحدة البلدتين في شؤونهما العسكرية وعلاقاتهما بالآخرين. ومما يدل على أن العلاقة بين الأخوين كانت قائمة على التعاون ما ذكره ابن بشر من أنهما حجا معاً سنة ١٠٣٩هـ (١٦٢٩م) حيث قال: "وفي سنة تسع وثلاثين وألف، حج مقرن وربيعة أمير الدرعية أبناء مرخان بن إبراهيم بن موسى ابن ربيعة بن مانع".[٤]

ومن خلال التأمل في قول ابن بشر يصعب أن نحدد بشكل قطعي لا يقبل الشك أيهما أمير الدرعية، ولا يستبعد أن تكون كلمة "أمير" في نص ابن بشر محرَّفة عن "أميرا" وتكون إمارتهما بالمشاركة.[٥]

٨- مرخان بن مقرن بن مرخان:

تولى إمارة الدرعية بعد وفاة والده حسب الرأي الذي يرى أن مقرناً تولى إمارة الدرعية، وربيعة

---

(١) ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص٨٨؛ خزعل، حسين خلف، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، **تاريخ الجزيرة العربية في عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، دار مكتبة الهلال، بيروت، ص١٥٢؛ العجلاني، منير، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، مرجع سابق، ج١، ص٥٥؛ الزركلي، خير الدين، (١٩٩٢م)، مرجع سابق، ج١، ص٣٢.

(٢) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مصدر سابق، ص٣٢.

(٣) ابن لعبون، حمد بن محمد، (مخطوط)، مصدر سابق، ص٦٢.

(٤) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣١١.

(٥) لعل مما يعزز ما ذهبنا إليه من ترجيح اشتراك الأخوين «ربيعة ومقرن» في الإمارة أن إمارة الدرعية أصبحت بعدهما=

تولى إمارة غصيبة، أو بعد وفاة عمه ربيعة حسب رأي من يرى أن ربيعة هو الذي تولى إمارة الدرعية، أو بعد آخرهما وفاة حسب رأي من يرى أنهما توليا بالمشاركة، وبعد وفاة أحدهما انفرد الآخر بالإمارة، وبعد وفاة الأخير تولى مرخان بن مقرن. ونرجح أن آخرهما وفاة كان ربيعة، وبهذا يكون مرخان قد خلف عمه ربيعة في الإمارة حسب هذا الرأي.

وعلى أي حال فجميع هذه الآراء تتفق في نهاية المطاف على أن مرخان بن مقرن تولى الإمارة سواء بعد أبيه أم بعد عمه. لكن أبناء ربيعة لم يرضوا بولاية مرخان وعدوه مغتصباً لحقهم في الإمارة، لأن الولاية من وجهة نظرهم للأكبر فالأكبر، ووطبان بن ربيعة أكبر سناً من مرخان بن مقرن، لذلك ثاروا عليه بزعامة كبيرهم وطبان وقتلوه سنة ١٠٦٥هـ (١٦٥٣م)، وحل وطبان محله في الإمارة، وكان وطبان نفسه هو الذي باشر قتل مرخان.[١]

٩- وطبان بن ربيعة بن مرخان:

تولى إمارة الدرعية سنة ١٠٦٥هـ (١٦٥٣م) إثر مقتل ابن عمه مرخان كما أشرنا، وقد أدى ما أقدم عليه وطبان وإخوته إلى فتح باب الخلاف والنزاع على الإمارة بين أبناء مقرن، وأبناء ربيعة، ويبدو أن وطبان لم يستمر في الإمارة طويلاً بعد فعلته تلك، فقد فرّ إلى الزبير خوفاً من انتقام أبناء عمه آل مقرن.[٢]

وهناك من يذهب إلى أن وطبان قُتل على يد محمد بن مقرن ثأراً لأخيه مرخان، وأن محمد بن

= تتداول بالتناوب بين أبنائهما وأحفادهما؛ فمرة يتولى من هذا الفرع، ومرة من الفرع الآخر. واستمر هذا الأمر فترة طويلة حتى تولى محمد بن سعود (الإمام) إمارة الدرعية سنة ١١٣٩هـ (١٧٢٧م)، ثم قامت على يديه الدولة السعودية الأولى سنة ١١٥٧هـ (١٧٤٤م). واستمرت الإمامة بعد ذلك في أبنائه وأحفاده. ومن خلال المقارنة بين طريقة انتقال منصب الإمارة في إمارة الدرعية قبل عهد ربيعة وأخيه مقرن ابني مرخان وبعده، نجد أن المنصب قبل عهدهما كان ينتقل من الأمير السابق إلى أكبر أبنائه وهكذا. أما بعد عهدهما فأصبح في الغالب يشغل بالتناوب بين الفرعين كما أشرنا.

(١) العوسجي، محمد بن ربيعة، (ت ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م: ط ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، **تاريخ ابن ربيعة**، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل، النادي الأدبي بالرياض، الرياض، ص٦٤؛ ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٢٦؛ المنقور، أحمد بن محمد، (ت ١١٢٥هـ/ ١٧١٦م؛ ط ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور**، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، الرياض، ص٤٩.

(٢) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص١٥؛ ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص ص٣٩-٤٠.

مقرن حل إثر ذلك محله في الإمارة.[١]

وعلى أي حال لا تتوافر لدينا معلومات واضحة عن الذي تولى الإمارة بعد فرار وطبان أو قتله، ولعل محمد بن مقرن كبير آل مقرن هو الذي تولى الإمارة في تلك الفترة.

١٠- محمد بن مقرن بن مرخان:

يرجح أنه تولى الإمارة بعد فرار ابن عمه وطبان، أو قتله، ولا نعلم متى حدث ذلك، ولا مدة بقائه في الإمارة، لكن ابن بشر قال في سوابقه: "وفيها -يعني سنة ١٠٨٤هـ (١٦٧٢م)- قتل أمير الدرعية ناصر بن محمد، وأحمد بن وطبان".[٢] ومعنى هذا أن إمارة محمد بن مقرن انتهت قبل ذلك التاريخ.

١١- ناصر بن محمد:

ذكر ابن بشر أنه كان أميراً للدرعية وأنه قتل سنة ١٠٨٤هـ كما في النص السابق. ولا نعرف على وجه اليقين من هو ناصر بن محمد هذا، هل هو ناصر بن محمد بن وطبان بن ربيعة، أي أنه من آل وطبان بن ربيعة، أم أنه ناصر بن محمد بن مقرن بن مرخان أي أنه من آل مقرن.

ونحن نرجح أنه من آل وطبان بن ربيعة، ولعله انتزع الإمارة من محمد بن مقرن في إطار الصراع بين الفرعين على الزعامة، ثم استعاد محمد بن مقرن الإمارة بعد قتله سنة ١٠٨٤هـ/ ١٦٧٢م. ويعزز هذا ما ذكره مقبل الذكير من أنه راجع شجرة آل مقرن فلم يجد فيها ما يدل على أن ناصر بن محمد هذا منهم.[٣]

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن ناصر بن محمد من آل مقرن، وأنه ابن للأمير محمد بن مقرن، وأن أباه تنازل له عن الإمارة في حياته، ثم لمّا قتل الابن في التاريخ المشار إليه عاد الأب إلى الإمارة.[٤] واستمر بها إلى أن توفي سنة ١١٠٦هـ/ ١٧٩٥هـ، وهذا أمر فيه نظر، فالراجح ما أشرنا إليه آنفاً من أن ناصر بن محمد من آل وضبان وليس ابناً لمحمد بن مقرن.

---

(١) ابن خميس، عبدالله، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، مرجع سابق، ص٨٨؛ العجلاني، منير، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، مرجع سابق، ج١، ص٥٦.

(٢) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٣٢.

(٣) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مصدر سابق، ص٣١.

(٤) فلبي، عبدالله، (د.ت.)، **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، ترجمة عمر الديراوي، المكتبة الأهلية، بيروت، ص١١؛ ابن خميس، عبدالله، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، مرجع سابق، ص٨٨.

١٢- محمد بن مقرن بن مرخان (المرة الثانية):

بعد مقتل ناصر بن محمد، تولى محمد بن مقرن إمارة الدرعية للمرة الثانية، وقد أشار مؤرخو نجد إلى أنه شارك مع أهل حريملاء، وزامل آل عثمان،[١] في مهاجمة بلدة سدوس سنة ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٧م.[٢] وقد استمر محمد بن مقرن في الإمارة حتى توفي سنة ١١٠٦هـ/ ١٦٩٥م.[٣] وقد أعقب ولدين هما سعود (والد الإمام محمد بن سعود)، ومقرن.

١٣- إدريس بن وطبان بن ربيعة:

تولى إمارة الدرعية بعد وفاة محمد بن مقرن،[٤] ولم يستمر طويلاً فقد قتل في السنة التالية.[٥] وقد خرجت إثر ذلك ولاية الدرعية من يد أحفاد مانع بن ربيعة المريدي فترة من الزمن.

خروج إمارة الدرعية من يد أحفاد مانع بن ربيعة المريدي (١١٠٧-١١٢١هـ/١٦٩٥-١٧٠٩م):

يبدو أن الخلافات بين فرعي آل مقرن وآل وطبان على الإمارة أدت إلى إضعاف كل منهما،

---

(١) هو زامل بن عثمان العائذي أمير بلدة الدلم بالخرج.

(٢) العوسجي، محمد بن ربيعة، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، مصدر سابق، ص٧٤؛ الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص٨١؛ ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٤٠.

(٣) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٤٦.

(٤) ذكر بعض الباحثين أن مرخان بن وطبان تولى الإمارة بعد محمد بن مقرن، وأنه قتل على يد أخيه إبراهيم، فتولى الإمارة بعده أخوه إدريس (العجلاني، منير، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، مرجع سابق، ج١، ص٥٧؛ خزعل، حسين، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، مرجع سابق، ص١٥٢؛ ابن خميس، عبدالله، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، مرجع سابق، ص٨٩). لكن هذا يتعارض مع ما ذكرته المصادر من أن مرخان قتل على يد أخيه إبراهيم سنة ١١٠١هـ/ ١٦٩٠م، أي قبل وفاة محمد بن مقرن بنحو خمس سنوات فكيف يقال إنه تولى بعد وفاته والحال هذه. (انظر: المنقور، أحمد، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ص٦٦، ٦٨؛ الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص٨٥؛ ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٤٤).

(٥) المنقور، أحمد، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص٧٢؛ ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٤٧. وذكر الفاخري أنه قتل سنة ١١٠٦هـ/ ١٧٩٥م (الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص٨٦). وذكر ابن لعبون أنه قتل سنة ١١٠٨هـ/ ١٧٩٧م (ابن لعبون، حمد بن محمد، (ت بعد ١٢٥٥هـ، مخطوط)، مصدر سابق، ص٦٣).

واضطراب الأوضاع في الدرعية، ومن ثم خروج الإمارة من أيديهما معاً واستيلاء طرف أجنبي عليها فترة من الزمن، فبعد مقتل إدريس بن وطبان سنة ١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م استولى على إمارة الدرعية شخص يدعى سلطان بن حمد القبْس،[١] ولا تمدنا المصادر بمعلومات عن هذا الرجل وأسرته، كما لا تتوافر لدينا معلومات تبيّن ما إذا كان استيلاؤه على الإمارة تم بدعم من قوى خارجية أم لا. ويذكر فلبي أن سلطان القبس هذا من بني خالد[٢]، لكنه لم يشر إلى المصدر الذي اعتمد عليه، ولم نجد في المصادر ما يعزز ما ذهب إليه. وقد ناقش عبدالرحمن الرويشد رأي فلبي هذا، وقال: «أن نظام الإمارة آنذاك كان مترسخاً في تلك المنطقة في بيوتات تتوارثها ويستحيل منازعتها إلا تحت راية أمير كبير، أو ملك معترف به، ولم نسمع ولم نقرأ أن محاولات قد جرت في المنطقة من هذا النوع. ثم لم لا يكون آل القبس من سلالة مانع[٣]، أو من عشريته، أو من سلالات بني حنيفة، أو تميم مثلاً، أو من سكان تلك المنطقة وقبائلها».[٤] ويبدو لنا أن أقرب الاحتمالات هو أن آل القبس من الأسر التي ترجع إلى بني حنيفة. فبنو حنيفة -كما هو معلوم- كانت لهم مكانة وزعامة في المنطقة منذ أمد بعيد.

وعلى أي حال فقد استمر سلطان القبس في إمارة الدرعية حتى قتل سنة ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م، ثم خلفه أخوه عبدالله لكنه لم يستمر في الإمارة طويلاً فقد قتل في السنة التالية.[٥]

١٤- موسى بن ربيعة بن وطبان:

بعد قتل عبدالله القبْس سنة ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م عادت إمارة الدرعية إلى حكامها الشرعيين من أحفاد مانع المريدي، وتولى إمارتها كبير فرع آل وطبان موسى بن ربيعة بن وطبان،[٦] وبقي في الإمارة

---

(١) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٧؛ المنقور، أحمد، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص٧٢.

(٢) فلبي، عبدالله، (د.ت.)، مرجع سابق، ص١٢.

(٣) يقصد مانع بن ربيعة المريدي، مؤسس الدرعية وأول أمرائها.

(٤) الرويشد، عبد الرحمن بن سليمان، (١٤١٩هـ)، الجذور التاريخية للبيت السعودي قبل حركة التجديد والدولة، **نشرة المئوية**، العدد الرابع، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض. ص١٤.

(٥) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٥٦.

(٦) المصدر السابق، ج٢، ص٣٥٧.

إحدى عشرة سنة. ويبدو أنه أساء السيرة في آخر فترة إمارته، ووقعت منه أفعال أدت إلى تذمر أقاربه، وأهل الدرعية منه، ومن ذلك إقدامه على قتل أخيه مرخان بن ربيعة،[١] وربما كان ذلك خشية منافسته له على الإمارة.

ومهما يكن الأمر فقد ثار عليه أهل الدرعية سنة ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م وعزلوه ونفوه، من البلدة، فلجأ إلى العيينة،[٢] وعاش هناك حتى قتل سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م برصاصة طائشة.[٣]

١٥- سعود بن محمد بن مقرن:

بعد خلع موسى بن ربيعة سنة ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م بايع أهل الدرعية كبير فرع آل مقرن سعود بن محمد بن مقرن أميراً عليهم، وهو جد الأسرة السعودية الكريمة الذي تنتسب إليه، وكان رجلاً ذا حنكة ودهاء، وله تجربة وخبرة منذ عهد ولاية والده محمد بن مقرن، فقد ذكر ابن بشر أنه تولى قيادة قوات الدرعية التي شاركت مع أمير العيينة عبدالله بن معمر[٤] في مهاجمة حريملاء سنة ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٥م،[٥] وفي أول فترة إمارته تعرضت الدرعية لهجوم من إحدى القوى الكبرى في المنطقة آنذاك، وأكد سعود بن محمد قدرته من خلال نجاحه في التصدي لهذا الهجوم، ففي سنة ١١٣٣هـ/ ١٧٢١م قدم إلى نجد سعدون بن محمد بن غرير الخالدي[٦] أمير الأحساء والقطيف، وهاجم بعض بلدانها، ومنها الدرعية وتمكن جنوده في أول الأمر من نهب بعض المنازل في أطرافها، إلا أن أهل الدرعية بقيادة محمد بن سعود تصدوا له وتمكنوا من صده بعد معركة حامية الوطيس وقع فيها عدد من

---

(١) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص٣٩.

(٢) ابن خميس، عبدالله، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، مرجع سابق، ص٨٩؛ العجلاني، منير، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، مرجع سابق، ج١، ص٥٨.

(٣) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٦٩.

(٤) عبدالله بن محمد بن معمر يعد من أقوى أمراء العيينة وأشهرهم امتدت إمارته فترة طويلة تجاوزت أربعين عاماً (١٠٩٦-١١٣٨هـ/ ١٦٨٥-١٧٢٦م) (ابن معمر، عبدالمحسن، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، مرجع سابق، ص٢٩١).

(٥) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٣٨.

(٦) تولى سعدون بن محمد بن غرير الإمارة بعد وفاة والده سنة ١١٠٢هـ/ ١٦٩١م واستمر بها فترة طويلة حتى توفي سنة ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م.

القتلى من الطرفين. [١]

وبعد أن أمضى سعود محمد بن خمس سنوات في إمارة الدرعية توفي -رحمه الله- في ليلة عيد الفطر عام ١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م، وخلف أربعة أبناء هم: محمد، وثنيان، ومشاري، وفرحان. [٢]

١٦- زيد بن مرخان بن وطبان:

بعد وفاة سعود بن محمد تولى زيد بن مرخان كبير آل وطبان إمارة الدرعية، [٣] ويبدو أن زيداً كان فيه شيء من الضعف لذلك لم يستطع السيطرة على مقاليد الأمور، ولم يمض على توليه فترة طويلة حتى ثار عليه مقرن بن محمد بن مقرن وانتزع الإمارة منه.

١٧- مقرن بن محمد بن مقرن:

هو أخو سعود بن محمد بن مقرن، وقد انتزع الإمارة من زيد بن مرخان كما أشرنا، ورغم أن زيداً خضع للأمر الواقع فيما يبدو ولم يظهر منه ما ينبئ عن سعي لاستعادة الإمارة من مقرن، إلا أن مقرناً كان يود التخلص منه، فطلب منه أن يقابله "لتمام الاستئناس به والثقة" كما يقول ابن بشر، إلا أن زيداً أوجس في نفسه خيفة وخشي أن مقرناً يضمر له غدراً، فقال لا آتيك حتى يكفلك محمد بن سعود، ومقرن بن عبدالله بن مقرن، فكفلاه، وبناء على ذلك جاء زيد لمقابلة مقرن بن محمد، وحينئذ بدت من مقرن إمارات الغدر وهم بقتل زيد، فوثب عليه محمد بن سعود، ومقرن بن عبدالله وقتلاه، وفاءً بعهدهما بحماية زيد، وكان ذلك في سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م. [٤]

١٨- زيد بن مرخان بن وطبان (المرة الثانية):

بعد قتل مقرن عاد زيد بن مرخان إلى الإمارة مرة أخرى، وكانت إمارة العيينة المجاورة تمر آنذاك بظروف صعبة بعد أن حلّ بها وباء أهلك عدداً كبيراً من أهلها، وأضعفها كثيراً، فطمع زيد في الاستيلاء

---

(١) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٦٣؛ ابن بسام، عبدالله بن محمد، (مخطوط)، مصدر سابق، ص١٣١.

(٢) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٦٧.

(٣) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص١٠٠.

(٤) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٦٨.

على ما بها من ثمار وأموال،[١] وجمع قوات جلها من بادية سبيع وآل كثير، وسار بهم لمهاجمة العيينة. فأرسل إليه أميرها محمد بن معمر الملقب (خرفاش)[٢] يعرض عليه أن يعطيه ما يرضيه مقابل التراجع عن مهاجمة العيينة وتعريضها للنهب على يد جموع البادية، فصادف هذا العرض قبولاً لدى زيد، وتوجه إلى العيينة بناء على اتفاق مع أميرها للتفاوض حول العرض، وصحب معه نحو أربعين رجلاً من أتباعه، وكان من بينهم محمد بن سعود، ودغيّم المليحي السبيعي رئيس جموع سبيع.[٣]

وكان أمير العيينة يبيّت الغدر بزيد، وقد أعد كميناً لهذا الغرض، وما أن دخل زيد وأتباعه إلى العيينة حتى سارع أميرها باستقبالهم في قصره، وأجلسهم في مكان معد لذلك، ثم تركهم فجأة، حينئذ صوب الكمين بنادقهم إلى نحري زيد، ودغيم السبيعي فخرا صريعين.[٤]

في تلك الأثناء بادر محمد بن سعود - يرحمه الله - بتصرف سريع، حيث لجأ هو ومن معه إلى مكان مرتفع حصين في القصر وقرر المقاومة، فعرض عليه أمير العيينة الأمان هو ورفاقه، فرفض النزول إلا بأمان الجوهرة بنت عبدالله بن معمر، وهي عمة أمير العيينة وكانت لها مكانة ومنزلة رفيعة،[٥] وقد أعطت الجوهرة الأمان لمحمد بن سعود ورفاقه، فعادوا إلى الدرعية سالمين.[٦]

١٩- محمد بن سعود بن محمد بن مقرن:

بعد عودة محمد بن سعود ومن معه إلى الدرعية، إثر مقتل أميرها زيد في العيينة، اتفق أهل الدرعية على مبايعته أميراً عليهم،[٧] ورأوا فيه المنقذ للإمارة من حالة الاضطراب والنزاع على السلطة

---

(١) لعل ذلك كان بتشجيع من بعض زعماء القبائل البدوية في المنطقة.

(٢) محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر (خرفاش)، تولى إمارة العيينة بعد وفاة جده سنة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٦م واستمر حتى قتل سنة ١١٤٢هـ/ ١٧٢٩م (ابن معمر، عبدالمحسن، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، مرجع سابق، ص ص٣٠٧-٣١٠).

(٣) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٣٦٨-٣٦٩.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٩.

(٥) كانت الجوهرة بنت عبدالله بن معمر امرأة ذات رأي وعقل راجح، تزوج بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب حين قدم إلى العيينة سنة ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م.

(٦) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٦٩.

(٧) المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٩.

التي مرت بها خلال السنتين التي أعقبت وفاة والده الأمير سعود بن محمد، وكان عمره حين بويع بالإمارة سنة ١١٣٩هـ نحو خمس وثلاثين سنة.[(١)]

وتنقسم فترة حكم محمد بن سعود إلى قسمين: فترة إمارته للدرعية -وهي تدخل في الإطار الزماني لهذا الفصل- وقد استمرت ثمان عشرة سنة (١١٣٩-١١٥٧هـ/ ١٧٢٧-١٧٤٤م). وفترة الإمامة، وتبدأ إثر قدوم العلاّمة المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب - يرحمه الله - إلى الدرعية، وترحيب الأمير محمد بن سعود به، وعقْد ما عرف باتفاق الدرعية بينهما في أواخر سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، حيث بدأت منذ ذلك التاريخ الدولة السعودية الأولى، فكان هذا الاتفاق هو الأساس الذي بنيت عليه قواعد الدولة، وكان الإمام محمد بن سعود (الأمير سابقاً) مؤسسها وأول أئمتها، وكانت الدرعية -موطن آل سعود وأسلافهم- نواتها الأولى ومركزها. وهكذا تحولت الإمارة إلى دولة ما لبثت أن توسعت بعد ذلك -كما هو معلوم- وكما سيرد بيانه في الفصل اللاحق بإذن الله.

والمعلومات عن حياة الأمير محمد بن سعود في فترة إمارته قليلة جداً، إلا أن المتتبع لمجريات الأمور يجد أن الدرعية شهدت في عهده استقراراً داخلياً لم تشهده من قبل، كما أن قوتها ومكانها في المنطقة أخذت في الازدياد، وهذا يدل -بلا شك- على ما كان يتمتع به أميرها من حكمة وحزم ومقدرة إدارية.

وقد أوردت بعض المصادر إشارات عن صفات الأمير محمد بن سعود وبعض أعماله خلال فترة إمارته يمكن من خلالها إعطاء صورة موجزة عن سياسته الداخلية، وطبيعة علاقاته بجيرانه في تلك الفترة.

فقد وصفه ابن غنام بأنه كان في فترة إمارته:[(٢)] "بحسن السيرة معروفاً، وبالوفاء وحسن المعاملة

---

(١) لا تمدنا المصادر بتاريخ ميلاد الإمام محمد بن سعود، إلا أنه حين توفي -رحمه الله- سنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م كان كبير السن، وقد أقعده الكبر قبل ذلك بمدة طويلة عن المشاركة في الغزوات، ويقدر عمره حين وفاته بنحو خمس وسبعين سنة، وبناءً عليه فيكون تاريخ مولده في حدود سنة ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م، ويكون عمره حين تولى والده إمارة الدرعية سنة ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م نحو ثمان وعشرين سنة، ويرجح أنه ساعد والده أثناء توليه الإمارة، وشارك في تنفيذ مهام كثيرة، أكسبته خبرة ومقدرة، ورفعت من مكانته عند أسرته بخاصة وعند أهل الدرعية بعامة مما جعلهم يختارونه ويبايعونه بالإمارة.

(٢) يسمي ابن غنّام -رحمه الله- الفترة السابقة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (بالجاهلية).

موصوفاً، مشهوراً بذلك دون من هنالك" .[١] وكان -رحمه الله- يتصف بالحزم والرحمة في آن معاً، والحرص على حفظ حقوق الناس ودفع المظالم، وقمع الفتن، ومحاربة الدسائس.[٢]

وعلاوة على ذلك كان -رحمه الله- رجلاً كريماً يساعد المحتاج من أهل بلده، ومن يقصده من غيرهم. ويتفقد أمور رعيته في الدرعية، ومن ذلك على سبيل المثال: أنه كان حين يعلم أن شاباً من أقاربه أو من أهل بلده تأخر عن الزواج، يسأل عن سبب تأخره، فإن قيل له أن تأخره بسبب عجزه عن دفع المهر ومتطلبات الزواج، أمره بالزواج وساعده في المهر والجهاز.[٣]

أما عن علاقاته بجيرانه في تلك الفترة فقد كانت جيدة، رغم أن النزاع والتنافس والعداء كان هو السائد بين إمارات البلدان المتجاورة في المنطقة آنذاك. فقد كانت علاقته بأمير العيينة عثمان بن معمر[٤] -الذي كانت إمارته تجاور إمارة الدرعية من جهة الشمال- جيدة وقد تطورت فيما بعد إلى الارتباط بصلة المصاهرة حيث تزوج ابنه عبدالعزيز من ابنة أمير العيينة.[٥] أما إمارة الرياض التي كانت تجاوره من جهة الجنوب فيدل على حسن علاقته بها أنه ساعد أميرها دهام بن دواس سنة ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م، عندما ثار عليه بعض أهل الرياض وأرادوا عزله وطرده.[٦]

والخلاصة أن الأمير محمد بن سعود لم يكن في فترة إمارته ينزع إلى توسيع مناطق نفوذه على

---

(١) ابن غنام، حسين، (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)، **روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**، ج٢، المكتبة الأهلية، الرياض، ص٣.

(٢) العجلاني، منير، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، مرجع سابق، ص١٠٩.

(٣) مؤلف مجهول، (د.ت.)، **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب**، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ص٤٤-٤٥.

(٤) عثمان بن حمد بن عبدالله بن معمر، تولى إمارة سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٢٠م، وساند الشيخ محمد بن عبدالوهاب في أول ظهور دعوته، ثم تخلى عنه بضغط من بني خالد في الأحساء، فانتقل الشيخ إلى الدرعية. وقد دخل عثمان في طاعة الإمام محمد بن سعود بعد قيام الدولة السعودية الأولى وانتشار الدعوة وحارب تحت لوائه، وهو جد الإمام سعود بن عبدالعزيز من جهة أمه. قتل سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م.

(٥) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مصدر سابق، ص٦٦.

(٦) ابن غنام، حسين، مصدر سابق، ج٢، ص ص٥-٦؛ الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص١٠٤؛ ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٥٠؛ ج٢، ص٣٧٤.

حساب جيرانه، رغم أنه كان مؤهلاً لذلك، ورغم أن الإمارات المجاورة له مرت أثناء فترة إمارته بظروف سيئة، فإمارة العيينة كانت تعيش فترة ضعف شديد في أول عهده بعد الوباء الذي حلّ بها وأهلك أكثر أهلها،[١] وإمارة الرياض مرت بفترة اضطراب ونزاع على السلطة منذ سنة ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م حتى سنة ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م.[٢] وكان بإمكان الأمير محمد استغلال هذه الظروف لو أراد ذلك. وموقف الأمير هذا يؤكد أن أعماله الجهادية بعد اتفاقه مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقيام الدولة السعودية، لم يكن الغرض منها توسيع مناطق نفوذه وبناء ملك له، وإنما الغرض نشر العقيدة الصحيحة، وتطبيق الشريعة، وإنقاذ الناس من الظلم، والفوضى، والجهل، والضلال، ومحاربة البدع والخرافات، التي كانت منتشرة آنذاك، التي كان بعضها يصل إلى حد الشرك والخروج عن الدين بصرف بعض أنواع العبادة لغير الله.

إن ما كان يتمتع به الأمير محمد بن سعود من صفات، وما كانت تعيشه الدرعية في عهد إمارته من استقرار،[٣] جعل هذه القيادة، وهذه البقعة بيئة صالحة ومؤهلة لاحتضان دعوة الإصلاح التي دعا إليها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب -يرحمه الله-، ثم القيام بواجب نشرها رغم ما صاحب ذلك من صعوبات ومشاق. وقد أبدى الإمام محمد بن سعود -يرحمه الله- من صنوف الصبر والثبات والوفاء والتضحية، وبذل الغالي والنفيس في سبيل نصرة هذه الدعوة ونشرها، ما يرجى له به الثواب الجزيل والدرجات العليا عند الله سبحانه وتعالى، وما يرفعه إلى مستوى الأبطال المؤسسين في معايير الساسة والمؤرخين، (شكل: ٣-١-٢).

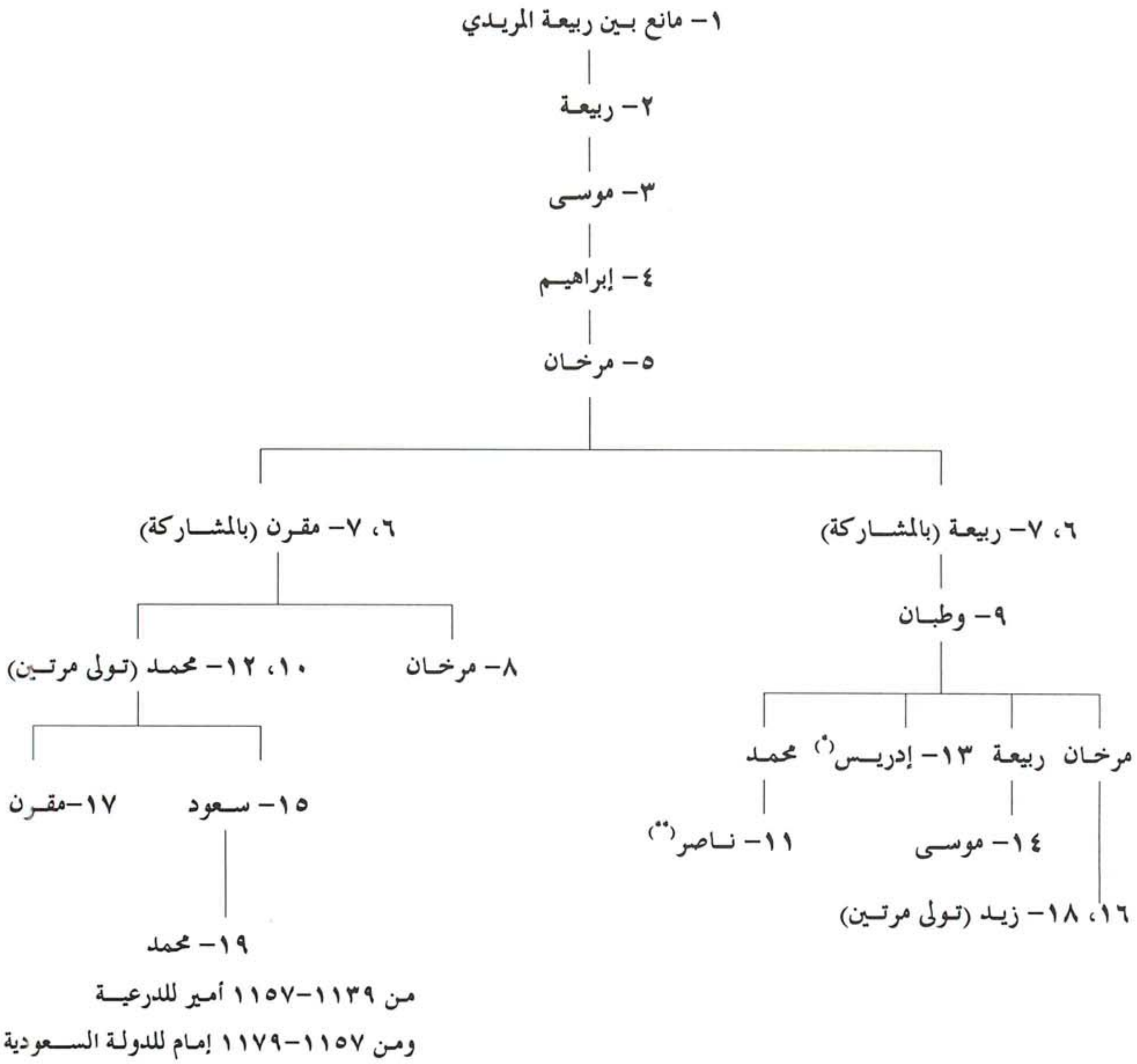
---

(١) تميزت إمارة الدرعية أيضاً بعدم وجود نفوذ أو سيطرة عليها من قبل القوى الخارجية المجاورة، مما أتاح لها فرصة استقلالية اتخاذ القرار، وتنفيذه، دون أن تؤثر عليها مواقف القوى الأخرى أو تدخلاتها، كما هو الشأن بالنسبة لإمارة العيينة المجاورة التي كان لنفوذ بني خالد حكام الأحساء أثر كبير على سياستها آنذاك، وكانت ضغوط بني خالد على أميرها أحد أبرز الأسباب التي دفعته إلى أن يتخلى عن مناصرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ويطلب منه الخروج من العيينة. (الشبل، عبدالله بن يوسف، (د.ت.)، **تاريخ نجد والدولة السعودية**، ج١، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص٦٦).

(٢) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٦٧.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص ص٤٩-٥٠؛ ج٢، ص٣٧٤.

شكل (٣-١-٢) تسلسل أمراء الدرعية (من ٨٥٠-١١٥٧هـ/١٤٤٦-١٧٤٤م):



(*) خرجت إمارة الدرعية بعد إدريس من يد آل مانع المريدي فترة امتدت نحو أربع عشرة سنة، ثم عادت إليهم وتولاهـا موسى بن ربيعة بن وطبان.

(**) يرى بعض الباحثين أن ناصرا من آل مقرن، وأنه ابن لمحمد بن مقرن بن مرخان.

المبحث الثاني

الإمارات الحضرية الأخرى والقوى القبلية

(٨٥٠-١١٥٧هـ/١٤٤٦-١٧٤٤م)

أ- الإمارات الحضرية الأخرى:

إلى جانب إمارة الدرعية، التي كانت من أهم الإمارات الحضرية المحلية بنجد، كان هناك عدد من الإمارات الأخرى، فقد كانت المنطقة مجزأة إلى إمارات صغيرة، تحكم كل إمارة -في الغالب- قرية صغيرة، ومن النادر أن يمتد نفوذ الإمارة إلى عدة قرى، بل نجد أحياناً انقساماً داخل القرية نفسها وظهور أكثر من زعامة فيها. حتى إن هذا العصر يمكن أن يوصف في نجد بأنه عصر الإمارات البلدانية المتناحرة.(١)

ولو نظرنا إلى بعض أقاليم المنطقة لنتعرف على مقدار الانقسام والفرقة، ومدى الفراغ السياسي الذي كانت تعيشه هذه البلاد، لرأينا على سبيل المثال أن المنطقة القريبة من الدرعية كانت تقوم فيها إلى جانب إمارة الدرعية، إمارة في العيينة، وإمارة في العمارية، وإمارة في عرقة، وإمارة في مقرن، وإمارة في معكال،(٢) وإمارة في منفوحة، وإمارة في المصانع. كل هذه الإمارات -التي تقوم العلاقات بينها في الغالب على العداء والتناحر- كانت موجودة في مساحة تدخل جميعها في عصرنا هذا ضمن حدود مدينة الرياض وضواحيها.

وفي إقليم سدير كانت هناك إمارة في المجمعة، وإمارة في حرمة، وإمارة في جلاجل، وإمارة في التويم، وإمارة في الداخلة، وإمارة في الروضة، وإمارة في الحصون، وإمارة في الحوطة، وإمارة في

---

(١) لعل أوضاع هذه الإمارات والعلاقات بينها، تشبه -إلى حد ما- ما عرف في الأندلس بعصر ملوك الطوائف، وإن كانت دول ملوك الطوائف في الأندلس مع ضعف شأنها، تعد أقوى وأكثر تنظيماً من تلك الإمارات البلدانية في نجد.

(٢) أصبحت مقرن ومعكال ضمن إمارة بلدة الرياض فيما بعد في عصر دهام بن دوّاس.

الجنوبية، وإمارة في العطار، وإمارة في العودة، وإمارة في عشيرة. اثنتا عشرة إمارة تقوم العلاقات بينها -في الغالب- على العداء والتربص والغارات المتبادلة، في مساحة لا يزيد طولها على سبعين كيلاً.

هذه أمثلة من بعض المناطق، والوضع في الأقاليم الأخرى مثل المحمل، والوشم، والخرج، وجنوب بلاد اليمامة مشابه تماماً، ففي كل منها عدد من الإمارات المتناحرة، التي تتحين كل منها فرصة للانقضاض على الأخرى، من أجل كسب مادي، أو ثأر متوارث، أو رغبة في فرض نفوذ سياسي، أو نتيجة لخلاف على حمى رعوي، أو مصدر ماء لسقيا المزارع.

وعلاوة على هذا الصراع بين الجيران، هناك -في الغالب- صراع محتدم داخل كل قرية على الزعامة بين أفراد الأسرة الحاكمة نفسها، أو بينهم وبين أسرة أخرى تقطن البلدة وتطمح إلى الزعامة. والأمثلة على هذا كثيرة جداً في تاريخ هذه البلدات، ولعلنا هنا نكتفي بمثالين، أحدهما ساقه ابن بشر وعلّق عليه، وهو ما عرف "بقصة المربوعة في التويم"، يقول ابن بشر في أحداث سنة ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م: "وفيها قتل حسين بن مفيز، صاحب التويم البلد المعروف في ناحية سدير، قتله ابن عمه فايز بن محمد، وتولى بعده في التويم، ثم إن أهل حرمة ساروا إلى التويم وقتلوا فايز المذكور، وجعلوا في البلد فوزان بن . . . ،[1] ثم غدر ناصر بن محمد بفوزان فقتله، فتولى في التويم محمد بن فوزان، فتمالأ عليه رجال وقتلوه، منهم المفرع وغيره من رؤساء البلد، وهم أربعة رجال، فلم يستقم ولاية لأحدهم فقسموا البلد أرباعاً، كل واحد شاخ في ربعها، فسموا المربوعة أكثر من سنة".[2] ويعلق ابن بشر على هذه الحالة بقوله: "وإنما ذكرت هذه الحكاية ليعرف من وقف عليها وعلى غيرها من السوابق نعمة الإسلام والجماعة والسمع والطاعة، ولا تعرف الأشياء إلا بضدها، فإن هذه قرية ضعيفة الرجال والمال، وصار فيها أربعة رجال كل منهم يدعي الولاية على ما هو فيه".[3]

---

(١) بياض مقداره كلمة، ولعله ابن مفيز.

(٢) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٣٥٦-٣٥٧. ويذكر أحد الباحثين استناداً على نص آخر ذكره ابن بشر أن إمارة المربوعة هذه استمرت اثنتين وعشرين سنة (العريني، عبدالرحمن بن علي، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، **الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وأثر الدعوة السلفية فيها منذ القرن العاشر حتى سقوط الدرعية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والحضارة، الرياض، ص٥٨).

(٣) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٥٧.

وفي بلدة روضة سدير المجاورة للتويم نجد أيضاً حالة مشابهة، حيث قسِّمت هذه البلدة في فترة من الفترات[١] إلى أربعة أرباع أيضاً، كل ربع تحكمه أسرة لها رئيس مستقل، ويغلب على علاقتها بالأسر الأخرى العداء، رغم أن هذه الأسر جميعاً تنحدر من أصل واحد،[٢] ولهذا أفتى بعض علماء سدير في تلك الآونة بجواز إقامة الجمعة في كل منزلة، مع أنها جميعاً يشملها اسم الروضة، ولم يكن عدد سكانها كبيراً، ولم تكن منازلها متباعدة مما يقتضي إقامة أربعة جوامع فيها، لكنها كانت منقسمة متعادية ليس لقسم فيها ولاية على القسم الآخر.[٣] أربعة كيانات مستقلة داخل قرية صغيرة.

هذه أمثلة صارخة على مدى الانقسام والفوضى والفراغ السياسي، وهناك أمثلة كثيرة غيرها في بلدان متعددة لا يتسع المقام لتتبعها وسردها، فالمراد هنا بيان الحالة العامة دون الدخول في رصد تفصيلات ما وقع من أحداث في كل بلدة.

كما أن هناك أمثلة كثيرة جداً للحروب التي تقع بين القرى المتجاورة،[٤] ويذهب ضحيتها أعداد كبيرة من أبناء تلك القرى، وتُدمر المنازل والمزارع بأيدي الأخوة المتجاورين المتحاربين، فيزداد العناء الاقتصادي والنفسي والأمني، وتكون هذه الحروب وما ينتج عنها عاملاً آخر يضاف إلى العوامل الطبيعية،[٥] يؤدي إلى خراب بعض الديار، وجلاء بعض السكان إلى مواطن أخرى داخل المنطقة أو خارجها.[٦]

---

(١) وقع هذا في الفترة المعاصرة للشيخ أحمد بن محمد المنقور، الذي عاش من سنة ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م حتى سنة ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م.

(٢) الأسر الأربع هي: آل أبو هلال، وآل راجح، وآل سعيد، وآل سليمان، وكلهم من أحفاد مؤسس هذه البلدة مزروع بن حميد التميمي (ابن عيسى، إبراهيم، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص ص٥٦-٥٨).

(٣) المنقور، أحمد بن محمد، (ت ١١٢٥هـ؛ ط ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**، ج٢، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، ص١٣٣.

(٤) انظر على سبيل المثال: المنقور، أحمد بن محمد، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ص٦١-٦٢، ٧٠، ٧٥، ٧٩؛ الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ص٧٦، ٨١، ٨٦، ٨٩، ٩٢، ١٠٢.

(٥) مثل: القحط، والجفاف، والأوبئة.

(٦) المنقور، أحمد بن محمد، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص٥٤؛ الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ص٧٧-٧٨، ٨٨.

وكانت إمارتا العيينة المجاورة للدرعية من جهة الشمال، والرياض، المجاورة للدرعية من جهة الجنوب، من أبرز الإمارات الحضرية بالمنطقة قبيل قيام الدولة السعودية الأولى وأقواها.

وكانت إمارة العيينة في يد أسرة آل معمر منذ إعادة تأسيس هذه البلدة على يد جدهم الأعلى حسن ابن طوق التميمي سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م. وتعد هذه الإمارة من أقوى الإمارات البلدانية في نجد وأشهرها خلال القرون الثلاثة التي سبقت قيام الدولة السعودية الأولى، وبخاصة في عهد أميرها عبدالله بن محمد بن حمد بن معمر (١٠٩٦-١١٣٨هـ/ ١٦٨٤-١٧٢٥م)، [١] وكانت تربطها في تلك الفترة وما بعدها علاقات قوية مع بني خالد في الأحساء. [٢]

أما الرياض، فكان يتولى إمارتها قبيل قيام الدولة السعودية الأولى دهام بن دوّاس، ومن المعلوم أن الرياض قامت على أنقاض مدينة حَجْر القديمة، والراجح أن إطلاق اسم الرياض عليها كان في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري. [٣] أي قبيل قيام الدولة السعودية الأولى بزمن ليس بالطويل.

ولعل من المناسب وقد تحدثنا في الفصل الخامس من الجزء الثاني عن مدينة حَجْر حتى مطلع القرن الثامن الهجري، أن نشير هنا بإيجاز إلى تطور تاريخ هذه المدينة حتى أطلق عليها اسم الرياض. فبعد اضمحلال شأن مدينة الخضرمة عاصمة الأخيضريين بعد سقوط دولتهم، أخذت مدينة حجر تستعيد مكانتها في المنطقة شيئاً فشيئاً خلال القرن السادس الهجري ثم ما لبثت أن أصبحت أهم مدينة في الإقليم كما أشرنا من قبل، وعاد النفوذ والحكم فيها إلى بني حنيفة، وقد ذكر ابن بطوطة حين زارها سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م، أن أغلب أهلها من بني حنيفة وأن أميرهم يدعى طفيل بن غانم. [٤] وفي سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م كان يحكمها والمناطق المحيطة بها عيسى بن علي بن درع الحنفي (صاحب حَجْر

---

(١) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٢٣٦؛ العثيمين، عبدالله بن صالح، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨)، **نجد منذ القرن العاشر حتى ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الرابعة، الرياض، ص٢٥.

(٢) هذه العلاقات مع بني خالد كان لها أثر سلبي فيما بعد على استقلالية القرار في هذه الإمارة، فقد كانت ضغوط بني خالد على أمير العيينة عثمان بن معمر أحد أبرز الأسباب التي أدت إلى تخليه عن مناصرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وإخراجه من العيينة.

(٣) الجاسر، حمد، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، الرياض متى عرفت المدينة بهذا الاسم، **مجلة العرب**، ج١، المجلد الرابع عشر، ص ص٩٦-١٠١؛ الجاسر، حمد، (أ١٣٨٦هـ)، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص٩٤.

(٤) ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم، (د.ت.)، مصدر سابق، ص٢٨٠.

والجزعة)، الذي قدم إليه ابن عمه مانع بن ربيعة المريدي فأعطاه المليبيد وغصيبة فأسس هناك مدينة الدرعية.

ويبدو أن شأن مدينة حَجْر أخذ يضعف بعد ذلك، بسبب عوامل طبيعية مثل الجدب والجفاف، (١) وعوامل بشرية تتمثل فيما أشرنا إليه من استشراء الفتن والحروب بين البلدات المتجاورة في المنطقة، وداخل البلدة نفسها، (٢) ولعل بلدة حجر كان لها نصيب كبير من هذه الانقسامات والنزاعات الداخلية والضغوط الخارجية من جيرانها مما ساهم في انقسامها إلى قرى صغيرة متفرقة خلال القرن العاشر الهجري، منها: مقرن، (٣) معكال، (٤) البَنِيَّة، (٥) وجبرة، (٦) والخراب، (٧) وغيرها، (شكل: ٣-١-٣).

هذه كلها كانت أحياء أو محلات تضمها مدينة حجر، ومنذ مطلع النصف الثاني من القرن العاشر

---

(١) الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص٨٧.

(٢) لا نستبعد أيضاً أن تأسيس بلدتي الدرعية والعيينة سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م في موقعين قريبين من بلدة حَجْر، وازدهار هاتين البلدتين السريع في ظل إمارة آل مانع المريدي في الدرعية، وآل معمر في العيينة، كان له أثر في اضمحلال شأن حجر حيث جذبتا السكان والنشاطات الاقتصادية إليهما.

(٣) موقع بلدة مقرن القديمة هو الآن في وسط مدينة الرياض ويشمل منطقة قصر الحكم وما حولها (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، (١٤١٧هـ)، **الرياض مدينة ذات جذور راسخة في قلب التاريخ**، نشرة تطوير، العدد ١٩، ص٩؛ السليمان، خالد بن أحمد، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، مرجع سابق، ص٢٣٧.

(٤) موقع معكال الآن في وسط الرياض ويمتد من شرق شارع سلام حتى شارع بور سعيد، ومن منحدرات منفوحة جنوباً إلى حدود دخنة (ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ج١، ص٤٩٣؛ السليمان، خالد بن أحمد، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، مرجع سابق، ص ص٢٣٠-٢٣١.

(٥) البَنِيَّة: بفتح الباء وكسر النون وتشديد الياء المفتوحة، موقعها في المنطقة الممتدة من شارع السويلم شمالاً حتى المربع، ويحدها من الشرق البطحاء، ومن الغرب الوشام (ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ج١، ص ص١٨٣، ٤٩٣؛ -٣٦).

(٦) تقع جبرة إلى الجنوب من ميدان دخنة، ويحدها من الغرب سلام، ومن الشرق شارع القري (السليمان، خالد بن أحمد، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، مرجع سابق، ص٤٩).

(٧) موقع الخراب في جنوب غرب الرياض قرب شارع عسير، وتعرف الآن بحلة ابن غنّام (السليمان، خالد بن أحمد، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، مرجع سابق، ص ص٨٤، ٩١؛ الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ص٩).

الهجري بدأ يختفي اسم حجر، وتظهر أسماء هذه المحلات التي أصبح كل منها بلدة مستقلة.[(١)] وكانت أبرز هذه البلدات وأقواها بلدتا معكال ومقرن.

ويبدو أن بلدة معكال كانت هي الأكبر والأقوى خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، بدليل غزو الشريف حسن بن أبي نمي[(٢)] لها في عام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م بجيش كبير يقدر عدد أفراده بنحو خمسين ألفاً، وحصاره لها فترة من الزمن، مما يدل على قوتها.[(٣)]

وخلال النصف الأول من القرن الحادي عشر أخذت بلدة مقرن في التفوق على بلدة معكال واحتلال منزلتها، بدليل ورود ذكر متكرر لأخبارها في مصادر تاريخ نجد منذ ذلك التاريخ وغياب ذكر معكال.[(٤)] ولعل قول الشاعر العامي:

يامـا حلى والشـمس بادٍ شعـقـهـا   ضـرب الهنادي بين مـقـرن ومـعكال

يدل على حدوث فتن وحروب بين بلدتي مقرن ومعكال،[(٥)] وهذا أمر غير مستبعد، بل هو السائد في العلاقات بين البلدات المتجاورة في ذلك الزمان. وهذا الأمر إن كان قد وقع فعلاً فلا يستبعد أن يكون أحد أسباب ضعف معكال وبروز مقرن.

---

(١) الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص٨٧. ومما يدل على أن اسم حَجْر كان مستخدماً خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري ما ورد في قصيدة الشاعر العامي جعيثن اليزيدي، وهو شاعر من أهل بلدة الجزعة عاش في القرن العاشر الهجري، ورثى السلطان مقرن بن زامل الجبري الذي قتل على يد البرتغاليين سنة ٩٢٧هـ بقصيدة جاء فيها:

وسادات حَجْر من يزيد ومزيد   قد اقتادهم قود الفلا بالقلايد.

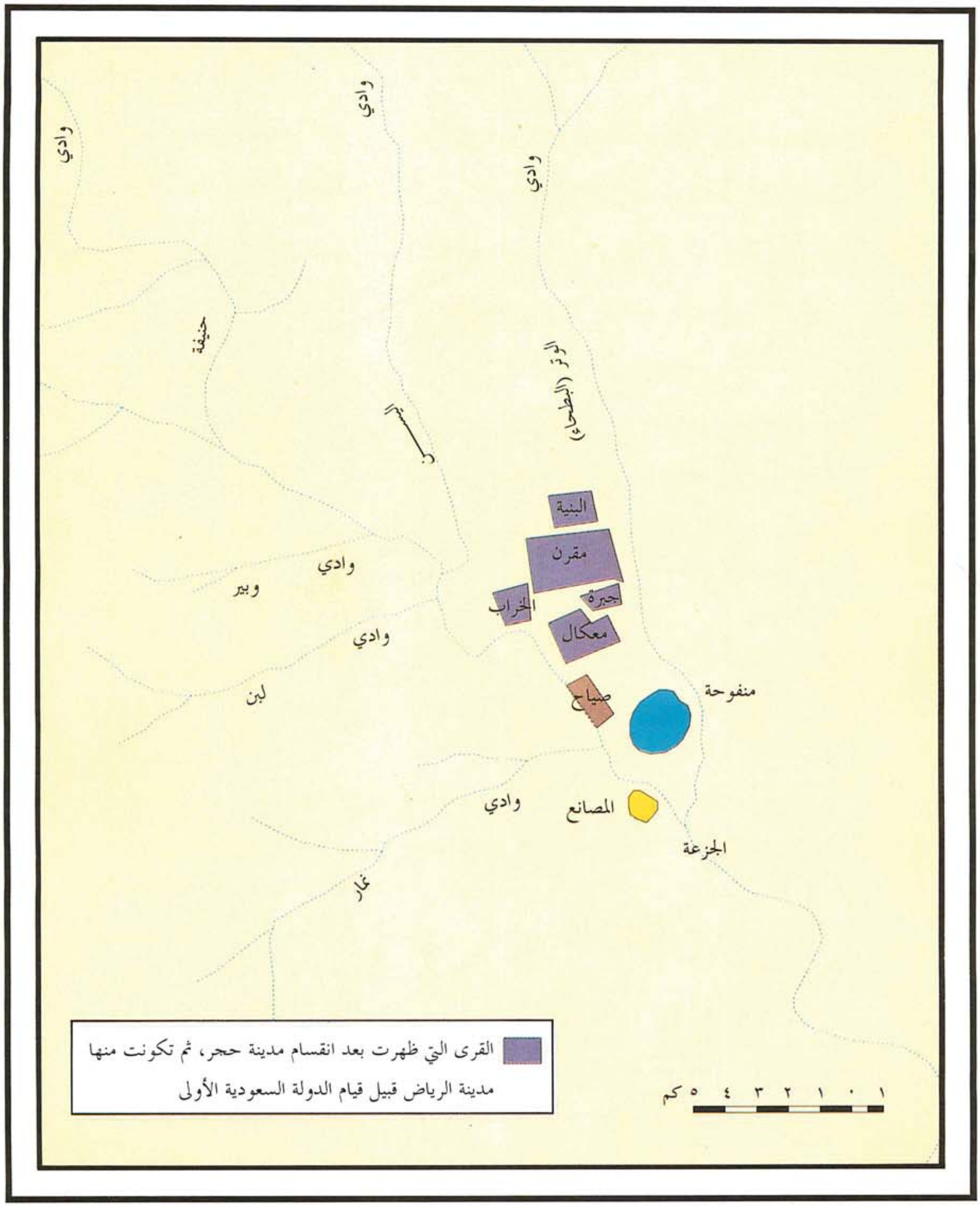
(٢) هو الشريف حسن بن أبي نمي بن بركات الحسني، ولد سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٦م)، وأشركه والده معه في إمارة مكة أثناء حياته، ثم استقل بالإمارة بعد وفاته سنة ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م، واستمر بها إلى أن توفي سنة ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م ويعد من أشهر أمراء مكة، وكان غزوه لمعكال في عهد والده (دحلان، أحمد بن زيني، (١٣٠٥هـ)، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، المطبعة الخيرية، القاهرة، ص ص٥٦-٦١).

(٣) العصامي، عبدالملك بن حسين، (ت ١١١١هـ، ط ١٣٨٠هـ)، **سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي**، ج٤، المكتبة السلفية، القاهرة، ص ص٣٦٨-٣٦٩؛ ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٠٤.

(٤) الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص٩٠.

(٥) أشار خالد السليمان (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م) نقلاً عن روايات شفهية إلى أن حروباً ضارية دارت بين بلدتي مقرن ومعكال، منها معركة في موقع يدعى مقيصبة (السليمان، خالد بن أحمد، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، مرجع سابق، ص٢٣٤) ولكن يلاحظ أنه لم يرد في المصادر إشارة إلى هذه الحروب.

شكل (٣-١-٣) القرى التي انقسمت إليها مدينة حَجْر ثم تكونت منها مدينة الرياض فيما بعد



ويذكر الشيخ حمد الجاسر أن محلات حَجْر القديمة، التي أصبحت بلدات مستقلة، اجتمعت مرة أخرى في بلدة واحدة أطلق عليها اسم الرياض(١) في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري. أما اسمها القديم (حَجْر) فقد انحصر في جزء صغير من موضع المدينة القديم، ومازال يتقلص حتى صار علماً لبئر كانت تقع على الضفة الغربية من وادي الوتر (البطحاء) داخل مدينة الرياض، ثم ردمت هذه البئر وبني في موضعها وما حولها دكاكين تقع في شارع الملك فيصل في وسط الرياض.(٢)

وكانت إمارة الرياض قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى من أبرز إمارات المنطقة وأقواها، وقد بنى أميرها دهام بن دوّاس سوراً حصيناً أداره حول محلات هذه المدينة، كما بنى قصراً للإمارة في وسط المدينة، ويعد دهام بن دوّاس من أشد معارضي الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية الأولى، وقد جرت بينه وبين الإمام محمد بن سعود، وابنه الإمام عبدالعزيز نحو خمس وثلاثين معركة على مدى ثمانية وعشرين عاماً، امتدت من سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م حتى تمكن الإمام عبدالعزيز بن محمد من دخول الرياض وضمها إلى دولته بعد أن هرب منها دهام بن دوّاس سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م.(٣)

وإلى جانب إمارتي العيينة والرياض المجاورتين للدرعية، كانت هناك إمارات أخرى كثيرة في المنطقة كان لبعضها شأن وقوة أيضاً قبيل قيام الدولة السعودية الأولى ومن أبرزها:

---

(١) لعل إطلاق اسم الرياض عليها جاء من واقع طبيعة المنطقة، فيبدو أن المواقع الفاصلة بين أحياء حَجْر القديمة مثل: جبرة، ومقرن، ومعكال، والخراب، أصبحت مناطق تجمع للسيول، وحيث إنها مواقع مزارع قديمة ذات تربة خصبة، فقد كانت تظهر فيها أنواع متعددة من النباتات البرية في زمن الربيع، وتصبح روضات متجاورة. ولهذا أطلق عليها الرياض (جمع روضة) (انظر: الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص٩٤؛ ابن خميس، عبدالله، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، مرجع سابق، ج٣، ص٢٩٢).

(٢) الجاسر، حمد، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، مرجع سابق، ص ص٩٨-٩٩؛ الجاسر، حمد، (١٣٨٦م)، مرجع سابق، ص ص٩٢-٩٤. وأقدم ذكر لاسم الرياض في المصادر التاريخية -فيما أعلم- ورد في تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور المتوفى سنة ١١٢٥ هـ (١٧١٣م)، ص٦٤، ٦٥. ولعل في هذا ما يدل على أن استخدام هذا الاسم بدأ قبل هذا التاريخ.

(٣) انظر تفصيلات تلك المعارك عند: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)، مصدر سابق، جـ٢، ص ص ٦-١٩؛ وابن بشر، عثمان، (ط ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، جـ١، ص ص ٣٣-٤٨، ٧٥-٧٧. وانظر أيضاً الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص ص٩٥-٩٦.

١ - إمارة ثرمداء، وكان أمراؤها من أسرة العنقري من بني سعد من تميم، وتعد أقوى إمارات منطقة الوشم، وقد امتد حكم العناقر إلى بلدة مرات أيضاً. (١)

٢ - إمارة المجمعة، وكان أمراؤها آل عثمان، وهم من أحفاد مؤسسها عبدالله الشمري ويرجع نسبه إلى عبدة من شمر، وكان تأسيسها سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م. (٢)

٣- إمارة روضة سدير، وكان أمراؤها آل ماضي، وهم من أحفاد مؤسسها مزروع بن حميد بن حماد التميمي. ويرجح أن تأسيسها كان في القرن السابع الهجري. (٣)

٤ - إمارة الدلم، وكان أمراؤها آل زامل من عائذ من عبيدة من قحطان، وتعد من أقوى إمارات منطقة الخرج. (٤)

٥ - إمارة ضرما، وكان أمراؤها آل عبدالرحمن المعروفون بالشيوخ، وهم من أحفاد عبدالرحمن بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي. انتقل جدهم عبدالرحمن إليها من الدرعية في عهد إمارة أخيه مرخان بن إبراهيم كما أشرنا من قبل.

٦ - إمارة حريملاء، وكان أمراؤها آل حمد، وهم أحفاد مؤسسها علي بن سليمان بن حمد وهو من آل أبي رباع من وائل من عنزة، وقد أسسها سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م، (٥) وهي أقوى إمارات إقليم الشعيب.

٧- إمارة ثادق، وكان أمراؤها من أسرة آل عوسجة من البدارين من الدواسر، وكانت هذه الأسرة

---

(٤) ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ج١، ص ص٢٢٩-٢٣٠.

(٢) ابن لعبون، حمد بن محمد، (ت بعد ١٢٥٥هـ، ط ١٤٠٨هـ)، **تاريخ حمد بن لعبون**، مكتبة المعارف، الطائف، ص ص٩٩-١٠١؛ ابن عيسى، إبراهيم، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص ص٣٢-٣٥.

(٣) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مصدر سابق، ص ص٩٣، ١١٦.

(٤) الجاسر، حمد، (أ١٤٠١هـ)، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض، ج١، ص ص٣٣٧-٣٣٩.

(٥) ابن بشر، عثمان، (ت١٢٩٠هـ، ط١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٣٢٠-٣٢١؛ ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص ص٥٢-٥٣.

قد أسست بلدة ثادق سنة ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م. (١) ثم ما لبثت أن أصبحت من أقوى إمارات المحمل عند قيام الدولة السعودية الأولى.

٨- إمارة الحَرِيْق، وكان أمراؤها الهزازنة، أحفاد مؤسسها رشيد بن مسعود الهزاني الوائلي، وكان تأسيسها سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م. (٢)

٩- إمارة حوطة بني تميم، وكان أمراؤها آل حمّاد أحفاد سعود بن محمد بن مانع بن حمّاد التميمي، الذي انتقل إليها مع جماعته قبيل منتصف القرن الحادي عشر الهجري. (٣)

ب- القوى القبلية البدوية:

إلى جانب تلك الإمارات البلدانية الحضرية الكثيرة في المنطقة كانت هناك قوى قبلية بدوية كثيرة أيضاً، تسيطر على مساحات شاسعة من الصحراء في بلاد اليمامة وعالية نجد، فنفوذ أمراء البلدان في تلك الحقبة لم يتعد في الغالب أسوار البلدة التي يحكمها الأمير، أو المناطق القريبة منها، وما وراء ذلك كانت السيطرة فيه للقوى البدوية. وكانت نسبة البداوة في المنطقة في تلك الآونة كبيرة، فالبدو كانوا يشكلون غالبية السكان. (٤)

وخلال القرن التاسع ومطلع القرن العاشر كانت قبيلة بني لام(٥) من أقوى القبائل في نجد، وقد انقسمت هذه القبيلة إلى ثلاثة فروع، كل فرع أصبح قبيلة مستقلة لها شأن وذكر. وهذه الفروع هي: آل مغيرة، وكانت منازلهم في عالية نجد وبلاد الوشم ومن أشهر زعمائهم عجل بن حنيتم. وآل فضل، وآل كثير ومنازل هذين الفرعين في منطقة العارض ولهم امتدادات في سدير والخرج وعالية نجد، ومن أشهر زعمائهم ابن عرّوج الذي ورد له ذكر في بعض الأشعار العامية. (٦)

---

(١) ابن عيسى، إبراهيم، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص٦٢.

(٢) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص٦٧.

(٣) الجاسر، حمد، (أ١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ج١، ص ص١٦٥-١٦٨.

(٤) العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مرجع سابق، ص١٩٩.

(٥) بنو لام يرجعون في نسبهم إلى قبيلة طيء القحطانية المعروفة.

(٦) ابن بليهد، محمد بن عبدالله، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار**، ج٢، ص ص١٢٧-١٢٨؛ العثيمين، عبدالله بن صالح، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، **الشعر النبطي مصدراً لتاريخ نجد**، أبحاث =

ويبدو أن انقسام قبيلة لام إلى فروع أدى بمرور الوقت إلى وقوع خلافات بين هذه الفروع وأتاح الفرصة لظهور قبيلة أخرى احتلت مكان الصدارة بين قبائل نجد هي قبيلة عنزة حيث أصبح لها شأن كبير ونفوذ واسع في شمال بلاد نجد ووسطها، وقد دخلت عنزة في حروب كثيرة مع فروع بني لام، ومع قبيلة الظفير(١) وغيرها، واستمرت تحتفظ بمكانتها بين قبائل نجد حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري. (٢)

أما في جنوب نجد، فقد ظهرت قوة قبيلة الدواسر منذ منتصف القرن التاسع الهجري، وأصبح "عقيق عُقَيل" الذي عرف فيما بعد باسمهم فأطلق عليه (وادي الدواسر) مركزاً لهم، واستمرت قوتهم في الازدياد، واستمروا في التوسع شمالاً نحو الخرج ووسط بلاد اليمامة وعالية نجد. ثم قدمت قبائل قحطان وشاركتهم السكنى في جنوب اليمامة وعالية نجد، وكانت العلاقة بين الطرفين علاقة تعاون في أول الأمر، ثم تحولت إلى تنافس وعداء وصراع.

وإلى جانب هذه القبائل كانت هناك قبائل أخرى تقطن المنطقة في تلك الفترة، ولها نشاط وأثر في الحياة السياسية فيها، ومنها: قبيلتي سبيع، والسهول في منطقة العارض، والظفير في شمال اليمامة ووسطها، وبني خالد في الأطراف الشرقية لليمامة، ومطير وقد بدأ ظهورها في المنطقة في وقت متأخر خلال القرن الحادي عشر الهجري، ثم برزت مكانتها بشكل كبير بعد فترة بحثنا هذا في القرن الثالث عشر، على حساب قبيلة عنزة. (٣)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ما أشرنا إليه من قوة بعض القبائل واحتلالها منزلة رفيعة بين القوى القبلية في المنطقة في بعض الفترات، كان أمراً نسبياً لم يصل في واقع الأمر إلى حد الإخلال بميزان الوضع

= ندوة دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول: مصادر تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض (الملك سعود)، ج١، ص ص٣٨٢-٣٨٣.

(١) الراجح أن الظفير يرجع أصل أغلبهم إلى بني لام أيضاً، وانضم إليهم بطون من قبائل أخرى بالحلف (الجاسر، حمد، (أ١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ص٥٢٤-٥٢٥).

(٢) العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مرجع سابق، ص ص١٣٥-١٣٦.

(٣) يلاحظ من يتتبع أخبار القبائل في نجد أن الصدارة في المنطقة لم تستمر لقبيلة واحدة، فبعد فترة من القوة والمنزلة العالية يدب الضعف في القبيلة، وتظهر قوة قبيلة أخرى تحل محلها، فقد حلت عنزة محل بني لام، ثم حلت مطير محل عنزة، ثم حلت قحطان محل مطير، ثم حلت عتيبة محل قحطان. ثم ظهر الملك المؤسس والموحد عبدالعزيز ابن عبدالرحمن آل سعود طيب الله ثراه، فقضى بتوفيق الله أولاً، ثم بحكمته وبعد نظره وحسن سياسته على هذه المنافسات والعصبيات القبلية، والنزاعات البلدانية، وبنى كياناً موحداً شامخاً، يحكم بشرع الله، وينظر بمنظار مصلحة الوطن والمواطن.

السياسي والعسكري في المنطقة لصالحها،[١] ولم يمكنها من فرض سيطرة مركزية على كافة القوى القبلية في المنطقة.

أما عن العلاقات بين هذه القوى القبلية، فقد كانت تقوم على التنافس والصراع والحروب الدائمة. وإن المرء ليقف مذهولاً عندما يقرأ تاريخ نجد في تلك الحقبة، وما كان عليه القوم من عداء مستحكم، وتطاحن مستمر، وحروب دائمة، تحصد زهرة شباب المجتمع جيلاً بعد جيل، وتدّمر مقوماته الاقتصادية والأمنية، وتزيد من تخلفه. والأدهى من ذلك أن أعمال القتل والسلب والنهب والتدمير هذه، أصبحت في عرف القوم أفعالاً محمودة، بل مدعاة للفخر والاعتزاز، وميداناً لإظهار ضروب الشجاعة والفروسية، واكتساب الثناء والمكانة الاجتماعية. إن حالة هذه القوى القبلية في أوضاعها السياسية والاجتماعية، حالة أشبه ما تكون بأوضاع القبائل العربية في العصر الجاهلي.

أما عن أسباب المناوخات[٢] والحروب بين هذه القبائل فيمكن حصرها فيما يلي:

١- النزاع على موارد المياه، ومواطن الكلأ.

٢- الثأر والانتقام.

٣- دوافع اقتصادية، تتمثل في الرغبة في نهب الإبل والأغنام من قبيلة أخرى، أو نهب القوافل التجارية التي تحمل المؤن والأقوات، والبضائع.

٤- دوافع سياسية، تتمثل في الرغبة في توسيع مناطق النفوذ، وفرض التبعية على القبائل

---

(١) العثيمين، عبدالله بن صالح، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ص٢٨.

(٢) المناوخة: مصطلح تردد كثيراً في مصادر تاريخ نجد، وبخاصة عند ابن بسام، ويُعبَّر به عن المعارك التي تقع بين القبائل البدوية، فيقال تناوخوا في مكان كذا، وسميت بذلك لأنه كان من عادة هذه القبائل عندما تلتقي للقتال إناخة ما معهم من الإبل خلفهم، ويتركون معها أيضاً مواشيهم وحلَلَهم (أمتعتهم)، وأحياناً نساءهم وذراريهم أيضاً. ثم يتلاقى المتحاربون طرداً على الخيل، ثم يدخلون في مواجهة شاملة، والمنتصر منهما يستولي في الغالب على ما خلفه الطرف الآخر وراءه بعد هزيمته وفراره (السويداء، عبدالرحمن بن زيد، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**، ج٢، دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض، ص ص١٧٦، ١٨٠-١٨١). وقد تطول فترة المواجهة بين الطرفين بحيث تبلغ عشرين يوماً أو شهراً كاملاً قبل الدخول في مواجهة شاملة تحسم الأمر لأحدهما، وهذا يؤدي إلى الإضرار بالإبل المعقولة خلف كل فريق، حتى أن الأمر يصل أحياناً إلى أنها تأكل أوبارها من شدة الجوع (انظر: ابن بسام، عبدالله بن محمد، (ت ١٣٤٦هـ، مخطوط)، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق** (نسخة بخط نور الدين شريبة)، ص ص١٧، ٢٢، ٦٤، ٦٩).

الضعيفة، وكسر شوكة القبائل المنافسة، وكسب مزيد من الجاه والمكانة داخل القبيلة نفسها، وبين زعماء القبائل الأخرى.

لقد كان السلاح هو أداة الحوار والتفاهم بين هذه القوى القبلية، وكانت القوة هي الفيصل في الأمور، ويعبر عن هذا القول المشهور لديهم الذي أصبح مثلاً: "نجد لمن طالت قناته". (١)

إن من يتتبع التواريخ النجدية التي دوّنت تاريخ تلك الفترة، وبخاصة كتاب تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، لابن بسام وهو أوسع مصدر -فيما أعلم- اهتم بأخبار القبائل في تلك الفترة، يجد أخباراً كثيرة عن حروب ومناوخات دارت بين هذه القبائل، فلا تكاد تخلو أخبار سنة من السنين من شيء عن هذه المناوخات والغارات.

والمقام هنا لا يتسع لإيراد أخبار هذه الحروب بالتفصيل، ولهذا سوف نكتفي بإيراد إحصاء للمناوخات والحروب التي خاضتها كل قبيلة من القبائل المشهورة في المنطقة خلال تلك الفترة، اعتماداً على ما ذكره ابن بسام، وما أورده الباحث فايز البدراني الحربي في كتابه: "من أخبار القبائل في نجد" الذي تتبع فيه أخبار هذه القبائل بالتفصيل عند ابن بسام وغيره، (٢) ثم نورد بعد ذلك بعض الأمثلة لهذه المناوخات والغارات، لإعطاء القارئ تصوراً عن طبيعتها. وفي الجدول المذكور في الصفحة التالية إحصاء بوقائع القبائل المشهورة في المنطقة خلال الفترة من سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م حتى سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م.

ومن الأمثلة على هذه الوقائع ما ذكره ابن بسام في أحداث سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م، حيث قال: "وفيها أغار آل مغيرة على عنزة، وهم إذ ذاك على مُبَايِض، (٣) وأخذوا إبلاً كثيرة لعنزة، فلحقتهم الأفزاع(٤) من عنزة وكثرت عليهم، وأدركوا إبلهم واستنقذوها، وقتلوا رئيس آل مغيرة لاحم بن مدلج

---

(١) ابن بليهد، محمد بن عبدالله، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، مرجع سابق، ج٥، ص ص٢٢٩-٢٣٠؛ العثيمين، عبدالله ابن صالح، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ص٢٧.

(٢) الحربي، فائز البدراني، (١٤١٥هـ)، **من أخبار القبائل في نجد خلال الفترة من ٨٥٠-١٢٠٠هـ/ ١٤٤٥-١٧٨٥م**، ج١، دار البدراني للنشر والتوزيع، الرياض، ص ص٢٥٣-٣٠١.

(٣) مُبَايِض: بضم الميم وفتح الباء وكسر الياء، ماء يقع بين جبل مجزّل والعرمة قرب بلدة تمير في إقليم سدير (ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ج٢، ص٣٢٦).

(٤) فَزَع: بفتح الفاء والزاي، بمعنى هبّ للنجدة والمساعدة.

وقائع القبائل المشهورة في المنطقة خلال الفترة من سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م
حتى سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م

تسلسل	اسم القبيلة	عدد الوقائع	ملحوظات
١	عنزة	٤٢	لها وقائع أخرى كثيرة خارج منطقة الدراسة، في القصيم وشمال نجد وبخاصة مع الظفير، لم ندرجها في هذا الإحصاء.
٢	الدواسر	٣٨	منها ست وقائع مع الجبور حكام الأحساء.
٣	سبيع	٣٢	منها ثمان وقائع مع بلدة العيينة، واثنتان مع بلدة حريملاء.
٤	الظفير	٣٠	لها وقائع أخرى خارج منطقة الدراسة، في القصيم وشمال نجد وبخاصة مع عنزة، لم ندرجها في الإحصاء.
٥	آل كثير	٢٩	
٦	الفضول	٢٩	
٧	آل مغيرة	٢٢	
٨	قحطان	١٦	
٩	السهول	١٤	
١٠	مطير	٤	أول وقائعهم بالمنطقة كانت سنة ١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م، ولهم وقائع خارج المنطقة لم ندرجها في الإحصاء.

الخياري، وعدة من أصحابه، وأخذوا أكثر ركابهم وسلاحهم، ولم ينج منهم إلا القليل ". [١]

وفي أحداث سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م قال: "في هذه السنة أخذوا سبيع والدواسر قافلة كبيرة لعنزة خارجة من الأحساء، وذلك في الدهناء، وقتل شيخ القافلة مانع بن جلعود الصقور، وعدة رجال غيره من عنزة، وقتل ماضي بن صلاّل من الدواسر ". [٢]

وفي أحداث سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٧م قال: "وفي هذه السنة حشدت قبائل عنزة، وتناوخوا هم والظفير على الشَّبكَة، [٣] ومع الظفير سالم الفرم، وراجح بن مضيان، [٤] وأقاموا في مناخهم عدة أيام يغادون القتال ويراوحونه، طراداً على الخيل، ثم إنه مشى بعضهم على بعض واقتتلوا قتالاً شديداً، وصارت الدائرة على الظفير وأتباعهم، وغنم منهم عنزة غنائم كثيرة وقتل من الفريقين عدة رجال"، ثم ذكر أسماء بعض مشاهير من قتل من الطرفين. [٥]

وفي أحداث سنة ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م قال: "في هذه السنة أغاروا سبيع على أهل العيينة وأخذوا أغنامهم، ففزعوا، [٦] ولحقوهم في لبن [٧] فحصل بينهم رمي بالبنادق من بعيد، وكان مليح من سبيع نازلين بإبلهم في لبن، ففزعوا نجدة لقومهم، فلما رأوهم أهل العيينة انقلبوا راجعين، وسبيع في أثرهم، وصار بواردية [٨] أهل العيينة يحمون قومهم، وحصل بينهم قتال شديد، قتل فيه عدة رجال أكثرهم من سبيع، ورجعوا سبيع عنهم ". [٩]

---

(١) ابن بسام، عبدالله، (مخطوط)، مصدر سابق، ص١٥.

(٢) المصدر السابق، ص٢٧.

(٣) الشَّبكَة: بفتح الشين المشددة، وفتح الباء والكاف، ماء في عالية نجد، قرب بلدة الشعراء، يتبع محافظة الدوادمي (ابن جنيدل، سعد بن عبدالله، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، **عالية نجد**، ج٢، دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ص٧٢٩).

(٤) الفرم، وابن مضيان من شيوخ قبيلة حرب، أي أن هناك تحالفاً في هذه المناوخة بين الظفير وحرب ضد عنزة.

(٥) ابن بسام، عبدالله، (مخطوط)، مصدر سابق، ص٤٠.

(٦) أي أسرعوا بالخروج لاستعادة أغنامهم.

(٧) لبن: واد معروف لازال يحمل اسمه ويقع قرب الرياض، وهو أحد فروع وادي حنيفة (ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ج٢، ص٣١٥).

(٨) البواردية: الذين يجيدون الرماية.

(٩) ابن بسام، عبدالله، (مخطوط)، مصدر سابق، ص٦٣.

وفي أحداث سنة ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م قال: "في هذه السنة تناوخوا الدواسر هم وقحطان على الحرملية، [١] وأقاموا في مناخهم عدة أيام يغادون القتال ويراوحونه، طرداً على الخيل، وكان[٢] قحطان قد أرسلوا إلى آل كثير يستنجدونهم، فجاءوا إليهم، ونزلوا معهم، ثم مشى بعضهم على بعض واقتتلوا قتالاً شديداً، وصارت الهزيمة على الدواسر، وتركوا كثيراً من أغنامهم وما ثقل من بيوتهم وأمتعتهم، فغنمها قحطان وآل كثير، وقتل عدة رجال من الفريقين". [٣]

وفي أحداث سنة ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م قال: "وفيها تناوخوا قحطان والدواسر على الأنجل، الماء المعروف في أرض الوشم، وأقاموا في مناخهم أكثر من عشرين يوماً يغادون القتال ويراوحونه طرداً على الخيل، ثم إن آل كثير جاءوا ونزلوا مع قحطان، وجاءوا سبيع والسهول ونزلوا مع الدواسر، ثم إنهم مشى بعضهم على بعض، واقتتلوا قتالاً شديداً، وصارت الهزيمة على قحطان وآل كثير، وتركوا بعض أغنامهم وما ثقل من أمتعتهم، فغنمها الدواسر ومن معهم، وقتل من الفريقين عدة رجال". [٤]

هذه أمثلة لبعض الوقائع التي تصور طبيعة العلاقات بين تلك القوى القبلية، وطبيعة الحياة السياسية والأمنية التي كانت سائدة في المنطقة آنذاك. وإذا كان طرفا هذه الوقائع في الغالب من القبائل البدوية، فهذا لا يعني أن العلاقات بين الإمارات الحضرية والقوى القبلية كانت جيدة، بل هي في أغلب الأوقات سيئة أيضاً، وكثيراً ما كانت بعض الحواضر تتعرض لهجمات من القبائل البدوية، لأسباب كثيرة منها: الطمع في الاستيلاء على أغنام أهل القرية، [٥] أو الاستيلاء على بعض محصولاتهم الزراعية، أو بسبب خلاف على استغلال المراعي القريبة من القرية، أو بسبب تحريض وإغراء من قوى حضرية أخرى معادية لأهل تلك البلدة.

وخلاصة القول أن أهل هذه المنطقة حاضرة وبادية كانوا يعيشون حياة بائسة يسودها الخوف

---

(١) الحرملية: ماء يقع في عالية نجد قرب القويعية (ابن جنيدل، سعد، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، مرجع سابق، ج١، ص٣٦٧).

(٢) هكذا وردت في الأصل.

(٣) ابن بسام، عبدالله، (مخطوط)، مصدر سابق، ص٩٨.

(٤) المصدر السابق، ص١٤٩.

(٥) جرت عادة أهل القرى النجدية آنذاك -وإلى وقت قريب- على إخراج أغنامهم كل يوم للرعي في المناطق القريبة من بلداتهم.

والرعب ويسيطر عليها القلق والاضطراب والفوضى، فكل فرد مستهدف في حياته وماله، ليس هناك حكومة تحميه أو سلطة تضع الحق في نصابه. والأمن مفقود في طول البلاد وعرضها، فمن يريد الانتقال من مكان إلى آخر، فإن ما يحمله من متاع معرض للسلب والنهب من قبل قطاع الطرق، حتى ملابسه التي يستتر بها عورته يجردونه منها في أحيان كثيرة، هذا إن سلم من القتل.

وهذه الأخطار يتعرض لها الأفراد والجماعات سواء بسواء، فقوافل الحجاج والقوافل التجارية، كان رجال القبائل يعدونها غنماً ويعدون الاستيلاء عليها من ضروب الشجاعة والفروسية، لذا كان من المحتم على كل قافلة أن تستأجر رفقة من كل قبيلة تمر بديارها، حتى تضمن عدم تعرضها للاعتداء، ومع ذلك قد لا تسلم في بعض الأحيان.

يضاف إلى ما سبق مشكلة الأخذ بالثأر، على مستوى الأفراد والجماعات، سواء بين الحاضرة أم البادية. وهذه المشكلة جرّت المجتمع في سلسلة من حلقات القتل تتسع دائرتها بمرور الزمن ولا يدرك لها طرف، أفنت كثيراً من شباب المجتمع، وملأت القلوب بالحقد والضغينة والكراهية، والخوف والترقب، وزادت من حدة الفرقة والانقسام. وعجز حكام القرى، وشيوخ القبائل، وحكماء المجتمع في ذلك الزمان عن حلها. بسبب عدم وجود سلطة مركزية تطبق أحكام الشرع الحنيف على كافة أفراد المجتمع وفئاته، وتنظم العلاقات بين الأفراد والجماعات. (١)

إن ما أشير إليه سابقاً حقائق تاريخية لا مجال للعاطفة فيها، يدركها من يطلع على المؤلفات في تاريخ نجد في تلك الفترة، فجل مادة هذه الكتب تتصل بأخبار هذه المنافسات والصراعات وما تؤدي إليه من حرب وقتل ودمار.

إن تسليط الضوء على تاريخ أسلافنا في هذه البلاد في تلك الحقبة، سواء منهم من كانوا يقطنون القرى الحضرية، أم من كانوا يعيشون الحياة البدوية، وإن كان يعطي صورة قاتمة وسيئة وبائسة، إلا أن من شأنه أن يكشف لأبناء الجيل الحاضر ما أدت إليه الانقسامات والخلافات من عواقب وخيمة، مقارنة بما تعيشه بلادنا اليوم -بحمد الله- من وحدة وأمن وأخوة إسلامية وترابط اجتماعي ورخاء اقتصادي ورقي حضاري، بفضل الله أولاً ثم بفضل ظهور الدعوة السلفية وقيام الدولة السعودية التي عملت على

---

(١) الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، **مقدمة تحقيق كتاب تاريخ ابن ربيعة**، النادي الأدبي، الرياض، ص ص٤٦-٤٧.

تصحيح العقيدة، وتطبيق الشريعة، وتوحيد البلاد، وتثبيت الأمن. وحين تكالبت بعد ذلك على هذه البلاد الظروف، وأدت إلى عودتها إلى وضع قريب مما كانت عليه قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والدولة السعودية الأولى، بسبب أمور لا يتسع المقام لإيضاحها هنا، هيأ الله لها القائد المؤسس والباني لقواعد نهضتها الحديثة جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله، الذي أعاد للبلاد وحدتها، وأمنها ووسع دائرة مكتسباتها السياسية، والأمنية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والحضارية، بما لم تبلغه من قبل في تاريخها، مما سيرد بيانه في الفصول والأجزاء التالية بإذن الله.

المبحث الثالث

نفوذ القوى الخارجية في المنطقة (٨٥٠-١١٥٧هـ/١٤٤٦-١٧٤٤م)

أ- نفوذ الدولة الجبرية:

من خلال العرض السابق للأحوال السياسية بنجد منذ قيام إمارة الدرعية، حتى قيام الدولة السعودية الأولى تبين أن نجداً لم يكن بها سلطة مركزية توحد قواها وتحميها، بل كانت ميداناً لصراع القوى المحلية المتنافسة، ولهذا أصبحت مجالاً لنفوذ القوى الحاكمة في المناطق المجاورة لها من جهتي الشرق والغرب.

وبلاد البحرين (شرقي الجزيرة العربية)، هي الأقرب إلى نجد جغرافياً، وكانت تربطها بنجد صلات بشرية واقتصادية وسياسية قديمة وقد أشرنا إلى هذا الأمر في الفصل السابق حين تحدثنا عن نفوذ الدول التي تعاقبت على حكم بلاد البحرين ببلاد نجد حتى مطلع القرن التاسع الهجري.

وقبيل منتصف القرن التاسع الهجري ظهرت بإقليم البحرين دولة فتية وقوية، هي الدولة الجبرية، ويرجع نسب الجبور إلى قبيلة بني عامر من بني عقيل ذات الشهرة الواسعة في تاريخ البحرين في تلك الآونة، التي ينتمي إليها بنو عصفور الذين حكموا البحرين قبل ذلك.

ولا نعلم على وجه اليقين التاريخ الذي بدأ فيه حكم الجبور في الأحساء، إلا أن الراجح أن ذلك كان في حدود سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م على يد مؤسس دولة بني جبر زامل بن حسين الجبري.(١) واستمرت هذه الدولة حتى سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م، وشمل نفوذها في فترات قوتها بلاداً واسعة، ففضلاً عن الأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين فرضت نفوذها على أجزاء من عمان وبلاد ظفار، وكان لها نفوذ بنجد أيضاً.(٢)

---

(١) الحميدان، عبداللطيف بن ناصر، (١٩٨٠م)، **التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية**، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ١٦، السنة الرابعة عشرة، ص٤٤.

(٢) السخاوي، محمد بن عبدالرحمن، (ت ٩٠٢هـ، ط د.ت.)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج١، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص١٩٠؛ الحميدان، عبداللطيف، (١٩٨٠م)، مرجع سابق، ص ص٥٣، ٥٨؛ أبا حسين، علي، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، الجبور عرب البحرين أو عربان الشرق، **مجلة الوثيقة**، مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين، العدد الثالث، السنة الثانية، ص ص٨٩-٩٠.

أما عن علاقات الجبور ببلاد نجد فالملاحظ أن نجداً حظيت باهتمام الجبور منذ وقت مبكر، ولعل هذا يرجع إلى عدة أمور منها صلة قبائل بني عامر التاريخية بنجد، فرغم أن هذه القبائل نزحت من نجد قبل عدة قرون من قيام دولة الجبور، إلا أن صلاتها ببلاد نجد لم تنقطع، وبخاصة أن طابع البداوة كان هو الغالب على كثير من بطون بني عامر، وكانوا يرتادون الأجزاء الشرقية من بلاد اليمامة المتاخمة لحدود البحرين. ثم إن نجداً كانت ذات أهمية لإقليم البحرين من الناحية الاستراتيجية فهي بمثابة الظهير الذي يستند إليه، ويعتمد عليه في إمداده بالعناصر العربية المتصفة بالحيوية والصلابة في المجال العسكري لمواجهة الأخطار القادمة من بلاد العجم عبر الخليج.(١)

هذا فضلاً عن أهميتها في المجال الاقتصادي، فهي معبر القوافل التجارية المنطلقة من إقليم البحرين وإليه من الحجاز، واليمن، وبلاد ظفار،(٢) بل والشام أيضاً. كما أن قوافل حجاج البحرين ومن يأتي عن طريقها كانت تمر عبر اليمامة وعالية نجد.

ويضاف إلى أمر أهمية نجد بالنسبة للبحرين أمر آخر كان له أثر كبير في طبيعة علاقات الجبور بنجد، وهذا الأمر يتمثل في أن بعض القبائل البدوية النجدية كانت تشكل خطراً وتهديداً لواحات الأحساء الزراعية، وللقبائل البدوية التي تقطن بوادي الأحساء وتخضع لسلطة الجبور.(٣)

لهذه الأسباب كلها حرص حكام الدولة الجبرية على أن يكون لهم هيبة ومكانة ونفوذ في بلاد نجد، وخاضوا من أجل هذا معارك كثيرة مع القوى القبلية في نجد، وبخاصة تلك القبائل التي كانت تقطن قرب حدود الأحساء، أو تسيطر على طرق القوافل.

وقد ذكر ابن بسام(٤) إحدى عشرة غزوة لحكام الجبور لنجد، أولها كانت سنة ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م، حيث قال: "وفي هذه السنة غزا زامل بن جبر العقيلي العامري ملك الأحساء والقطيف، ومعه جنود عظيمة من البادية والحاضرة، وقصد الخرج وصبّح الدواسر وعايذ على الخرج، وحصل بينهم قتال

(١) الحميدان، عبداللطيف بن ناصر، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مرجع سابق، ص ص٥٨-٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص٥٩.

(٣) ابن بسام، عبدالله بن محمد، (مخطوط)، مصدر سابق، ص ص١٣، ١٨، ٢٧.

(٤) يعد كتاب تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق لابن بسام أوسع مصدر -فيما أعلم- تحدث عن حملات الجبور على نجد.

شديد قتل فيه عدة رجال من الفريقين، ثم صارت الهزيمة على الدواسر وعايذ، واستولى زامل على محلتهم وأغنامهم وبعض إبلهم، وأقام في الخرج نحو عشرين يوماً ثم قفل راجعاً إلى وطنه". (١)

وفي السنة التالية كرّر زامل غزوه للدواسر، حيث قصدهم هذه المرة في واديهم (وادي الدواسر)، ويقول ابن بسام في بيان سبب غزوه لهم: "وكانوا قد أكثروا الغارات على بوادي الأحساء، فأوغروا صدره، فدهمهم في منازلهم، ثم إنهم صالحوه على أن يكفوا الغارات عمّن تحت يده من العربان، وأعطوه من الخيل والركاب ما أرضاه، فرجع إلى وطنه". (٢)

ولم تقتصر غزوات الجبور على الدواسر، بل طالت قبائل أخرى مثل الفضول، وآل مغيرة، وسبيع. ففي سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م غزا زامل الجبري الفضول وأوقع بهم على حفر العتك. (٣) وفي سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م غزا زامل آل مغيرة وسبيع، (٤) ثم غزا ابنه أجود الفضول سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م وألحق بهم الهزيمة على تبراك. (٥) كما غزا الدواسر وسبيع سنة ٨٩٣هـ وهزمهم على الحرملية. (٦) وكرّر غزوه للدواسر بعد ذلك عدة مرات. (٧)

ويلاحظ أن هذه الغزوات كلها كانت موجهة إلى قبائل بدوية، وقد أصاب الدواسر منها القسط الأكبر، وكانت الغلبة فيها للجبور. أما حواضر نجد فلا نجد في المصادر ما يشير إلى تعرضها لغزو من قبل الجبور، ولا تتوافر لدينا معلومات عن طبيعة علاقة أمرائها بالدولة الجبرية.

وقد وصفت بعض المصادر المعاصرة للجبور أجود بن زامل بأنه رئيس أهل نجد ورأسها، يقول السمهودي -وهو من المعاصرين لأجود وممّن التقوا به عندما حج وزار المدينة المنورة- "وأخبرني بذلك رئيس أهل نجد ورأسها، وسلطان البحرين والقطيف، فريد الوصف والنعت في جنسه صلاحاً،

---

(١) ابن بسام، عبدالله بن محمد، (مخطوط)، مصدر سابق، ص ص١١-١٢.

(٢) المصدر السابق، ص١٣.

(٣) المصدر السابق، ص١٥.

(٤) المصدر السابق، ص١٨.

(٥) المصدر السابق، ص٢٧.

(٦) المصدر السابق، ص٢٨.

(٧) المصدر السابق، ص ص٢٧، ٣٥.

وأفضالاً، وحسن عقيدة، أبو الجود أجود بن جبر أيده الله تعالى وسدده". [(١)]

وقال السخاوي في حديثه عن أجود بعد أن أشار إلى اتساع ملكه: "وصار رئيس نجد، ذا أتباع يزيدون عن الوصف، مع فروسية تعددت في بدنه جراحات كثيرة بسببها، وله إلمام ببعض فروع المالكية، واعتناء بتحصيل كتبهم". [(٢)]

وجاء في قصيدة الشاعر العامي جعيثن اليزيدي الحنفي، التي مدح بها مقرن بن زامل بن أجود، وهو أحد حكام الدولة الجبرية المشهورين، وقد قتل في مواجهة مع البرتغاليين سنة ٩٢٧هـ (١٥٢١م):

حـمى بالقنا هجـرا إلى ضـاحي اللوى[(٣)] ... إلى العـارض المنقـاد[(٤)] نابي الفـرايد[(٥)]

ونجـــد رعى ربعي زاهي فـــلاتهـــا ... على الرغم من ســادات لام[(٦)] وخـــالد[(٧)]

وســادات حَـجْـر[(٨)] من يزيد ومـزيد[(٩)] ... قـد اقـتـادهم قـود الفـلا بالقـلايد[(١٠)]

ب- نفوذ بني خالد:

قبل الحديث عن نفوذ بني خالد ونشاطاتهم العسكرية بنجد، يحسن أن نشير بإيجاز إلى الفترة

---

(١) السمهودي، علي بن أحمد، (ت ٩١١هـ، ط ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، ج٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص١٠٩١.

(٢) السخاوي، محمد بن عبدالرحمن، (ت ٩٠٢هـ، ط د. ت.)، مصدر سابق، ج١، ص١٩٠.

(٣) ضاحي اللوى: طرف الرمل، والمراد طرف رمال الربع الخالي المتصلة بجنوب الأحساء.

(٤) العارض: جبل طويق، والمنقاد: أي الممتد.

(٥) النابي: المرتفع، والفرائد: الجبال.

(٦) لام: قبيلة كبيرة مشهورة سبقت الإشارة إليها عند الحديث عن القوى القبلية.

(٧) خالد: قبيلة معروفة حكمت الأحساء بعد ذلك.

(٨) حَجْر: المدينة المشهورة باليمامة التي قامت على أنقاضها مدينة الرياض.

(٩) آل يزيد، وآل مزيد: فرعان من بني حنيفة سبق الحديث عنهما وبيان منازلهما باليمامة في الفصل الخامس من الجزء الثاني.

(١٠) ابن لعبون، حمد بن محمد، (ت بعد ١٢٥٥هـ، ط ١٤٠٨م)، **تاريخ حمد بن محمد بن لعبون**، مكتبة المعارف، الطائف، ص ص٣٩-٤٠؛ العثيمين، عبدالله، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، مرجع سابق، ج١، ص٣٨٢.

الفاصلة بين حكم الجبريين للبحرين وحكم بني خالد، وهي فترة طويلة امتدت نحو مائة وخمسين سنة، وتنقسم إلى قسمين: أحدهما يشمل الفترة من سقوط الدولة الجبرية سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٦م)، حتى استيلاء العثمانيين على السلطة في بلاد البحرين سنة ٩٦٣هـ (١٥٥٦م). والثاني يشمل الفترة من تسلم العثمانيين للسلطة في البحرين، حتى انتزاعها منهم على يد بني خالد سنة ١٠٨٠هـ (١٦٦٩م).

والفترة الأولى فترة غامضة، كان للبرتغاليين خلالها نفوذ في بعض المواقع الساحلية، أما بقية المنطقة بما فيها الأحساء والقطيف فقد كانت السيطرة فيها لإمارة آل شبيب من آل فضل. ولم نجد ما يشير إلى نفوذ للقوى الموجودة في البحرين في تلك الفترة ببلاد نجد، سوى ما ذكره أحد الباحثين من أن آل فضل الذين حكموا الأحساء خلال هذه الفترة امتد نفوذهم إلى أجزاء من نجد ومنها بلدة معكال، وأن محمد بن عثمان بن فضل الذي نصّبه الشريف حسن بن أبي نمي أميراً على معكال، بعد غزوه لها سنة ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) هو من بقايا أسرة آل فضل التي حكمت الأحساء وحكمت معكال أيضاً قبل ذلك.[١] لكن هذا الاستنتاج يعوزه المزيد من الأدلة التاريخية من وجهة نظرنا.

أما فترة حكم العثمانيين للأحساء التي استمرت نحو مائة وعشرين سنة (٩٦٣-١٠٨٠هـ/ ١٥٥٦-١٦٦٩م) فلم نجد خلالها ما يشير إلى نشاط لهم بنجد، ويبدو أن مرد ذلك إلى أمرين، أحدهما: أن إقليم نجد لم يكن يحظى باهتمام من الدولة العثمانية لكونه إقليماً داخلياً منعزلاً وفقيراً. أما الأمر الآخر: فيرتبط بسياسة العثمانيين التي كانت تقوم على أن نجداً تدخل في نطاق دائرة نفوذ الأشراف بالحجاز، وليس في نطاق نفوذ ولاة الأحساء. ولهذا أوكلوا أمرها إلى أشراف مكة وليس إلى ولاة الأحساء.[٢] ويلاحظ أن حملات الأشراف على نجد زادت خلال هذه الفترة، وأصبحت تتوغل إلى أعماق لم تكن تصلها من قبل.

وعندما تمكن براك بن غرير أول حكام بني خالد من انتزاع السلطة من العثمانيين في الأحساء سنة ١٠٨٠هـ (١٦٦٩م)، اتجه نظره بعد ذلك مباشرة إلى نجد، فغزا في السنة التالية نجداً، وهاجم قبيلة

---

(١) الحميدان، عبداللطيف بن ناصر، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، **إمارة آل شبيب في شرق جزية العرب**، (د. ن.)، ص ص٤٩-٥٠.

(٢) الوهبي، عبدالكريم بن عبدالله، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، **بنو خالد وعلاقاتهم بنجد**، دار ثقيف للنشر والتوزيع، ص١٩١.

الظفير، ثم توغل في بلاد العارض وأخذ آل بنهان أحد فروع قبيلة آل كثير عند بلدة سدوس.[١] وفي سنة ١٠٨٨هـ (١٦٧٧م) جرّد حملة أخرى على نجد وهاجم فرعاً آخر من فروع آل كثير في موقع قريب من الدرعية،[٢] ثم هاجم في سنة ١٠٩٠هـ (١٦٧٩م) السهول على مورد رماح،[٣] وواصل تعمقه في المنطقة وهاجم قحطان على مورد الحرملية قرب القويعية.[٤]

وعندما تولى محمد بن غرير الحكم بعد وفاة أخيه براك سنة ١٠٩٣هـ (١٦٨٢م)، واصل اهتمامه بفرض نفوذ لبني خالد بنجد، بل إن سياسة بني خالد تجاه نجد تطورت، فبعد أن كانت تستهدف القوى القبلية البدوية، أصبحت بعض الحواضر هدفاً لحملاتهم أيضاً، فأول حملة لمحمد بن غرير كان هدفها بلدة اليمامة بالخرج،[٥] كما أنه واصل الهجمات على القوى القبلية، فقد هاجم آل مغيرة وعائذ على الحائر[٦] سنة ١٠٩٨هـ (١٦٨٧م)، ثم تعقبهم وهاجمهم مرة أخرى على حائر المجمعة.[٧]

ويبدو أن محمد بن غرير أمضى وقتاً طويلاً في حملته هذه على نجد فقد هاجم آل عثمان من بني عائذ في الخرج، كما هاجم آل غزي وهم فرع من قبيلة الفضول في سدير.[٨]

---

(١) العوسجي، محمد بن ربيعة، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، مصدر سابق، ص ص٦٧-٦٨؛ الفاخري، محمد بن عمر، (د. ت.)، مصدر سابق، ص٧٥.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٣٤؛ ابن بسام، عبدالله بن محمد (مخطوط)، مصدر سابق، ص٩٧.

(٣) رماح: مورد مياه غرب الدهناء، أصبح الآن مدينة كبيرة تبعد عن الرياض نحو مائة كيل (ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ج١، ص ص٤٧٥-٤٧٧.

(٤) ابن بسام، عبدالله بن محمد، مصدر سابق، ص٩٨.

(٥) المنقور، أحمد بن محمد، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص٥٩؛ الفاخري، محمد بن عمر، (د. ت.)، مصدر سابق، ص٧٨.

(٦) المراد حائر وادي حنيفة أو حائر سبيع، وهو الآن بلدة كبيرة تقع إلى الجنوب من الرياض على بعد نحو ثلاثين كيلاً (ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ج١، ص ص٢٨٧-٢٨٨.

(٧) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٣٤٠-٣٤١.

(٨) المنقور، أحمد بن محمد، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص٦٦؛ الفاخري، محمد بن عمر، (د. ت.)، مصدر سابق، ص٨٣.

وفي عهد سعدون بن محمد الذي تولى الحكم بعد وفاة والده سنة ١١٠٣هـ (١٦٩٢م)، استمرت سياسة بني خالد تجاه نجد، وقد جرَّد سعدون عدة حملات على نجد،[(١)] بل إن سعدوناً طوّر علاقاته ببعض القوى النجدية إلى تحالفات، وبخاصة مع إمارة آل معمر في العيينة.[(٢)]

وقد شارك هؤلاء الحلفاء فيما بعد في دعم القوات الخالدية في هجماتها على القوى الأخرى بنجد، ومن ذلك مشاركة أمير العيينة عبدالله بن معمر مع سعدون في مهاجمة بلدة اليمامة سنة ١١٢٦هـ (١٧١٤م).[(٣)]

ويلاحظ أن ارتياد بني خالد لبلاد نجد وبقاءهم فيها فترات طويلة كثر في عهد سعدون، فقد كانت قواتهم كثيراً ما تقضي وقت الصيف على بعض الموارد النجدية.[(٤)]

وبعد وفاة سعدون سنة ١١٣٥هـ (١٧٢٣م) انشغل بنو خالد فترة من الزمن بصراعات داخلية على الزعامة حتى استقر الأمر لسليمان بن محمد بن غرير سنة ١١٤٢هـ (١٧٣٥م). وأثناء فترة الصراع هذه ضعف اهتمام بني خالد بنجد وتقلص نشاطهم العسكري بها، ومع أن الأمر استقر في نهاية المطاف لسليمان إلا أن نفوذ بني خالد بنجد أخذ يضعف، بسبب انشغالهم بأمورهم الداخلية من ناحية، وبسبب ما حلّ بإمارة العيينة، أبرز حلفائهم في المنطقة، من ضعف إثر الوباء الذي اجتاح البلدة سنة ١١٣٨هـ (١٧٢٦م).[(٥)] وكل هذه العوامل هيأت الفرصة لاكتساب إمارة الدرعية مزيداً من القوة والمكانة في المنطقة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن سليمان بن محمد هذا هو الذي عاصر ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقيام الدولة السعودية الأولى، وعمل على محاربتها منذ نشأتها الأولى.

---

(١) انظر: الفاخري، محمد بن عمر، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ص٨٥-٨٦، ٩٠؛ المنقور، أحمد بن محمد، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ص٧٦، ٨١؛ البسام، عبدالله بن محمد (مخطوط)، مصدر سابق، ص ص١١١، ١١٨.

(٢) الوهبي، عبدالكريم بن عبدالله، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، مرجع سابق، ص٢١٤.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٦١؛ ابن بسام، عبدالله بن محمد (مخطوط)، مصدر سابق، ص١٢٧.

(٤) الفاخري، محمد بن عمر، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ص٩٢، ٩٧؛ العوسجي، محمد بن ربيعة، مصدر سابق، ص٨٣؛ ابن بشر، عثمان، مصدر سابق، ج٢، ص٣٥٥.

(٥) الوهبي، عبدالكريم، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، مرجع سابق، ص ص٢٢١-٢٢٣، ٢٢٩.

ولو أردنا أن نوجز طبيعة علاقات القوى النجدية، سواءً الإمارات الحضرية أم الزعامات القبلية ببني خالد، لوجدنا أن بعض القوى كانت تربطها علاقات جيدة ببني خالد، وصلت إلى حد التحالف والتعاون العسكري، ومن هذه القوى إمارة العيينة، وقبيلة عنزة وفرع آل عساف من بني كثير. وفي المقابل نجد أن قوى نجدية أخرى كانت علاقاتها مع بني خالد سيئة، أو لم تكن جيدة على أقل تقدير، ومن هذه القوى، إمارة الدرعية، وإمارة العمارية، وإمارة اليمامة، وقبيلة الظفير، وآل مغيرة، وقحطان.

وعلى أي حال فإن من يمعن النظر في طبيعة نفوذ بني خالد في نجد، يجد أنه لا يختلف كثيراً عن نفوذ من سبقهم من القوى مثل الجبور، فهو لم يصل إلى حد الحكم المباشر والمستقر، ولم يؤد إلى نوع من الاستقرار السياسي في المنطقة، فالحروب بين البلدان النجدية استمرت قائمة، والصراع بين قبائلها المختلفة لم يتوقف أو تخف حدته، بل إن تدخلات بني خالد وتحالفاتهم كانت تذكي هذه الفرقة وهذه الصراعات وتزيدها حدة في كثير من الأحيان.

ج- نفوذ الأشراف:

ظهرت أول إمارة للأشراف بمكة سنة ٣٥٨هـ (٩٦٩م)، ثم استمر حكمهم لها في ظل تبعية للدول الإسلامية الكبرى مثل الدولة العباسية، والدولة العبيدية (الفاطمية)، والدولة الأيوبية، ودولة المماليك، ثم الدولة العثمانية. وتعاقبت على الإمارة بمكة عدة أسر حسنية كان آخرها أسرة آل قتادة.

ومن خلال تتبع تاريخ الأشراف بالحجاز حتى قبيل منتصف القرن العاشر الهجري يتضح أنهم لم يولوا اهتماماً بمد نفوذهم نحو بلاد نجد، حتى في عهود الأمراء الأقوياء منهم، وقد اقتصر اهتمامهم على الأطراف المحاذية للحجاز من عالية نجد، وعلى تجريد حملات عسكرية لتأديب بعض القبائل القريبة من حدود الحجاز حين تتعرض لقوافل الحجاج أو التجار.

ويبدو أن هذا الأمر له ارتباط بنظرة المماليك لبلاد نجد وسياستهم تجاهها، فأشراف الحجاز كانوا بمثابة الولاة من قبل سلاطين المماليك ينفذون سياستهم، وكان المماليك ينظرون إلى نجد على أنها من الأقاليم الخارجة عن مضافات الديار المصرية كما يقول القلقشندي،[1] وبالتالي لم تحظ باهتمام من

(١) القلقشندي، أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ، ط د. ت.)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، المؤسسة العامة للترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ج٥، ص ص٥، ٥٨.

قبلهم ولم يسعوا لبسط نفوذهم عليها . يضاف إلى ذلك أمر لا يقل أهمية وهو يرتبط بالطبيعة الجغرافية والبشرية للمنطقة المحاذية للحجاز من عالية نجد، فهي فيافي قاحلة قليلة المياه، وسكانها يغلب عليهم طابع البداوة ويعيشون حياة بدوية تقوم على الترحال والتنقل في مراعي العالية وصحاريها المترامية الأطراف، ومعلوم أن فرض نفوذ مستقر على القبائل البدوية المتنقلة أكثر صعوبة منه على المناطق الحضرية .

وبعد سقوط دولة المماليك ودخول الحجاز في طاعة العثمانيين أصبح أشراف الحجاز يتبعون الدولة العثمانية وينفذون سياستها، وكانت نظرة العثمانيين الرسمية لبلاد نجد تختلف عن نظرة المماليك، فهم يرون أن أقاليم الجزيرة العربية كلها تدخل ضمن حدود دولتهم وليس الحجاز فقط، وإن كانوا من الناحية الواقعية لم يولوا نجداً اهتماماً يذكر، فبقيت الأوضاع فيها على ما هي عليه .

وقد أوكل العثمانيون أمر نجد من الناحية الرسمية إلى أشراف مكة، ولهذا أخذت نظرة هؤلاء الأشراف إلى بلاد نجد تتغير خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، يدل على هذا ما ذكره المؤرخ المكي العصامي عندما تحدث عن التماس أمير مكة الشريف أبي نمي محمد بن بركات[1] من السلطان سليمان بن سليم (٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م) تفويض أمر إمارة مكة إلى ابنه حسن، فقد ذكر نجداً بين الأقاليم التي تشملها ولايته .

كما أن حملات الأشراف أصبحت منذ ذلك التاريخ تصل إلى أعماق أبعد من أطراف عالية نجد، ففي سنة ٩٦٤هـ (١٥٥٧م) غزا الشريف حسن بن أبي نمي جبل شمّر وأوقع ببني لام ومن تحالف معهم .[2]

ومما يؤكد أن الأشراف أصبحوا ينظرون لنجد على أنها مجال من مجالات نفوذهم، ما فعله شريف

---

(١) ولد الشريف أبو نمي سنة ٩١١هـ (١٥٠٥م)، وتولى إمارة مكة بعد وفاة والده سنة ٩٣١هـ (١٥٢٥م)، واستمر بها حتى كبرت سنه فتنازل عنها لابنه الحسن سنة ٩٧٤هـ (١٥٦٦م)، توفي سنة ٩٩٢هـ (١٥٨٤م) (السباعي، أحمد، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، تاريخ مكة، نادي مكة الثقافي، مكة، ج٢، ص ص٣٤٦-٣٤٨).

(٢) العصامي، عبدالملك بن حسين، (ت ١١١١، ط ١٣٨٠هـ)، مصدر سابق، ج٤، ص٣٣٠؛ الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، مرجع سابق، ص٣٧.

مكة(١) حين عين الشيخ محمد بن أحمد بن بسام(٢) قاضياً لعالية نجد، فاتخذ القاضي من بلدة الشعراء(٣) مقراً له. (٤)

أما أول حملة تعمقت في نجد ووصلت إلى وسط بلاد اليمامة فهي الحملة التي قادها الشريف حسن ابن أبي نمي سنة ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) ووصلت إلى بلدة معكال وفرضت حصاراً عليها، ويذكر العصامي أن عدد قوات الشريف في هذه الحملة يزيد على خمسين ألفاً. (٥) وقد تمكن الشريف من إجبار البلدة على التسليم له، وأخذ عدداً من أعيانها أسرى إلى مكة، وبعد إقامتهم هناك مدة عام أطلق سراحهم بعد الاتفاق معهم على أن يعلنوا التبعية لأمير مكة ويدفعوا له حصة من محصولات بلدهم كل عام، وأسند الشريف إمارة معكال إلى محمد بن عثمان بن فضل. (٦)

---

(١) المصدر السابق، ص ص٣٦٦، ٣٧٥.

(٢) محمد بن أحمد بن بسام الوهبي التميمي الملقب بالقاضي، ولد في بلدة أشيقر ونشأ بها، واجتهد في طلب العلم وتحصيله بهمة ونشاط حتى أصبح من كبار علماء نجد في عصره، ولي قضاء أشيقر وحمدت سيرته، ولما حج طلب منه أمير مكة أن يكون قاضياً لعالية نجد، فامتنع في أول الأمر واعتذر بعدم أهليته لهذا المنصب، فسأل عنه أمير مكة علماء أشيقر، فأثنوا عليه وذكروا أنه لا يوجد أصلح منه للقضاء، فأكرهه الأمير على قبول هذا المنصب، فالتزم، وصار مقر قضائه لتلك البلاد الواسعة في بلدة الشعراء. ويرجح أن الشيخ محمد عاش في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، يدل على ذلك أنه جدد وثيقة صبيح المشهورة وحكم بثبوتها، وكان ذلك في التاسع عشر من رمضان سنة ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) كما هو مثبت في الوثيقة، ويرجح أن الشريف الذي ولاه هو الشريف حسن بن أبي نمي، وقد غلب لقب القاضي على الشيخ وأحفاده فأصبحوا يعرفون بآل القاضي، وهم أسرة معروفة ومشهورة في مدينة عنيزة (ابن بسام، عبدالله بن عبدالرحمن، (١٤١٩هـ)، **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ج٥، ص ص٥٠٠-٥٠٢).

(٣) الشَّعْراء: بفتح الشين، وسكون العين، بلدة مشهورة في عالية نجد لا تزال تعرف باسمها، وتقع إلى الغرب من مدينة الدوادمي وتبعد عنها نحو خمسة وثلاثين كيلاً (ابن جنيدل، سعد بن عبدالله، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) مرجع سابق، ج٢، ص ص٧٦١-٧٦٢).

(٤) ابن بسام، عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ج٥، ص٥٠١.

(٥) هذا العدد مبالغ فيه فيما يظهر لنا، لكنه يدل على قوة هذه الحملة وكثرة المشاركين فيها.

(٦) العصامي، عبدالملك بن حسين، (ت ١١١١هـ، ط ١٣٨٠هـ)، مصدر سابق، ج٤، ص ص٣٦٨-٣٦٩؛ ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٠٤.

وفي عام ٩٨٩هـ (١٥٨١م) توجه الشريف حسن بن أبي نمي مرة أخرى على رأس حملة كبيرة إلى نجد مزودة بعدد من المدافع لاستخدامها في تدمير أسوار البلدات وحصونها، وكانت منطقتا الأفلاج والخرج هدفاً لهذه الحملة، وقد تمكن الشريف من الاستيلاء على حصن البَدِيْع بالأفلاج،[١] ثم توجه إلى الخرج واستولى على السلمية واليمامة، ثم عاد إلى مكة بعد أن فرض على تلك البلدان ضرائب مقررة.[٢]

وتوالت حملات الأشراف على نجد بعد ذلك منذ مطلع القرن الحادي عشر حتى سنة ١١٤٠هـ (١٧٢٨م)، ويلاحظ أن مصادر تاريخ نجد اهتمت بالإشارة إلى هذه الحملات أكثر من مصادر تاريخ مكة، فقد سجل المؤرخ النجدي ابن ربيعة العوسجي وحده أخبار سبع عشرة حملة أو غزوة خلال تلك الفترة.[٣]

ومن أبرز هذه الحملات حملة الشريف محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي[٤] سنة ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م، وقد استهدفت بوجه خاص بلدة القصب،[٥] حيث داهمها الشريف بقواته فقتل عدداً من أهلها، وتعرضت البلدة للنهب والتدمير، وتعرض أهلها لمعاملة قاسية من أتباع الشريف.[٦]

---

(١) البَدِيْع: بفتح الباء، وكسر الدال، وإسكان الياء، قرية كبيرة من قرى الأفلاج تقع إلى الجنوب من مدينة ليلى، وبها آثار حصون قديمة وكانت تسمى قديماً (المذراع)، ومن أبرز معالمها الأثرية قصر سلمى (الجذالين، عبدالله بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، **تاريخ الأفلاج وحضارتها**، مطبعة السفير، الرياض، ص٤٨).

(٢) العصامي، عبدالملك بن حسين، (ت ١١١١هـ، ط ١٣٨٠هـ)، مصدر سابق، ج٤، ص ص٣٦٩ -٣٧٠؛ ابن بشر، مصدر سابق، ج٢، ص ص٣٠٤-٣٠٥.

(٣) الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، مرجع سابق، ص٣٩.

(٤) ولد الشريف محسن بن حسين سنة ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م، وتولى إمارة مكة بالمشاركة مع عمه إدريس بن حسن سنة ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م، ثم استقل بإمارتها من سنة ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م حتى سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م حيث عزل ثم توفي في السنة التالية (العصامي، عبدالملك بن حسين، (ت ١١١١هـ، ط ١٣٨٠هـ)، مصدر سابق، ج٤، ص ص٤١٠-٤١٨.

(٥) القَصَب: بلدة مشهورة بإقليم الوشم تقع إلى الشرق من مدينة شقراء على بعد نحو خمسة وثلاثين كيلاً، لها شهرة في إنتاج ملح الطعام (الحميضي، ناصر بن عبدالله، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، **مدينة القصب أرض الملح**، مكتبة الرشد، الرياض، ص١٣).

(٦) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ص٦٤-٦٥.

وفي سنة ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م سار الشريف إدريس بن حسن[(١)] وابن أخيه محسن بن حسين بن حسن على رأس حملة اجتازت نجد كلها ووصلت إلى الأحساء، فرحب بهما والي الأحساء العثماني وأكرمهما. وهذه أول مرة يصل فيها أشراف مكة إلى الأحساء، ولم يشر المؤرخ العصامي، الذي أورد خبر هذه الحملة، إلى أية أعمال لها في نجد.[(٢)]

أما ابن ربيعة فقد أشار إلى أنها توجهت إلى بلدة السلمية بالخرج.[(٣)] وذكر مثل ذلك الفاخري وقال إن الشريف أوقع بأهل السلمية، لكنه ذكر الحادثة في سنة ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م.[(٤)] وعلى أي حال فاجتياز الأشراف لكل هذه المسافة يدل على مدى قوتهم في تلك الفترة وعدم وجود منافس لهم على النفوذ بنجد، كما أنه يؤكد ما أشرنا إليه من قبل من أن العثمانيين أوكلوا أمر نجد إلى أمراء مكة وليس إلى ولاة الأحساء العثمانيين.

وفي سنة ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م توجه الشريف زيد بن محسن[(٥)] أمير مكة إلى نجد على رأس جيش كبير، ونزل بلدة روضة سدير، وقتل أميرها ماضي بن محمد[(٦)] وأساء جنده إلى أهلها وأجلى عنها أسرة آل أبي راجح، وولى فيها رميزان بن غشّام التميمي.[(٧)] ثم توجه إلى بنبان، وأخذ من أهل العيينة

---

(١) ولد الشريف إدريس بن حسن سنة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م، وتولى إمارة مكة بعد وفاة أخيه أبي طالب سنة ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م واستمر فيها إلى أن عزل سنة ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٥م وكان يشاركه في الإمارة ابن أخيه الشريف محسن بن حسين، وبعد عزله توجه ناحية نجد، وتوفي في السنة نفسها بموضع يدعى ياطب قرب جبل شمّر (دحلان، أحمد زيني، (١٣٠٥هـ)، مرجع سابق، ص ص٦٤-٦٦).

(٢) العصامي، عبدالملك بن حسين، (ت ١١١١هـ، ط ١٣٨٠هـ)، مصدر سابق، ج٤، ص ص٤٠١-٤٠٢.

(٣) العوسجي، محمد بن ربيعة، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، مصدر سابق، ص٥٩.

(٤) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص٦٦.

(٥) ولد الشريف زيد بن محسن بمكة سنة ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م وتولى إمارتها سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م بالمشاركة مع ابن عمه محمد بن عبدالله بن حسن، وفي آخر السنة نفسها استقل بالإمارة بدعم من العثمانيين واستمر بها إلى أن توفي سنة ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م (دحلان، أحمد زيني، (١٣٠٥هـ)، مرجع سابق، ص ص٧٣-٧٩).

(٦) هو ماضي بن محمد بن ثاري من آل أبي راجح من أحفاد مزروع بن حميد التميمي مؤسس بلدة روضة سدير (ابن عيسى، إبراهيم، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص٥٦).

(٧) هو رميزان بن غشام من آل أبي سعيد من أحفاد مزروع التميمي مؤسس بلدة روضة سدير، ويعد رميزان من أبرز شعراء الشعر النبطي بنجد، وكان إلى جانب ذلك فارساً وسياسياً له تطلعات للزعامة، اتصل بأشراف مكة واستفاد=

أموالاً كثيرة وثلاثمائة حمْل قبل أن يعود إلى بلاده.[١]

وفي سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م توجه الشريف زيد بن محسن إلى نجد مرة أخرى، ونزل قري التويم،[٢] وكما يقول ابن بشر: "قدّم في سدير وأخر، وأخذ وأعطى".[٣]

وفي سنة ١١٠٧هـ/ ١٦٩٦م سار الشريف سعد بن زيد[٤] على رأس حملة إلى نجد، ونزل روضة سدير وأسر أميرها ماضي بن جاسر بن ماضي،[٥] كما نزل أيضاً قرى جلاجل،[٦] والغاط،[٧] وذكر ابن بشر أنه هاجم بلدة أشيقر وحاصرها في شهر رمضان من هذه السنة.[٨]

وفي سنة ١١٤٠هـ/ ١٧٢٨م توجه الشريف محسن بن عبدالله بن حسين أمير مكة بقواته نحو نجد،

= منهم في الوصول إلى الزعامة ببلدته، تولى إمارة الروضة من سنة ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م حتى قتل سنة ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م ومن أبرز أعماله إنشاء سد السبعين بروضة سدير الذي لا يزال قائماً إلى اليوم، وما وصلنا من شعر رميزان يعد أحد مصادر تاريخ تلك الفترة النادرة المصادر (الذكير، مقبل بن عبدالعزيز، (مخطوط)، مصدر سابق، ص ص٩٣، ١١٦؛ الحاتم، عبدالله بن خالد، (١٩٨١م)، **خيار ما يلتقط من شعر النبط**، ج١، ذات السلاسل، الكويت، ص ص١٠٣-١٢١).

(١) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ص٧٠-٧١؛ ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٣٢٤-٣٢٥.

(٢) قرى التويم: ماء معروف بين التويم وجلاجل (ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص٣٢٦)، والقري هو مورد الماء ومسيله وهي فصيحة.

(٣) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص٣٢٦.

(٤) هو الشريف سعد بن زيد بن محسن، تولى إمارة مكة أربع مرات في فترات مختلفة أطولها ولايته الثالثة من سنة ١١٠٦-١١٣٠هـ/ ١٦٩٥-١٧٠١م وهي التي جرّد خلالها هذه الحملة على نجد (المكي، عبدالفتاح بن حسين، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، **تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام**، مكتبة المعارف، الطائف، ص ص٢٤٣، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٣).

(٥) هو ماضي بن جاسر بن محمد بن ثاري، تولى إمارة روضة سدير بعد وفاة والده سنة ١١٠١هـ/ ١٦٩٠م واستمر بها إلى أن توفي سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م (ابن عيسى، إبراهيم، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص ص٧٥، ٧٧، ١٠٠).

(٦) قري جلاجل: قرية صغيرة قرب بلدة جلاجل.

(٧) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص٨٦.

(٨) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٤٦.

وانضمت إليه بطون من قبيلة عنزة، وعدوان،[١] وغيرهم، وقصدوا تحالفاً على رأسه قبيلة الظفير، والتقى الطرفان على ساقي الخرج،[٢] ودامت المواجهة بين الطرفين نحو شهر، واستنجد الشريف بعلي ابن محمد بن غرير[٣] أمير الأحساء والقطيف آنذاك، فوصل على رأس قواته إلى الخرج واجتمع بالشريف، ودارت إثر ذلك معركة كبيرة هزم فيها الظفير وحلفاؤهم.[٤]

تلك أبرز حملات الأشراف على نجد حتى قيام الدولة السعودية الأولى سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، وهناك حملات أخرى كثيرة غيرها لم نشر إليها.[٥] ويلاحظ أن معظم هذه الحملات كانت موجهة للقرى والحواضر النجدية، وفي هذا دلالة على أن الهدف منها لم يكن تأديبياً دافعه الرد على اعتداء تعرضت له قوافل الحجاج أو التجار، أو حدود مناطق حكم الأشراف، بل كان الهدف منها محاولة فرض نفوذ سياسي على تلك البلاد، وكذلك الحصول على مكاسب مادية من خلال فرض ضرائب سنوية على تلك الحواضر الزراعية.

وهناك أمر آخر يلاحظه من يتتبع حملات الأشراف تلك، وهو أن معظمها حدث في فترة كان بنو خالد حكام الأحساء يجردون فيها حملات على نجد ويسعون لفرض نفوذ وهيبة لهم بها، ومع ذلك لم يحدث تصادم بين الطرفين، بل كانت العلاقات بينهما في أغلب الأوقات جيدة، ووصل الأمر في بعض الأحيان إلى حد التحالف والتعاون العسكري بينهما ضد بعض القوى القبلية النجدية كما حدث عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٨م.

---

(١) عدوان: إحدى قبائل الحجاز، ومساكنها قرب الطائف (الجاسر، حمد، (ب١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، **معجم قبائل المملكة العربية السعودية**، ج٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص ص٥١٤-٥١٥).

(٢) ساقي الخرج: هو مجرى المياه التي تنبع من عيون الخرج.

(٣) علي بن محمد بن غرير الخالدي، تولى الإمارة بعد وفاة أخيه سعدون سنة ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م، واستمر بها إلى أن قتل سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م بسبب نزاع داخلي بين بني خالد على الإمارة (الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مرجع سابق، ج٢، ص ص١٠٦-١٠٧).

(٤) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٣٧٠-٣٧١؛ ابن بسام، عبدالله بن محمد، (مخطوط)، مصدر سابق، ص١٤٦.

(٥) انظر أحداث السنوات: ١٠١١هـ، ١٠٤٣هـ، ١٠٥٦هـ، ١٠٦٦هـ، ١٠٧١هـ، ١٠٧٩هـ، ١٠٨٨هـ، ١٠٩٦هـ، ١١٠٥هـ، ١١٠٨هـ، ١١٠٩هـ، ١١١٢هـ، ١١٢٧هـ. عند كل من ابن ربيعة والفاخري وابن بشر وابن بسام.

ويبدو أن هذا الأمر يرجع إلى حسن علاقة الطرفين بالعثمانيين،[1] كما أن كلاً منهما كان يرغب في كسر شوكة القوى المحلية بنجد، وعدم إتاحة الفرصة لأي منها لبلوغ درجة من القوة تمكنها من فرض سيطرتها على القوى الأخرى في المنطقة، ومن ثم تهديد مصالح الطرفين فيها، وقد يتعدى الأمر إلى تهديد مناطق نفوذهما في كل من الحجاز والأحساء.

ومهما يكن الأمر فإن الأشراف رغم حملاتهم الكثيرة على نجد لم يستطيعوا فرض نفوذ مستقر لهم بها، فما إن تعود الحملة من المنطقة التي استهدفتها حتى تعود الأوضاع إلى سابق عهدها، ولم يكن بوسع الأشراف الإبقاء على جيوش أو حاميات كبيرة في بلاد نجد بشكل مستمر بحيث تضمن لهم سيطرة دائمة ونفوذاً مستقراً ومستمراً. كما أن سوء معاملتهم لأهل نجد وبوجه خاص سكان البلدات التي تعرضت لهجماتهم جعل الأهالي ينفرون منهم ويتحينون الفرص للتخلص من نفوذهم.

(١) الوهبي، عبدالكريم بن عبدالله، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، مرجع سابق، ص٢٠٤ .

المبحث الرابع
نبذة عن الأوضاع الحضارية بالمنطقة

أولاً : النظم السياسية :

من خلال العرض السابق للأحوال السياسية بنجد خلال الفترة التي سبقت قيام الدولة السعودية الأولى اتضح أن نجداً لم يكن بها سلطة سياسية مركزية توحد قواها وتحكمها حكماً منظماً، بل كانت ميداناً لصراع مستمر بين كيانات سياسية صغيرة متنافسة، سواء منها تلك الإمارات البلدانية في المستوطنات الحضرية أم الزعامات القبلية البدوية. ولذلك لم يكن هناك نظم سياسية واضحة لهذه الكيانات الصغيرة كما هو الشأن بالنسبة للدول المنظمة.

وكان يتولى الزعامة في الكيانات الحضرية أمير البلدة، وهو في الغالب أحد أفراد أقوى الأسر المستوطنة في البلدة.

ويلاحظ أن الزعامة في تلك الكيانات الحضرية لها ارتباط في أغلب الأحيان بتأسيس القرية أو المركز الحضري نفسه، وقد اختلفت طرق تأسيس تلك القرى، فمنها ما تم بالإحياء عن طريق فرد أو أسرة كما هو الحال بالنسبة للتويم وحرمة[١] وثادق،[٢] أو بالهبة من الجهة التي لها نفوذ على تلك المنطقة كما حدث بالنسبة للدرعية[٣] والمجمعة،[٤] أو بشراء الموقع من مالكه السابق كما هو الحال بالنسبة للعيينة وحريملاء،[٥] أو بالمغارسة كما حدث بالنسبة لبلدة الحصون.[٦] ويلاحظ أن الزعامة في هذه الحالات تكون في الغالب لمؤسس البلدة ثم لأبنائه وأحفاده يتعاقبون عليها.[٧] وفي مواقع حضرية

---

(١) ابن لعبون، حمد بن محمد، (ت بعد ١٢٥٥هـ؛ ط١٤٠٨هـ)، مصدر سابق، ص ص٩٦، ٩٩ .

(٢) ابن عيسى، إبراهيم، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص٦٢ .

(٣) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٣-١٤ .

(٤) ابن لعبون، حمد بن محمد، (ت بعد ١٢٥٥هـ؛ ط١٤٠٨هـ)، مصدر سابق، ص ص٩٩-١٠٠ .

(٥) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ص٦٠، ٦٨ .

(٦) المصدر السابق، ص٦٥ .

(٧) العثيمين، عبدالله، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص ص٢٢-٢٣ .

أخرى وصلت بعض الأسر إلى الزعامة عن طريق القوة بإقصاء زعامة قائمة في بلدة والحلول محلها كما حدث في البير[1] والحَرِيْق. [2]

وعلى أي حال فإن الصراع على السلطة والزعامة داخل تلك الكيانات الحضرية كان محتدماً في أغلب الأوقات سواء بين الأسر المتنافسة أو بين أفراد الأسرة الحاكمة نفسها. وقد نتج عن هذا الصراع كثير من الخلافات وسفك الدماء بين أقرب الأقرباء.

وكانت تحدث في أحيان كثيرة تدخلات في هذه الصراعات الداخلية على الزعامة من قبل قوى خارجية ممثلة في زعامات البلدات المجاورة، وأحياناً يتعدى الأمر إلى تدخل قوى من خارج المنطقة مثل أشراف الحجاز وحكام الأحساء. [3]

أما عن طبيعة علاقة من يتولى الزعامة في تلك الكيانات الحضرية بالمحكومين من أبناء البلدة فهي تختلف من أمير لآخر، وإن كانت الصفة الغالبة في تلك الفترة هي النزوع إلى الظلم والجور من قبل كثير من أمراء البلدان وقد وصفهم ابن بشر بقوله: "ورؤساء البلدان وظلمتهم لا يعرفون إلا ظلم الرعايا والجور . . ." . [4] كما وصفهم بعض الشعراء المعاصرين لتلك الفترة بأوصاف مماثلة. [5]

ولعل سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية والأمنية السائدة في المنطقة في تلك الفترة كانت من العوامل المساعدة على وقوع بعض أنواع الظلم على الرعايا، فقلة الموارد -على سبيل المثال- مع حاجة الأمراء لتأمين متطلبات الدفاع عن البلدة والضيافة وغيرها تدفعهم لاتخاذ إجراءات اقتصادية وفرض مقررات مالية على رعاياهم يراها البعض نوعاً من أنواع الظلم والتعسف. [6]

وعلى أي حال فإن الصورة ليست قاتمة تماماً في هذا الجانب فقد كان هناك أمراء عادلون يتعاملون

---

(١) ابن عيسى، إبراهيم، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص٥٠.

(٢) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص٦٧.

(٣) المصدر السابق، ص ص٧٠، ٧٦، ٩٨، ١٠٢.

(٤) ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ج١، ص٢٠.

(٥) الحاتم، عبدالله بن خالد، (١٩٨١م)، **خيار ما يلتقط من الشعر النبط**، ج١، ذات السلاسل، الكويت، ص١٣٥.

(٦) العثيمين، عبدالله، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص٢٦.

مع رعاياهم تعاملاً طيباً، ومنهم على سبيل المثال أمير الدرعية محمد بن سعود.[(١)]

أما الكيانات القبلية البدوية فإن الزعامة فيها لشيخ القبيلة، واختيار الشيخ لدى قبائل المنطقة في تلك الفترة لم يكن يختلف عنه لدى القبائل العربية في العصور السابقة، فالكرم والشجاعة وسداد الرأي وقوة الشخصية من الصفات التي تؤهل للزعامة، وإذا كانت أصالة النسب متوفرة لدى القبيلة كلها فإن الفخذ الذي تستقر فيه الزعامة فترة تصبح فرص أفراده هي الأوسع لتولي الزعامة وبخاصة كلما قرب ارتباطهم من جهة النسب بالزعيم السابق، لذلك يلاحظ استمرار الزعامة في أحيان كثيرة في أسرة بعينها داخل القبيلة يتوارثها اللاحق عن السابق.[(٢)]

وسلطة اتخاذ القرارات السياسية والعسكرية في هذه الكيانات الحضرية والبدوية تكون بيد أمير البلدة أو شيخ القبيلة، ويكون إلى جانب الأمير مستشارون وأعوان من أسرته ومن وجهاء البلدة الآخرين مثل زعماء الأسر الأخرى التي تقطن البلدة، والقاضي إن كان في البلدة قاضٍ، وإمام المسجد الجامع. أما شيخ القبيلة فهو يتخذ القرارات في الغالب بعد التشاور مع رؤساء بطون القبيلة وذوي المكانة فيها، ويلاحظ أن التنظيم السياسي لدى القبائل البدوية في تلك الفترة لا يختلف كثيراً عما كان سائداً لدى القبائل العربية في عصور سابقة، فهو نظام هرمي يبدأ من زعماء العشائر، ثم الفصائل، ثم الأفخاذ، ثم البطون وينتهي بشيخ القبيلة،[(٣)] وتزداد قاعدة هذا التنظيم كلما كبرت القبيلة وزادت فروعها.

وفي أغلب المراكز الحضرية كان يوجد إلى جانب الأمير قاضٍ يلجأ إليه الناس لفض المنازعات والخلافات بينهم وفق الأحكام الشرعية، لكن سلطة القاضي وتقبلُ ما يحكم به كانت تخضع آنذاك لمدى استقرار الأوضاع السياسية والأمنية وهي في الغالب غير مستقرة.[(٤)]

---

(١) ابن غنام، حسين، (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣.

(٢) العثيمين، عبدالله، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، مرجع سابق، ج١، ص ص٤٧-٤٨.

(٣) القلقشندي، أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ، ط١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص ص١٤-١٦.

(٤) الشويعر، محمد، (١٤١٢هـ)، نجد قبل ٢٥٠ عاماً، مكتبة النخيل، الرياض، ص٩٢.

المحصولات الزراعية ومنها الصفار[١] الذي يصيب الزروع . يضاف إلى ذلك غزو أسراب الجراد والدبا (صغار الجراد) الذي يكتسح المزارع ويقضي على الزروع والثمار .[٢] ومعاناة المزارعين لا تقتصر على ما يصيبهم من خسائر بسبب العوامل المناخية والآفات والأوبئة ، بل هناك أيضاً العامل البشري المتمثل في غزو الأعداء والطامعين واستيلائهم على المحصولات وإتلاف المزارع .[٣]

٢- التجارة:

تعد التجارة أحد أبرز مقومات الحياة الاقتصادية في المنطقة في تلك الفترة وبخاصة عند الحاضرة وهي عندهم تلي الزراعة من حيث الأهمية ومن حيث عدد العاملين فيها ، وتتميز التجارة بأنها نشاط يوفر فرص الاتصال بين فئات السكان من بادية وحاضرة ، وبين البلدات والأقاليم المتجاورة ، كما أنها تعد أحد أهم قنوات الاتصال بين أهل المنطقة بعامة والمناطق الأخرى المجاورة سواء داخل الجزيرة العربية أم خارجها . ويلاحظ أن معظم من يعملون في مجال التجارة هم من سكان البيئة الحضرية ، ويمكن تقسيم أنواع التجارة في المنطقة آنذاك حسب النطاق المكاني لممارستها إلى ثلاثة أنواع هي :

التجارة المحلية:

وهي ما يتم من تبادلات تجارية بين سكان البلدة نفسها من خلال تسويق المنتجات الزراعية والحيوانية والمصنوعات الحرفية المحلية التي يتم إنتاجها من قبل سكان البلدة ، وتباع مباشرة من المنتج إلى المستهلك ، أو عن طريق طرف ثالث يشتريها بالجملة ويبيعها على المستهلكين مفرقة ، أو يكون واسطة بين الطرفين مقابل نسبة من الثمن .[٤]

التجارة الإقليمية:

وهي ما يتم من تبادلات تجارية بين البلدات والأقاليم داخل المنطقة ، أو بين الحاضرة والبادية في

---

(١) الصفار : مرض يصيب الزرع فتصفر أوراقه ويضعف مما يؤدي إلى قلة المحصول ورداءته.

(٢) انظر : الفاخري ، محمد ، (د.ت.) ، مصدر سابق ، ص ص٨٢ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٣ ؛ البسام ، عبدالله بن محمد ، (مخطوط) ، مصدر سابق ، ص ص٢٠ ، ٢١ ، ٤٠ ، ٤٣ .

(٣) المنقور ، أحمد بن محمد ، (١٣٩٠هـ) ، مصدر سابق ، ص٦٦ ؛ الفاخري ، محمد ، (د.ت.) ، مصدر سابق ، ص١٠٠ .

(٤) العريني ، عبدالرحمن ، (١٤٠٩هـ) ، مرجع سابق ، ص ص٢٦٥-٢٦٦ .

المنطقة. حيث يتم تسويق ما يفيض من إنتاج بلدة أو إقليم في البلدة أو الأقاليم المجاورة، وما يفيض لدى سكان البادية من ثروة حيوانية أو ما يتصل بها من إنتاج مثل السمن والجلود والإقط والصوف في المراكز الحضرية القريبة مقابل الحصول على احتياجاتهم من نتاج تلك المراكز من المواد الغذائية أو الملابس أو الأواني وغيرها. وقد يتجه التاجر الحضري إلى البدو في أماكن نزولهم لبيعهم ما يحتاجون إليه ويشتري منهم ما يفيض من نتاج بيئتهم.(١)

التجارة الخارجية:

وهي ما يتم من تبادلات تجارية مع المناطق المجاورة سواء داخل الجزيرة العربية مثل الأحساء والبحرين وعمان والحجاز، أو مع أقاليم خارج الجزيرة العربية مثل العراق والشام ومصر. وهذه التجارة تتم عن طريق قوافل تجارية منظمة. وأهم ما كانت تصدره المنطقة إلى الخارج في تلك الآونة الثروة الحيوانية وبخاصة الإبل والخيل ثم الأغنام، والصوف والسمن. أما أهم ما كانت تستورده عن طريق تلك القوافل فيتمثل في كثير من البضائع التي يحتاجها المجتمع مثل البهارات والقهوة والبخور وبعض الملابس والأواني والأسلحة، وكذلك الأقوات وبخاصة في أوقات القحط.(٢)

وكان انعدام الأمن والفوضى السياسية أحد أبرز المشكلات التي تواجهها التجارة سواء منها الإقليمية أم الخارجية، فقد كانت القوافل التجارية تتعرض للنهب في كثير من الأحيان من قبل رجال القبائل وقطاع الطرق،(٣) رغم أنها تصحب بقوة مسلحة ويرافقها في الغالب رجال من القبائل التي تمر بأراضيها.

أما العملات التي كان أهل المنطقة يستخدمونها في تعاملاتهم فكلها من العملات المضروبة خارج المنطقة وهي كثيرة وذات مصادر متعددة، وقد وردت الإشارة إلى أنواع منها في المصادر التاريخية والمؤلفات الفقهية والأشعار العامية، ومن خلال تتبعها يتضح أن العملات العثمانية هي الأكثر شهرة وتداولاً في المنطقة آنذاك ومنها المحمدية والأحمر والجديدة، إلا أن أهل المنطقة لم يقتصروا عليها بل

(١) العثيمين، عبدالله، (١٣٩٧هـ)، مرجع سابق، ص١٩.

(٢) العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٢٧٠-٢٧٢.

(٣) ابن بسام، عبدالله بن محمد، (مخطوط)، مصدر سابق، ص ص١٢، ١٤، ١٧.

استخدموا عملات أوربية مثل المشخص، وفارسية مثل الطويلة، وهندية مثل الروبية.[١]

٣- الحرف والصناعات:

إلى جانب الزراعة والتجارة كانت هناك فئة من السكان تعمل في مجال الحرف والصناعات اليدوية، وقد قدم هؤلاء لمجتمعهم خدمات جلّى من خلال توفير كثير من الأدوات اللازمة لتسيير دفة الحياة الاجتماعية والمساهمة في تغطية كثير من حاجات المجتمع من خلال صناعة محلية تتم بأيدي أبنائه، ومن أبرز هذه الحرف:

النجارة:

وهي من الحرف اليدوية التي كان لها أهمية كبيرة في توفير كثير من الأدوات التي يحتاجها أفراد المجتمع، وتمتد خدمات من يعمل في هذه الحرفة لعموم فئات المجتمع، ففضلاً عن أنه يصنع كثيراً من الأشياء التي يحتاجها عامة الناس في بناء بيوتهم مثل الأبواب والسقوف، أو في أدواتهم المنزلية مثل الأواني المصنوعة من الأخشاب وبعض الأثاث. فهو أيضاً يصنع أدوات يحتاجها أصحاب المهن الأخرى مثل المزارعين والتجار وغيرهم. أما أهم مصادر الأخشاب في تلك الفترة فهي أشجار النخيل والأثل.[٢]

الحدادة والصناعات المعدنية:

وهي أيضاً من الحرف المهمة التي يحتاجها المجتمع في وقت السلم وفي وقت الحرب، فالحداد كان يصنع الأواني والأدوات المعدنية التي يحتاجها الإنسان في حياته اليومية، كما كان يصنع الأدوات المعدنية التي يحتاجها أصحاب المهن الأخرى كالمحاريث والمساحي والمناجل والفؤوس وغيرها، وهو أيضاً يصنع الأسلحة من سيوف ودروع وحراب وغيرها من عدة القتال. أما صناعة الحلي الذهبية والفضية فكان يتولاها فئة خاصة يعرفون بالصاغة.[٣]

---

(١) انظر: العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٠٦-٣٥٠؛ الشويعر، محمد، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص ص١١١-١١٧.

(٢) السويداء، عبدالرحمن، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٢٣٦-٢٣٨؛ العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٢٦٠.

(٣) الشويعر، محمد، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص٧٦.

الحياكة والنسيج:

وهي من المهن التي كان يزاولها فئة من السكان وبخاصة في الحواضر، ومادتها الصوف والوبر والشعر المتوفر بكثرة في البيئة المحلية وكان يصنع منه أشياء كثيرة منها بعض الملابس الصوفية، والعباءات، والبسط، والخروج، وبيوت الشعر، [١] وقد اشتهرت بعض الحواضر بصناعة النسيج الجيد ومنها ثرمداء في إقليم الوشم. [٢]

الدباغة والخرازة:

وهي من الحرف المهمة أيضاً التي توفر للمجتمع احتياجات كثيرة، فعن طريق الدباغة يتم تهيئة جلود الحيوانات للاستفادة منها عن طريق الخرازة في صناعة أشياء مهمة مثل: القرب والأسقية، والعكك، والدلاء، والأحذية وغيرها. [٣]

٤- الرعي والثروة الحيوانية:

تعد مهنة الرعي المهنة الرئيسة في البيئة البدوية، فمن المعلوم أن الحياة الاقتصادية في هذه البيئة تقوم على الثروة الحيوانية وبخاصة الإبل والغنم، وتنمية هذه الثروة تتطلب العناية بها والبحث عن المراعي الجيدة لها، وإذا كان المنتمون إلى البيئة البدوية يمثلون الغالبية العظمى في هذا الميدان، فإن هذه المهنة أيضاً كانت تمارس في البيئة الحضرية ولكن على نطاق ضيق، فالحياة في البيئة الحضرية في بلاد نجد كانت حياة ريفية تلتقي مع الحياة البدوية في أمور كثيرة منها الاهتمام بتربية الحيوانات والاستفادة من نتاجها من اللبن والسمن واللحوم في الحياة اليومية فضلاً عن الاستفادة منها في مجال الزراعة والنقل.

وإذا كان البدوي يرعى إبله وأغنامه في المراعي البرية ويساعده أسلوب حياته الذي لا ترتبط بمسكن أو موقع ثابت على التنقل من مكان إلى آخر سعياً وراء أفضل المراعي، فإن الحضري كان يرعى ثروته

---

(١) العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٢٦٢-٢٦٣؛ السويداء، عبدالرحمن، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، مصدر سابق، ص٢٤٨.

(٢) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مصدر سابق، ص١٧١.

(٣) العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٢٥٤-٢٥٥.

الحيوانية في المواقع القريبة من بلداته، إما بشكل فردي أو عن طريق راعٍ أو أكثر يتولى مهمة الخروج بأغنام أهل البلدة صباح كل يوم إلى المراعي القريبة ويعود بها مساءً وهكذا.

وكانت بلاد نجد بعامة أغنى مناطق الجزيرة العربية بالثروة الحيوانية وبخاصة الإبل حتى إنه أطلق عليها "أم الإبل".(١) وتعد الإبل أهم مقومات الحياة الاقتصادية عند البادية، ومكانتها لديهم تماثل مكانة النخلة عند أبناء الحواضر. وكانت الإبل أهم السلع التي تصدر من نجد إلى الأقاليم المجاورة في تلك الفترة، أما الخيل فإنها وإن لم تكن بالكثرة التي اشتهرت بها الإبل إلا أن الخيول النجدية كانت من أجود أنواع الخيول وأعرقها سلالة، وكانت متوافرة لدى القبائل النجدية بقدر يزيد عن حاجتها، لهذا كانت تصدر أيضاً إلى البلاد المجاورة ومنها كانت تنقل إلى الهند وأوربا.(٢)

وتمثل الأغنام جزءاً مهماً من الثروة الحيوانية لدى البادية والحاضرة على حد سواء، ويستفيدون من أصوافها وألبانها ولحومها وجلودها، وكان سكان القرى يعنون بتربية الأبقار أيضاً ويستخدمونها في أعمالهم الزراعية فضلاً عن الاستفادة من نتاجها من اللبن والزبد واللحم.(٣)

ثالثاً: الهجرات البشرية من المنطقة وأسبابها:

قبل أن نختم هذه النبذة المختصرة عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية يحسن أن نشير إلى ظاهرة يلحظها من يتتبع تاريخ المنطقة في تلك الفترة وهي حدوث موجات من الهجرات البشرية المتتالية من المنطقة إلى بعض الأقاليم المجاورة داخل الجزيرة العربية مثل الأحساء أو إلى أقاليم خارج الجزيرة العربية مثل العراق والشام.(٤)

أما أبرز أسباب هذه الهجرات فترجع إلى أمرين أحدهما: تردي الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة، والآخر: تردي الأوضاع الاقتصادية في بعض الفترات بسبب بعض العوامل الكونية، وكثيراً ما

---

(١) العثيمين، عبدالله، (١٣٩٧هـ)، مرجع سابق، ص٢٠.

(٢) العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٢٣١-٢٣٦.

(٣) المرجع السابق، ص ص٢٣٦-٢٣٨.

(٤) ابن بسام، عبدالله، (مخطوط)، مصدر سابق، ص ص١٩، ٦٤، ٨٨، ٩٨؛ الفاخري، محمد، (د.ت.)، مصدر سابق، ص٩٨.

يجتمع الأمران معاً.[(١)] وفي حديثنا عن التاريخ السياسي للمنطقة قبل قيام الدولة السعودية الأولى أشرنا إلى ما كانت تعانيه من اضطراب شديد في الأوضاع السياسية وتردٍ في الأوضاع الأمنية بسبب عدم وجود قوة حاكمة توحد الإمارات البلدانية والقبائل المتناحرة، ولقد أدت الحروب الأهلية المتواصلة بين البلدات المتجاورة وبين القبائل أيضاً إلى نزوح بعض الأسر والقبائل التي تتعرض للهزيمة والقهر من قبل قوى أخرى،[(٢)] كما أدت المنازعات على الزعامة إلى رحيل أسر أخرى،[(٣)] وكانت مشكلة الثأر وما ينتج عنها من عداء مستحكم سبباً آخر يؤدي إلى نزوح بعض الأفراد والأسر.[(٤)]

أما الأسباب المتصلة بتردي الأوضاع الاقتصادية فهي لا تقل أثراً عن سابقتها، فانحباس المطر وما يترتب عليه من غور مياه الآبار التي تقوم عليها الزراعة، وهي أهم مقومات الحياة الاقتصادية عند الحضر، وما ينتج عنه أيضاً من حلول القحط وعدم توفر النباتات الرعوية والمياه في المراعي والموارد الصحراوية التي يقوم عليها الرعي وهو أهم مقومات الحياة الاقتصادية عند البدو، كل هذا يؤدي إلى حلول القحط والمجاعات والغلاء مما يضطر كثير من سكان المنطقة حاضرة وبادية إلى الهجرة حفاظاً على حياتهم.[(٥)]

والأمثلة على حدوث الجفاف والقحط والمجاعات في تاريخ المنطقة كثيرة، ومن أشهرها ما حدث في سنة ١١٣٦هـ (١٧٢٤م) حينما غارت المياه في كثير من أقاليم المنطقة بسبب عدم نزول الأمطار وعم القحط والغلاء والمجاعة أرجاء المنطقة وبخاصة إقليم سدير وأدى هذا إلى نزوح أعداد كبيرة من السكان إلى الأحساء والبصرة والزبير وغيرها، وهلاك آخرين، وقد أشار بعض مؤرخي نجد إلى بعض آثار هذا الجفاف حيث لم يبق في بلدتي العودة والعطار في سدير سوى بئرين فقط في كل بلدة والبقية غارت مياهها وجفت، ولم يبق في بلدة العطار سوى أربعة رجال فقط والبقية نزحوا بسبب المجاعة أو هلكوا.

---

(١) العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٣٥٧.

(٢) المنقور، أحمد، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص٥٤؛ الفاخري، محمد، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ص٧٦-٧٧؛ ابن ربيعة، محمد، (١٤٠٦هـ)، مصدر سابق، ص ص٦٨-٦٩.

(٣) المنقور، أحمد، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص٧٢؛ الفاخري، محمد، (د.ت.)، مصدر سابق، ص٨٧.

(٤) ابن عيسى، إبراهيم، (١٣٨٦هـ)، مصدر سابق، ص ص٣٩-٤٠.

(٥) الفاخري، محمد، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ص٧٤، ٩٦؛ ابن عيسى، إبراهيم، (١٣٨٦هـ)، مصدر سابق، ص ص٦٥-٦٦.

مشرف،[١] وأحمد بن محمد بن خيح،[٢] ومحمد بن أحمد بن إسماعيل،[٣] وسليمان بن علي بن مشرّف[٤]، وعثمان بن قائد[٥]، وعبد الله بن محمد بن ذهلان.[٦]

وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري تواصل تطور مسيرة النشاط العلمي في المنطقة وزاد عدد العلماء، كما أن المعلومات عن الحياة العلمية أصبحت أكثر وفرة وتفصيلاً، ومن أبرز علماء هذه الفترة: محمد بن عبدالله بن إسماعيل،[٧] وعبدالوهاب بن سليمان بن مشرف،[٨] وأحمد بن

---

(١) ولد في أشيقر ودرس على علمائها ثم رحل إلى دمشق وتلقى العلم على علمائها، ويعد أحد كبار علماء نجد في عصره تولى قضاء أشيقر، وتوفي سنة ١٠١٢هـ (البسام، عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ج١، ص ص٥٣٩-٥٤١).

(٢) ولد في بلدة مقرن ونشأ بها، ويعد أحد كبار علماء زمانه، توفي في المدينة المنورة في أواخر النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري (البسام، عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ج١، ص ص٥٢٣-٥٢٤).

(٣) ولد في أشيقر وتلقى العلم على علمائها حتى أصبح من أشهر علماء عصره، تولى القضاء في بلده مدة طويلة، وله فتاوي كثيرة، توفي سنة ١٠٥٩هـ (البسام، عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ج٥، ص ص٤٨٧-٤٩٣).

(٤) ولد في أشيقر ونشأ بها وتلقى العلم على علمائها، تولى القضاء في روضة سدير، ثم في العيينة، ويعد من أبرز علماء نجد في عصره إن لم يكن أبرزهم على الإطلاق، ألف منسكاً وله فتاوى كثيرة، توفي سنة ١٠٧٩هـ، وهو جد الإمام العلامة المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (البسام، عبد الله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، جـ٢، ص ص٣٦٦ - ٣٧٢).

(٥) ولد في العيينة وبدأ تعليمه بها ثم واصل طلب العلم في دمشق ثم القاهرة، له مؤلفات كثيرة توفي بالقاهرة سنة ١٠٩٧هـ (البسام، عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ج٥، ص ص١٢٩-١٣٨).

(٦) ولد في العيينة ونشأ بها، وتلقى العلم على علمائها، ثم رحل إلى دمشق ودرس على علمائها. تولى القضاء، ودرس على يديه عدد كبير من علماء نجد، توفي سنة ١٠٩٩هـ (البسام، عبد الله (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، جـ٤، ص ص ٤١١-٤١٤.

(٧) ولد في أشيقر وتلقى تعليمه بها، ثم تولى قضائها، توفي سنة ١١٠٩هـ (البسام، عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ج٦، ص٢١٨).

(٨) ولد في العيينة ونشأ بها وهو والد الشيخ محمد بن عبدالوهاب صاحب الدعوة الإصلاحية، ويعد الشيخ عبدالوهاب بن سليمان أحد علماء نجد البارزين في عصره تولى القضاء في العيينة فترة، ثم رحل إلى حريملاء وبها توفي سنة ١١٥٣هـ (البسام، عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ج٥، ص ص٤٠-٤٣).

محمد المنقور،[١] وعبد الوهاب بن عبد الله بن مشرّف[٢]، ومحمد بن أحمد القصير.[٣]

أما عن تدرج مراحل التعليم وما يدرس في كل مرحلة، فالتعليم في تلك الفترة يمكن أن يقسم إلى مرحلتين، إحداهما: التعليم الأولي، وهذه المرحلة تعنى بتعليم الطالب قراءة القرآن وحفظ ما تيسر منه، وتعليم الضروري مما يحتاج المسلم إلى معرفته من أمور دينه، إضافة إلى مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ولا يرتبط بقاء الطالب في هذه المرحلة بمدى زمني أو سنوات محددة وإنما يعتمد الأمر على جهد الطالب وقدراته الذهنية، والتدريس يتم في المساجد أو الكتاتيب، ويقوم على جهد معلم واحد في الغالب ويعرف (بالمطوع). ونظراً لشظف العيش الذي كان سائداً في تلك الفترة فإن كثيراً ممن يدخلون هذه المرحلة يخرجون منها بعد حصولهم على قسط يسير من العلم ويتجهون لممارسة الحياة العملية إلى جانب أهلهم في الزراعة أو التجارة أو غيرها.[٤]

أما المرحلة الثانية: فهي التعليم المتقدم، وفيه يواصل عدد قليل ممن يجتازون المرحلة الأولى، وهم في الغالب من أبناء العلماء أو الأسر الغنية الذين تسمح لهم ظروفهم المعيشية بمواصلة الدراسة. وهدف التعليم في هذه المرحلة إعداد المؤهلين لتولي المناصب الدينية مثل القضاء والإفتاء والإمامة والخطابة والتدريس وكتابة الوثائق والعقود.

ويتولى التدريس في هذه المرحلة المشايخ ذوو الباع الطويل في علوم الشريعة، ويتم التدريس في المسجد غالباً أو في بيت الشيخ. أما أبرز العلوم التي تدرس فيأتي علم الفقه في مقدمتها لحاجة المجتمع

---

(١) ولد في حوطة سدير سنة ١٠٦٧هـ ونشأ بها وتلقى تعليمه الأول بها ثم رحل إلى الوشم والرياض لطلب العلم على علمائها، تولى القضاء في بلده مدة طويلة، وله مؤلفات كثيرة ومشهورة في الفقه والتاريخ (البسام، عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ص٥١٧-٥٢٢؛ الخويطر، عبدالعزيز، (١٣٩٠هـ)، مقدمة تحقيق كتاب تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور، ص١١).

(٢) ولد في العيينة، وتلقى العلم على والده وغيره من العلماء حتى أصبح من أبرز علماء نجد، تولى قضاء العيينة حتى توفي سنة ١١٢٥هـ (البسام، عبد الله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ج٥، ص ص٥٣-٥٥).

(٣) ولد في أشيقر وتلقى العلم على علمائها، وأصبح فقيهاً مشهوراً، تولى القضاء في بلده، توفي سنة ١١٣٩هـ (البسام، عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ج٥، ص٤٩٨).

(٤) الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٤٠٢-١٤٠٣هـ)، التعليم في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، **مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السنة الثانية، العدد الثاني، ص٥٠٩.

إلى من يعرفون الأحكام الشرعية للعبادات والمعاملات، ولأن إتقان هذا العلم يؤهل لتولي القضاء، وإلى جانب الفقه كانت تدرس علوم أخرى كالتفسير والحديث وعلوم اللغة العربية. (١)

ويلاحظ أن علماء المنطقة خلال تلك الفترة أظهروا حرصاً على الرحلة لطلب العلم سيراً على سنة أسلافهم من علماء المسلمين وسعياً لاكتساب مزيد من المعرفة، ويمكن أن تقسم رحلات أولئك العلماء إلى قسمين أحدهما: رحلات علمية إلى مراكز علمية داخل نجد، وكانت بلدة أشيقر في الوشم أبرز المراكز العلمية في نجد خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين تليها بلدتي العيينة ومقرن (الرياض) في العارض. (٢) وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري استمرت المراكز الثلاثة وظهرت إلى جانبها مراكز جديدة مثل الدرعية والمجمعة وحوطة سدير. (٣) وكان طلاب العلم يرحلون من بلداتهم إلى أشيقر أو غيرها من المراكز لتلقي العلم على علمائها.

أما القسم الآخر من رحلات العلماء فهو الرحلة لطلب العلم في مراكز علمية خارج المنطقة، فكثير من علماء تلك الفترة لم يكتفوا بطلب العلم على علماء المنطقة بل رحلوا إلى مراكز علمية خارجها، منها ما هو داخل الجزيرة العربية مثل مكة والمدينة والأحساء، ومنها ما هو خارج الجزيرة العربية مثل دمشق والقاهرة والبصرة، وقد حصل كثير من علماء المنطقة على إجازات علمية من كبار علماء ذلك العصر. (٤)

وكان لعلماء المنطقة إسهام في التأليف، وأول من نعرف أنه ألف منهم الشيخ أحمد بن عطوة وله أربعة مؤلفات في الفقه، ثم تتابع التأليف من قبل علماء آخرين جاؤوا بعده، وجلّ مؤلفات علماء نجد في تلك الفترة في الفقه، ومن العلوم التي حظيت باهتمامهم أيضاً وألفوا فيها التاريخ، والتوحيد، والنحو. (٥)

---

(١) المرجع السابق، ص ص٥٠٩-٥١٠.

(٢) المرجع السابق، ص٥١١؛ العيسى، مي بنت عبدالعزيز، (١٤١٧هـ)، **الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى نهاية الدولة السعودية الأولى**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ص٤١، ٥٦-٦٢.

(٣) العيسى، مي بنت عبدالعزيز، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ص ص٧٦-٧٧.

(٤) الشبل، عبدالله، (١٤٠٢هـ-١٤٠٣هـ)، مرجع سابق، ص ص٥١١-٥١٥.

(٥) المرجع السابق، ص ص٥١٦-٥٢١؛ العيسى، مي بنت عبدالعزيز، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ص ص٨٧-١٠١.

والمذهب الحنبلي هو المذهب السائد في المنطقة في تلك الفترة وإذا كنا لا نعلم على وجه التحديد متى دخل هذا المذهب إلى بلاد نجد فإن الوثائق التي كتبها علماء من أهل المنطقة قبل القرن التاسع تدل على انتشار هذا المذهب في المنطقة قبل ذلك التاريخ. كما أن الطريقة التي دخل بها هذا المذهب إلى بلاد نجد يكتنفها الغموض، ولعل بعض علماء الحنابلة الذي لم تلائمهم ظروف الحياة العامة في بعض العواصم الإسلامية الكبرى استقروا في هذه البلاد ونشروا هذا المذهب بها، أو أن بعض النجديين درس على علماء الحنابلة خارج نجد ثم عاد ونشر هذا المذهب في بلاده، ومن المعلوم أن نجداً كانت لها صلات اقتصادية ببعض المناطق التي تعد من مراكز الحنابلة مثل دمشق وبيت المقدس.

وعلى أي حال فليس غريباً أن يجد المذهب الحنبلي قبولاً لدى أهل نجد فهو أقرب مذاهب أهل السنة إلى ظاهر نصوص القرآن والسنة، وهو بهذه الصفة يمثل البساطة والوضوح، وهذه من الأمور المحببة إلى نفس الفرد النجدي والقريبة من طريقة تفكيره.(١)

ب- الحالة الأدبية:

لعل من المناسب وقد تحدثنا عن الحياة العلمية في المنطقة خلال القرون الثلاثة التي سبقت قيام الدولة السعودية الأولى أن نشير إلى حالة الأدب والشعر في نجد خلال تلك الفترة. فلقد ذهب بعض الباحثين إلى أن النجديين في تلك الفترة نظراً لغلبة الأمية عليهم وسيادة اللهجة العامية عندهم لم يكن لهم من أدب غير الأدب العامي والمتمثل في الشعر النبطي أو العامي.(٢)

والواقع أن هذا الحكم غير مقبول على إطلاقه، فمع التسليم بضعف الجانب المتعلق بالأدب الفصيح شعراً ونثراً عند أهل نجد في تلك الفترة إلا أن الجزم بعدم وجوده مطلقاً فيه قدر من التجاوز، فمن يدرس حياة علماء تلك الفترة ويتتبع نتاجهم العلمي يجد أن بعضهم كانوا على درجة من قوة الأسلوب وجزالة اللفظ فيما كتبوه، كما أن بعضهم كان يمتلك موهبة الشعر، فبعض المراسلات العلمية بين علماء تلك

---

(١) العثيمين، عبدالله، (١٣٩٨هـ)، نجد منذ القرن العاشر حتى ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (الحالة الدينية)، **مجلة الدارة**، العدد الثالث، السنة الرابعة، ص ص٣٨-٣٩.

(٢) ابن عقيل الظاهري، أبو عبدالرحمن، (د.ت.)، **تاريخ نجد في عصور العامية**، مطبعة التقدم، القاهرة، ص١٠؛ الحامد، عبدالله، (١٤٠٢هـ)، **الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين (١١٥٠-١٣٥٠هـ)**، مطابع الإشعاع، الرياض، ص٨١.

الفترة تتضمن عبارات قوية ومعان جيدة وسجعاً غير متكلف، ولهذا يمكن أن توصف بأنها نصوص نثرية فيها صبغة أدبية ظاهرة.(١)

أما الشعر الفصيح فما وصلنا منه قليل وهو من شعر العلماء الذين عاشوا في تلك الفترة، ومعظمه يدخل في إطار النظم العلمي الذي يلجأ إليه العلماء لتيسير المسائل والقواعد العلمية وتسهيل حفظها على طلبة العلم، إلا أن بعض أولئك العلماء لهم قصائد في النصح والإرشاد ونقد بعض الظاهرات السيئة في المجتمع،(٢) وهذه القصائد لا تخلو من أبيات فيها قوة وجزالة وحلاوة ترقى إلى مستوى الشعر الذي يقوله الشعراء المتمكنون. ثم إنه لا يستبعد أيضاً أن يكون هناك نتاج شعري فصيح غير هذا ظهر في تلك الفترة لكنه لم يصلنا لعدم تدوينه والعناية بنقله.(٣)

أما الشعر العامي فقد برز فيه عدد كبير من أهل المنطقة بعضهم يعد من فحول شعراء هذا الميدان ورواده، ومنهم: راشد الخلاوي، ورميزان التميمي، وجبرين بن سيار، وحميدان الشويعر وغيرهم.(٤) وشعر هؤلاء فضلاً عن قيمته الأدبية الكبيرة في ميدانه، فهو أيضاً يعد مصدراً مهماً لتاريخ تلك الفترة أفاد ولا زال يفيد في إيضاح جوانب مهمة من تاريخ المنطقة السياسي والحضاري في ظل ندرة المصادر والمعلومات عن تاريخها.

---

(١) العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٢٢٣-٢٢٥.

(٢) مثل الشيخ عبدالله إبراهيم بن سيف، والشيخ عبدالله بن أحمد بن مشرَّف.

(٣) العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٢٢٩.

(٤) كتبت دراسات مستقلة عن كل من راشد الخلاوي، ورميزان التميمي وحميدان الشويعر تضمنت معلومات عن حياة كل منهم وشعره، ومن هذه الدراسات؛ ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، **راشد الخلاوي،** مطابع الفرزدق، الرياض؛ العريفي، أحمد بن فهد، (١٤١٤هـ)، **رميزان بن غشّام التميمي حياته وشعره،** مطابع مرامر، الرياض؛ الفوزان، عبدالله بن ناصر، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، **صحافة نجد المثيرة في القرن الثاني عشر،** رئيس التحرير حميدان الشويعر، مؤسسة الجريسي للنشر، الرياض؛ الحمدان، محمد بن عبدالله، (١٤٠٩هـ)، **ديوان حميدان الشويعر،** دار قيس للنشر، الرياض .أما جبر بن سيار فهو أحد أشهر شعراء الشعر الشعبي في نجد في القرن الحادي عشر الهجري تولى إمارة بلدة القصب، وتوفي سنة ١١٢٠هـ وقيل سنة ١٠٨٥هـ .(البسام، عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ج٤، ص ص١٣٨-١٣٩؛ العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص١٠٢-١٠٣).

ج - الحالة الدينية:

كانت الأوضاع الدينية في بلاد نجد في الفترة السابقة لقيام الدولة السعودية الأولى قد غشيها ما غشيها من بُعد وانحراف عن المنهج الإسلامي القويم في بعض الأمور شأنها في ذلك شأن كثير من بلاد العالم الإسلامي آنذاك. فقد انتشرت بعض البدع والخرافات والمعتقدات الباطلة بين فئات من سكانها، كما أن فئات أخرى تهاونت في أداء بعض الواجبات الشرعية.[١]

والمصادر المتوافرة عن تاريخ المنطقة ليست متفقة تماماً في تصويرها للحالة الدينية في تلك الفترة، فمع اتفاق الجميع على وجود انحراف وخلل إلا أن مقدار هذا الانحراف واتساع نطاقه موضع اختلاف بين تلك المصادر، فبعض المصادر التي دوّنها مؤرخون متحمسون لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب تعطي صورة قاتمة إلى حد كبير عن الحالة الدينية في المنطقة قبل الدعوة الإصلاحية، وبعضها يصدر حكماً عاماً بأن أهل المنطقة بكل فئاتهم أهملوا العمل بالشريعة وفشت فيهم ممارسة الأعمال الشركية.[٢] ويبدو أن حماسة هؤلاء المؤرخين للدعوة الإصلاحية هي التي دفعتهم لإصدار هذا الحكم العام وغرضهم بيان فضل هذه الدعوة المباركة وأثرها في إصلاح أوضاع المجتمع النجدي.[٣]

ولا شك أن المهمة التي اضطلع بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود كانت بعد توفيق الله هي المنقذ لهذا المجتمع مما كان يعانيه في أحواله العامة من سوء على رأسها الحالة الدينية، إلا أن الإشارة إلى وجود التزام بأحكام الإسلام عند بعض أهل المنطقة قبل الدعوة ووجود عدد من العلماء فيها لا يقلل بحال من شأن هذه الدعوة وأثرها، بل هو يبين -من ناحية- الأرضية التي اعتمدت عليها هذه الدعوة في أول ظهورها، كما أنه يبين -من ناحية أخرى- الدور الرائد والمميز الذي قام به الإمامان الجليلان محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود مع وجود علماء وأمراء غيرهما في المنطقة لم يستطيعوا القيام بهذه المهمة.

وعلى أي حال فإن من يتتبع صورة الوضع الديني في المنطقة من خلال إنعام النظر في كافة المصادر

(١) العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص١٨.

(٢) ابن غنام، حسين، (١٣٦٨هـ)، مصدر سابق ص ص٧-٨؛ ابن بشر، عثمان، (١٤٠٣هـ)، ج١، مصدر سابق، ص٢٠.

(٣) العثيمين، عبدالله، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص٤١.

المتاحة يخرج بأن ذلك الحكم الذي ورد في بعض المصادر ونقلته عنها بعض المراجع فيه قدر من المبالغة من حيث التعميم، فمع أن بعض الانحرافات العقدية والممارسات الشركية الخطيرة كانت أمراً واقعاً وموجوداً بالفعل، ومن أمثلته تعظيم بعض القبور مثل قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه، وتقديس بعض الأشجار والجمادات والأموات والاعتقاد بأنها تجلب نفعاً أو ترفع شراً، إلا أن الملاحظ أن هذه الظاهرات الشركية لم تكن منتشرة في كل المناطق ولم يكن يقع فيها كل السكان، بل هي محصورة في مواقع محدودة وبين فئات قليلة من الجهال.(١)

إن تدقيق النظر في مصادر تاريخ تلك الفترة يظهر أن غالبية سكان المنطقة من الحاضرة كانوا متمسكين بالإسلام يؤدون أركانه وواجباته ويلتزمون بتشريعاته، وقد ظهر بينهم علماء أجلاء تولوا القضاء وكتبوا مؤلفات فقهية وأصدروا فتاوى شرعية تدل على حرص غالبية أفراد مجتمعهم على الالتزام بأحكام الشريعة. يضاف إلى ذلك أن الأشعار التي قيلت في تلك الفترة لا تحوي ما ينبئ عن انحراف في العقيدة أو مخالفة لأحكام الإسلام العامة، بل تظهر فيها روح التمسك بالإسلام والالتزام بمبادئه، وهذا يدل على أن قائليها عاشوا في مجتمع ملتزم بالإسلام في أغلب تصرفاته.(٢)

هذا بالنسبة للحاضرة أما سكان البادية فنظراً لانعزالهم وغلبة الجهل عليهم وعدم لعلها توفر علماء بينهم في تلك الفترة فإن نسبة منهم كانوا يخلون بأركان الإسلام وواجباته فمنهم من كان يتهاون في أداء الصلاة والصيام ومنهم من لا يدفع الزكاة، وكان بينهم من ينكر البعث أيضاً.(٣)

وخلاصة القول: إن الأوضاع الدينية في المنطقة كانت سيئة في مجملها شأنها شأن الأوضاع الأخرى، لكنها لم تكن بذلك القدر من السوء الذي بالغ البعض في تصويره حين وصفوا أهل المنطقة عامة بأنهم خلعوا ربقة الإسلام والدين، وأن الشرك قد فشا بينهم واندرس أثر الإسلام في بلادهم.(٤)

---

(١) المرجع السابق، ص٤١.

(٢) العثيمين، عبدالله، (١٤١٤هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٥٦؛ العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٩١-٩٦.

(٣) العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٣هـ)، مرجع سابق، ص١٩٩؛ العثيمين، عبدالله، (١٤١٤هـ)، مرجع سابق، ص٥٥.

(٤) العثيمين، عبدالله، (١٤١٤هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٥٦؛ العريني، عبدالرحمن، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٨٧.

ولقد كانت هذه البلاد بحاجة إلى دعوة إصلاحية وسلطة سياسية تعالج ما وقع من انحراف في أوضاعها الدينية واضطراب في أوضاعها السياسية وتردٍ في أوضاعها الأمنية، وتنظم أمور حياة أهلها وعلاقاتهم وفق ما قررته قواعد الشريعة في أصول الدين وفروعه، وقد هيأ الله لها رجلين صالحين تعاهدا على القيام بهذه المهمة وتحملا في سبيلها المشاق هما الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد ابن سعود فكان من شأنهما ما سوف يتم إيضاحه في الفصل التالي بإذن الله.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

ابن بسام، عبدالله بن محمد، (ت ١٣٤٦هـ، مخطوط)، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، (نسخة بخط نور الدين شريبة).

ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ت ١٢٩٠هـ، ط١٩٨٣م)، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم، (٧٧٩هـ، ط د.ت)، **رحلة ابن بطوطة**، دار صادر، بيروت.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (ت١٣٤٣هـ، ط١٩٦٦م)، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

ابن غنام، حسين، (ت ١٢٢٥هـ، ط ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)، **روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**، ج٢، المكتبة الأهلية، الرياض.

ابن لعبون، حمد بن محمد، (ت بعد ١٢٥٥هـ، ط ١٤٠٨م)، **تاريخ حمد بن محمد بن لعبون**، مكتبة المعارف، الطائف.

ابن لعبون، حمد بن محمد، (ت بعد ١٢٥٥هـ، مخطوط)، **تاريخ ابن لعبون**، (نسخة مصورة لدى الباحث).

الجريسي، راشد بن علي، (١٤٠١هـ)، **مثير الوجد في أنساب ملوك نجد**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

دحلان، أحمد بن زيني، (١٣٠٥هـ)، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، المطبعة الخيرية، القاهرة.

الذكير، مقبل بن عبدالعزيز، (مخطوط)، مؤلف مخطوط في تاريخ نجد لم يضع المؤلف له اسماً، كلية الآداب، جامعة بغداد، رقم ٥٧١.

السخاوي، محمد بن عبدالرحمن، (ت ٩٠٢هـ: ط د.ت.)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج١، دار مكتبة الحياة، بيروت.

السمهودي، علي بن أحمد، (ت ٩١١هـ، ط ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، ج٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

العصامي، عبدالملك بن حسين، (ت ١١١١هـ، ط ١٣٨٠هـ)، **سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي**، ج٤، المكتبة السلفية، القاهرة.

العوسجي، محمد بن ربيعة، (ت ١١٥٨هـ/ ١٧٤٤م، ط ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، **تاريخ ابن ربيعة**، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل، النادي الأدبي بالرياض، الرياض.

الفاخري، محمد بن عمر، (ت١٢٧٧هـ، ط د.ت)، **الأخبار النجدية**، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، الرياض.

القلقشندي، أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ، ط د. ت.)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، المؤسسة العامة للترجمة والتأليف والنشر، القاهرة.

القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١، ط ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

مؤلف مجهول، (د.ت.)، **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب**، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

المنقور، أحمد بن محمد، (ت ١١٢٥هـ/ ١٧١٦م، ط ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور**، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، الرياض.

المنقور، أحمد بن محمد، (ت ١١٢٥هـ، ط ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، **الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**، ج٢، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض.

ثانياً : المراجع:

ابن بسام، عبدالله بن عبدالرحمن، (١٤١٩هـ)، **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض.

ابن بليهد، محمد بن عبدالله، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار**.

ابن جنيدل، سعد بن عبدالله، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، **عالية نجد**، ج٢، دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض.

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، **معجم اليمامة**، مطابع الفرزدق، الرياض.

ابن خميس، عبدالله، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، **الدرعية**، مطابع الفرزدق، الرياض.

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، **تاريخ اليمامة**، مطابع الفرزدق، الرياض.

ابن عقيل الظاهري، أبو عبدالرحمن، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، **أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

ابن عقيل الظاهري، أبو عبد الرحمن (د. ت) **تاريخ نجد في عصور العامية**، مطبعة التقدم، القاهرة.

ابن معمر، عبدالمحسن بن محمد، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، **إمارة العيينة وتاريخ آل معمر**، دار الأمين للنشر، القاهرة.

البسام، أحمد بن عبد العزيز (١٤١٢هـ)، **الحياة العلمية في نجد في القرنين الحادي عشر والثاني عشر وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والحضارة، الرياض.

الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الجاسر، حمد، (أ١٤٠١هـ)، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض.

الجاسر، حمد، (ب١٤٠١هـ)، **معجم قبائل المملكة العربية السعودية**، ج٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الجذالين، عبدالله بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، **تاريخ الأفلاج وحضارتها**، مطبعة السفير، الرياض.

الحاتم، عبدالله بن خالد، (١٩٨١م)، **خيار ما يلتقط من شعر النبط**، ج١، ذات السلاسل، الكويت.

الحامد، عبد الله (١٤٠٢هـ) **الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين (١١٥٠-١٣٥٠هـ)**، مطابع الإشعاع، الرياض.

الحربي، فائز البدراني، (١٤١٥هـ)، **من أخبار القبائل في نجد خلال الفترة من ٨٥٠-١٢٠٠هـ/ ١٤٤٥-١٧٨٥م**، ج١، دار البدراني للنشر والتوزيع، الرياض.

الحميدان، عبداللطيف بن ناصر، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، **إمارة آل شبيب في شرق جزيرة العرب**، (د. ن.).

الحميضي، ناصر بن عبدالله، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، **مدينة القصب أرض الملح**، مكتبة الرشد، الرياض.

خزعل، حسين خلف، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، **تاريخ الجزيرة العربية في عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، دار مكتبة الهلال، بيروت.

الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، **مقدمة تاريخ أحمد بن محمد المنقور**، الرياض.

الرويشد، عبد الرحمن بن سليمان، (١٤١٩هـ)، الجذور التاريخية للبيت السعودي قبل حركة التجديد والدولة، **نشرة المئوية**، العدد الرابع، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض. ص١٤.

الزركلي، خير الدين، (١٩٨٠م)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت.

الزركلي، خير الدين، (١٩٩٢م)، **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، دار العلم للملايين، بيروت.

السباعي، أحمد، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، **تاريخ مكة**، نادي مكة الثقافي، مكة.

السليمان، خالد بن أحمد، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، **معجم مدينة الرياض**، الجمعية السعودية للثقافة والفنون، الرياض.

السويداء، عبدالرحمن بن زيد، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**، دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض

الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، **مقدمة تحقيق كتاب تاريخ ابن ربيعة**، النادي الأدبي، الرياض.

الشبل، عبدالله بن يوسف، (د.ت.)، **تاريخ نجد والدولة السعودية**، ج١، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

الشبل، عبدالله بن يوسف، (د.ت.)، **مقدمة تحقيق كتاب الأخبار النجدية** لمحمد بن عمر الفاخري، إدارة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

الشويعر، محمد (١٤١٢هـ)، **نجد قبل ٢٥٠ عاماً**، مكتبة النخيل، الرياض.

العبيد، عبدالرحمن بن عبدالكريم، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، **الموسوعة الجغرافية لشرقي المملكة العربية السعودية**، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام.

العثيمين، عبدالله بن صالح، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ج١، الرياض.

العجلاني، منير، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، **تاريخ البلاد السعودية**، الجزء الأول، الدولة السعودية الأولى، القسم الأول.

العريني، عبدالرحمن بن علي، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، **الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وأثر الدعوة السلفية فيها منذ القرن العاشر حتى سقوط الدرعية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والحضارة، الرياض.

العريني، عبد الرحمن بن علي (١٤٠٩هـ) **الحياة الاجتماعية عند حضر نجد منذ القرن العاشر إلى قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والحضارة، الرياض.

العيسى، محمد الفهد، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، **الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى**، مكتبة العبيكان، الرياض.

العيسى، منى بنت عبد العزيز (١٤١٧هـ)، **الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى نهاية الدولة السعودية الأولى**، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

فلبي، عبدالله، (د. ت.)، **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، ترجمة عمر الديراوي، المكتبة الأهلية، بيروت.

المكي، عبدالفتاح بن حسين، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، **تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام**، مكتبة المعارف، الطائف.

الوهبي، عبدالكريم بن عبدالله، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، **بنو خالد وعلاقاتهم بنجد**، دار ثقيف للنشر والتوزيع.

ثالثاً: البحوث والمقالات:

أبا حسين، علي، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، الجبور عرب البحرين أو عربان الشرق، **مجلة الوثيقة**، مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين، العدد الثالث، السنة الثانية.

الجاسر، حمد، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، الرياض متى عرفت المدينة بهذا الاسم، **مجلة العرب**، ج١، المجلد الرابع عشر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الحميدان، عبداللطيف بن ناصر، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، **مجلة الوثيقة**، العدد الثالث، السنة الثانية، مركز الوثائق التاريخية، البحرين.

الحميدان، عبداللطيف بن ناصر، (١٩٨٠م)، التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية، **مجلة كلية الآداب**، جامعة البصرة، العدد ١٦، السنة الرابعة عشرة.

الرويشد، عبد الرحمن بن سليمان (١٤١٩هـ)، الجذور التاريخية للبيت السعودي قبل حركة التجديد والدولة، **نشرة المئوية**، العدد الرابع، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض.

الشبل، عبد الله بن يوسف (١٤٠٢-١٤٠٣هـ)، التعليم في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، **مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السنة الثانية، العدد الثاني.

العثيمين، عبدالله بن صالح، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨)، نجد منذ القرن العاشر حتى ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب، **مجلة الدارة**، العدد الأول، السنة الرابعة، الرياض.

العثيمين، عبدالله بن صالح، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، **الشعر النبطي مصدراً لتاريخ نجد**، أبحاث ندوة دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول: مصادر تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض (الملك سعود).

المبارك، عبد العزيز (١٣٨٧هـ)، وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية، **مجلة العرب**، جـ١، السنة الثانية، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، (١٤١٧هـ)، الرياض مدينة ذات جذور راسخة في قلب التاريخ، نشرة **تطوير**، العدد ١٩، الرياض.

الفصل الثاني

تاريخ منطقة الرياض
خلال عهد الدولة السعودية الأولى

إعداد
الدكتـور
محمد بن سليمان الخضيري
قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المبحث الأول

منطقة الرياض منطلق الدعوة وتكوين الدولة

منطقة الرياض[١] بحدودها الإدارية الحديثة هي قلب شبه الجزيرة العربية، كما أنها تشكل جزءاً كبيراً من منطقة نجد الجغرافية. وهي تضم بلاد العارض والخرج والوشم وسدير والزلفي والحوطة والحريق والمحمل ووادي الدواسر. وكما اتضحت أهمية منطقة الرياض "اليمامة" خلال العصر القديم والإسلامي، في الفصول السابقة، ظلت أهميتها السياسية والاجتماعية قائمة خلال العصر الحديث، بل إن هذه الأهمية أضيف إليها بُعد جديد وهو الأهمية الدينية عندما قامت على أرضها، وتحديداً في منطقة العارض، الدعوة الإصلاحية السلفية التي حمل لواءها الشيخ محمد بن عبدالوهاب - يرحمه الله - منطلقة من بلدة العيينة، ثم آزره في نشرها الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية حيث قامت - بناء على ذلك - الدولة السعودية الأولى، وهي أول دولة وحّدت أغلب مناطق شبه الجزيرة العربية على منهج إسلامي سياسي واضح.

لقد أدت الدرعية دوراً كبيراً ومهماً في انتشار الدعوة السلفية الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، كما كانت القاعدة الأولى للدولة السعودية. وبذلك تعتبر المكان الذي غير مجرى التاريخ في الجزيرة العربية دينياً وسياسياً، وما ترتب عليهما من تغيرات في المجتمع، كانت أبرز سماته تماسكه وتضامنه وانصهاره في بوتقة واحدة.

آل سعود والدرعية:

لقد ورد في الفصل السابق تفصيل عن قيام إمارة الدرعية، وأمراء آل سعود الذين توالوا على

---

(١) رغم أن اسم منطقة الرياض، الذي يشمل المناطق والبلدان التي تتبع إمارة منطقة الرياض حالياً، لم يكن معروفاً في عهد الدولة السعودية الأولى، وإنما كان يشمل عدة أقاليم وبلدان منها العارض والخرج والوشم وسدير والزلفي والمحمل ووادي الدواسر وغيرها، إلا أننا سنورد لفظ "منطقة الرياض" حيثما وردت في هذا البحث للحديث عن تلك المناطق تمشياً مع هدف هذا الكتاب.

حكمها(١)، ويكفي هنا أن نشير إلى أن عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م قد شهد تولي محمد بن سعود حكم الدرعية الذي ازدهرت هذه المدينة في عهده وتعاظمت مكانتها، وخاصة عندما أصبحت بعد ذلك قاعدة انطلاق للدعوة الإصلاحية السلفية وعاصمة الدولة السعودية الأولى التي استطاعت لأول مرة بعد العصور الزاهرة للأمة الإسلامية، توحيد معظم شبه الجزيرة العربية في دولة واحدة قوية مرهوبة الجانب. ومن أهم الأحياء في الدرعية حي الطريف وهو مقر الحكم، وفيه أقيمت قصور أسرة آل سعود. ومن الشواهد الحية على آثار الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى بعض أطلال قصور حكام آل سعود، ومن أشهرها وأهمها قصر سلوى؛ وهو مقر الحكم لأئمة الدولة السعودية الأولى، وقد أسسه الإمام محمد بن سعود بجانب الجامع، ثم توالى بناء القصور والوحدات السكنية.

استمر عهد الإمام محمد بن سعود أربعين عاماً (١١٣٩-١١٧٩هـ/ ١٧٢٦-١٧٦٥م) حكم في نصفها الأول أميراً وفي نصفها الآخر إماماً للدولة السعودية الأولى. وكان عهده بداية التحول في شبه الجزيرة العربية من حياة البداوة والتنقل والفوضى إلى حياة الاستقرار والأخذ بأسباب التمدن والحضارة

---

(١) انظر التفصيل عن قيام إمارة الدرعية في الفصل الأول من هذا الجزء. وكذلك المصادر والمراجع التالية:

ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق وتعليق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ج٢، ص ص١٣-١٦؛ الجاسر، حمد، (١٤٠١هـ)، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، القسم الثاني، منشورات دار اليمامة، الرياض، ص ص٨٦٠-٨٦٨؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ج١، مطابع الشريف، ص٧٩؛ حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، **قلب جزيرة العرب**، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ص١٧٤؛ العجلاني، منير، (د.ت.)، **تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد محمد بن سعود**، ص٧٧. وانظر تحليلاً جيداً لنسب آل سعود في: الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د.ت.)، **قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي، وروعة الحاضر**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، ص ص ١٦٣-١٦٦؛ العيسى، محمد الفهد، (شوال ١٣٨٦هـ)، مدينة الدرعية القاعدة الأولى للدولة السعودية، **مجلة العرب**، الجزء الرابع، السنة الأولى، ص ص٣٢٤-٣٣٠؛ الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، **الأخبار النجدية**، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض؛ الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (ت٣٣٤هـ، ط ١٣٩٤هـ)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد ابن علي الأكوع، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص٢٨٤؛ ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د.ت.)، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر**، وزارة المعارف، الرياض، ص١٩٠.

المادية الحديثة مع الحفاظ على دين الإسلام وتطبيق أحكامه.[١] وبعد وفاته - يرحمه الله - في شهر ربيع الأول عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م، تولى الحكم بعده ابنه عبدالعزيز بن محمد بن سعود. يقول ابن غنام في سياق حديثه عن وفاة الإمام محمد بن سعود: "وفيها بايع عبد العزيز أهل الإسلام وأعطوه على الإمامة عقد الأحكام، وأقبل على المبايعة والمعاهدة والمتابعة جميع الخاص والعام من سائر الأنام، وقدم لذلك المسلمون من البلدان القاصي منهم والدان، وتتابع على ذلك الحضر والبدوان".[٢] ويفهم من رواية ابن بشر أن الإمام محمد بن سعود كان قد عين ابنه عبدالعزيز بولاية العهد قبل وفاته. يقول في ذلك، عند الحديث عن وفاة الإمام محمد بن سعود "وكان ولي العهد بعده ابنه عبدالعزيز"[٣] وعلى كل فإن أمر تولية عبدالعزيز الإمامة بعد والده يعتبر أمراً متعارفاً عليه باعتباره أكبر أبنائه وساعده الأيمن من جهة، ولأنه تولى قيادة جيوش الدولة في عهد والده من جهة أخرى. وقد أكسبته هذه التجارب خبرة ودراية بشؤون الحكم فكان من الطبيعي أن يلي الحكم بعد أبيه. ومن أهم سلطات وواجبات ولي العهد أنه ينوب عن الإمام في تحمل مسؤوليات الدولة في حالات غياب الإمام في حملات حربية، أو في حالة مرضه، وكثيراً ما كان ولي العهد يتولى مهمات عسكرية أو إدارية في عهد أبيه من أجل تدريبه وإعداده لتولي الحكم مستقبلاً.[٤] وقد تمت البيعة بالإمامة للإمام عبدالعزيز في عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م، وفي ذلك يقول ابن بشر "فكان إماماً للمسلمين وحامي ثغور الموحدين، فبايعه الخاص والعام وتتابع على البيعة الحضر والبدو والشيخ رحمه الله هو رأس تلك البيعة، ففتح الله الفتوح على يديه وملأ العدا هيبة، وسارت بفتوحه الركبان في الأمصار وملأت هيبته قلوب ملوك الأقطار".[٥]

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج١، دار العلم للملايين، بيروت، ص١٠٩.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، **تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، المدني، القاهرة، ج ٢، ص ٧٤.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٩٩.

(٤) للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر: الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص١١٣؛ العجلاني، منير، (د.ت.)، **تاريخ البلاد العربية السعودية**، عهد عبدالعزيز، ص ص٣٣-٣٦؛ الموسوعة العربية العالمية، (١٤١٦هـ)، **الدولة السعودية الأولى**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ج ١٠، الرياض، ص٤٦٥.

(٥) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٩٩-١٠٠.

سهلة ومتعارف عليها. والواقع يدل على هذا التلاحم؛ لأن إجماع عامة الناس، وخاصة العلماء وأهل الحل والعقد على تولية الإمام عبد الله جاء بناءً على كفاءته، واحتراماً لرأي أبيه.[(١)]

وعلى الرغم من قصر المدة التي حكم فيها الإمام عبدالله بن سعود وانشغاله بالحروب التي خاضتها الدولة ضد حملات والي مصر، كما سنوضحه لاحقاً، إلا أنه استطاع أن يقوم بأعباء الحكم خير قيام، وكان صاحب سيرة حسنة مقيماً للشرائع، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. وكان يبذل العطايا ويحترم العلماء، وقد شاءت إرادة الله أن يواجه المصاعب الشديدة دفاعاً عن الدعوة الإصلاحية، وعن استقلال بلاده، فكان مجاهداً صابراً، وشجاعاً مقداماً حتى أن ابن بشر ذكر أنه يفوق أباه في هذا الجانب. وكان يشبه أباه في سيرته في مغازيه، وفي مقر إقامته في الدرعية، وفي مجالس العلم، وفي قضاء حاجات الناس.[(٢)]

وإذا كان عهد الإمام محمد بن سعود شهد ولادة الدولة السعودية وبنائها فإن عهد الإمام عبدالله بن سعود شهد تكالب الأعداء عليها، وخاصة والي مصر محمد علي باشا الذي نفّذ طلب الدولة العثمانية بالقضاء على الدولة السعودية مستغلاً ذلك لبناء قوته الذاتية التي هددت سيادة الدولة العثمانية نفسها. وقد أدت هذه السياسة العدائية بالإضافة إلى الظروف الداخلية التي شهدتها البلاد إلى سقوط الدولة السعودية الأولى عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م، بعد أربع سنوات ونصف من تولي الإمام عبدالله بن سعود الحكم كما سيتضح في آخر هذا البحث. وكما هو معروف فإن سقوط الدولة السعودية كان مؤقتاً حيث إنه لم يمض على سقوطها سنتان حتى عادت إلى الظهور من جديد باسم الدولة السعودية الثانية.

---

(١) أشارت بعض المراجع إلى حدوث معارضة لحكم عبدالله بن سعود، لكن المصادر النجدية لم تذكر حصول مثل هذه المعارضة مما ينفي حقيقتها، التي أشار إليها كل من: عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، **الدولة السعودية الأولى**، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ص٣٢٦؛ عسة، أحمد، (١٣٩١هـ)، **معجزة فوق الرمال**، المطابع الأهلية اللبنانية، ص١٦. وسماها العجلاني، منير، (د.ت.)، **تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد عبدالله ابن سعود**، ص ٢٢ منافسات. انظر كذلك:

Lorimer, J.G, (1986), op. cit. p. 1080

لوريمر النسخة المعربة، ص١٦١١.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٢٢.

منطقة الرياض تحتضن الدعوة الإصلاحية:

ومن خلال العرض السابق ومن خلال الأحداث المهمة التي شهدتها منطقة الرياض قُبيل وخلال عهد الدولة السعودية الأولى فإن من المسلّم به أن هناك تكاملاً وتعاوناً بين هذه الدولة وبين الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وإذا كان المجال لا يتسع لبسط الحديث عن نشأة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والظروف التي أحاطت بقيام الدعوة، فإن هذا التكامل بين الدعوة والدولة لا يكتمل ولا تتضح أهميته إلا بالحديث، ولو بشكل موجز، عن الملامح العامة لقيام الدعوة السلفية الإصلاحية، خاصة وأن بداياتها الأولى انطلقت من بلدان العارض، قلب منطقة الرياض، لتقوم بتصحيح المفاهيم العقدية والسلوكية والاجتماعية والسياسية في شبه الجزيرة العربية، وهو ما قامت به في وقت وجيز في عمر الدعوات.(١)

ومن الجهود البارزة لهذه الدعوة محاولة العودة بالمجتمع إلى منابعه الإسلامية الأولى وإلى صفاء تطبيقاته كما كان في العصر الزاهر للأمة الإسلامية الذي بناه سيد الخلق وقدوة الأولين والآخرين نبينا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، وما سار عليه سلف هذه الأمة من الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان من خلفاء وزعماء الأمة الإسلامية، وسيستمر ذلك بإذن الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا كانت الدعوات السياسية أو الاجتماعية تحتاج إلى بيئة ومجتمع غني بالموارد الاقتصادية لكي تضمن لنفسها النجاح، فإن الدعوات الدينية تهتم أولاً بحاجة المجتمع إلى إصلاح ديني قبل النظر إلى الاعتبارات الاقتصادية أو الاجتماعية أو غيرها. لقد تمثلت هذه النظرية أولاً في الدعوة الإسلامية

---

(١) هناك العديد من الكتب التي تحدثت عن حالة بلاد نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وما قام به الشيخ من تصحيح للعقيدة ومؤازرة الدولة السعودية لهذه الدعوة. انظر: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق؛ ابن بشر، عثمان، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق. وبعضها كتب خاصة بالشيخ ودعوته مثل: العثيمين، عبدالله الصالح، (د.ت.)، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره**، دار العلوم، الرياض ص ص ٩-٢٣؛ الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، **الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب حياته ودعوته**، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٥-١٤؛ سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، **سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٣-١٥؛ أمين، أحمد، (١٩٧١م)، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ص ١٩-٢٠.

الأولى التي قام بها الرسول ﷺ في مكة المكرمة، وهي واد غير ذي زرع، فلم يحل ذلك دون نجاحه في إقامة دولة إسلامية مهيبة الجانب لأن الله سبحانه وتعالى أراد لهذه الأرض أن تكون قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم، فأغناها الله ببركة هذا الدين وهذا النبي الأمين، وأصبحت كما كانت في عهد نبينا إبراهيم عليه السلام يأتيها رزقها رغداً من كل مكان. يقول الحق تبارك وتعالى عن إبراهيم ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾[١] وإذا كانت الأمور تقاس ببعضها تشبيهاً أو تأكيداً فإن منطقة الرياض شهدت مولد الدعوة الإصلاحية السلفية مع فقرها الاقتصادي وتفككها الاجتماعي وتناحرها السياسي.

تنسب الدعوة الإصلاحية السلفية في شبه الجزيرة العربية إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي ولد في بلدة العيينة في منطقة الرياض عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، وهو ينتمي إلى أسرة آل مشرف، وهي فرع من آل وهبه أحد بطون قبيلة تميم المشهورة.[٢] لقد ظهر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في عصر ابتعد فيه الناس عن الدين الإسلامي الحنيف وخالط عقيدتهم شوائب من الشرك والبدع والخرافات حتى أضحى المجتمع في شبه الجزيرة العربية، ومنها بلاد نجد، بعيداً عن سمات المجتمع الإسلامي عدا بعض البيوت والعائلات التي تنبهت للخطر وحاولت الاحتفاظ بنقائها الديني قدر المستطاع. وفي ظل هذا المجتمع وفي أحضان هذه البيئة نشأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب.[٣]

تعتبر قبيلة بني تميم، التي ينتسب إليها الشيخ، من أشهر القبائل في شبه الجزيرة العربية التي كان لها

---

(١) سورة إبراهيم، آية ٣٧.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٢٥؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٨٠. أما نسبه فهو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد ابن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب. وقد ذكر محقق كتاب ابن بشر، نقلاً عن وثائق علماء الوهبة وثبوتهم، سلسلة نسب الشيخ إلى أن أوصلهم إلى معد بن عدنان. وهناك مزيد من التفصيلات عن نسب الشيخ في: العثيمين، عبدالله الصالح، (د.ت.)، مرجع سابق، ص٢٥.

(٣) للاطلاع على حالة المجتمع الإسلامي عموماً، وبلاد نجد خصوصاً، خلال القرن الثاني عشر الهجري، راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٥-١٤؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٤؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص٩-٢٣؛ الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٥-١٤.

نفوذ سياسي كبير، وهي من القبائل التي حافظت على دينها وتقاليدها، وفي الوقت نفسه حافظت على موطنها الأصلي في إقليم نجد، واستقرت وتوطنت وتركت حياة الرعي والترحال. وقد ساعدها على الاستقرار اشتغالها بأوجه النشاط المستقر مثل الزراعة والتجارة.[١] ومن جهة أخرى برز من قبيلة تميم عدد من العلماء في مختلف فروع الشريعة، حيث يلاحظ أن أكثر من نصف العلماء النجديين في فترة ظهور الشيخ مجمد بن عبدالوهاب ينتمون إلى آل وهبه من تميم، وأن ما يقرب من نصف هؤلاء ينتمون إلى فرع آل مشرف، وهو فرع أسرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهذا يدل على أن أسلاف الشيخ من آل وهبه، وخاصة آل مشرف قد تبوءوا مركز الصدارة العلمية في منطقة نجد.[٢]

كانت عائلة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من تلك البيوت المحافظة على دينها فنشأ نشأة علمية دينية حيث كان والده من العلماء البارزين، تولى القضاء في العيينة وحريملاء، وكان جده الشيخ سليمان بن علي عالماً جليلاً ومرجعاً في الفقه. وكان أشهر علماء القرن الحادي عشر، انتهت إليه الفتوى في نجد، وكان قبل ذلك قاضياً في روضة سدير قبل أن ينتقل إلى العيينة قاضياً هناك. وكان عمه الشيخ إبراهيم ابن سليمان عالماً في الفقه.[٣]

أما الشيخ نفسه فكان منذ صغره شغوفاً بالعلم وكانت لديه مؤهلات النجابة والذكاء حيث كان حاد الفهم، وقاد الذهن، سريع الحفظ، فصيحاً فطناً. حفظ القرآن الكريم ولمّا يبلغ العاشرة من عمره، ولم يكن يمارس ما كان يمارسه الأطفال من أترابه من اللهو واللعب بل استغل وقته أحسن استغلال بالتزود من العلوم النافعة ومجالسة العلماء والأخيار من الناس. ثم بدأ بدراسة العلوم الإسلامية وخاصة الفقه الحنبلي على يد والده.[٤] وخلال نشأته الأولى كان يلاحظ ما كان عليه المجتمع في بلاده من بعد عن

---

(١) أبو العلا، محمود طه، (١٩٧٢م)، **جغرافية شبه جزيرة العرب**، ج٢، جغرافية المملكة العربية السعودية، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ص ص١٧٢-١٧٣.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٥٠؛ سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص١٧.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٢٥-٢٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٨١؛ الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص ص١٦-١٧؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٦٠؛ سعيد أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص١٨.

(٤) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٢٥-٢٦؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص٢٦-٢٧؛ سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص١٩.

الدين وانحراف عن المنهج الإسلامي القويم. وكان يتألم لما وصل إليه الناس في المجتمع من تعطيل للفكر السليم وتشبث بقشور العادات والتقاليد التي نأت عن أحكام الإسلام وأوامره ونواهيه مع مرو الزمن.

ومنذ ذلك الوقت المبكر من حياته عزم الشيخ محمد بن عبدالوهاب على القيام بما يعتقد أنه واجب عليه تجاه مجتمعه وبني جلدته، نهض نهضة أولي العزم من الرجال المخلصين وبدأ يتسلح بسلاح العلم والمعرفة، فكان بالإضافة إلى دراسة واقع مجتمعه والعوامل المؤثرة فيه، يطلب العلم في بلدته العيينة على يد والده وجده وعمه، حيث درس كتب الفقه الحنبلي وكتب التفسير والحديث والأصول، كما عني عناية خاصة بمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.[١] وعندما كان عمره اثنتا عشرة سنة تزوج، وفي سن الثالثة عشرة أدى فريضة الحج للمرة الأولى، ثم زار المسجد النبوي ومكث في المدينة المنورة حوالي شهرين حيث رأى خلال هذه الفترة واقع المجتمع وحاجته إلى الإصلاح.[٢]

ومن الوقفات المهمة في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته، رحلاته خارج بلاده سعياً لطلب العلم. فبعد أن حج للمرة الثانية أخذ قسطاً من العلم في مكة المكرمة، ثم توجه إلى المدينة المنورة حيث تلقى العلم هناك على يد عالمين جليلين هما الشيخ محمد حياة السندي والشيخ عبدالله بن إبراهيم ابن سيف، ثم عاد إلى بلاده. ومن هناك واصل رحلاته العلمية حيث اتجه إلى البصرة فأخذ العلم هناك على يد الشيخ محمد المجموعي ودرس علوم اللغة والنحو والحديث والفقه. وفي طريق عودته إلى بلاده توقف في الأحساء حيث درس على يد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف الأحسائي.[٣]

ولا شك أن هذه الرحلات بحد ذاتها وما استفاده الشيخ محمد بن عبدالوهاب خلالها من العلوم الإسلامية والعربية، والتفافه حول عدد من العلماء ومجالستهم، بالإضافة إلى تعليمه الأول قد فتحت

---

(١) الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص١٧.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٢٦؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٦.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٢٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٥-٣٧؛ الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص ص١٨-١٩؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٣١-٣٦.

ذهنه ووسعت مداركه عن واقع المجتمع الإسلامي عموماً ومجتمع بلاد نجد خصوصاً. كما أن تلك الرحلات زادت فكره المعرفي حيث أخذ نصيبه من أصول الإسلام وفروع الشريعة. ومن الأمور المهمة التي قام بها الشيخ في هذه الفترة، والتي تنم عن رغبة أكيدة في الإصلاح وتحرير المجتمع من الأقوال والأعمال التي تتنافى مع العقيدة الإسلامية، أنه خلال إقامته في البصرة بدأ ينكر ما يشاهده مما يخالف العقيدة الإسلامية من البدع والشركيات والخرافات وغيرها، وكان يناقش ويحاور من يقوم بهذه الأعمال أو يؤيدها.

حريملاء تشهد انطلاق الدعوة:

اختلفت المصادر التاريخية في تاريخ عودة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من رحلاته العلمية، لكن يبدو أن هناك شبه اتفاق على أن الشيخ عاد إلى العيينة بعد أن ارتحل والده منها عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م نتيجة خلاف بينه وبين حاكم العيينة الجديد محمد بن حمد بن معمر حيث عزله عن القضاء. وعندما عاد الشيخ إلى العيينة التحق بوالده في حريملاء.[١] وبعد أن استقر الشيخ في حريملاء حاول أن يجهر بدعوته لكن والده لم يوافقه على ذلك.[٢] وعند ذلك انصرف الشيخ إلى متابعة العلم وتدريس بعض العلوم الشرعية مثل الفقه والتفسير والحديث. وخلال هذه الفترة ألف كتاب التوحيد المشهور الذي انتشر في أنحاء المنطقة وغيرها.[٣] وبعد وفاة والده عام ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م أعلن الشيخ دعوته في حريملاء. وبعد تجربة استمرت حوالي سنة رأى أن بلدة حريملاء غير مناسبة لنشر الدعوة، ويبدأ يخطط للانتقال

---

(١) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ص١٠٠-١٠١؛ ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٢٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٧؛ سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص٢١؛ وقد ذكر العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٤٣-٤٥، الروايات التي تحدثت عن تاريخ عودة الشيخ إلى العيينة.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٧. وقد ناقش العثيمين، عبدالله الصالح، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص٤٥-٤٦، هذا الموضوع بتفاصيل أوفى.

(٣) للمزيد من المعلومات عن ظروف انتقال الشيخ من حريملاء، راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٢٨، ٣٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٧-٣٨؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص٤٥-٤٦؛ الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص٤٤.

إلى العيينة. وقد ذكر بعض المؤرخين أسباباً لهذا التغيير في استراتيجية الدعوة، منها أن حريملاء بلدة صغيرة غير مشهورة في ذلك الوقت، إضافة إلى انقسام أهلها على أنفسهم، والخلاف على الحكم فيها. ونتيجة لذلك تخلخل الأمن فيها مما عرض حياة الشيخ للخطر، خاصة من المعارضين له، أو من أولئك الذين كان الشيخ يزجرهم لتماديهم في الفسق والتهاون بأمور الشريعة.[١] يضاف إلى ذلك أن الشيخ كان يفكر في الانتقال إلى بلد تكون فرصة نجاحه فيها كبيرة. ولا شك أن الشيخ أصبح في هذه الفترة شخصية علمية مرموقة حيث ذاع صيته ليس في حريملاء فقط أو البلدان المجاورة مثل العيينة والرياض ومنفوحة، بل أصبح معروفاً في كل بلاد منطقة الرياض، وبدأ بعض طلاب العلم والمؤيدون له يفدون على حريملاء للالتقاء به والاستفادة من علمه وأسلوبه في الدعوة.

العيينة تعجز عن حماية الدعوة:

ومع أهمية هذه الأسباب التي دعت الشيخ إلى ترك حريملاء فإن هناك أسباباً قوية دعته للانتقال إلى العيينة، منها أن هذه البلدة كانت مرتع صباه عاش فيها طفولته وتفتحت فيها عيناه على العلم ثم تركها بعد ذلك للاستزادة من العلم الشرعي، ثم بسبب انتقال والده منها كما أشرنا. إلا أن السبب الرئيس لانتقاله إلى العيينة هو ما عرفه من تأييد أميرها عثمان بن معمر لدعوته. وعندما وصل الشيخ إلى العيينة رحب به أميرها وأكرمه. ومن جانبه شرح الشيخ للأمير أهداف الدعوة الإصلاحية وما فيها من خير عميم في الدنيا والآخرة. وقد توطدت علاقة الرجلين بالمصاهرة حيث تزوج الشيخ عمة أمير العيينة عثمان بن معمر، الجوهرة بنت عبدالله بن معمر.[٢] وفي مجال الدعوة حرص ابن معمر على تأييدها بكل ما يستطيع من جهود مادية ومعنوية، نظرية وعملية. ففي الجانب النظري للدعوة رغب ابن معمر أتباعه من الخاصة والعامة بتأييد الدعوة وصاحبها واتباع ما يدعو إليه من تطبيق للشريعة والالتزام بحدودها. أما الجانب العملي فقد تمثل في مشاركة أمير العيينة وأتباعه الشيخ في تطبيق الأحكام الشرعية

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٢٨-٢٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٨؛ سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص٢٢.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٨.

وإزالة ما ينافي العقيدة مثل : (١)

١- هدم القباب والمشاهد المقامة على قبور وأضرحة بعض الصحابة والأولياء، مثل ضريح زيد بن الخطاب رضي الله عنه حيث رافقه في هذه المهمة ابن معمر حيث بدأ الشيخ بهدمه بنفسه ثم تبعه أصحابه.

٢- قطع الأشجار التي يتبرك بها الناس ويعظمونها مثل شجرة الذئب في العيينة التي قطعها الشيخ بنفسه، وشجرة قريوة في الدرعية التي قطعها ثنيان ومشاري ابنا سعود وأحمد بن سويلم.

٣- رجم الزانية المحصنة التي أقرت بالزنا وتوافرت فيها شروطه.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومما يجدر ذكره هنا أن الدعوة الإصلاحية قد انتشرت خلال هذه الفترة في داخل نجد وخارجها حيث وصلت إلى مكة المكرمة، بل إن أخبارها وصلت إلى البصرة. (٢)

ورغم الجو المناسب للشيخ لنشر دعوته في العيينة؛ حيث الأخوة الصادقة والتأييد المطلق من قبل أمير العيينة للشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية والمتمثل في التطبيق النظري والعملي للدعوة كما رأينا، إلا أن إرادة الله قضت بأن لا تستمر العيينة في هذا الموقف المؤيد للدعوة. ولا شك أن هناك أسباباً متعددة لهذا التغير في موقف العيينة منها انقسام الناس حولها، وتأثير تطبيق مبادئ الدعوة في نفوس الجهلة والمغرضين. ونتيجة لذلك نشأ طرف معارض، زاد قوة بظهور فئة من طلبة العلم تعارض الدعوة أصلاً أو تطبيقاً. ويبدو أن موقف هؤلاء كان له صدى لدى عامة الناس ولدى العلماء خارج بلاد نجد الذين كانت مواقفهم عاملاً مشجعاً لمعارضي الداخل. لكن على الرغم من ذلك فإن جهود هؤلاء وأولئك لم تنجح في حجب نور العقيدة الذي بدأ يشع من جديد في نفوس المؤيدين للشيخ

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن التطبيق النظري والعملي من جانب أمير العيينة لما يدعو إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب انظر: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٠-٣١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٨-٣٩؛ سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص ص٢٣-٢٤؛ الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص٤٥؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص٤٦-٤٧.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (د.ت.)، مرجع سابق، ص٥٤.

من الحاضرة والبادية على حد سواء، رغم ما بذله أولئك المعارضون من جهود اعتمدت على المناقشات والمناظرات التي كانت تنتهي دائماً بتفوق رأي الشيخ وأتباعه. ومن طبيعة النفس البشرية عدم الاستسلام بسهولة، وهو ما يفسر لجوء بعض العلماء المعارضين لدعوة الشيخ إلى استخدام سلاح آخر لمنع نشر هذه الدعوة "ومن هنا اتصلوا بالأمراء وقالوا لهم إن واجب الحكام المسلمين أن يحافظوا على عقائد الناس. . . . "[١] وهذا الكلام «كلمة باطل» حيث إن واجب الأمراء هو أن يحافظوا على عقائد الناس، لكن بشرط أن تكون تلك العقائد موافقة للصواب كما جاء به الرسول ﷺ.

ومن خلال الظروف التي واجهتها الدعوة في هذه الفترة، ومنها مواقف المعارضين، يمكن القول إنه مع أهمية هذه العوامل إلا أن المؤرخين أجمعوا على أن السبب المهم والقوي والحاسم في مسألة انتقال الشيخ من العيينة هو تدخل زعيم بني خالد في الضغط على حاكم العيينة ومنعه من تأييد الدعوة وصاحبها، بل والإلحاح عليه لإبعاد الشيخ. ولا شك أن موقف رئيس بني خالد مبني على إلحاح وتأييد العلماء والعامة لدوافع متباينة. لكن ما هي الدوافع والأهداف والوسائل التي حدت بزعيم بني خالد إلى اتخاذ مثل هذا الموقف من الدعوة وصاحبها؟ كان زعيم بني خالد وحاكم الأحساء في هذه الفترة، سليمان آل محمد[٢]، تهمه مصالحه السياسية والاقتصادية وهو العامل الذي استغله المعارضون للدعوة. وباعتباره أكبر حاكم في منطقة الأحساء بحدودها التاريخية التي تشمل بالإضافة إلى الأحساء، القطيف وساحل قطر والزبارة، فقد كان له سلطة على أمير العيينة عثمان بن معمر. ومن هذا الجانب خوّفه هؤلاء المعارضون بفقد هذه الهيمنة إذا قدر لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن تنجح، كما حذروه من خطورة تعاون ابن معمر مع الشيخ على مستقبل علاقته ببلاد نجد وهيمنته السياسية والاقتصادية على العيينة بالذات. ولما كان حاكم الأحساء تسيره أهواؤه السياسية والاقتصادية ورغبته في السيطرة فلم يحتج إلى طول تفكير في ما ستسفر عنه نتائج تعاون الشيخ مع ابن معمر.

وفي هذه الظروف الدقيقة من مراحل الدعوة تتكشف مواقف الأطراف الثلاثة حولها. فقد ذكر

---

(١) المرجع السابق، ص٥٤.

(٢) ورد اسمه هكذا في كتاب ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٣، وكذلك في لمع الشهاب، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ٣٢. أما ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٩، فيذكر اسمه سليمان بن محمد. وفي المراجع المتأخرة ذكر اسمه سليمان بن محمد آل حميد، أو آل غرير، أو آل عريعر. ولرسم صورة واحدة لاسمه في هذا البحث سنركز على الاسم المتداول وهو سليمان بن محمد آل غرير.

بعض المؤرخين أن حاكم الأحساء، زعيم بني خالد، طلب من أمير العيينة التخلص من الشيخ. لكن من الواضح أن هذا الطلب كان صريحاً وواضحاً ومكتوباً، كما يذكره ابن غنام وابن بشر، يأمره بقتل الشيخ أو إخراجه من العيينة، وهذا ما يؤكده موقف ابن معمر في محاورته مع الشيخ.(١) وتعليلاً لهذا الطلب الآمر ذكر المؤرخون جملة أسباب جعلت موقف ابن معمر ضعيفاً أمام حاكم الأحساء، رغم ما ذكر من أن العيينة كانت من أقوى البلاد، وأن أميرها كان لديه قوة وكان له أتباع كثيرون. ومن هذه الأسباب: المصالح الاقتصادية التي تعتمد فيها بلاد منطقة الرياض خاصة، وبلاد نجد بعامة على بلاد الأحساء بحدودها التاريخية، ذلك أن الأحساء، بموقعها وموانيها كانت الرئة التي تتنفس من خلالها بلاد نجد، وكانت أسهل الطرق إلى العالم الخارجي. ويوازي ذلك لدى ابن معمر، بل يفوقه، المصالح الشخصية له في بلاد الأحساء. فقد ذكر المؤرخون من هذه المصالح الاقتصادية أن حاكم الأحساء كان يدفع لابن معمر إعانة سنوية، أو كما يصفها ابن بشر "خراجاً كثيراً جداً قيل أنه اثني عشر ماية أحمر وما يتبعها من كسوة وطعام".(٢) كما أن ابن معمر كان يملك مزرعة في الأحساء "يبلغ محصولها كل عام ستين ألف ريال ذهب".(٣) ومن هذا المنطلق فإن حاكم الأحساء استغل هذه المصالح وخوّف ابن معمر بأنه سيحرم العيينة وأميرها من هذه المصالح إذا استمر تأييده للشيخ.

أما موقف ابن معمر فهو الموقف الأصعب وهو يمثل موقف المتردد. فمن جهة، كان يعلم صدق الشيخ وما ينادي به، وأن من مصلحته الدينية والدنيوية الوقوف بجانب الشيخ ومساعدته، لكنه من جانب آخر كان يخشى سطوة حاكم الأحساء، مثلما كان يخشى تضرر الدخل الاقتصادي له ولإمارته. وقد صور ابن بشر حالة التردد لدى ابن معمر بأنه عندما جاءه كتاب حاكم الأحساء خاف وذكر للشيخ ما طلبه

---

(١) انظر ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٣؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٠. وقد ذكر لمع الشهاب مؤلف مجهول، (د. ت.)، مرجع سابق، ص٣١، أن حاكم الأحساء طلب من ابن معمر أن يخرج الشيخ إلى آخر جزيرة العرب، أو يرسله إليه في الأحساء.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٠. والأحمر: عملة من الذهب بمنزلة الريال كان يتعامل بها أهل نجد وغيرهم في ذلك الوقت. وقد ارتفع سعره في مكة المكرمة في عام ١٠٩٥هـ حتى بلغ ثمانية حروف وربع وارتفت بسببه الأسعار، حتى طلب الأهالي من الشريف أن ينزل سعره إلى أربعة أحرف. انظر: العصامي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك، (ت١١١١هـ. ط ١٣٧٩هـ.)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، ج٤، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ص ص٥٤٥-٥٤٦.

(٣) مؤلف مجهول، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ص٣١-٣٢.

منه زعيم بني خالد، لكن الشيخ وعظه بأن الخوف لا يكون من المخلوق بل يجدر أن يكون من الخالق، وذكّره بأن ما يدعو إليه هو دين الله ورسوله ولا بد من الصبر حتى تكون له الغلبة، "فاستحيا عثمان وأعرض عنه". لكن بطانة السوء لم يهدأ لها بال حيث سارعت تخوف أمير العيينة من النتائج الوخيمة والعقاب الذي سيتعرض له من حاكم الأحساء. وهنا عاد ابن معمر إلى الشيخ ثانية وحدثه بصراحة أكثر، وقال له: "إن سليمان أمرنا بقتلك ولا نقدر إغضابه ولا مخالفة أمره، لأنه لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم أن نؤذيك في بلدنا مع علمك وقرابتك، فشأنك ونفسك، وخل لنا بلادنا" وللتدليل على موقفه المؤيد للشيخ الخائف من حاكم الأحساء أمر خيالة من عنده بمرافقة الشيخ إلى حيث يريد.[١] لكنه لم يشأ قطع خط الرجعة على نفسه، فوجد حلاً اعتقد أنه يرضي حاكم الأحساء، حيث طلب من الشيخ أن يذهب إلى أي بلد يشاء ويقيم فيها على أمل أن يعود إلى العيينة بعد أن تهدأ الأمور.[٢]

أما موقف الشيخ فهو موقف المؤمن بالله الصابر على قضائه الموقن بنصره. وحيث إنه قد بذل جهده في إقناع ابن معمر في الاستمرار في تأييد الدعوة لتتحقق له الغلبة والعزة في الدنيا والآخرة لكن بدون جدوى فإنه معذور في ترك بلدته التي أحبها وأحبته، إلا أنه لم يصرّ على البقاء في العيينة، ليس حرصاً على حياته بل حرصاً على الدعوة الإصلاحية ونجاحها، ولهذا ذهب إلى أقرب البلاد إليها وهي الدرعية لأسباب متعددة سنذكرها لاحقاً.

وقد ذكر ابن بشر أنه في طريقه كان لا يفتر لسانه من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من يحث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.[٣] وقد وصل الشيخ إلى الدرعية، على أرجح الأقوال، في عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م كما سيأتي تفصيله. وفي الدرعية بدأ فصل جديد من فصول الدعوة الإصلاحية، لكنه فصل طويل، له نتائج مهمة ليس في الدرعية وحدها، ولا في منطقة الرياض فحسب، بل في عامة بلاد نجد ثم في الجزيرة العربية وخارجها، كما سيتضح لاحقاً.

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٠؛ سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص٢٥.

(٢) مؤلف مجهول، (د. ت.)، مرجع سابق، ص٣٢. وفي هذا المجال يذكر لمع الشهاب أن ابن معمر طلب من الشيخ أن يترك العيينة فترة سنة أو سنتين حتى تهدأ الأمور ثم يرجع إلى العيينة. ويبدو أن هذا التحديد اجتهاد من صاحب كتاب لمع الشهاب لأن عمدتا مؤرخي نجد، ابن غنام وابن بشر، لم يذكرا ذلك والله أعلم.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٠.

الدرعية ترحب بالشيخ ودعوته:

رغم أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب حاول أن تكون حريملاء أو العيينة منطلقاً لدعوته كما أوضحنا في المباحث السابقة، إلا أن الله قدر أن تأخذ الدرعية هذا الشرف الكبير. والواقع أن المتتبع للوضع السياسي والديني في الجزيرة العربية عامة وبلاد نجد بصفة خاصة خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري لا يفاجأ باختيار الشيخ محمد بن عبدالوهاب الدرعية ملاذاً أخيراً لنشر دعوته. وإذا كان الشيخ لم يجد في حريملاء الجو الملائم لبدء دعوته بسبب ظروف الحكم فيها واختلاف حكامها وتفرق أهلها، وأنه لم يستطع البقاء في العيينة، رغم تأييد أميرها عثمان بن معمر واقتناعه بصدق دعوته، بسبب الضغوط السياسية التي أملاها عليه حاكم الأحساء زعيم بني خالد، سليمان بن محمد آل غرير، فإن الشيخ وجد في الدرعية كل أسباب النجاح له ولدعوته. كانت الظروف الدينية والسياسية والاجتماعية كلها عوامل مشجعة لانطلاق الدعوة من الدرعية. فقد كان الأمير محمد بن سعود يؤمن بالدعوة، ويعتقد أن ما جاءت به هو الحق. أما الاستقلال السياسي لأمير الدرعية، محمد بن سعود، الذي تولى إمارة الدرعية عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م، فهو أمر أجمع عليه المؤرخون، حيث لم يكن لأي قوة داخلية أو خارجية نفوذ عليه.[١] ويدعم هذا الاستقلال السياسي قوة اقتصادية نسبة إلى القوة الاقتصادية للعيينة على سبيل المثال، حيث لم تكن الدرعية أو أميرها مرتبطين بمصالح اقتصادية لدى حاكم الأحساء. ليس هذا فحسب بل إن هذا الاستقلال السياسي صاحبه ازدياد في القوة العسكرية. فقد ثبت أن الدرعية تمكنت من صد هجوم سعدون بن محمد بن غرير، زعيم بني خالد في الأحساء، عليها عام ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م، وقتلوا من جيشه عدداً كبيراً.[٢] ولاعتقاد أمير الدرعية آنذاك، زيد بن مرخان، بأن حاكم العيينة، المنافس المحلي للدرعية، كان ضالعاً في الهجوم السابق، فكر في الهجوم على العيينة عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م عقاباً لأميرها على ممالأته عدوه، ولكن زيداً قتل غدراً على يد أمير العيينة محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر الملقب خرفاش. وقد تنبه محمد بن سعود، وكان ضمن حملة زيد، وتحصن في مكان آمن ثم رجع إلى الدرعية وأصبح منذ ذلك التاريخ أميراً على الدرعية.[٣] ومما يدل على قوة الدرعية في ذلك الوقت أن دهام بن دواس أمير الرياض استعان بها لحل مشكلاته

---

(١) الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص ٤٦.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبد الله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ص ٣٦٨-٣٦٩.

الداخلية.[(١)] ومن الناحية الاجتماعية فإن انحدار محمد بن سعود من سلالة عريقة أكسبه ولاء أتباعه والتفافهم حوله في بوتقة اجتماعية متماسكة. أما العامل الديني فقد كان الرباط المتين الذي جمع بين الشيخ والأمير قبل أن يلتقيا. ومنذ أن سمع الأمير محمد بن سعود عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وما يدعو إليه منذ قيامه في حريملاء ثم انتقاله إلى العيينة تأكد له صدق الشيخ وما يدعو إليه، وأدرك ضرورة الدعوة الإصلاحية لتنقية الدين مما شابه من الشرك والبدع والخرافات، وضرورة دعم هذه الدعوة من مبدأ «من يزع السلطان أكثر ممن يزع القرآن».[(٢)] كانت بوادر هذا التأييد عندما شارك أخوا الأمير محمد ابن سعود، مشاري وثنيان، في التطبيق العملي للدعوة في العيينة كما أسلفنا، وهو بلا شك منتهى الإيمان بصحة ما تدعو إليه.

ومن جهة أخرى لقيت الدعوة قبولاً وتحمساً من كبار أهل الدرعية ومنهم عبدالعزيز ابن أمير الدرعية الذي سبق أن طلب من الشيخ وهو في العيينة تفسيراً لسورة الفاتحة فأعده وأرسله إليه.[(٣)] كما كان من المؤيدين للشيخ في الدرعية آل سويلم الذين كانوا أول من استقبل الشيخ ورحب به في بلدتهم الدرعية.[(٤)] إن هذه المكانة السياسية لآل سعود والإرث الاجتماعي وعراقة النسب جعل لهم مكانة مرموقة في منطقة الرياض على المستوى الديني والسياسي حيث تعززت بنصرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عندما تم الاتفاق بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب واجتمعا في تكامل فريد تمخض عن ولادة أول دولة حديثة في الجزيرة العربية تقوم على أساس الدين الإسلامي.

بيعة الدرعية وقيام الدولة السعودية:

من العرض السابق يتضح لنا أن انتقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية لم يكن بمحض الصدفة وإنما حصل بعد استقراء لظروف الدعوة الإصلاحية كدعوة جديدة على المجتمع النجدي من جهة، واستقراء لعوامل النجاح الكلي التي لم تتوفر في كل من حريملاء أو العيينة من جهة أخرى. فبعد

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٨٩.

(٢) يزعه: أي يكفه، ومعنى الأثر أن من يكف عن ارتكاب العظائم مخافة السلطان أكثر ممن يكفه مخافة القرآن والله تعالى. انظر: ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات الجزري، (د.ت)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود محمد الطناحي، المكتب الإسلامية، جـ٥، ص ١٨٠.

(٣) سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، مرجع سابق، ص٢٧.

(٤) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٨٣.

النجاح النوعي الذي تحقق للدعوة في العيينة، سواء على مستوى القيادة أم على المستوى الشعبي، كان من الطبيعي أن يفكر الشيخ ملياً قبل أن ينتقل بدعوته إلى بلد آخر. فإذا كان اختياره بعد هذا التفكير قد وقع على الدرعية فإن ذلك جاء بعد دراسة الموضوع من مختلف جوانبه. (١) وباختصار يمكن القول أن الشيخ ذهب إلى الدرعية لأنها تملك كل عوامل النجاح لدعوته.

وفي الحقيقة فإن المؤرخين المعاصرين لقيام الدولة السعودية الأولى، أو من جاء بعدهم، لم يذكروا تاريخاً دقيقاً لوصول الشيخ إلى الدرعية. ومن مجمل رواياتهم يترجح لدي أن الشيخ وصل إلى الدرعية في أواخر عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م. (٢) وعند وصوله كان من الطبيعي أن يقصد بيت آل سويلم لأنهم من المؤيدين لدعوته منذ كان في العيينة من جهة، ولأنهم كانوا من أعيان ووجهاء الدرعية من جهة أخرى.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل كان انتقال الشيخ إلى الدرعية بدعوة من الأمير محمد بن سعود، أم أنه انتقل إليها ببادرة شخصية لاعتقاده بتوفر عوامل النجاح لدعوته فيها؟. ويترجح لدينا أنه على الرغم من أن الشيخ كان يؤمّل نجاح دعوته في الدرعية بتوافر العوامل التي لم تتحقق في حريملاء أو العيينة، إلا أن ذلك كان مرهوناً بدعم أميرها محمد بن سعود شخصياً وهو ما سعى إليه الشيخ بطريق

---

(١) التركي، عبدالله بن عبدالمحسن، (١٤١٨هـ)، **الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة**، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ص٤٦.

(٢) اختلفت الروايات حول السنة التي وصل فيها الشيخ إلى الدرعية. يذكر ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤، أن الشيخ خرج من العيينة إلى الدرعية سنة ١١٥٧هـ. أما ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٣، فقد أورد خبر وصول الشيخ إلى الدرعية ضمن حوادث سنة ١١٥٧هـ، ولكن في كتابه المخطوط ورد أن انتقال الشيخ إلى الدرعية حدث عام ١١٥٨هـ. أما الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص١٠٦، فيذكر أن ذلك حدث في بداية سنة ١١٥٨هـ أو بداية سنة ١١٥٩هـ. ويذكر آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ تقريبا)، **(مخطوط) كتاب تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، نقله عن الأصل الخطي نور الدين شريبة، سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، صورة مخطوطة في دارة الملك عبدالعزيز، ص ١٠٨، أن ارتحال الشيخ من العيينة إلى الدرعية كان عام ١١٥٧هـ. انظر مزيداً من التحليل لهذا الموضوع في تعليق الشبل على الفاخري، الصفحة نفسها، هامش ١؛ وكذلك تحليل العثيمين، عبدالله الصالح، (د.ت.)، مرجع سابق، ص٦٠. وتوفيقاً بين هذه الروايات يمكن القول أن الشيخ وصل إلى الدرعية أواخر عام ١١٥٧هـ ثم تم الاتفاق بينه وبين الأمير محمد بن سعود في بداية عام ١١٥٨هـ والله أعلم.

غير مباشر قبل انتقاله إلى الدرعية . لقد كان لتلاميذ الشيخ ومؤيديه ومنهم أخوا الأمير ، ووجهاء آل سويلم دور في تهيئة المناخ لتقبل الأمير محمد بن سعود إقامة الشيخ في بلده . ويستنتج من الظروف السياسية وعلاقة بني خالد مع الدرعية التي كان طابعها العام الشد والجذب ؛ حتى بلغ ذروته في الحملة العسكرية التي أشرنا إليها سابقاً ، أن رد فعل الأمير محمد بن سعود كان ترحيبه القوي بالشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي لقيت دعوته معارضة في العيينة بسبب موقف بني خالد منها .

ومن هنا فإن من الأسباب التي جعلت الأمير محمد بن سعود يستقبل الشيخ هو كون عريعر بن دجين طرفاً في إخراجه من العيينة(١) وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أبعد من ذلك بتأكيدهم أن الشيخ انتقل إلى الدرعية بدعوة من الأمير محمد بن سعود . فقد ذكر العثيمين أنه عثر على أوراق بخط المؤرخ النجدي ابن لعبون تؤكد حصول مثل هذه الدعوة .(٢) ويؤكد العجلاني هذه الدعوة مستقرئاً الأحداث ومعتمداً على بعض الروايات .(٣) أما مؤرخا نجد ابن غنام وابن بشر فقد ذكرا خبر وصول الشيخ إلى الدرعية ونزوله عند آل سويلم .(٤) لكن يفهم من الروايتين أن ذلك تم بدون علم محمد بن سعود بدليل قول ابن غنام بعد إيراده خبر وصول الشيخ إلى الدرعية " فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود ، قام من فوره مسرعاً إليه ومعه أخواه : ثنيان ومشاري ، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم " . أما ابن بشر فيقول " فلما وصل الشيخ إلى بلدة الدرعية نزل عند عبدالله بن عبدالرحمن بن سويلم وابن عمه حمد بن سويلم ، فلما دخل على ابن سويلم ضاقت عليه داره خوفاً على نفسه من محمد بن سعود فوعظه الشيخ وسكّن جأشه وقال : سيجعل الله لنا ولكم فرجاً ومخرجاً "(٥) ويبدو أن الشيخ لم يرد إحراج عبدالله بن

---

(١) العثيمين ، عبدالله الصالح ، (١٤٠٩هـ) ، مرجع سابق ، ص٨٣ ؛ ابن خميس ، عبدالله بن محمد ، (١٤٠٢هـ) ، **الدرعية** ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ص١١٠ .

(٢) العثيمين ، عبدالله الصالح ، (١٤٠٩هـ) ، مرجع سابق ، ص٨٤ .

(٣) العجلاني ، منير ، (د.ت.) ، مرجع سابق ، ص ص٩٠-٩١ .

(٤) يذكر ابن غنام ، حسين ، (ط ١٣٦٨هـ) ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٣ ، أن الشيخ نزل في الليلة الأولى عند عبدالله بن سويلم فأقام عنده ذلك اليوم ثم انتقل إلى تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم . أما ابن بشر ، عثمان بن عبدالله ، (ط ١٤٠٢هـ) ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٤١ ، فيذكر أن الشيخ نزل عند عبدالله بن عبدالرحمن بن سويلم وابن عمه حمد بن سويلم .

(٥) ابن بشر ، عثمان بن عبدالله ، (ط ١٤٠٢هـ) ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٤١ .

وأولاده الأمور السياسية من الحكم والإدارة، ويختص الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأولاده بالشؤون الدينية والعلمية، أو كما ورد في دائرة المعارف الإسلامية المختصرة أن يبقى الحكم بيد محمد بن سعود بينما تؤول القيادة الدينية إلى محمد بن عبدالوهاب.(١) ومع استبعاد أن يكون هناك اتفاق حول هذا الأمر لكن الواقع أن هذا حدث كتطور طبيعي لتكوين الدولة وانشغالها بأمور دينية وسياسية وعسكرية، فأصبح الشيخ يهتم بالتركيز على الفتوى والتعليم والإرشاد وترك الأمور الإدارية في الدولة للإمام محمد بن سعود. وهكذا يمكن أن نستنتج من طبيعة العلاقة بين الرجلين أنهما يشتركان في أهداف سامية عملاً على تحقيقها في الواقع وهي: عقد النية والعزم على تكثيف الدعوة إلى دين الله ودعم سلطانه في قلوب الناس وعقولهم، وتجديد منهج الناس في العمل بالكتاب والسنة. وكذلك إحياء التلازم المنهجي والعملي بين الشريعة الإسلامية وسلطان الدولة القائم على أساس الشريعة، وهو الأساس الذي قامت عليه الدعوة الإسلامية الأولى، وأخيراً العمل المشترك لتحقيق تلك الأهداف على أرض الواقع متمثلاً في الجهاد لإعلاء كلمة الله.(٢)

ومن جانب آخر أدرك عثمان بن معمر بعد سنتين من انتقال الشيخ من العيينة إلى الدرعية أنه الخاسر الوحيد لهذا الفضل العظيم، وأن هذه الخسارة من الصعب تعويضها، خاصة بعد أن رأى التأييد الكامل للشيخ من قبل أمير الدرعية محمد بن سعود، والمبايعة بينهما على دين الله ورسوله. كما بدأ يسمع عن الدرعية وأنها أصبحت مآلاً للمتعلمين، والمؤيدين للشيخ، ولمن أوذي في بلده. والأهم من ذلك أن ابن معمر بدأ يسمع عن انتقال غير طبيعي من العيينة نفسها إلى الدرعية سواء من قبل مؤيدي الشيخ وتلاميذه، أم من قبل بعض المخالفين لأمير العيينة. يقول ابن غنام "وفي خلال هذه المدة أقبل إلى الدرعية للهجرة من أحسن الله قصدهم: منهم عبد الله بن محسن وإخوته زيد وسلطان المعامرة وعبدالله بن غنام وأخوه موسى".(٣) في هذا الوقت لم يسع ابن معمر منزله فقام من فوره مع جماعة من وجهاء العيينة بزيارة للشيخ في الدرعية وعرض عليه الرجوع معه ونصرته، لكن الشيخ اعتذر وقال إن الأمر بيد الأمير محمد بن سعود، بناء على الاتفاق بينهما. ولم ييأس ابن معمر بل ذهب إلى الأمير

---

(1) Gibb, H.A.R.; Kramers, J.H, (1934), **Shorter Encyclopedia of Islam**, (Wahhabiya). Leiden, p.618.

وراجع كذلك: مؤلف مجهول، (د.ت.)، مرجع سابق، ص٢٦: وانظر تحليلاً لهذا الموضوع في: العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٨٥.

(٢) التركي، عبدالله بن عبدالمحسن، (١٤١٨هـ)، مرجع سابق، ص٩.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤.

محمد بن سعود يطلب منه السماح للشيخ بالانتقال معه إلى العيينة فاعتذر، وحق له أن يعتذر. وبذلك رجع ابن معمر إلى بلاده نادماً على إخراجه للشيخ.[١]

وعلى الرغم من بروز علامات على إمكانية الازدهار الاقتصادي للدرعية المتمثل في ازدياد الهجرة إليها لاستقرارها السياسي والأمني ولكثرة الوافدين إلى الشيخ، إلا أنه لم يحصل تغير جذري في الحياة الاقتصادية للسكان يتناسب مع حاجة سكان الدرعية في عهد الدولة الوليدة. كما أن دخل الأمير محمد ابن سعود لم يطرأ عليه تغير ملحوظ رغم ازدياد مسؤولياته تجاه بلده ولقاء تبعات إيوائه للشيخ ودعوته، ولعل في ذلك امتحان من الله لمدى صبر وصدق المتعاهدين وتحملهما ما تتطلبه هذه المرحلة الجديدة من تبعات ونفقات لم يكن من اليسير تدبيرها.

ومع مضي الوقت بدأت تنمو الدرعية حتى أصبحت أهم مدينة في منطقة الرياض التي انطلقت منها الدعوة الإصلاحية، وولدت فيها الدولة السعودية الأولى. كما علت مكانة الدرعية من الناحية السياسية بعد أن أصبحت قاعدة للدولة السعودية، وازدهرت أحوالها الاقتصادية وذلك ببركة تمسكها بالدين ونصرة الدعوة الإصلاحية. وسرعان ما تحقق وعد الشيخ للأمير بأن نصرته لهذا الدين ستفتح عليه أبواب الرزق.[٢]

وفي المجال السياسي ازدادت قوة الدولة وأصبحت مرهوبة الجانب، كما ازدادت رقعتها الجغرافية، ولم يمض وقت طويل حتى انضوت معظم أقطار شبه الجزيرة العربية تحت حكم الدولة السعودية الأولى منطلقة من منطقة الرياض وهو ما سنفصله في الصفحات التالية.[٣]

مرحلة تكوين الدولة:

لقد ارتبطت المرحلة الأولى من تكوين الدولة بعد اتفاق الدرعية بالاهتمام بتأصيل الدعوة الإصلاحية، والعمل على نشرها، وتعريف الناس بها، ثم جهاد المناوئين لها. وقد تبنى هذه المهمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بنفسه وبمساعدة المؤيدين له وعلى رأسهم الأمير محمد بن سعود وأبناؤه.

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٣.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٤.

(٣) سيرد تفصيلات عن التنظيمات الإدارية والحضارية في منطقة الرياض خلال عهد الدولة السعودية الأولى وذلك في المبحث الرابع من هذا الفصل.

ولا شك أن عهد الإمام محمد بن سعود يعتبر أهم الفترات في تاريخ الدولة السعودية وأكثرها حساسية لأنه عهد التأسيس وتكوين الدولة بجميع متطلباتها. ومن خلال الأحداث التي مرت بها البلاد، نجد أن مرحلة تكوين الدولة مرت بمرحلتين متزامنتين هما الدعوة السلمية ومرحلة الجهاد.

الدعوة السلمية:

امتثالاً لقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[١] بدأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب تبليغ الدعوة إلى البلاد والمناطق التي لم تصلها، أو وصلتها بمفهوم مغاير لطبيعتها الصحيحة نتيجة للحملة المغرضة التي أشاعها أعداء الدعوة. ولا شك أن ضيافة الأمير محمد بن سعود للشيخ وتمكينه من العمل تحت مظلة الدولة التي نشأت بالاتفاق الذي تم بينهما فيما بعد، كان له تأثير إيجابي على نجاح الدعوة في مستقبل أيامها.

ونتيجة لهذه التطورات أصبحت الدرعية المركز الرئيس للدولة والدعوة وبدأت تمارس نشاطها الديني والسياسي والاجتماعي. ففي الجانب الديني انطلق الشيخ من مبدأ الأقربون أولى بالمعروف حيث بدأ الدعوة السلمية في الدرعية التي كان أغلب أهلها، كغيرهم من أبناء البلاد النجدية وبلاد العالم الإسلامي، يظللهم الجهل والبعد عن الدين وقد وقع أكثرهم في "الشرك الأكبر والأصغر والتهاون بالصلوات والزكاة ورفض شعائر الإسلام"[٢] وهذا الانحراف العقدي يحتاج إلى علاج طويل ومتدرج. ومن هنا أخذ الشيخ يتخولهم بالتعليم والموعظة الحسنة، ويبين لهم أصول الإسلام وقواعد التوحيد وما يجب عليهم تجاهها من الإيمان الكامل والتصديق الجازم بكل ما ورد في القرآن الكريم وما جاء به الرسول ﷺ. وقد بدأت دعوته وأسلوبه تؤتي ثمارها، حيث ازداد عدد المنضمين إليه المؤيدين لدعوته، سواء من بلاد منطقة الرياض المجاورين للدرعية، أم من البلاد البعيدة عنها. وقد تعززت مكانة الدعوة بانضمام بعض المتنفذين في بلادهم مثل أخوة الأمير محمد بن سعود الثلاثة مشاري وثنيان وفرحان، كما أيدها وانضم إليها بعض العلماء والوجهاء ذكر ابن غنام منهم: الشيخ أحمد بن سويلم،

---

(١) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٤.

والشيخ عيسى بن قاسم، ومحمد الحزيمي، وعبدالله بن دغيثر، وسليمان الوشيقري، وحمد بن حسين، وأخوه محمد، وغيرهم.[١] وقد كان أمير العيينة عثمان بن معمر أبرز الزعماء النجديين الذين آزروا الدعوة في مراحلها الأولى في الدرعية. أما المخالفون للدولة والدعوة الذين تزعموا الحرب ضدها في بداية تكوينها فكان أشهرهم دهام بن دواس أمير الرياض على الرغم من أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود أرسلا إليه ينصحانه باتباع طريق الحق والانضمام إلى الجماعة، واجتهدا في نصحه غاية الاجتهاد.[٢] ولا شك أن هناك عوامل مختلفة كانت تدفع المؤيدين والمخالفين على نهج السبيل الذي اختاروه. فالمؤيدون آمنوا بالدعوة وأهمية ما تقوم به لتصحيح العقيدة الإسلامية، وفي الوقت نفسه عرفوا مدى قوة الدولة السعودية التي كانت نواتها إمارة الدرعية وهي من أكبر القوى السياسية في بلاد نجد، وأيقنوا أن بعدهم عن الدعوة والدولة معادلة خاسرة. أما المعارضون فقد ساءهم أن يفقدوا سلطتهم ونفوذهم السياسي خصوصاً أنه لم يكن لديهم دافع ديني يذيب الحقد والحسد والغيرة من نفوسهم فاستمروا على ضلالهم وعنادهم. ومن بين هؤلاء من نظر إلى أمر التأييد أو المخالفة نظرة شخصية ومدى استفادته من التغيرات التي حصلت في هذه البلاد.[٣]

وفي مرحلة ثانية من مراحل الدعوة في بيئتها الجديدة أراد الشيخ أن يقيم الحجة على من لم يعلم حقيقة الدعوة أو علمها محرفة فبدأ يكاتب أهل البلدان ويخاطب رؤساءها وقضاتها وعلماءها ووجهاءها. وفي الوقت نفسه كتب عدداً من الكتب والرسائل والمسائل والفتاوى التي تشرح الإسلام بمفهومه الصحيح، وتبيين عقيدة السلف الصالح في الأصول والفروع، وتفسير آيات متفرقة من كتاب الله.[٤] ومن لم تنفع معه المكاتبة، كان الشيخ يدعوه للمناظرة معه أو يرسل علماء الدعوة المتمكنين

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٨؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٨٨.

(٤) أفرد ابن غنام معظم الجزء الأول وشطراً من الجزء الثاني من كتابه لإيراد نصوص الرسائل والمسائل والفتاوى والتفسير. انظر: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٥٠، ٩٥-٢١١، ج٢، ص ص ٢٠٢-٢٤٨. وانظر قائمة بكتب الشيخ ومؤلفاته في نفس المصدر ج١، ص ١٨٥. انظر كذلك ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٥؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، =

لمناظرة العلماء أو طلبة العلم الذين كان لهم مآخذ على أسلوب الدعوة. وبهذه الأساليب اقتنع بالدعوة واتبع الحق من أراد الله به خيراً، أما من كان على بصره غشاوة فقد استمر على موقفه من الدعوة وصاحبها، بل تمادى بعضهم في الجهل واتخذوا الشيخ سخرياً واستهزؤوا به ونسبوه إلى الجهل وعدم المعرفة". [(١)]

الجهاد لإعلاء كلمة الله:

بعد أن قامت الحجة واستبان الأمر، وانكشف المخالفون الذين وقفوا ضد سير الدعوة الإصلاحية الهادف إلى تنقية المجتمع مما يفسد عليه دينه، وتمسكوا برأيهم من غير حجة واضحة، اضطرت الدولة إلى المواجهة العسكرية مع خصومها دفاعاً عن العقيدة والنفس والعرض والمال، وتهيئة المناخ الملائم لانتشار الدعوة التي أخذت على عاتقها تطهير العقيدة وإقامة شعائر الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. [(٢)] ولا شك أن الدولة السعودية تعتبر حماية الدين والمجتمع من أولى واجباتها. وبذلك بدأت المرحلة المهمة في تاريخ الدعوة والدولة السعودية الأولى وهي مرحلة الجهاد في سبيل الله لنشر العقيدة على أصولها المقررة شرعاً. ومنذ وصول الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية كان همه الأول الذود عن هذا الدين والدفاع عن الدعوة الإصلاحية التي نادى بها وأيدتها الدولة السعودية. يقول ابن بشر "ثم أمر الشيخ بالجهاد لمن عادى أهل التوحيد وسبه وسب أهله"، ثم ذكر أن أول حملة للجهاد هو قيام سبع ركايب بالإغارة على بعض الأعراب فغنموا ورجعوا. [(٣)] وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الهجوم لا يعتبر بداية الجهاد المنظم الذي قامت به الدولة السعودية الأولى لمحاربة المناوئين لها في داخل نجد وخارجها لعدة اعتبارات منها: أن ابن بشر ذكر خبر هذا الهجوم في حوادث سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م. وبالتأكيد فإن هذا الحدث حصل بعد قدوم الشيخ إلى الدرعية بعد وقت وجيز من

= مرجع سابق، ص ص٥١-٥٤. وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مشكورة بنشر مصنفات ومؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمناسبة انعقاد أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب في عام ١٤٠٥هـ وهي تشمل العقيدة والتفسير والحديث والفقه ومختصر سيرة الرسول ﷺ.

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٤٥.

(٢) الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص٥٠.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٤٥-٤٦. انظر تحليلاً لهذا الهجوم في: العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٩٠-٩١.

اتفاقه مع الأمير محمد بن سعود وقبل أن يتبلور كيان الدولة مما يرجح عدم ارتباطه المباشر بسياسة الدولة. كما أن ابن بشر ذكر هذا الهجوم في سياق حديثه عن موقف الشيخ من المناوئين للدعوة الذين سخروا مما يدعو إليه. يضاف إلى ذلك أن الاستعداد لهذا الهجوم والكيفية التي نفذ بها وعدم ذكر الجهة المقصودة بهذا الهجوم لا تتناسب مع مكانة الدولة بوضعها الجديد الذي يحتم عليها الظهور بمظهر القوة أمام أعدائها أفراداً وزعماء. ومن الدلالات المهمة على عدم أهمية هذا الهجوم أن ابن غنام، وهو من تلاميذ الشيخ ومن المهتمين بذكر أخباره، لم يذكر خبر هذا الهجوم من قريب أو بعيد. كل هذه الدلائل تقلل من أهمية هذا الهجوم وارتباطه بسياسة الدولة، وتؤكد أن هذا الهجوم لم يكن من تخطيط أو تنفيذ الدولة. والحقيقة التي تنسجم مع هذه المعطيات ويسندها الواقع تدل على أن هذا الهجوم قام به بعض المؤيدين للدعوة بمبادرة شخصية منهم استناداً إلى فهم عام لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لجهاد كل من يقف ضد الدعوة ورجالها.

وإذا اعتبرنا الهجوم المشار إليه لا يدخل ضمن مرحلة الجهاد الذي تبنته الدولة السعودية الأولى بتأييد وإشراف من الشيخ محمد بن عبدالوهاب فإن الأحداث تؤكد أن مرحلة الجهاد بدأت خلال سنتين من قيام الدولة السعودية واستغرقت وقتاً طويلاً من عمر الدولة. وكمنطلق طبيعي بدأت الدولة في ضم بلاد نجد منطلقة من منطقة الرياض واستغرقت في ذلك وقتاً طويلاً زاد على أربعين سنة من الجهاد المضني والقتال المرير مع أغلب مدن وقرى بلاد نجد، حتى إن بعضها اضطر الدولة إلى الدخول معها في حرب أكثر من مرة بسبب نقضهم العهد.[1] وفي جميع حروبها لاقت الدولة تعنتاً ومقاومة من بعض البلاد، كما واجهت تقلباً في موالاة بعض زعماء البلدان التي سبق أن انضمت إلى الدولة. ولم تسلم الدولة خلال هذه الفترة من تدخل القوى من خارج بلاد نجد مثل بني خالد في شرق الجزيرة، والأشراف في غربها نصرة لبعض القوى المعارضة للدولة السعودية داخل بلاد نجد أو رغبة في استغلال انشغال الدولة في جهاد أعدائها للحصول على مكاسب مادية أو نفوذ، لكن جهود تلك القوى باءت بالفشل ونصر الله الحق.

---

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٦٥.

المبحث الثاني

منطقة الرياض تشهد مرحلة امتداد الدولة

لقد أدرك الإمام محمد بن سعود ضرورة التخطيط المسبق لبناء القاعدة السياسية والجغرافية للدولة والتكامل بين أجزائها مراعياً توازن القوى الداخلية والخارجية. وفي المقابل سارعت أكثر البلاد في منطقة الرياض إلى الانضمام إلى الدولة الجديدة بمجرد قيامها لقناعة زعمائها بصدق الشيخ فيما يدعو إليه ونبل مقاصده وتضحيته في سبيل الله لنشر الدعوة الإصلاحية التي نادى بها. كما سارع هؤلاء الزعماء بالاعتراف لأمير الدرعية محمد بن سعود بالمكانة التي تبوأها على سائر بلاد العارض، حيث ازدادت وتمكنت باتفاقه المعروف مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ورغم هذه المواقف الإيجابية من زعماء تلك البلاد، إلا أن وساوس الشيطان، وحب الزعامة، وممالأة الأشرار، والانخداع بوشاية المغرضين، أوقع بعض هؤلاء الزعماء في مواقف أقل حماسة في الولاء للدولة السعودية مع مرور الوقت، بل جرّ بعضهم إلى معاداتها علانية مما أعاد البلاد إلى حالة شبيهة بما كانت عليه قبل قيام الدولة السعودية، لكن الدولة، مؤيدة بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أخذت على عاتقها وأد أي فكرة لبقاء الزعامات المحلية التي ترمي إلى تفكيك وحدة البلاد، والتسلط على أهلها بعد أن ارتضوا الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتأييد الدولة التي قامت لنصرة دعوة التوحيد.(١)

وعلى هذا الأساس لاقت جهود الدولة السعودية الأولى لتوحيد البلاد النجدية مواقف إيجابية من بعض البلاد النجدية التي تضمها منطقة الرياض، بحدودها القائمة حالياً، مثل بلاد الوشم وبعض بلاد سدير. وفي المقابل واجهت مواقف عدائية من بلاد أخرى تراوحت عداوة بعضها بين المعارضة السلمية، أو الانضمام إلى الدولة ثم الخروج عليها إذا حانت الفرصة، أو وجدت ضعفاً في موقف الدولة أو نصرة من أعدائها، ومن أبرز الزعماء في هذا الجانب عثمان بن معمر. وبلغت عداوة بعض البلاد الأخرى حد المجابهة العلنية للدولة بكل ما تستطيع من قوة، وممالأة أعدائها، حيث لاقت الدولة من زعماء هذه البلاد عنتاً شديداً أمثال دهام بن دواس أمير الرياض وزيد بن زامل أمير الخرج. وحيث

---

(١) للوقوف على حالة المجتمع في الجزيرة العربية، وفي بعض البلاد الإسلامية من النواحي الدينية، والسياسية، والاجتماعية، . انظر ما دون من مصادر في هامش ٣، صفحة ٩.

إن هذا الفصل يركز على الدور الذي قامت به بلاد منطقة الرياض في عهد الدولة السعودية الأولى فإن من الأهمية بمكان بيان مواقف هذه البلاد وزعمائها، وخاصة من وقف في وجه الدولة وجابهها وصولاً إلى الحديث عن تمكن الدولة من ضم جميع هذه البلاد تحت مظلتها في بوتقة واحدة دينياً وسياسياً واجتماعياً.

ضم الرياض:

تحقيقاً لسياسة الدولة السعودية الأولى في البناء والوحدة أدرك الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب مدى أهمية الرياض لتشييد ذلك التكامل. ولا شك أن ضم الرياض هو المحك الحقيقي لمدى قوة الدولة خاصة بعد أن انضمت كل من العيينة ومنفوحة طواعية لحكومة الدرعية، في الوقت نفسه الذي أظهر دهام بن دواس أمير الرياض العداء الصريح والتحرش بالبلاد المؤيدة للدولة. ولتحقيق استراتيجية الدولة في هذا المجال انطلقت أول المعارك الجهادية التي وقعت بين الدولة السعودية الأولى وأعدائها نحو الرياض ابتداء من ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م.

والواقع أن سياسة الدولة السعودية الأولى التي اعتمدت عليها في فتوحاتها كانت تنطلق من مبدأ إتاحة الفرصة للبلاد النجدية وغيرها للانضمام طواعية وبشكل سلمي للدولة قبل أن تلجأ إلى الجهاد. وبالفعل فإنه، بالإضافة إلى انضمام بلاد العيينة وحريملاء ومنفوحة إلى الدولة السعودية في وقت مبكر من عمر الدولة، انضمت في وقت لاحق بلدتي ضرما وشقراء، رغم ما حصل في بعضها من نكوص عن الولاء للدولة لأسباب خاصة بكل دولة سنوضحه في حينه.[١] وكما أوضحنا سابقاً فإن الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود أرسلا إلى دهام بن دواس لينضم إلى الدولة. وقد أكد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على مبدأ إتاحة الفرصة لانضمام البلدان النجدية أو غيرها بالسلم وعدم البدء بمهاجمة البلدان إلا من أضمر الشر للدولة أو ابتدأها به، وقد طبق الإمام محمد بن سعود وأولاده من بعده هذا المبدأ. يقول الشيخ في رسالة إلى السويدي من أهل العراق "وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكناً، ولكن قد نقاتل بعضهم

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٨٨، ٩٤-٩٥.

على سبيل المقابلة "وجزاء سيئة سيئة مثلها" وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرف "(١) وتعليقاً على هذا المبدأ السلمي الذي تبناه الشيخ محمد بن عبدالوهاب يقول ابن غنام "بقي رحمه الله وأجزل ثوابه لديه قريباً من سنتين من غير شك ولا ريب يناصح الناس، ويكشف عن الحق حجب الالتباس، ويشيد السنة النبوية بأقوى أساس" ويقول في مكان آخر "ولم يأمر رحمه الله تعالى بسفك دم ولا قتال، على أكثر أهل الأهواء والضلال حتى بدأوه بالحكم عليه وأصحابه بالقتل والتكفير". (٢) ويقول ابن بشر في هذا المجال "ولما استوطن الشيخ الدرعية وكان أهلها في غاية الجهالة ورأى ما وقعوا فيه من الشرك الأكبر والأصغر والتهاون بالصلوات والزكاة ورفض شعائر الإسلام، جعل يتخولهم بالتعليم والموعظة الحسنة، ويفهمهم معنى لا إله إلا الله، ويشرح لهم معنى الألوهية... ثم إن الشيخ كاتب أهل البلدان بذلك رؤساءهم وقضاتهم، فمنهم من قبل واتبع الحق، ومنهم من اتخذه سخرياً واستهزأوا به ونسبوه إلى الجهل وعدم المعرفة، ومنهم من نسبه إلى السحر، ومنهم من رماه بأشياء هو بريء منها... ثم أمر الشيخ بالجهاد". (٣) يقول الألوسي عن أسلوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب والمراحل التي اتبعها في دعوته القائمة على المبدأ السلمي حيث أخذ أولاً يبلغ دعوته "في لين ورفق بين قومه، ثم أخذ يرسل الدعوة لأمراء الحجاز والعلماء والأقطار الأخرى، حاثاً لهم على استنهاض الهمم في مكافحة البدع والرجوع إلى الإسلام الصحيح". (٤)

ولا شك أن هذه دلالات تؤكد على أن الدولة السعودية لم تبدأ بالهجوم على الرياض، بل إن أمير الرياض، دهام بن دواس، كان هو البادئ بالعدوان. وإذا كان هذا هو الحال فكيف كانت علاقة دهام بن دواس بالدرعية، وما هي دوافع عداوته وتحرشه بالدولة السعودية، وكيف كان ذلك، وما هي مراحله ونهايته؟.

---

(١) رسالة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالرحمن بن عبدالله السويدي، عالم من أهل العراق وكان قد أرسل له كتاباً يسأله فيه عما يقول الناس فيه. انظر: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، الرسالة الثالثة عشرة، ج١، ص ص ١٥٢-١٥٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣، ج ٢ ص ٤.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٤٤-٤٥.

(٤) أمين، أحمد، (١٩٧١م)، مرجع سابق، ص ٢٠.

كانت العلاقة جيدة وطبيعية بين الرياض والدرعية قبل قيام الدولة السعودية، وكان دهام بن دواس أمير الرياض يقدر الأمير محمد بن سعود ويظهر له الصداقة والإخلاص لما للأمير عليه من فضل سابق، حيث ساعده ضد أعدائه عندما أمده بقوة مع أخيه مشاري الذي قدم له العون ولازمه عدة أشهر حتى استتب له الأمر في الرياض.(١) وبالإضافة إلى ذلك كان دهام يعلم مدى إمكاناته المادية والعسكرية، وفي الوقت نفسه كان يعرف مدى قوة الدرعية وهذا ما جعله يستنجد بها في عام ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م لحل مشكلاته الداخلية.(٢) لكن هذه العلاقة لم تستمر على هذا الحال، خاصة بعد انتقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية وقيام الدولة السعودية الأولى بناء على الاتفاق بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م. ومن المؤكد أن هناك عوامل متعددة اجتمعت وكانت سبباً في تغيير تلك العلاقة الطبيعية إلى علاقة عدائية من جانب دهام بن دواس، ورد فعل قوي من جانب الدولة السعودية.

وعند استقراء الأحداث نجد أن بداية الاحتكاك المسلح بين الدولة السعودية الأولى ودهام بن دواس حدث نتيجة تداعيات كثيرة صاحبت انتقال الشيخ إلى الدرعية، ومنها أن دهام عندما رأى انتصار دعوة التوحيد بمؤازرة أمير الدرعية وما نتج عنه من قيام الدولة السعودية على مبادئ التوحيد، والعزم على تصحيح العقيدة بشتى الوسائل حقد على هذه الدعوة ورفض الدعوة السلمية التي وجهها إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود بتأييد الدعوة والانضمام إلى الدولة السعودية حسداً مما أفاءه الله على الدرعية من فضل تعززت به مكانتها السياسية والدينية. ولم يكتف دهام بذلك بل عمد إلى اضطهاد من اتبع الدعوة الإصلاحية من أهل الرياض ليثنيهم عن رأيهم لكنه لم يفلح بل ازداد عدد المؤيدين للدعوة في بلاده وزاد هو حقداً وحسداً. ولم يقف الأمر عند ذلك بل استفحل أمره وعظم خطره وتزايد شره وضرره على رعيته.(٣) ولا شك أن هذا الموقف الذي اتخذه دهام نتج عن إدراكه بأن

---

(١) عن علاقة دهام بن دواس بن عبدالله بن شعلان بالأمير محمد بن سعود راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٥-٦؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٦٦.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص٨٢. وعن تفاصيل هذه المشكلات التي وقعت بين دهام ابن دواس وبين أهل بلدته السابقة منفوحة، ثم بينه وبين أهل الرياض بعد انتقاله إليها، ونصرة محمد بن سعود له، راجع: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٤٨-٥٠؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص٦٥-٦٦.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٤، ٦.

نفوذه وحكمه بدأ يتلاشى بظهور قوة الدرعية التي تعزز جانبها وقوي مركزها في داخل منطقة نجد، بل وخارجها، في فترة قياسية، وأصبحت قاعدة منتظرة ليس لمنطقة الرياض فحسب بل عاصمة للدولة السعودية الأولى. أما السبب المباشر والحاسم في استعجال الدولة السعودية كسر شوكة دهام فهو هجومه على بعض البلدان التي انضمت إلى الدولة السعودية مثل بلدتي منفوحة والعمارية.[1]

ومن دون الدخول في تفاصيل المعارك التي خاضتها الدولة السعودية ضد الرياض نجد أن الدولة السعودية في عهد الإمام محمد بن سعود ثم في عهد ابنه عبدالعزيز قامت بحوالي خمس وثلاثين غزوة ضد دهام بن دواس في الرياض.[2] ورغم أن بعض هذه المعارك حدثت إما عرضاً أو لم تتخذ اسماً معيناً، فإن المواقع الكبيرة والمشهورة بين الجانبين بلغت سبع عشرة موقعة، بعضها اشتهرت بأسماء معروفة مثل: وقعتا الشباب والعَبيد في عام ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م، ووقعة دلقة في عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م، ووقائع البنية والخريزة والبطين في عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، ووقعة الحبونية في عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م، ووقعتي البطحاء والوطية في عام ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م، ووقعتي الرشا وباب القبلي في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م، ووقعتي أم العصافير والبنية الثانية في عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م، ووقعة باب الثميري في عام ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م.

ورغم المدة الطويلة التي أمضتها الدولة السعودية في حرب دهام حيث إنه لم يمض عام إلا وكان بين الدولة وبين دهام معركة أو أكثر إلا أنه في غالب هذه المعارك كان النصر حليفاً للدولة السعودية. وفي فترات اليأس من تحقيق نصر واضح في معاداته للدولة السعودية كان دهام بن دواس يطلب الهدنة من

---

(١) تعود قصة هجوم دهام على منفوحة إلى عداوة قديمة بين دهام بن دواس وأهل منفوحة. وتتلخص قصة هذه العداوة في أن أباه كان رئيساً لهذه البلدة فقتل أناساً من أهلها، ومنهم المزاريع. وبعد وفاته تولى ابنه محمد فقام عليه أهل منفوحة بزعامة زامل بن فارس وقتلوه وأجلوا إخوته ومنهم دهام إلى الرياض. ومع مضي الوقت أصبح دهام خادماً لأمير الرياض، ثم تولى الإمارة نيابة عن ابن أخته القاصر، فغضب عليه أهل الرياض وتكتلوا ضده حتى ساعده الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية كما أشرنا من قبل. للمزيد من التفاصيل عن قصة دهام مع أهل منفوحة والرياض، وكذلك هجومه إلى بلدة العمارية راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ٤؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٤٨-٥٠، آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٢) عن هذه الغزوات وأسمائها وتواريخها انظر، الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص ص٩٥-٩٩.

الدولة فيجيبه الإمام محمد بن سعود إلى طلبه تأليفاً لقلبه، وأملاً في أن يقتنع بعدم جدوى معاداته للدولة.

وعلى سبيل المثال طلب دهام من الإمام محمد بن سعود في عام ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م المهادنة فلم يرفض طلبه لكنه أراد أن يتأكد من صدق نيته فطلب منه ثمناً لتلك الهدنة خيلاً وسلاحاً. ولتأكيد رغبته في الهدنة ونبذ المعاداة والرغبة في الولاء للدعوة والدولة طلب دهام من الإمام محمد بن سعود أن يرسل له رجلاً يعلّم الناس التوحيد ويقيم الشريعة فأرسل لهم عيسى بن قاسم فبذل جهده في التعليم ونفع الله به خلقاً كثيراً كانوا ضد دهام عندما نقض العهد في شهر شعبان من العام التالي ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م. وخوفاً من بطشه هاجروا إلى الدرعية.[1] وفي مثال آخر طلب دهام بن دواس في عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م من الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب أن يبايعهما على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. ومع شكّهما بالتزامه بالعهد بسبب مواقفه السابقة، إلا أنهما رجحا عامل المصلحة المحتملة، والالتزام بأحكام الإسلام التي توجب عليهما قبول من يعود إلى الحق والرشاد حتى يثبت ما يناقضه. ولكي يتثبتا من صدقه اشترطا عليه شروطاً منها: أن يدفع ألفي زر معجّلة، وأن يرد الأموال التي أخذها ممن غادروا الرياض خوفاً منه فالتزم بذلك، ومن دلائل خضوعه للدرعية أنه بعث ابنه دواس في شهر صفر من العام التالي ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م ضمن حملة الدولة السعودية الأولى ضد قبائل الظفير.[2] لكن هل استمر دهام في ولائه للدولة مدة طويلة؟. والجواب بالنفي حيث إنه ما إن علم بهزيمة جيش الدولة في الحاير في شهر ربيع الثاني من العام نفسه ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م أمام قوة رئيس نجران الحسن بن هبة الله المكرمي حتى فرح وابتهج. ولم يكتف بذلك بل هنأ رئيس نجران على هذا الانتصار، وأهدى إليه هدايا ووعده بالنصرة والمعونة إذا عزم على القضاء على الدولة السعودية. كما أنه أصبح قدوة سيئة في ذلك عندما فعل أمير الخرج زيد بن زامل مثل فعله. ولم يكتف دهام بن دواس بهذا

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٩، ٤٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٦٧-٦٨، ٧٢. وانظر كذلك: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٠٩ وما بعدها.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٦٣؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٩١؛ الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص١١٢.

بل إنه استغل فرصة وجود صاحب نجران وأرسل إلى عريعر بن دجين، زعيم بني خالد في الأحساء يستحثه على القدوم إلى الدرعية ويغريه كذباً بأن النظام فيها مختل. ودون الدخول في تفاصيل حملة صاحب نجران فإن الدولة اتقت شره بصلح عاد بناء عليه إلى بلاده قبل أن يصل عريعر بن دجين، وبذلك خابت آمال دهام بن دواس ومعه زيد بن زامل ومن ساعدهما. أما دهام بن دواس فلم ييئس بل نجده في عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥ يغدر بأهل منفوحة مما دفع الدولة السعودية إلى شن الحرب الثالثة عليه كما يقول الفاخري.(١)

ولا شك أن لكل شيء نهاية وكان عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م نهاية دهام بن دواس وخاتمة المطاف في عداوة الرياض للدولة السعودية. ففي هذه السنة قاد الإمام عبدالعزيز الجيوش ونازل أهل الرياض أياماً وضيق عليهم واستولى على بعض البروج وهدم المرقب وجرى بينه وبين أهلها عدة معارك قتل فيها عدد من الرجال من الجانبين. وبعدها أدرك دهام أنه يقود مقاومة خاسرة، حيث لم يستطع خلال تلك المدة أن ينال من الدولة السعودية أو البلاد التابعة لها، كما أنه لم يستطع استقطاب المؤيدين له عدا من تابعه من أهل الرياض مقتنعاً وهم القلة أو مرغماً وهم الكثرة. يقول ابن بشر عن نهاية دهام "وبعد هذه الوقعة دخل قلب دهام الرعب والخجل، وداخله الخوف والوجل فلم يستقر له عين، وقام يحاول الانهزام وجمع رؤساء بلده وأخبرهم بحقيقة مقصده وأنه مليء خوفاً ورعباً فصاحوا عليه بأجمعهم، وقالوا خذ منا العهد والميثاق فقال لهم: دعوني فليست هذه البلد لي وطن، ولا أجد لي بها أنس ولا سكن".(٢) وقد خيّر أهل الرياض بين البقاء أو الهرب معه، ثم هرب دهام في شهر ربيع الثاني عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م مع نسائه وأبنائه وأعوانه وتبعه بعض أهل الرياض نساء ورجالاً تاركين كل ما يملكون من الأموال والطعام والإبل.

وتمشياً مع مبادئ الدعوة الإسلامية وأحكام الحروب في الإسلام نادى الإمام عبدالعزيز، عندما دخل الرياض، بالأمان لمن بقي من أهلها، وختم أبواب من ارتحل منهم خوفاً عليها من السرقة، وبعث

---

(١) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص١١٣. وللمزيد من التفاصيل عن حملة كل من صاحب نجران وزعيم بني خالد على الدولة السعودية، راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٦٥-٦٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٩٣-٩٨.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١١٩. وانظر كذلك: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٨.

إلى الذين تابعوا دهام يؤمّنهم ويدعوهم إلى العودة إلى بلادهم فرجع الكثير منهم إلى بيوتهم.(١) أما من رفض العودة فقد جمعت أموالهم وأسلحتهم وأطعمتهم وأمتعتهم وأدخلت بيت المال.

وهكذا أسدل الستار على أطول مجابهة بين الدولة السعودية الأولى ومعظم أعدائها حيث كان ضم الرياض من أصعب المواقف التي عانت منها الدرعية، وقد استمرت حوالي ثلاثين عاماً، حيث استغرقت عهد الإمام محمد بن سعود كله وشطراً من عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد. وباستقراء الأحداث نجد أن عداوة دهام بن دواس أمير الرياض تذبذبت طوال سنواتها بين العداوة الواضحة، والهدنة الهشة، والسلم غير الثابت، لكن في أغلب هذه المدة كان دهام معلناً العداوة للدعوة الإصلاحية وللدولة السعودية. وبنظرة تحليلية نجد أن السنوات التي خضع فيها دهام للدولة ودخل في طاعتها لا تتعدى ثلاث سنوات متفرقة في خلال عشرين عاماً من الثلاثين عاماً التي استغرقتها عداوته. ومن ناحية أخرى نجد أنه عاهد الدولة أربع مرات ثم ينقض العهد في كل مرة، كما أنه انضم إلى الدولة وحارب إلى جانبها المعارضين لها ثم انقلب وأصبح أكبر عدو للدعوة والدولة. وفي مجال الوصف النوعي لهذه الحرب يمكن أن نلاحظ أن الحرب بين الدولة السعودية الأولى ودهام بن دواس اتخذت أسلوب الكر والفر وذلك ناتج عن عدم قدرة دهام على مجابهة الدولة السعودية في حرب مكشوفة.

ومن غير شك فإن استيلاء الدولة السعودية على الرياض كان له نتائج مهمة، سياسية واجتماعية وميدانية. فبالإضافة إلى أن الدولة تخلصت من عدو عنيد وقوي، فإنها استفادت من إمكانات الرياض العسكرية في ضم البلاد الأخرى. كما أن القوى الأخرى أدركت مدى قوة الدولة ولم تتحرش بها. وفي الميادين الحربية فإن الدولة السعودية باستيلائها على الرياض أمّنت ظهرها وخطوط مواصلاتها وأصبحت قادرة على القيام بحملات إلى بلاد بعيدة دون أن تخشى على عاصمتها.(٢) أما النتائج والآثار الاجتماعية التي خلفتها هذه الحرب فقد تمثلت في القتلى والجرحى وتشتيت الأسر. وحيث إن المؤرخين المعاصرين يركزون على عدد القتلى أكثر من تركيزهم على الجرحى وغيرهم، وقد قدر عدد

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٦٩.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن الوقائع الأخيرة التي حصلت بين الدولة السعودية وبين أمير الرياض، دهام بن دواس ونتائجها وآثارها راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٨٥-٨٦؛ وابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٤٨-١٢٠؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص١٠٣؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٦٦.

ضحايا هذه الحرب بأربعة آلاف قتيل، حيث فقدت الدولة السعودية قرابة ألف وسبعمائة[١] قتيل، بينما فقد دهام قرابة ألفين وثلاثمائة رجل. ولا شك أن هذه الأعداد تعتبر كبيرة في ميزان الحروب الإقليمية في ذلك الوقت. وكما اتضح من خلال شرح أسباب هذه الحرب وتطوراتها العسكرية نجد أن السبب في قيامها واستمرارها هو أمير الرياض دهام بن دواس الذي رفض جميع المحاولات التي بذلتها الدولة السعودية لإقناعه بتأييد الدعوة الإصلاحية وضم الرياض مع بقية البلاد النجدية بالطرق السلمية.

ضم العيينة:

لا شك أن العمليات الحربية التي قامت بها الدولة السعودية لضم الرياض، وما قامت به من حملات أخرى لتمكين سلطة الدولة في بعض البلاد المجاورة للرياض كان لها انعكاسات مهمة بالنسبة للدولة، وبالنسبة إلى البلاد الأخرى التي تضمها منطقة الرياض في الوقت الحاضر. لقد اتضح من خلال تلك العمليات الحربية مقدرة الدولة السعودية على التعامل مع أكثر من جبهة في وقت واحد كما سيتضح لاحقاً هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن الفترة الطويلة التي أمضتها الدولة السعودية في مقارعة دهام بن دواس قد أغرت بعض البلاد النجدية في منطقة الرياض بالتحلل من ارتباطها بالدولة السعودية لأسباب مختلفة.

فحينما كان تمرد دهام بن دواس، أمير الرياض، على أشده بدأ يلوح في الأفق تصرّف غير ودي للدولة السعودية من جانب عثمان بن معمر، أمير العيينة، الذي أوقع نفسه في موقف لا يتناسب مع مؤازرته الأولى للدعوة الإصلاحية. فما هي تطورات موقف ابن معمر، وما أسباب تحوله التدريجي عن موقفه المؤيد للدعوة المعترف بسيادة الدولة السعودية الأولى وعاصمتها الدرعية؟.

باستقراء الأحداث والمواقف التي كان عثمان بن معمر طرفاً فيها يمكن القول بإيجاز أنه أظهر العداوة للدولة ثلاث مرات في مواقف مختلفة.[٢] ورغم أنه في كل مرة يتم العفو عنه أملاً في لَمِّ الشمل وتوحيد الكلمة لتتفرغ الدولة إلى توحيد باقي البلاد النجدية الأخرى، إلا أن مواقفه العدائية وترسبات

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٨٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٠؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٨؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٦٩.

(٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧١.

حب الزعامة لديه ازدادت تعمقاً وظهرت دلالاتها فكانت وبالاً عليه أودت بحياته ليس على يد الدولة، بل على أيدي جماعة من أهل بلدته. ولقد كان نفر من أهل العيينة المتحمسين للدعوة المؤيدين لوحدة البلاد النجدية متذمرين من موقف ابن معمر ولم يرضوا عن مواقفه فقتلوه بعد صلاة الجمعة في جامع البلد وذلك في شهر رجب عام ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م. (١)

وكانت نهاية ابن معمر على أيدي أبناء بلدته قد كفى الدولة من مشكلات أسرية وحزازات هي في غنى عنها بل إن الدعوة الإصلاحية التي قامت الدولة على أساسها كان من أولى مهامها القضاء على ما تأصل من هذه المشكلات وانتشر. ولا شك أن الحزم أمر مهم في سبيل تدعيم وحدة البلاد على الحق والعدل وهو المبدأ الذي قامت على أساسه الدولة السعودية. ولا شك أن الدولة السعودية كفيت، بعد مقتل ابن معمر، من شوكة في جنبها لكنها لم تكن ترغب في أن تكون تلك نهايته، بل إن الأحداث السابقة تؤكد أن الدولة مدت إلى ابن معمر حبال المودة والنصح والتأييد لكنه رغب سلوك طريق آخر. ومما يدل على أن الدولة كانت راغبة في استقطاب آل معمر أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ذهب بنفسه إلى العيينة بعد مقتل عثمان بن معمر وتشاور مع أهلها فيمن يلي الإمارة فيها وأقنعهم بتعيين مشاري بن معمر رغم معارضة المؤيدين للدعوة في العيينة لهذا التعيين. (٢) وقد استمر مشاري في إمارة الدرعية مدة عشر سنوات حتى عزل عنها في عام ١١٧٣هـ بعد أن ظهرت منه أمور كثير أثبتت عدم كفاءته وإخلاصه، وعين مكانه سلطان بن محسن المعمري. وبذلك أسدل الستار على موقف العيينة المتذبذب في علاقاتها مع الدولة السعودية رغم أن مواقف ابن معمر لم تصل إلى ما وصلت إليه مواقف دهام بن دواس أمير الرياض. وبعدها أصبحت العيينة كغيرها من البلاد النجدية. (٣)

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١٣-١٤؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١١٠.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١٣-١٤

(٣) للمزيد من التفاصيل عن تطور موقف عثمان بن معمر راجع: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٥٣-٥٦، ٦٠-٦١، ٨٤؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص٩٤-٩٥؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص٧٠-٧١.

ضم منفوحة:

كانت منفوحة مع العيينة من أول البلدان النجدية في منطقة العارض التي انضمت طواعية إلى الدولة السعودية عند قيامها، لكن بوادر الفرقة في نفوس من يحب الزعامة أو من يرغب في الكسب ظهرت بعد ذلك بقليل. وكما ذكرنا سابقاً فإن عصيان دهام بن دواس في الرياض ضد الدولة شجع بعض الزعماء النجديين على حذو طريقه رغم فارق الإمكانات المادية والعسكرية والاستراتيجية. ففي عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م نقض أهل منفوحة الولاء للدولة السعودية وأعلنوا الحرب عليها وطردوا إمامهم محمد بن صالح. وقد أدى ذلك إلى حالة من الخوف لدى المؤيدين للدولة السعودية مما دفع عدداً كبيراً منهم إلى مغادرة البلدة، حتى إن عدد من غادرها إلى الدرعية في يوم واحد بلغ سبعين رجلاً.[١] ومن الواضح أن الدولة السعودية لم تبادر إلى قمع هذا العصيان وانتظرت حتى عام ١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م حيث قام الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود بحملة على منفوحة أسفرت عن مقتل أحد رجالها وهو علي أبو الماسح، ثم هزموا الإمدادات التي وصلتهم من الرياض.[٢] وهنا سؤال يطرح نفسه وهو لماذا لم تتحرك الدولة السعودية لقمع هذا العصيان في حينه؟. ويمكن الإجابة على هذا التساؤل بأن الدولة السعودية كانت منشغلة بمهام أخرى ومنها عصيان ضرما في عام ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م. أما عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤ فكان حافلاً بالنشاطات العسكرية، ومنها نقض دهام للعهد، وحملة الدولة السعودية على حريملاء حتى تم إخضاعها، لكن بعض المناوئين أعلنوا العصيان فجردت الدولة عليهم حملة فرقتهم.

ويبدو أن الحملة السعودية السابقة على منفوحة لم تؤت كل ثمارها حيث نجد الأمير عبدالعزيز يقوم بحملة أخرى على منفوحة في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م، أسفرت عن موقعة الرشا. وقد لقيت منفوحة خلال هذه الموقعة مساعدة من أمير الرياض مما أدى إلى مقتل عشرة من جيش الدولة وثلاثة من جيش أمير الرياض.[٣]

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ١٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٦٦.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٣.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٤؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٣.

ومن الواضح أن الدولة السعودية لم تستطع كسر شوكة أهل منفوحة حيث نجدها تقوم بعدة حملات في السنوات التالية. ففي عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م ورغم ما شهده هذا العام من حملات على عدة بلاد في نجد مثل الدلم وثرمداء وبلاد منيخ(١) وبلدة ثادق إلا أن الدولة أرادت إظهار قوتها بتكرارها الحملات على منفوحة حيث قام الأمير عبدالعزيز بحملة عليها في العام نفسه، ثم كرر الحملة في العام التالي ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م ضمن حملات أخرى على بلاد سدير والزلفي. وفي هذه الحملة كانت الغلبة للجيش السعودي حيث قُتل من أهل منفوحة سبعة رجال، لكن دون نصر حاسم لجيش عبد العزيز يستطيع به ضم منفوحة إلى حظيرة الدولة.(٢) ولهذا السبب كرر الأمير عبدالعزيز المحاولة حيث قام بحملة على منفوحة في عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م، رغم انشغاله في هذا العام بعدة حملات على بلاد الوشم والخرج. وكانت النتيجة كسابقتها انتصار جيش الدولة، وتبين مدى تمكن الدولة من المواجهة في عدة جبهات في وقت واحد.(٣) وبعد رجوعه من حملة على الأحساء في عام ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م، قام جيش الدولة بحملة محدودة على منفوحة حصل فيها على مكاسب مادية ومعنوية.(٤)

---

(١) لا يعرف اليوم بلدٌ باسم منيخ لكن هذا الاسم كان معروفاً خلال العصر الإسلامي. ذكره الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (١٣٩٤هـ)، مرجع سابق، ص٢٨٦ بقوله "... فترد منيخين ثم الحنبلي وهما ماءان، فمنيخين نخل قليل ولا نخل على الحنبلي، ثم الفردوس في وسط الحزن". ويعلق محمد بن عبد الله بن بليهد، محقق كتاب الهمداني، طبعة السعادة، (١٩٥٣م)، ص ٣٣٣ بقوله: "فترد منيخين، ثم الحنبلي الذي أعرفه منيخ واحد وهو بلد المجمعة والحنبلي قريب من الدهناء باق على اسمه إلى هذا العهد". وفي العصر الحديث، ذكر الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، **تاريخ نجد وملحقاته**، مؤسسة دار الريحاني، بيروت، ص٢٧، أن منيخ اسم للمجمعة وحرمة معاً، وأن حرمه أقدم تأسيساً حيث عمرت سنة ٧٧٠هـ، بينما عمرت المجمعة سنة ٨٢٠هـ. انظر تعليق المحقق على كتاب: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٣ هامش ١. ويقول ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص٤٠٢؛ منيخ بضم الميم وكسر النون وإسكان الياء (المجمعة) وما حولها من واديها. كان هذا الاسم يطلق عليها قديماً ولا تعرف إلا به. أما الآن فقد أصبح هذا الاسم أثرياً. وكانوا قبل يقولون سدير ومنيخ. أما الآن فإن المجمعة التي هي منيخ سابقاً قد أصبحت قاعدة سدير كله.

(٢) راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٥؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٦؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٤) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٦٢. انظر عن حملته على الأحساء: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٥.

وهكذا من خلال العرض السابق يتضح مدى الجهد والمعاناة التي بذلتها الدولة السعودية في سبيل إخضاع بلاد منطقة الرياض، إذ ما إن تنضم بلدة حتى تُظهر الأخرى العصيان كما يتضح من هذا البحث.

ضم حريملاء:

وإذا كان انتكاس بعض البلاد النجدية في ولائها للدولة السعودية كان مفاجأة، فإن ما شهدته بلدة حريملاء آنذاك من عصيان للدولة لم يكن مفاجئاً نظراً للموقف الذي اتخذه بعض أهلها من وجود الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بلدتهم في بداية قيامه بالدعوة. ومع ذلك فإن الأمر المستغرب في انتكاسة بعض أهل هذه البلدة هو أن الذي تزعّم معارضتهم للدولة، الذي أعلنوه في شوال عام ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م، هو قاضيها سليمان بن عبدالوهاب، أخو الشيخ محمد بن عبدالوهاب.(١) ولم يكتفوا بذلك بل إنهم خرجوا على الدولة وحاربوها وعزلوا أميرهم محمد بن عبدالله بن مبارك وأخرجوه من البلدة.

ويبدو أن الدولة السعودية لم تستغرب هذه الانتكاسة بسبب مواقف سابقة لأهل حريملاء. كما أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب نفسه لم يستغرب ما قام به أخوه لأنه سبق أن عرف موقفه من الدعوة فكتب إليه الشيخ ينصحه ويحذره من سوء العاقبة، فكتب إلى الشيخ واعتذر منه، وأكد له التزامه بالعهد، وأنه سيغادر حريملاء إن وقع من أهلها عصيان أو مخالفة. ويذكر ابن غنام أن سليمان أرسل "رسالة زخرف فيها القول. . . ". ويؤكد ذلك في مكان آخر بقوله "ولكنه لم يلبث أن كشف عن غدره ومكره، وحسده لأخيه، وغيرته منه، فنقض العهد" وفي موقف آخر يذكر ابن غنام أن سليمان كتب مع شخص اسمه سليمان بن خويطر كتاباً إلى أهل العيينة ذكر فيه شبهاً مريبة وأقاويل محرفة وأحاديث مضلة وأمره أن يقرأها على الناس في المجالس والبيوت، فكان لها تأثير سيئ حيث اقتدى بها بعض الناس. وعندما

---

(١) كان سليمان بن عبدالوهاب قد ألّف كتاباً أسماه "فصل الخطاب في الرد على ابن عبد الوهاب"، ولكن الناشر سماه "الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية" إمعاناً في أهداف أعداء الدولة؛ لأنه أكثر جذباً وبريقاً. لكن الشيخ سليمان عاد في النهاية والتزم بمبادئ الدعوة الإصلاحية وأقام في الدرعية حتى توفي في شهر رجب عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م. انظر ترجمة له في تعليق المحقق على كتاب: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧١ هامش ١؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢٩؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧٢ الهامش.

علم الشيخ محمد بن عبدالوهاب أمر بقتل الرجل.[١]

وقد عزم أمير حريملاء المعزول وأعيان البلد الذهاب إلى الدرعية وإبلاغ الإمام محمد بن سعود بما حصل من نقض العهد في بلدتهم فخاف أهل الفتنة واتصلوا بآل حميد من قبيلة الأمير المعزول كي يعتذرون نيابة عنهم ويحثونه ومن معه على الرجوع ويعدونه بالنصرة وعدم الخروج على سلطة الدولة. وكان بعضهم يضمر خلاف ذلك فاستشار الشيخ والإمام فأشاروا عليهم ألاّ يذهبوا إليهم إلا بعدد كبير من الرجال المسلحين، لكنه لم ينفذ المشورة وذهب بعدد قليل فعلم بهم أهل حريملاء وقاموا بمساعدة قبيلة آل راشد وحاصروهم وقتلوا الأمير وثمانية من أعوانه وهرب البقية إلى الدرعية. واستطاع مبارك ابن عدوان أن ينجو بنفسه ويهرب إلى الدرعية حيث أخبر الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب بما حصل في بلدته حريملاء والأمر الذي آل إليه مصير أميرها من قبل الدولة السعودية. ثم إن أهل حريملاء استعدوا للحرب بأن حصنوا بلادهم، كما أرسلوا إلى مشاري بن معمر لكي ينضم إليهم لكنه رفض لعدم رغبته في الخروج على الدولة السعودية.[٢]

ومما يلاحظ أن الدولة السعودية في هذه الفترة لم تحاول التدخل عسكرياً لقمع الفتنة في حريملاء أملاً في حل المشكلة داخلياً، ولانشغال الدولة بالتعامل مع مشكلات أخرى مع الرياض ومنفوحة وعصيان أهل ضرما. ولا شك أن تأخر الدولة في الرد الحاسم جعل أهل حريملاء يعتقدون بقوتهم وبضعف الدولة ولذلك تجرؤوا على مهاجمة الدرعية، عاصمة الدولة عدة مرات، في عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م. وهذا ما جعل الدولة السعودية تتنبه للخطر، وتقوم بحملات محدودة على حريملاء لإظهار هيبتها في هذه البلاد وغيرها، كان بعضها بقيادة الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود.[٣]

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٧، ١٩-٢٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٦٥.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٦٦؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧٢.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١٨-١٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٦٦.

ويبدو أن قادة الدولة السعودية وكذلك الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد ضاقوا ذرعاً بالأحوال المتردية التي يعيشها سكان بلدة حريملاء من جراء الفتن والخلافات الداخلية فأرادوا أن يضعوا لها حداً بضمها عنوة للدولة السعودية. ففي جمادى الآخرة من عام ١١٦٨هـ/ مارس ١٧٥٥م، برغم نقض دهام بن دواس العهد في هذه السنة، ورغم انشغال الدولة السعودية بحملات عسكرية في جهات أخرى من بلاد منطقة الرياض، وانشغالها بخروج أهل منفوحة على الدولة في هذه الفترة، إلا أن الدولة لم تستطع التأخر أكثر من ذلك فقام الأمير عبدالعزيز على رأس حملة قوامها عدد كبير من المقاتلين. وعندما قرب من البلدة وضع كمينين ترأس أحدهما وجعل على الثاني مبارك بن عدوان. وعندما بدأ الهجوم خرج الكمينان وهاجم الجميع البلد حيث انهزم أهله وتفرقوا في الوديان والشعاب، وقد قتل منهم حوالي مائة مقاتل. وهمّ عبدالعزيز بالرجوع إلى بلاده، لكن أمير ضرما دخل حريملاء مع جيشه وبعث إلى عبدالعزيز بالخبر فعاد عبدالعزيز ودخل البلدة ونادى بالأمان لأهلها، ثم عين عليها مبارك بن عدوان. وقد قتل في هذا الهجوم عدد من أهل حريملاء كما هرب سليمان بن عبدالوهاب إلى سدير ماشياً. وبهذا انتهى عصيان أهل حريملاء وأعلنوا انضمامهم إلى الدولة السعودية الأولى، وكان ذلك يوم الجمعة الثامن من شهر جمادى الأولى على رواية ابن غنام، والسابع من جمادى الآخرة على رواية ابن بشر عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م.(١)

لكن هل انتهت معاناة أهل حريملاء؟ وهل ارتاحت الدولة السعودية من شوكة في جنبها؟. الإجابة على هذا التساؤل تبدو سلبية إذ أنه بالرغم من خضوع حريملاء للدولة السعودية إلا أن هناك فئات من أهلها لم تقتنع بهذا التوجه أملاً في بقاء نفوذهم ومصالحهم، ولذلك هربوا عندما دان أغلب الأهالي بالطاعة للدولة. وفي محاولة يائسة من هؤلاء الخارجين استجمعوا قواهم وأعوانهم من زعماء البلاد النجدية الذين سبق أن أعلنوا خروجهم على الدولة ومنهم دهام بن دواس أمير الرياض، وابن فارس صاحب منفوحة، وإبراهيم بن سليمان أمير ثرمداء، وكذلك جماعة من أهل الوشم، وأهل سدير، وأهل ثادق، وسار الجميع لاستعادة حريملاء. وعند وصولهم دخلوا منزلة الحسيان فقاتلهم أميرها

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٤٥-٤٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٧٠-٧٢؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٨٢.

بمساعدة أهلها لكن يبدو أنه خاف من الهزيمة بعد أن قتل من رجاله ثمانية عشر رجلاً فاستنجد بالإمام محمد بن سعود الذي سارع إلى نجدته فحصل بينه وبين المهاجمين معركة سميت معركة الدار، نسبة إلى الدار المعروفة ببيت ناصر من الحسيان، في شهر ذي القعدة عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م وقد أسفرت هذه المعركة عن قتل حوالي ستين رجلاً من المهاجمين وهرب آخرون وأسر البعض منهم حتى أفرج عنهم بفدية. وبذلك تشتت شمل المهاجمين وفشلت خطتهم في استعادة حريملاء.[١]

وهنا يبرز تساؤل عن مدى حفظ مبارك بن عدوان الجميل للدولة السعودية بعد أن أعادته إلى الإمارة؟. لقد أثبتت الأحداث التالية أن العلاقة الطيبة بين الطرفين لم تستمر بل انقلبت إلى عداوة بسبب تصرفات ابن عدوان وشخصيته. فقد اغتر بنفسه وأصبح يحتقر المخالفين له من المؤيدين للدولة السعودية من أهل حريملاء، بل بلغ به الأمر إلى حد جعله لا ينفذ الأوامر التي يصدرها إليه الإمام محمد ابن سعود أو الشيخ محمد بن عبدالوهاب.[٢] ومن الأمثلة على تصرفات ابن عدوان غير المبررة أنه خلال حملة الدولة السعودية على ثرمداء عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م كان لابن عدوان علاقة فيما حدث لأميرها وأخذه أسيراً لكنه أطلقه بعد وصوله إلى حريملاء دون علم زعماء الدولة السعودية أو الشيخ محمد بن عبدالوهاب فغضبا عليه. وبسبب هذا التصرف ولكي لا يزيد غروره، وللحيلولة دون إفساح المجال له للانتقام عُزل عن إمارة حريملاء وعُين ابن عمه حمد بن ناصر بن عدوان بدلاً عنه على رواية ابن بشر، وعلى رواية ابن غنام أحمد. وترضية له أذن الإمام محمد بن سعود أن يأخذ من نخيل حريملاء ما يريد بشرط أن يقيم في الدرعية معززاً مكرماً وأن تتحمل الدولة خراجه. وتظاهر مبارك بالموافقة لكنه طلب زيارة أخته في بلدة العيينة فوافق الشيخ، ثم نكث بوعده وركب حصاناً من هناك وأسرع إلى حريملاء، لكن أهل حصنها علموا به فأغلقوا باب الحصن فاستجمع أعوانه وأناساً من قبيلته فخاف أهل البلدة انتقام الدولة فتفرقوا عنه فلم يجد بداً من الهرب مع أعوانه إلى بلدة الصفرة ومنها إلى المجمعة حيث طلب من أميرها ومن أهل حرمه، وأهل سدير، وأهل الوشم، النصرة. ورداً للجميل قام أمير ثرمداء بمساعدة ابن عدوان والسير معه إلى حريملاء، لكنهم عدلوا عن رأيهم بعد أن علموا أن الأمير

(١) انظر ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢ص ص٤٦-٤٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٧٢-٧٣.

(٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧٣.

عبدالعزيز سبقهم إلى حريملاء ففشلت خطتهم. [(١)] ولم تنته عداوة ابن عدوان عند هذا الحد بل قام في عام ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م بمساعدة عريعر بن دجين، زعيم بني خالد في الأحساء، في حملته على الدولة السعودية. [(٢)] والواقع أن جميع خطط مبارك بن عدوان ضد الدولة السعودية قد فشلت وتشتت شمله وتفرق عنه أتباعه وظل طريداً حتى مات في المجمعة عام ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م. [(٣)]

وهكذا نلاحظ أن الدولة السعودية تمكنت من استرجاع هيبتها في بلد مهم آخر من بلاد منطقة الرياض وأثبتت لأعدائها وللموالين لها على حد سواء أن الوقت قد حان للتّسليم بقوتها ونفوذها باعتبارها دولة تسعى إلى جمع البلاد النجدية في بوتقة واحدة تقضي على المشكلات التي كانت محور حياتها.

ضم ثادق:

ومثل ما حصل في بلاد كثيرة، قامت الدولة السعودية بحملة في سنة ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م على بلدة ثادق أظهرت مقدرة الدولة في بداية عهدها على أخذ زمام المبادرة لتحقيق هدفها في ضم البلاد النجدية. [(٤)] ويبدو أن قادة الدولة السعودية لم يكونوا في عجلة من ضم بلدة ثادق بالقوة؛ لأنهم لم يجدوا معارضة واضحة، ولاعتقادهم أن مسألة انضمامها باتت قريبة ولن تحتاج إلى وقت طويل، والأمر المهم هو انشغال الدولة بمقارعة أعداء أكثر شراسة وأقوى عدة وعدداً؛ من أمثال دهام بن دواس وغيره من زعماء منطقة الرياض.

---

(١) وفي نفس هذه الحملة عاقب الأمير عبدالعزيز أهل رغبة على خذلانهم لأميرهم الموالي للدولة السعودية، انظر: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٣؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٧٩-٨١. وسيأتي تفصيل حملة الدولة السعودية على ثرمدا لاحقاً. وانظر كذلك آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٢) للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٨١-٨٢.

(٣) عن حملة عريعر ونهاية ابن عدوان انظر: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ص ١١٣-١١٤؛ غرايبة، عبدالكريم محمود، (١٣٨٠هـ)، **مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٨م**، ج١، العراق والجزيرة العربية، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ص٣٥٥.

(٤) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٣؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٥٩.

وبعد حوالي عشر سنوات، وضمن عدة حملات لضم البلاد النجدية أو لتأديب بعضها على معارضتها للدولة قام الأمير عبدالعزيز في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م بحملة على بلدة ثادق حصل خلالها بينه وبين أهل البلدة معركة قتل فيها ثمانية رجال من جيش الدولة، وثمانية من أهل ثادق. وعند ذلك أدرك أهل ثادق عدم جدوى مقاومتهم فطلبوا الأمان من عبدالعزيز وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، ثم ذهب وفد منهم إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود. وقد قوبلوا مقابلة حسنة ثم عادوا إلى بلادهم وعين الإمام محمد بن سعود عليهم دخيل بن عبدالله بن سويلم، كما أرسل معهم أحمد بن سويلم يعلمهم التوحيد وأصول الدين ويفقههم في الدين. (١)

وخلال حملة عريعر بن دجين على بلاد الجبيلة في عام ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م ساعده عدد من زعماء بلاد نجد، ويظهر أن أهل ثادق ممن ساعدوه بدليل أنهم لما فشل في حملته ندموا على ذلك وبعثوا إلى الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب يطلبون العفو على أن يدفعوا للدولة ثمرة الزرع والتمر نكالاً، فقبلوا منهم وبايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، ثم عين عليهم ساري بن يحيى بن علي بن سويلم أميراً. (٢)

ضم الحاير:

وفي بداية الثمانينات من القرن الثاني عشر الهجري بدأت هيبة الدولة السعودية تتضح، وأصبحت قوتها ظاهرة. وبالرغم من أن عداوة دهام بن دواس ما زالت قائمة إلا أن قوته شاخت، ومعنوياته ضعفت، وآماله بدأت تتلاشى. وفي هذا الوقت أصبحت الدولة قاب قوسين أو أدنى من تحقيق نصر حاسم على أعدائها وخاصة في البلاد المجاورة للدرعية. ولتحقيق التوازن الجغرافي في هذه المنطقة قام الإمام عبدالعزيز نفسه بحملة على الحاير، المعروف بحاير سبيع، في عام ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م، إلا أنه جاءهم من ينذرهم فاستعدوا، وعندما وصلت الحملة السعودية حصل بين الفريقين قتال كانت الغلبة فيه للجيش السعودي لأنه كان الأقوى فانهزم أهل الحاير واعتصموا بالقصر الموجود في البلدة حيث كان أهله خارجين على الدولة، ولم يحاصرهم جيش الدولة بل اكتفى بمعاقبتهم بأخذ بعض مواشيهم. (٣)

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٦.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٢.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٧٧-٧٨.

وفي عـام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م سـار على رأس حـملة عـسكرية لإخـضـاع بلدة الحـاير وضـمـهـا للدولة السعودية، حيث حاصر البلدة فلم يخرج أحد من أهلها لمقاتلته فاكتفى بقطع بعض نخيلها حتى أذعنوا وبايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. (١)

ضم بلاد الوشم: (٢)

من أهـم بلاد الـوشم آنذاك شـقـراء وهي من أول البـلاد في منطقـة الـرياض التي أيدت الـدعـوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم كانت من أوائل البلدان التي انضمت إلى الدولة السـعـودية، ولـهـذا كـانت مـحل تقـدير وحـمـاية الدولة السـعـودية. وقـد أكـد أهل شـقـراء في عـام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م تأييدهم جميعاً للدعوة الإصلاحية، ودخولهم في طاعة الدولة السعودية. (٣) وبسبب موقفـهم هذا تعرضـوا لهجوم من بعض القـوى المناوئة للدولـة السعـودية. ففي عـام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م تحزب أهـل منيخ وسدير والوشم وساروا إلى شقراء للانتقام منهم لمبادرتهم بتأييد الشيخ ومبايعة الدولة السعودية، حيث وصل المعتدون إلى شقراء وبدؤوا بالهجوم عليها. ورغم انشغال الدولة في هذا العام بمشكلات أخرى مثل نقض دهام بن دواس العهد مع الدولة، وحملة الأمير عبدالعزيز على حريملاء، وهجوم المناوئين من أهل منفوحـة، إلا أن الإمام مـحـمـد بن سعـود أرسل إلى أهـل شـقـراء يطمـئنهم بأن الدولة ستقف معهم، ثم سارع بإرسال نجدة إليهم بقيادة ابنه عبدالعزيز. وعند وصوله إلى مشارف شقراء وضع للمعتدين كميناً وطلب من أهل شقراء مقاتلتهم، ثم خرج عليهم الكمين فانهزم المعتدون إلى بلدة القراين حيث سميت هذه المعركة باسمها. وقد قتل من المعتدين خمسة عشر رجلاً، وحوصر عدد منهم حتى هربوا في جنح الظلام، وبذلك استمرت شقراء مؤيدة للدعوة والدولة. (٤)

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٨٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١١٥.

(٢) يقول الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (١٣٩٤هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٠٩-٣١٠؛ "الوشم من أرض اليمامة وهو للقراوشة من بني نمير وأول الوشم ثرمداء، وأثيفية، وأثيثية وهي لمعشر عمارة بن عقيل... وأشيقر والشقراء وهما لبني تميم... وبلبول... قال ومنها ومما يعد في حوزتها سواد باهلة وأوله من مُشرقه بلد يقال له القريع يعرف ببني زياد من باهلة، ثم أعلى منه حصن آل عصام وهو من ولد عصام خادم النعمان....". وللمزيد من المعلومات عن منطقة الوشم انظر: ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص ص٤٤١-٤٤٤.

(٣) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص١٠٩.

(٤) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)،=

ضم القصب:

وبعد أن اتضحت استراتيجية الدولة السعودية في ضم بلاد منطقة الرياض، قام الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود في عام ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م بحملة على بلدة القصب في الوشم وحاصرهم حتى صالحوه على ثلاثمائة أحمر، وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.[١]

ضم مرات:

في عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م قام الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود بحملة عسكرية إلى الوشم قاصداً بلدة مرات. ويبدو أن هجومه على هذه البلدة حصل نتيجة تواطؤهم مع أهل ثرمداء في عام ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م كما سيتضح ذلك عند الحديث عن ثرمداء. وعند وصوله إلى بلدة مرات وضع كميناً خارج البلدة، فلما بدأ هجومه عليها خرج الكمين فهرب أهل البلدة بعد أن قتل منهم حوالي عشرين رجلاً، بينما قتل من جيش عبدالعزيز رجلان.[٢] ولم يحصل بعد هذا التاريخ ما يفيد بعصيان أهل مرات مما يدل على أنهم انضموا إلى الدولة السعودية تلقائياً.

ضم أثيثية:

كانت بلدة أثيثية من البلدان التي أيدت الدعوة الإصلاحية وانضمت إلى الدولة السعودية في وقت مبكر، لكن زعماء البغي لا يهنأ لهم بال إلا برؤية عقد الدولة السعودية قد انفرط حقداً عليها، وطمعاً في مكاسب مادية ومعنوية. ففي عام ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م نقض أهل أثيثية البيعة للدولة السعودية، وحاربوها، وقتلوا أميرها عبدالكريم بن زامل. وقد شجعهم على ذلك أمير ثرمداء إبراهيم بن سليمان المعادي للدولة السعودية عندما استشاروه في نقض البيعة فشجعهم على ذلك كي ينضموا إلى حلفه. ويبدو أنهم وجدوا الفرصة مواتية في هذا الوقت بسبب انشغال الدولة في حملة قام بها الأمير عبدالعزيز

= مصدر سابق، ج١، ص ص٧٤-٧٥؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٣.

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٢؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٥؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٧؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٤.

على الأحساء في عام ١١٧٦هـ/ ١٧٦٨م.[١] وقد انضمت بعد ذلك بلدة أثيثية إلى الدولة السعودية دون الحاجة إلى حملات عسكرية.

ضم الفرعة:

وفي حملته على بلاد الوشم عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م قام الأمير عبدالعزيز بحملة على أهل بلدة الفرعة وحصل بينهم قتال سقط فيه من أهل البلدة عدة رجال. وبعد ذلك بعدة أيام أدرك أهل هذه البلدة عدم مقدرتهم على مقاومة الدولة السعودية، كما أنهم عرفوا أنه ليس لهم غنى عن حماية الدولة، ولذلك وفد أهل الفرعة على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.[٢] وقد اتخذتها الدولة السعودية خط المواجهة مع بلدان أخرى في الوشم حيث طلب الأمير عبدالعزيز من أهل الفرعة بناء برج الحليلة شرق الفرعة ليضيقوا به على أهل أشيقر ويكون دفاعاً عن بلدتهم.[٣]

ضم أشيقر:

رغم تأييد شقراء وبلاد أخرى في إقليم الوشم للدعوة الإصلاحية ودخولها في طاعة الدولة السعودية الأولى في وقت مبكر، كما أوضحنا في الصفحات السابقة، إلا أن بلدة أشيقر وهي من البلاد القريبة من شقراء تأخرت عن هذا السبق. وبالرغم من عدم وجود دليل على شق بلدة أشيقر عصا الطاعة، أو اتخاذها موقفاً سلبياً من الدعوة الإصلاحية في بدايتها، أو معاداة الدولة السعودية فيما بعد، إلا أن الدولة السعودية، بعد أن تمكنت من ضم كثير من بلاد منطقة الرياض، بدأت في ضم البلاد الأخرى، وبخاصة الصغيرة منها. وبرغم انشغال الدولة في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م بحملات مختلفة على الرياض ومنفوحة وثادق وجلاجل والعودة وتحزب أهل منيخ عليها، إلا أنه من الواضح أن الدولة كانت قادرة على التعامل مع أكثر من جهة. ففي هذا العام قام الأمير عبدالعزيز بحملة على بلدة أشيقر

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٦٢-٦٣؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٩١.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٦٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٧.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٨.

وعند وصوله خرج عليه أهلها فحصل بينهم قتال انهزم فيه أهل البلدة وقتل منهم أربعة رجال. [(١)] ورغم هذا الانتصار إلا أنه يبدو أن الدولة لم تعزم على ضم بلدة أشيقر بالقوة، بل كانت تريد الضغط عليها حتى يعلم المعارضون مدى قوة الدولة من جهة، ويتشجع المؤيدون لها من جهة أخرى، ولهذا نجد الدولة تتفرغ في السنتين التاليتين لمهام أخرى في بلاد الرياض وثرمداء وسدير والمحمل، ثم التصدي لحملة عريعر بن دجين على الجبيلة في عام ١١٧٢هـ، كما أوضحنا سابقاً. وعندما حان الوقت في عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م قام الأمير عبدالعزيز بعدة حملات على بلاد منفوحة وثرمداء ومنيخ وثادق والدلم. وعند عودته من الحملة الأخيرة سار إلى الوشم على رأس حملة هاجم بها بلدة أشيقر. وعندما قرب منها وضع كميناً، فلما نشب القتال بينه وبين أهل أشيقر خرج عليهم الكمين فانهزموا إلى بلدتهم بعد أن قتل منهم عشرون رجلاً. [(٢)] وبعد ذلك لم يذكر المؤرخون النجديون المعاصرون لأحداث بلاد نجد في هذه الفترة أية حملات سعودية على بلدة أشيقر. ويبدو أن الوضع استتب فيها رغم عدم انضمامهم إلى الدولة السعودية إلا في عام ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م عندما بايع أهل أشيقر ومن تبعهم الإمام عبدالعزيز على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. [(٣)]

ضم ثرمداء:

رغم التأييد الذي قامت به بلاد الوشم، وخصوصاً بلدة شقراء، للدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكذلك الطابع السلمي الذي ميّز علاقات بلاد الوشم بالدولة السعودية الأولى منذ قيامها إلا أن بلدة ثرمداء لم تسلك نفس المنهج، حيث كانت لها مواقف سلبية تراوحت بين العداء الواضح، وممالأة أعداء الدولة والوقوف معهم، أو إغراء بعض بلاد الوشم مثل مرات وأثيثية بالخروج على الدولة كما اتضح من خلال هذا البحث. ولا شك أن هذه المواقف فرضت على الدولة

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٥؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٥٦-٥٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٨٣-٨٤.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٧٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٣.

التعامل معها بحزم منذ البداية. ففي عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م قام أهل ثرمداء بعصيان ضد الدولة السعودية فأرسلت جيشاً كبيراً على قسمين. القسم الأول يقوده عثمان بن معمر على رأس أهل العيينة وحريملاء، وقسم يقوده الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود على رأس أهل الدرعية وقراها وأهل ضرما، لكن القيادة العامة للجيش كانت تحت إمرة عثمان بن معمر. وبعد وصول الجيش إلى ثرمداء وضعوا كميناً، وفي الصباح اشتبك جيش الدولة مع المقاتلين من أهل ثرمداء في معركة عرفت بوقعة البطين، ثم خرج عليهم الكمين فدارت الدائرة على أهل ثرمداء فولوا منهزمين وقتل منهم نحو سبعين رجلاً. وبعد ذلك قصد مقاتلوهم قصر الحريص فتحصنوا فيه وأخلوا البلدة. وفي هذه الأثناء رأى الأمير عبدالعزيز أن يدخل جيش الدولة البلدة لتثبيت ولائها للدولة، لكن عثمان بن معمر رفض ذلك دون إبداء الأسباب فحصل بينهما كلام وألقى عبدالعزيز اللوم على عثمان لكنه استمر في موقفه. وازداد الأمر تعقيداً بينهما عندما أراد عبدالعزيز دخولها بمن معه من الجيش لكن عثمان، الذي كان معه أكثر الجيش رجع إلى العيينة. وبقي عبدالعزيز إلى آخر النهار ثم عاد إلى الدرعية.[(١)] ونتيجة لذلك ساءت العلاقة بين الأمير عبدالعزيز وعثمان بن معمر كما سبق أن فصلنا ذلك عند الحديث عن العيينة وموقف أميرها من الدولة السعودية. والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا عاد عثمان قبل أن يدخل البلدة التي جاء أصلاً لإعادتها إلى بوتقة الدولة، وما سبب رفضه لطلب الأمير عبدالعزيز؟. وفي غياب الروايات التي تبين حقيقة هذا الموقف، والدوافع وراءه، فإن المتأمل للأحداث التي صاحبت توحيد البلاد النجدية يدرك أن هناك تغيراً في موقف ابن معمر من الدولة السعودية والولاء لها كما أوضحنا سابقاً عند الحديث عن موقف الدولة من انتكاسة العيينة بزعامة أميرها عثمان بن معمر.

وإزاء هذا الموقف يبدو أن أهل ثرمداء استمروا على عصيانهم للدولة حيث يحدثنا ابن بشر عن حملة قام بها الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود في عام ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م لمعاقبة أهلها. ويبدو أن الدولة السعودية استفادت، بطريق غير مباشر، من مقتل عثمان بن معمر أمير العيينة في شهر رجب من هذا العام على أيدي أهل بلدته حيث فقدت ثرمداء بموته مناصراً قوياً لها. وتحسباً لأصعب المواقف

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١١-١٢؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٥٨-٥٩؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١١٠.

استعد الأمير عبدالعزيز لهذه الحملة بجمع جيش كبير، وسار معه مشاري بن إبراهيم بن عبدالله بن معمر. ويبدو أن هناك عيوناً لأهل ثرمداء أخبروهم بنية جيش الدولة مهاجمتهم فاستعدوا بأنفسهم واستنجدوا بأهل أثيثية وأهل مرات، لكن الأمير عبدالعزيز من جانبه خدعهم بأن وضع لهم كميناً خرج عليهم أثناء المعركة الكبيرة التي سميت وقعة الوطيّة فانهزم أهل ثرمداء وأعوانهم وقتل منهم خمسة وعشرون رجلاً.(١)

وتبعاً لهذه النتيجة لم تؤت الحملة السابقة ثمارها المرجوة في إخضاع البلدة، لكن الدولة لم تكرر عليها الحملات إلا بعد ثمان سنوات. ويبدو أن هناك عوامل ميدانية أرجأت قيامها بحملة سريعة. فالدولة كانت مشغولة في السنوات المذكورة بعمليات حربية متفرقة، منها قيامها بمعاقبة أمير ضرما الذي نقض العهد في عام ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م، وحصار الدولة له في العام التالي، ثم حصول عصيان في بلدته في عام ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م. وفي الرياض كان تمرد دهام بن دواس، العدو المزمن للدولة، على أشده، حيث نقض العهد في عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م، مما دفع الدولة إلى تكثيف الحملات عليه في كل سنة تقريباً. كما حصلت في هذه الفترة حملات لإخضاع بلاد أخرى أظهرت العصيان مثل حريملاء ومنفوحة.

ومع أهمية هذه العوامل إلا أنها لم تغير من استراتيجية الدولة السعودية في التعامل مع الأحداث المستمرة أو المستجدة بحسب أهميتها. ومن هذا المنطلق فإن إرجاء ضم بلد لا يعني عجز الدولة وعدم قدرتها على ذلك، بل يعني أن الوقت لم يحن بعد، وأن هناك أولويات في سياسة الدولة في هذا الجانب، وأن تأخير ذلك الضم لن يسبب مشكلات أمنية أو انتكاسة في استراتيجية الدولة.

وابتداء من عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م وضعت الدولة مسألة إخضاع ثرمداء في استراتيجيتها حيث قام الأمير عبدالعزيز في هذا العام بحملة على البلدة فوضع كميناً قرب البلدة، ثم أرادوا الدخول من خلال فتحة أحدثوها في السور حيث دخل من خلالها بعض المقاتلين. وعندما علم أمير ثرمداء، إبراهيم بن سليمان، استعد بالمقاتلين وجعلهم على فرقتين هاجموا الذين دخلوا السور ومن هم خارجه. ولم يحالف النصر قوات الأمير عبدالعزيز في هذه الموقعة التي اشتهرت بموقعة البطيحا حيث قتل من جنوده نحو ثلاثين رجلاً وقتل من أهل ثرمداء نحو ثمانية رجال. وقد انتقم مبارك بن عدوان أمير حريملاء

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٦٢؛ ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٥؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١١٠.

الموالي للدولة السعودية من أمير ثرمداء حيث قام مع بعض المقاتلين من أهل حريملاء وأخذوا عبدالله بن سليمان(١) أسيراً، لكنه أطلق سراحه بعد وصوله إلى حريملاء دون علم الإمام محمد بن سعود أو الشيخ محمد بن عبدالوهاب فغضبا عليه. وبسبب هذا التصرف من مبارك بن عدوان أمير حريملاء وبسبب تصرفات شخصية انقلبت علاقته مع الدولة السعودية إلى عداوة كما أوضحنا في الحديث عن ضم حريملاء. (٢)

وضمن حملات الدولة السعودية على عدد من البلاد النجدية في عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م مثل منفوحة والدلم ومنيخ وثادق، قام الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود بحملة على بلدة ثرمداء حيث نشب قتال مع أهلها كانت الغلبة فيه لجيش الدولة. (٣) وفي عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م، وخلال حملته على بلاد الوشم، اتجه الأمير عبدالعزيز إلى ثرمداء، لكن عيوناً لأهلها أنذروهم بالهجوم. وعندما وصل جيش الدولة حصل مناوشة بين الطرفين قتل فيه من أهلها رجل واحد. (٤) وعلى الرغم من هذه الحملات على بلدة ثرمداء إلا أنها لم تؤد إلى نتيجة حاسمة، ويبدو أن انشغال الدولة السعودية بميادين عسكرية أخرى في بلاد نجد أخّر عملية حسم عصيان ثرمداء، وقد زاد الأمر صعوبة حملة رئيس نجران على منطقة الرياض في عام ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م. وبعد وفاة الإمام محمد بن سعود في عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م قامت الدولة السعودية بحملة عسكرية على ثرمداء في عام ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م يقودها الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بنفسه، وقبل وصوله إلى البلدة وضع كميناً خارجها. وعندما نشب القتال بين الطرفين خرج الكمين فانهزم أهل ثرمداء وقتل منهم حوالي عشرين رجلاً، وقتل من جيش الدولة رجلان هما فواز الشامي وابن غدير، وسميت هذه المعركة موقعة الصحن. (٥)

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٢؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٧٧-٧٨؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١١٣.

(٢) يبدو من اسمه أنه أخ لأمير ثرمداء إبراهيم بن سليمان.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٦.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٨.

(٥) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٧٥-٧٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٠١؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٦.

وبعد هذه المعركة لم تتحدث المصادر المعاصرة لأحداث الدولة السعودية عن حدوث ما يدل على استمرار موقف أهل ثرمداء من الدولة مما يستنتج منه أن أهلها مالوا إلى جانب السلم وانضموا طواعية إلى الدولة السعودية .

ضم ضرما:

كانت ضرما من أوائل البلاد النجدية التي انضمت إلى الدولة السعودية عند قيامها ، كما اشتركت في الحملة التي خرجت من الدرعية بقيادة الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود لمعاقبة وإخضاع بلدة ثرمداء في عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م . لكن يبدو أنه أصابها ما أصاب بعض البلاد النجدية الأخرى من إظهار العصيان تحقيقاً لمصالح معينة . ففي عام ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م نقض أمير ضرما ، إبراهيم بن محمد ابن عبدالرحمن المريدي وهو ابن عم للإمام محمد بن سعود ، العهد وخرج على إجماع الأمة الممثل في الدولة السعودية . ويبدو أن عصيانه لم يكن محاولة للاستقلال بقدر ما كان خلافاً بينه وبين مؤيدي الدعوة الإصلاحية الذين يشكلون غالب سكان ضرما في ذلك الوقت بدليل أنه لقي معارضة من أهل بلدته . وقد نتج عن هذا الخلاف كما يروي ابن غنام وابن بشر أنه قتل جماعة من أشراف جماعته وقومه ومنهم بعض الرجال المؤيدين للدعوة الإصلاحية وأخذ أموالهم . وبسبب نقضه العهد قام جماعة من أهل ضرما بقتله مع عدد من أولاده وأعوانه . وبعد ذلك عين الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود على ضرما عبدالله بن عبدالرحمن المريدي .(١)

ويبدو أن بعض أهالي ضرما تشجعوا بعد علمهم بعصيان أهل حريملاء في عام ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م واعتقدوا أن الوقت قد حان للانتقام من الدولة السعودية ومؤيديها في ضرما . ومن جهة أخرى فإن مقتل أمير ضرما أحدث نوعاً من الثارات بين سكان البلدة حيث حصل عصيان من بعض أهلها مما دفع المؤيدين للدولة السعودية من أهل الوشم وسدير وأهل الجنوب وآل ظفير وجلوية ضرما أن يقوموا بحصار ضرما عدة أيام واستخدموا السلالم على سورها حيث صعد حوالي ثلاثين رجلاً ، لكن هجومهم لم يؤد إلى نتيجة إيجابية بل قتلوا جميعاً ، ثم قتل عشرون من المهاجمين ، وبذلك فشل الهجوم على ضرما .(٢)

---

(١) ابن غنام ، حسين ، (ط ١٣٦٨هـ) ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص١٥ ؛ ابن بشر ، عثمان بن عبدالله ، (ط ١٤٠٢هـ) ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ص٦٢-٦٣ ؛ آل بسام ، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ) ، مرجع سابق ، ص١١١ .

(٢) ابن غنام ، حسين ، (ط ١٣٦٨هـ) ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص١٦ .

وفي عام ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م قام صقر وإخوانه من أولاد سيف من السيايرة مغترين بقوتهم، وكان لهم يد في مقتل أمير ضرما السابق، وهموا بقتل أميرهم الجديد لكنه علم بخطتهم. ثم إنهم تطاولوا على أهل الدين وآذوهم وتعاونوا مع أعداء الدولة السعودية. وإزاء هذا الوضع اشتكى أهل ضرما إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب من تصرفاتهم وعدم إخلاصهم، لكنه لم يجزم بحالهم وترك الأمر لأهل ضرما كي يقيموا عليهم الحكم الشرعي بما تستوجبه تصرفاتهم، فقاموا عليهم وقتلوهم.[١] وفي نفس العام حدث تطور ضد سيادة الدولة السعودية على بلدة ضرما عندما قام رجل اسمه الغفيلي في عام ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م وتحصن في قصر الإمارة، وخلع البيعة للدولة السعودية، واستنجد بأمير ثرمداء إبراهيم بن سليمان الذي بادر بإرسال جيش لمساعدته. وعندما علم بذلك محمد بن عبدالله أمير ضرما أرسل إلى الدرعية بالخبر فجهز الإمام محمد بن سعود حملة سارت إلى ضرما ولحق بها أمير البلدة. وعندما اقتربوا من ضرما كمنوا في إحدى المزارع ثم التحم رجال الحملة مع أهل ضرما فدارت الدائرة عليهم وقتل منهم نحو سبعين رجلاً.[٢] وبهذه العملية الناجحة استقر الوضع في ضرما وانتظم عقدها مع بلاد منطقة الرياض تحت ظل الدولة السعودية.

وفي عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، ارتحل رئيس نجران حسن بن هبة الله المكرمي بعد فشل هجومه على بلاد الخرج ومصالحته مع الدولة السعودية، كما سيأتي الحديث عنه في موضوع ضم بلاد جنوبي نجد، إلى ضرما. وعندما علم الإمام عبدالعزيز بتوجه رئيس نجران وتوجهه إلى ضرما جهز الجيوش في كل بلد ومنها الرياض، ثم خرج الأمير سعود على رأس جيش الدولة إلى ضرما فأقام فيها أياماً، ثم قام بحملة على أهل الجنوب في العرمة، وبعدها عاد إلى ضرما وجعل فيها بعض الرجال للمرابطة. وعندما وصل رئيس نجران إلى ضرما وقع بينه وبين أهلها قتال كانت الهزيمة فيه على المهاجمين حيث ولّوا فراراً وتفرق جمعهم وقتل منهم عدد كبير وعادوا إلى أوطانهم مخذولين ذليلين. ومن أسباب فشل هذا الهجوم انعدام الثقة بين الأطراف المتحالفة، إضافة إلى اختلاف أهداف تلك الأطراف. وهناك سبب

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص١٩. ويذكر آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١١، أن الذين قتلوا من آل سيف من السيايرة من بلدة ضرما هم أولاد يوسف السيّاري، صقر وجار الله وغيث وعثمان وكان ذلك في عام ١١٦٦هـ.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٤-٤٥. ويذكر ابن بشر، عثمان بن عبدالله، مصدر سابق، جـ١، ص٦٩، أن عدد من قتل ستون رجلاً. ولم يذكر أيٌ من المؤرخين من هو الغفيلي أو اسمه الكامل، واكتفى بالقول أنه رجل في قصر من قصور ضرما.

قوي وهو مرض رئيس نجران مما أثر على معنويات أتباعه.[١] وفي نهاية المطاف لم يجد أهل ضرما بداً من انضمامهم إلى الدولة السعودية.

ضم القويعية:

ومن البلاد التي انضمت إلى الدولة السعودية في وقت مبكر ودون عناء بلدة القويعية حيث قام وجهاء البلدة، ومنهم ناصر بن جماز العريفي وسعود بن حمد بزيارة إلى الدرعية في عام ١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م ووفدوا على الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود وبايعوهما على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.[٢]

ضم بلاد سدير:

تعتبر بلاد سدير من البلاد المهمة في منطقة الرياض حالياً. ورغم أن لفظ سدير في الوقت الحاضر أصبح علماً على منطقة تضم مجموعة من البلاد المتقاربة، منها المجمعة، وهي قاعدة الإقليم، وحرمة وحوطة سدير وجلاجل وغيرها، إلا أن لفظ سدير زمن الدولة السعودية الأولى لم يكن يطلق مفرداً، وإنما كان يرد في المصادر المعاصرة للدولة السعودية الأولى مصاحباً لاسم منيخ مما يوحي بأن المقصود به في ذلك الوقت بلداً أو مكاناً واحداً وليس منطقة. أما لفظ منيخ فقد ورد في بعض المصادر أن المقصود به بلدتي المجمعة وحرمه.[٣] ولهذا فلعل المقصود بلفظ سدير في زمن الدولة السعودية الأولى، هي نفس المنطقة التي تضمها بلاد المجمعة وحرمة لكنها كانت منطقة صغيرة بحجم البلد الواحد والله أعلم. ولهذا التعريف فإن المعنى المقصود من لفظ منيخ في هذا البحث هو المجمعة وحرمه وأن لفظ سدير يعني بلداً واحداً وليس منطقة.

ضم المجمعة:

لم ترد تفاصيل كثيرة عن موقف أهل المجمعة من الدعوة الإصلاحية أو من قيام الدولة السعودية

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٩١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٦؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص١٠٦.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٤٧-٤٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٣.

(٣) انظر ما ورد عن منيخ في الصفحات السابقة.

الأولى بناء على الاتفاق بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود في عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م مما يعني ضمناً موافقتهم على الانضمام للدولة الجديدة. ولكن مواقف بعض البلدان من التأييد للدولة السعودية قد تهزه بعض الرياح القادمة من بلاد مجاورة رغباً أو رهباً. ومن هذه المواقف ما سبق ذكره، عند الحديث عن ضم حريملاء، من استنجاد أمير حريملاء السابق، ابن عدوان، بأهل المجمعة خلال عصيانه للدولة السعودية، وهذا الموقف يدل على قيام أهل المجمعة بعمل غير مباشر في تمرد ابن عدوان مما عدته الدولة السعودية من ضعف ولائهم للدولة. ولا شك أن الدولة السعودية حريصة على إظهار قوتها وهيبتها ولذلك قام الأمير عبدالعزيز في عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م، ضمن عدة حملات على بلاد مختلفة في منطقة الرياض، بحملة على بلاد منيخ وحصل بينه وبين أهل المجمعة قتال سقط فيه حوالي خمسة قتلى من أهل المجمعة.(١) ويبدو أن هذه الحملة حققت بعض أهدافها وهو إظهار قوة الدولة السعودية، لكنها لم تتمكن من بسط سلطتها على كل البلاد. ومن الواضح أنه لم يكن في بلد المجمعة عناصر معادية للدولة السعودية، ولهذا لم تكن الدولة في عجلة من أمر ضمها، بل تركت الأمور تجري بهدوء. وقد استمر الوضع على هذا الحال قرابة عشر سنوات قبل أن تقوم الدولة بحملة أخرى على المجمعة. ففي عام ١١٨٣هـ ١٧٦٩م قام الإمام عبدالعزيز على رأس أهل الدرعية وما حولها، كما استنفر القرى القريبة من حريملاء، ثم طلب مساعدة أهل سدير والمحمل وسار الجميع إلى المجمعة حيث وصل إلى موضع يعرف بالمكنس شرقي المجمعة وعندها وقع القتال بين الطرفين انهزم فيه أهل المجمعة وقتل منهم عدة رجال منهم إخوان شيخ المجمعة حمد بن عثمان.(٢)

ومن الواضح أنه لم تحدث مضاعفات لهذه الحملة من جانب أهل المجمعة أو من جانب الدولة السعودية بل استمر الوضع على حاله السابق حتى اقتنع أهلها بأن من مصلحتهم الانضمام إلى الدولة السعودية. ففي عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م قام وفد من أهل حرمه والمجمعة بزيارة للشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وبايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٧٨-٧٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١١٣.

وكان لهم طلب واحد وهو عدم تكليفهم بالجهاد مع الدولة حتى تستقر الأوضاع في بلادهم فأجابهم إلى طلبهم.[١] وقد أكدوا ذلك مرة ثانية عندما قاموا بزيارة للدرعية في عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م مع أهل الزلفي للسلام على الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وجددوا العهد والطاعة للدولة السعودية، وكان معهم الشيخ سليمان بن عبدالوهاب، وكان قد كبر سنه، حيث طلب منه أخوه الشيخ محمد القدوم إلى الدرعية ورتب أموره وأعد له سكناً أقام فيه حتى توفي في ١٧ رجب عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م.[٢]

وفي عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م بدرت من بعض أهل سدير ومنيخ بوادر نقض العهد. ولم يذكر المؤرخون سبباً معيناً لهذه البوادر أو مدى جديتها، لكن ما روي عن نقض أمير الخرج تعهده للدولة السعودية في العام السابق كما سيأتي تفصيله، ربما كان من العوامل التي أغرت بعض سكان سدير على التفكير بنفس العمل. وعلى كل الأحوال فإن أمير بلدة حرمه تدارك الوضع قبل حدوثه فأخبر الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود فجهزا حملة إلى سدير ومنيخ، فأخذ منهم عدداً من الرجال، الذين كان يخشى منهم الفتنة، رهائن واستبقاهم في الدرعية، منهم أخو أمير حرمه، وأمير الحوطة، وأمير العودة. وفي نفس العام عزل الإمام عبدالعزيز أمير المجمعة حمد بن عثمان وعين بدلاً منه عثمان بن عثمان، وانتقل حمد بن عثمان إلى بلدة القصب.[٣] وبهذه الإجراءات الاحترازية خمدت الفتنة في بلاد سدير وانتظم عقد أهلها جميعاً تحت ظل الدولة السعودية.

ضم حرمه:

سبق أن ذكرنا موقف بلدة حرمه ومبايعة أهلها للدولة السعودية في عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م، ثم تكرارهم إعلان الطاعة في عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م. لكن هل استمر ولاؤهم للدولة السعودية؟. والجواب على هذا التساؤل سلبي كما سنوضحه من خلال الأحداث التالية، على أنه يجب التأكيد على

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٣.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٦؛ ابن بشر، مرجع سابق، ص١٢٨؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، المصدر السابق، ج٢، ص ص٩٩-١٠١.

أن التعميم في مثل هذه التجاوزات والعصيان للدولة لا يخدم الحقيقة لأن كثيراً من أهل هذه البلاد وغيرها من بلاد منطقة الرياض خاصة، ومنطقة نجد عامة كانوا مقتنعين بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومؤيدين للدولة السعودية علانية في بعض البلاد وسراً عندما يتولى عليهم بعض الزعماء المتسلطين كما اتضح من خلال هذه الدراسة. وكما أوضحنا في الحديث عن ضم المجمعة عزم الإمام عبدالعزيز على القيام بحملة على بلاد الخرج بسبب نقضهم العهد. وعندما استنفر قواته في وقت لاحق من عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م قاصداً الخرج تجمعوا عنده في الدرعية، ومنهم مقاتلين من أهل حرمه. وعندما طلب منهم الإمام عبدالعزيز المسير إلى بلاد الخرج خاطب عثمان بن عبدالله أمير حرمه الإمام عبدالعزيز والشيخ محمد بن عبدالوهاب قائلاً "كيف تسيرون إلى أهل الخرج وبلدنا حرمه قد ظهرت منهم أمارات الردة، ونقض العهد وأنا لا أقدر آمر فيهم بمعروف، ولا أن أستقر عندهم على هذه الحال، إلا أن ضعضعتموهم، وأمسكتم منهم رهاين تجعلونهم عندكم في الدرعية، حتى يركد جأشي، وأصدع بالدين في البلد، وآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، ولا أحاذر، فلم يزل بعبدالعزيز حتى نكس الجيش معه إلى ناحية منيخ... ".[1] استجاب الإمام عبدالعزيز لطلب أمير حرمه وأمر بقيام حملة بقيادة عبدالله بن محمد بن سعود فساروا بالليل حتى وصلوا حرمه بالليل وأهلها نيام ففرق عبدالله المقاتلين على الأبراج في البلد وفي الأسوار وعلى الدور وعلى أبواب القلعة. وفي الصباح أطلقوا رصاص البنادق دفعة واحدة فارتجت الأرض وفزع الناس وخرجوا يسألون عن السبب فقال لهم الأمير عبدالله "لا بأس عليكم ولكن أميركم عثمان ذكر عنكم أشياء توجب المخالفة والحذر على نفسه منكم وعدم القدرة على إنفاذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلدكم، ولا يستقر له قرار إلا برهاين من كباركم نأخذهم معنا حتى تكف السفهاء شرها".[2] فلما رأى أهل البلد ذلك قدموا له بعض الرجال كرهائن خرج بهم إلى الدرعية. وفي طريقه استلحق أمير الحوطة وأمير العودة وأخذهما معه إلى الدرعية لأنه تحقق من ممالأتهم لأهل حرمه على ما هموا به من نقض العهد.

وفي وقت لاحق من هذه السنة تمالأ بعض أهل حرمه بزعامة جاسر الحسيني، وبمساعدة من سويد ابن محمد وآل ماضي على قتل أميرهم عثمان بن عبدالله. وتعزز موقفهم بمساعدة أمير المجمعة حمد بن

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٣١-١٣٢.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص١٣٢.

عثمان سراً. وسبب هذا التآمر وتلك الممالأة من الآخرين أن المؤيدين للدعوة الإصلاحية في المجمعة كانوا يترددون على عثمان وأتباعه في حرمه ويتذاكرون معهم العلوم الشرعية فخطط أهل حرمه لخطف هؤلاء الزوار من أهل المجمعة إذا دخلوا حرمه. ليس هذا فحسب بل خططوا لقتل أميرهم ثم الذهاب إلى المجمعة والإمساك بزمام الأمور فيها مع رئيسها المتعاون معهم سراً، ثم القبض على كبار أهلها المعارضين له. وقد نفذ المعتدون خطتهم وقتلوا عثمان واعتقلوا أهل المجمعة القادمين لزيارتها. وبعد ذلك أسرع المعتدون إلى المجمعة ليضبطوها فلما وصلوا إلى قلعتها أغلق حمد التويجري ورجاله الباب عنهم فأخذوا ينادون أميرها حمد بن عثمان وهم خلف الباب فلم يجبهم لأن الله أمسك لسانه ويده فوقع فيهم الفشل. وبذلك فشلت خطة المعتدين ورجع أهل حرمه إلى بلادهم.

أما أهل المجمعة فقد انتدبوا عثمان بن حمد التويجري إلى الإمام عبدالعزيز في الدرعية يخبرونه بما جرى فأعد حملة كبيرة بقيادة الأمير سعود وتضم أهل بلدان العارض والوشم وسدير من الركبان والمشاة. وعندما وصل سعود إلى حرمه نزل قرب برج الماقف المعروف عند نخل الظاهرية حيث حصل بينه وبين أهل البلاد قتال لعدة أيام ثم صالحهم سعود على إطلاق الأسرى المحتجزين عندهم، وأن يرحل جاسر الحسيني عن البلد مقابل أن تطلق الدولة السعودية الرهائن الذين سبق أن نقلوا إلى الدرعية فتم الاتفاق على ذلك. وبعد ذلك عيّن الأمير سعود ناصراً بن إبراهيم أميراً عليهم، كما عيّن على المجمعة عثمان بن عثمان، وأمر بعض الزعماء بالانتقال مع عوائلهم إلى الدرعية، كما عيّن الأمير سعود عبدالله بن جلاجل أميراً على بلدة جلاجل ثم عاد إلى الدرعية.[١]

ولم تنته محاولات المعارضين من أهل حرمه للدولة السعودية. ففي بداية عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م نقض بعض أهل حرمه العهد واتفقوا مع أهل الزلفي على العصيان، ثم أرسلوا إلى سعدون بن عريعر زعيم بني خالد وأتباعه من البوادي لمهاجمة المجمعة وكانوا يعلمون أنهم لن يستطيعوا الاستقرار في حرمه ما لم يستولوا على المجمعة التي كان فيها حامية للدولة السعودية. ولتنفيذ مأربهم احتال أهل حرمه لدخول المجمعة بأن ارتدوا لباس النساء، واستطاعوا أن يمسكوا بروج النخيل، ثم قدم عليهم أهل الزلفي بقوتهم، وسعدون بالجيش الكبير من بني خالد. نزلت تلك الجموع المعادية وسط النخل

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٠١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٣٣-١٣٦.

وحاصروا أهل البلد وبنوا أبواب القلعة بالطين لمنع المدافعين من مغادرتها، واستمروا على محاصرتها عدة أيام. فلما ضاق أهل البلد ذرعاً من الحصار وهمّوا بطلب الصلح خطرت عليهم فكرة ذكية للتخلّص من الحصار حيث أرسلوا إلى سعدون يطلبون مهلة يومين لإجراء المصالحة، وكانوا يطمعون أنه خلال هذه المدة سيأتيهم المدد من الإمام عبدالعزيز. وكان في بلدة جلاجل حسن بن مشاري بن سعود ومعه قوة من أهل العارض وسدير، وكان في ذلك الوقت يتداول الرأي من أجل إرسال مدد لأهل المجمعة. وقد أرسل عدة رجال بالليل في مخاطرة واضحة بسبب إحاطة الأحزاب بالمدينة، لكن الله أعمى أبصارهم حيث سارت الحملة بالليل وتسللت من بين الجموع حتى وصلت إلى القلعة وألقوا إلى أتباعهم الحبال فصعدوا إليهم وقت الفجر. وعندما علم سعدون وأتباعه أيقن أنهم لن يستطيعوا النيل من المحاصرين. وفي المقابل بدأ التذمر في صفوف أهل البادية فرحلوا عن المجمعة، كما رجع أهل الزلفي إلى بلدهم فاقتصرت الحرب بين أهل حرمه والمجمعة.

أما موقف الدولة السعودية في ذلك الوقت فكان الترقب والانتظار عما ستسفر عنه جهود الحامية السعودية والموالين لها. وعندما تفرقت الجموع أعد الإمام عبدالعزيز حملة بقيادة أخيه عبدالله حيث سار إلى بلاد منيخ ونازل أهل حرمه حيث قتل منهم عدة رجال. وفي مرحلة أخرى قام الأمير سعود بحملة كبيرة، كما استلحق أهل البلدان واتجه إلى حرمه وحاصرها وقطع بعض نخيلها عقاباً لأهلها، وظل يقاتلها صباحاً ومساء حتى وصل إلى القلعة وحاصرها. ولما اشتد عليهم الحصار ألقى الله في قلوبهم الرعب فطلبوا من الأمير سعود الصلح. يقول ابن بشر في ذلك "فأبى عليهم إلا أن تكون بيت مال، أو يزيل ما في البلد من المحذور ومن الرجال وغيرهم، فصالحه أهلها على ما في بطن الحلة والأموال" فلما تم الصلح كتب سعود إلى أبيه بذلك فرد عليه الإمام عبدالعزيز أن أهل هذه البلاد تكرر منهم نقض العهد، ولذلك فإنه يجب عقابهم وطلب منه هدمها، فأمر سعود بهدم سورها وبعض بيوتها، كما أمر أناساً من أهلها ممن أثاروا الفتنة والشر بالرحيل عنها فارتحل كثير منهم ونزلوا المجمعة والزلفي، وبذلك قضى على هذه الفتنة التي تزعمها بعض المناوئين للدولة السعودية وعادت حرمه إلى وضعها السابق موالية للدولة السعودية.(١)

---

(١) للمزيد من المعلومات عن أحداث حرمه راجع: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٠٣-١٠٤، ١٠٥-١٠٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٣٧-١٣٩.

ضم الروضة:

وضمن حملات الدولة السعودية لإخضاع بلاد منطقة الرياض سار الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى جهات سدير وقام بحملة على بلدة الروضة في سنة ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م. ومع أنه لم يكن مستعداً للقتال إلا أنه حصل بينه وبين أهل الروضة قتال سقط فيه من أهلها خمسة رجال وقتل من جيش عبدالعزيز رجل واحد هو شهيل بن سحيم.(١) ولم يحدث بعد ذلك ما يستدعي قيام الدولة بإرسال حملة إلى بلدة الروضة. وبعد فترة طويلة من الهدوء في هذه البلدة عادت إليها الأحداث في عام ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م عندما ارتحل إليها سعدون بن عريعر، زعيم بني خالد، الذي كان في حملة للاستيلاء على القصيم.

ولتتقي الدولة السعودية شر سعدون بن عريعر أدركت أهمية ولاء بلاد سدير وعدم إفساح المجال لابن عريعر في إغراء بعض الخارجين على الدولة في هذه البلاد. وقد صادف مجيء ابن عريعر وجود الأمير سعود في بلدة ثادق فارتحل منها إلى الروضة لكي يضمن ولاءها للدولة. وقد اضطر في سبيل هذا الهدف إلى قتال أهلها والاستيلاء على نخيلها إلا ما حمته بروج القلعة، فاضطر أهلها المتحصنون في البروج إلى النزول منها. وعند ذلك أدرك أهل البلدة استحالة مقاومتهم طويلاً فأرسلوا إلى الأمير سعود يطلبون المصالحة، وقد استعدوا أن يبذلوا مالاً كثيراً نكالاً، فصالحهم على ما فيها من الأموال، وأن يرحل زعماء البلدة وأعوانهم منها، وأن يأمن أهلها على أموالهم ونخيلهم. وخلال شهر تم تنفيذ هذه الشروط، ثم دانت بلدة الروضة للدولة السعودية ودخل الأمير سعود البلدة بعد أن أجلى عنها من يشك في ولائه من زعمائها، ثم بايعه أهلها على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. وقبل عودته عين عليهم أميراً عبدالله بن عمر البدراني.(٢)

ضم الحوطة والجنوبية:

ومن ضمن البلاد التي حاولت الدولة أن تضمها إليها بلدتي حوطة سدير والجنوبية وذلك عام

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٤؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١١٧-١١٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٥١-١٥٢.

١١٧١هـ/ ١٧٥٧م حيث قام الأمير عبدالعزيز بحملة إلى سدير وقصد بلدتي الحوطة والجنوبية، وقد استطاع أن يستعيد نفوذ الدولة فيهما بعد أن أعطى أهلها الأمان وعين في كلتا البلدتين أميراً وإماماً.(١) ومنذ ذلك الوقت لم يذكر المؤرخون المعاصرون لأحداث الدولة السعودية أية إشارة إلى حدوث عصيان أو تذمر من أهل الحوطة أو الجنوبية يستدعي قيام الدولة بحملات عسكرية عليهما. وفي عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م قام الأمير سعود بن عبدالعزيز بحملة على حوطة بني تميم فوصلها ليلاً ووضع كميناً خارج البلدة، وفي الصباح نشب القتال بين جيش الدولة وأهل الحوطة وعندها خرج الكمين فدارت الدائرة على أهل الحوطة وقتل منهم خمسة عشر رجلاً ومن جيش سعود بعض الرجال، منهم بطي المطيري.(٢) ويبدو أن الحملة السابقة لم تؤد الهدف المنشود منها وهو إخضاع الحوطة فقام الإمام عبدالعزيز نفسه بحملة كبيرة قاصداً حوطة بني تميم وذلك في عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م على رواية ابن بشر أو ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م، على رواية ابن غنام. وعند وصوله إليها التقى مع أهلها حيث انهزموا وقتل منهم حوالي خمسة عشر رجلاً وقطع النخل المسمى بالرحيل، ثم حاصر أهلها وألجأهم إلى الاحتماء داخل البلدة وبقوا على ذلك عدة أيام.(٣)ويبدو أن هناك علاقة بين هذه الحملة والحملة التي قام بها الأمير سعود على بلدة الروضة في بلاد سدير خلال وجود عريعر بن دجين في هذه البلاد، كما أوضحنا في الحديث عن ضم بلدة الروضة، والهدف هو دعم نفوذ الدولة في هذه المناطق، وإظهار مدى قوة الدولة السعودية، والحيلولة دون استغلال عريعر لانشغال الدولة في مناطق أخرى من بلاد منطقة الرياض، مثل الخرج، في هذا الوقت. وعلى العموم فإنه لم تحصل مجابهة بين جيش الدولة السعودية وجيش عريعر. وبعد ذلك انضمت بلدة الحوطة إلى الدولة السعودية كغيرها من بلاد منطقة الرياض.

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٢؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٨؛ وانظر كذلك: المعجل، عبدالله بن عبدالكريم، (١٤١١هـ)، **حوطة سدير**، سلسلة هذه بلادنا رقم ٣١، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ٤٧.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ١٤١-١٤٢؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢١.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١١١-١١٢؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٤٤.

ضم جلاجل:

وضمن حملات قامت بها الدولة السعودية على بلاد مختلفة في منطقة الرياض لضمها إلى الدولة، قام الأمير عبدالعزيز بحملة على بلدة جلاجل في سدير في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م وقابل أهلها في مكان يعرف بالعميري وحصل بينه وبينهم قتال ثم رجع. ويبدو أن هناك شعوراً عاماً لدى أهل جلاجل بأهمية ارتباطها بالدولة السعودية، وهذا ربما يفسر ما حصل من اصطحاب الأمير عبدالعزيز معه قضاة بعض بلاد سدير مثل الروضة والداخلة والحوطة لمقابلة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.[(١)] ولم يعرف ماذا كانت نتيجة هذا الوفد لكن ما حصل في العام التالي ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م يدل على أن الدولة ماضية في سياستها لإخضاع البلاد النجدية مهما كانت النتيجة، وكانت الدولة تكتفي في أحيان كثيرة بالقيام بحملات عسكرية لإظهار قوة الدولة دون أن تلجأ إلى دخول البلاد عنوة. ففي هذا العام سار الأمير عبدالعزيز على رأس حملة قاصداً سدير حيث هاجم بلدة جلاجل ثم حصل بينه وبين أهلها معركة قتل فيها من أهل جلاجل حوالي ستة رجال.[(٢)]

ودخل عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م في وقت كانت الحملات العسكرية للدولة السعودية هادئة، وألد أعداء الدولة دهام بن دواس قد مال إلى الرضوخ والمبايعة للدولة، الذي تبين فيما بعد أنها حيلة من حيله الكثيرة، فاستغلت الدولة هذا الوضع الهادئ وقام الأمير عبدالعزيز بحملة على بلدة جلاجل حيث نزل في المكان المعروف بالعميري شمال البلدة، ثم بدأ بقطع نخيلهم فقاموا لقتاله حيث حصل بينه وبين أهل البلدة قتال هزموا فيه، وقد قتل منهم حوالي عشرة رجال.[(٣)] ومع مرور الوقت أدرك أهل سدير ومنهم أهل جلاجل أن عداوتهم للدولة السعودية وخروجهم عليها لا طائل من ورائه بل سببت لهم المشكلات وعدم الاستقرار فقرروا الانضمام إلى الدولة السعودية طواعية. ففي عام ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م بايع أهل

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٥٠-٥١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٦؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٥٢-٥٣؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٨؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٦٣-٦٤؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٩١؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٥.

سدير، ومنها بلدة جلاجل، الإمام عبدالعزيز على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. وقد دفع أمير جلاجل سويد بن محمد خمساً من الخيل نكالاً. وبقي أميراً هناك حتى عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م حيث عزله الإمام عبدالعزيز وعين مكانه ضويحي السويد، ثم انتقل سويد إلى شقراء فأقام فيها إلى أن استدعاه الإمام عبدالعزيز.(١)

ضم العودة:

مرّ الأمير عبدالعزيز ببلدة العودة في أثناء حملته على بلدة جلاجل عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م واستلحق من أهلها عثمان بن سعدون ومنصور بن عبدالله بن حماد لخوفه من منازعتهما أميرها وذهب بهما معه إلى الدرعية. وبعد أن استقرا هناك اعتقد أمير بلدة العودة عبدالله بن سلطان أنهما تابا وندما على معارضتهما فطلب من الشيخ محمد بن عبدالوهاب العفو عنهما والسماح لهما بالرجوع والمقام عنده في بلدهما. وبعد عودتهما بمدة محدودة تمردا على أمير العودة وقتلوه مع بعض أعوانه وتولى مكانه عثمان بن سعدون. وقد أعلن سعدون العصيان على الدولة السعودية، بل وجاهر بعداوة مؤيدي الدعوة الإصلاحية في بلاده وخارجها واستمر على ذلك حولي عشر سنوات حتى قتل.(٢)

وفي عام ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م خرجت حملة من الدرعية بقيادة هذلول بن فيصل قاصدة بلدة العودة في سدير، وكان يرافق الحملة الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد وهو صغير وهي أول حملة يشترك فيها. وكان يرافق الحملة أيضاً آل سلطان وهم زعماء العودة الذين أجلاهم ابن سعدون الذي سبق أن أعلن العصيان على الدولة السعودية. وقد طلب منصور بن عبدالله بن حماد من الحملة مساعدته لمقاتلة ابن سعدون. وعندما وصلت الحملة إلى العودة وضعوا كميناً في غربي البلدة ثم أغاروا عليها من جهة الشرق. وعندما خرج أهل البلد جميعاً من الشرق بقي ابن سعدون مع نفر من أعوانه، ثم خرج منصور ومن معه وأدخلوا الكمين في البلدة. وعندما علم ابن سعدون دخل قصره وأغلق عليه الباب فهاجمه

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٢؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٠٣.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، المصدر السابق، ج٢، ص٥١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٧٦. يذكر آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٦ ضمن حوادث سنة ١١٨١هـ، أن عثمان بن سعود الدوسري قتل أمير بلدة العودة واستولى عليها منصور بن حماد.

منصور ومن معه ونقبوا فتحة من خارج السور وقتلوه، وبذلك تمكن رجال الحملة السعودية من دخول البلدة. وكان منصور قد طلب من الإمام عبدالعزيز أن يعينه أميراً على العودة إذا تمكن من مساعدة جيش الدولة في دخولها. وقد تحقق له ذلك حيث عين أميراً.(١).

ضم الزلفي:

ومن أوائل البلاد في منطقة الرياض التي سعت الدولة السعودية إلى ضمها مبكراً الزلفي. ففي عام ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م قاد الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود حملة ضد الزلفي لإخضاعها وضمها إلى الدولة السعودية، وبعد وصوله إلى الحسي مرض عبدالعزيز ورجع إلى الدرعية وأمّر على الجيش عبدالله بن عبدالرحمن، وقد وصلت الحملة إلى الزلفي وقامت بالهجوم عليه لكن لم يحصل مجابهة مع أهل البلد.(٢) وقد يرد تساؤل عن السبب الذي جعل الدولة السعودية تبادر إلى توجيه حملة لضم الزلفي في وقت كانت الدولة ما تزال في بداية تكوينها، وكانت تواجه أخطاراً كبيرة من بلاد قريبة من عاصمتها الدرعية مثل الرياض والعيينة وحريملاء ومنفوحة. والواقع الذي تؤيده السياسة الحربية للدولة السعودية الأولى كما اتضح من خلال المباحث السابقة تدل على أن أغلب حملات الدولة لم يكن المقصود منها ضم البلاد بالقوة بقدر ما كانت الدولة تهدف إلى إظهار قوتها، وتهيئة الأجواء لانتشار الدعوة، ولإظهار قدرتها على الوصول إلى من تريد مهما بعدت بلادهم، كما أشرنا إلى ذلك من قبل. ولا شك أن هذه الحملة على الزلفي تدخل ضمن هذه الاستراتيجية بدليل أن الدولة لم تكرر الحملة على الزلفي إلا بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ. يضاف إلى ذلك أن الوضع الأمني في الزلفي لم يكن حرجاً ولم يتعرض الأهالي، وخاصة المؤيدون للدعوة الإصلاحية، إلى أي مضايقة تجعل الدولة تبادر إلى نصرتهم. وعلى العموم فإن من الملاحظ أن حملات الدولة السعودية على الزلفي لم تكن حملات كبيرة، وفي المقابل لم تكن مقاومة أهل الزلفي من القوة كما حصل في بعض البلاد التي جابهت الدولة بعنف ومدة طويلة.

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٧٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٠٢-١٠٣.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٧٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٦٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١١.

وفي عام ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م سار الأمير عبدالعزيز إلى الزلفي لمعاقبتهم ففزعوا منه فتركهم.[(١)] وبعد ثمان سنوات قام الأمير سعود بن عبدالعزيز في عهد أبيه بحملة على الزلفي في عام ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م حيث حصل بينه وبين أهلها قتال سقط فيه من أهل الزلفي ثلاثة قتلى، وهي أول حملة يقودها الأمير سعود بنفسه.[(٢)] وفي عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م بعث الأمير سعود حملة صغيرة إلى الزلفي تحت قيادة عدامة بن سويري من بني حسين فصادفوا غزواً لأهل الزلفي خارجاً من البلد فقاتلهم وانتصر عليهم.[(٣)] ومن خلال هذه الحملات الثلاث يتبين مدى ضعف مقاومة أهل الزلفي، وعدم وجود مناوئين للدولة السعودية فيها، ولهذا نشط دعاة الإصلاح المؤيدين للشيخ محمد بن عبدالوهاب والحريصين على وحدة البلاد النجدية تحت قيادة الدولة السعودية الأولى. ونتيجة لجهود هؤلاء المصلحين، ورغبة من أهل الزلفي في الدخول في طاعة الدولة السعودية قدموا مع أهل منيخ في عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م على الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. وقد تعززت مكانة الدولة السعودية الأولى بانضمام منطقتين مهمتين في منطقة الرياض.[(٤)]

وعلى الرغم من دخول الزلفي في طاعة الدولة السعودية إلا أنه حصل من بعض أهلها مخالفة وفساد فعزمت الدولة على تطهير البلاد من أية شائبة قد تنمو إذا لم تجتث من جذورها. ففي بداية عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م قام الأمير سعود بن عبدالعزيز على رأس حملة إلى الزلفي، وقد عرف الأهالي عن الحملة قبل وصولها فاستعدوا، ثم حصل بينه وبين أهلها قتال سقط فيه عدد من القتلى من الجانبين. وفي فترة لاحقة من هذا العام قام الأمير عبدالله بن محمد بن سعود بحملة على الزلفي، لكن حملته

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٥؛ المسعود، عبدالرزاق بن أحمد اليوسف، (١٤٠٨هـ)، **الزلفي**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ١٣، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ٢٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٧٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٠٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٣؛ المسعود، عبدالرزاق بن أحمد اليوسف، (١٤٠٨هـ)، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٤) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٨؛ المسعود، عبدالرزاق بن أحمد اليوسف، (١٤٠٨هـ)، المرجع السابق، ص ٢٤.

فقدت عامل المفاجأة بسبب وصول أخبارها إلى أهل الزلفي . وعندما وصل عبدالله حصل بينه وبين أهلها مناوشات ثم قفل راجعاً من حيث أتى .[١] وفي آخر هذا العام خرجت حملة إلى الزلفي وأشعلوا النار في زروعه . وبعد هذه الحملات المكثفة أدرك المخالفون من أهل الزلفي عدم قدرتهم على الوقوف أمام قوة الدولة فوفدوا جميعاً على الإمام عبدالعزيز وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة .[٢]

ضم بلاد جنوبي نجد :

عرفنا من خلال ضم بلاد العارض القريبة من الدرعية مدى الجهود المضنية التي بذلتها الدولة السعودية الأولى في سبيل توحيد بلاد منطقة الرياض وغيرها من مناطق نجد . وكان هدفها نشر الدعوة الإصلاحية في عامة بلاد نجد، وتوحيد هذه البلاد في بوتقة واحدة تحت مظلة حكومة قوية . وبعد قيام الدولة السعودية أصبح هذا الهدف هو الشغل الشاغل لكل من الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد ابن عبدالوهاب، وهو الأساس الذي قامت عليه هذه الدولة . وقد استغرق ضم هذه البلاد حكم الإمام محمد بن سعود كله وشطراً من حكم ابنه الإمام عبدالعزيز . ومن المناطق المهمة التي بذلت فيها الدولة السعودية الأولى جهوداً مضنية وحملات عسكرية متكررة هي منطقة جنوبي نجد، وخاصة بلاد الخرج حيث عانت الدولة من أمير الخرج زيد بن زامل معاناة شديدة أشبه بمعاناتها مع دهام بن دواس أمير الرياض وإلى حد ما أمير العيينة عثمان بن معمر كما أسلفنا . ولا شك أن تمكن الدولة السعودية من إخضاع الرياض وما جاورها من بلاد كان دافعاً قوياً لكي تركز جهودها لإخضاع بلاد جنوبي نجد .

وباستقراء الأحداث يمكن أن نلاحظ أن منطقة جنوبي نجد تضم عدداً من البلاد التي كان ولاؤها للدولة السعودية متذبذباً نتيجة ظروف متعددة، منها العداوة للدعوة الإصلاحية وصاحبها، ومنها حب الزعامة والنفوذ، ومنها خوف البلاد الصغيرة من تسلط البلاد الكبيرة، ومنها التدخل الخارجي . كل تلك العوامل وغيرها جعلت الدولة تواجه قوى متفرقة ومفككة، لكنها مع ذلك لا تستقيم على موقف ثابت من حيث ولائها للدولة، بل كانت تتحين الفرص لاستغلال مواقف موالية أو معادية للدولة . أما

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٤٠؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢١ .

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٤١؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢١ .

الدولة السعودية فقد حملت على عاتقها ضم هذه البلاد المتفرقة لمصلحة هذه البلاد أولاً، ثم لقيام دولة مرهوبة الجانب قوية النفوذ أمام أطماع القوى المجاورة مثل الأشراف في الحجاز وبني خالد في شرقي الجزيرة. ومن أجل هذا الهدف قامت الدولة بعدد من الحملات العسكرية لضم تلك البلاد، لكنه كان جهداً شاقاً استغرق منها وقتاً طويلاً.

وقد ذكرنا في أكثر من مناسبة، أن حملات الدولة السعودية في بداية تكوينها كانت متواضعة، ولا تدل على عزم الدولة السعودية على ضم هذه البلاد بالقوة في هذا الوقت بسبب انشغالها بقوى عنيدة مثل الرياض وحريملاء وغيرها. ولذلك فإن الهدف من تلك الحملات هو معرفة تلك البلاد وأهلها، ومدى تقبلهم للدعوة الإصلاحية، وعن شعورهم نحو الدولة السعودية ورغبتهم الانضمام إليها. ولا شك أن الحملات التي قامت بها الدولة السعودية على بلاد الخرج في هذا الوقت المبكر تدخل ضمن هذه الاستراتيجية.

كانت أول حملات الدولة السعودية الأولى على بلاد جنوبي نجد حدثت عام ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م عندما خرجت قوة بقيادة مشاري بن معمر قاصدة بلاد الخرج[١] لمعرفة مدى قوة هذه البلاد حيث أخذوا أغناماً لأهل الدلم ورجعوا فلحق بهم أهل البلدة ووقع بينهم قتال شديد في الحاير. ورغم عدم تكافؤ الفريقين، حيث كان عدد أفراد الحملة السعودية نحو أربعين رجلاً بينما كان عدد أهل الخرج نحو مائة رجل، إلا أن رجال الحملة السعودية صبروا، ثم جرى بينهم قتال بالبنادق انهزم فيه أهل الخرج وقتل منهم نحو ثلاثين رجلاً على رواية ابن غنام، وسبعين على رواية ابن بشر.[٢] وضمن عدد من الحملات التي قامت بها الدولة السعودية في عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م على بلاد نجد مثل منفوحة وثرمداء ومنيخ وثادق، قام الأمير عبدالعزيز بحملة على الدلم في بلاد الخرج حيث وقعت معركة بين الجانبين قتل فيها

---

(١) الخرج منطقة في بلاد نجد، وهي بلاد مشهورة ورد ذكرها في معاجم البلدان، وهي تقع جنوب الرياض وتبعد عنها حوالي ٨٥ كيلو متراً وتشتهر بالنخيل والمزارع. وهي تشمل بلداناً وقرى كثيرة متقاربة، منها الدلم وهي قاعدة الخرج قديما، والسيح وهي قاعدة الخرج في الوقت الحاضر. ومن القرى نعجان، زميقة، المحمدي، الهياثم، السلمية، الوسيطة، العذار، الرغيب، اليمامة، القرين، الضبيعة، مشيرفة، فرزان. انظر تفاصيل وافية عن منطقة الخرج في القديم والحديث في: ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص ص ٣٧١-٣٧٩.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٦٥.

من أهل الدلم ثمانية رجال. وفي طريق عودتهم قاتلوا أهل بلدة نعجان فهزموهم وقتل منهم عدة رجال. وفي عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م في طريق عودته من حملة قام بها إلى بلدة ثادق، قام الأمير عبدالعزيز بحملة على الدلم والخرج حيث نشبت هناك معركة كان النصر فيها للدولة السعودية.(١) ويبدو أن السبعينات من هذا القرن الهجري شهدت كثافة في الحملات السعودية المتفرقة على بلاد نجد. ففي عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م قام الأمير عبدالعزيز بحملات على بلاد منفوحة وبلدتي ثرمداء ومرات في الوشم وكذلك بلدة الفرعة، وقد كان النصر حليف الدولة السعودية في هذه الحملات مما كان له تأثير مادي ومعنوي على المقاتلين في جيش الدولة، ولهذا فعندما قام الأمير عبدالعزيز بحملة على بلدة نعجان في بلاد الخرج كان النصر حليفه أيضاً. وقد أسفرت هذه الموقعة عن عدد من القتلى في جانب أهل بلدة نعجان، كما حاصرهم عدة أيام ثم عاقبهم جزاءً لموقفهم من الدولة.(٢)

وكما لاحظنا فإن تلك الحملات كانت محدودة القوة، وكان طابعها إظهار قوة الدولة. أما الحملات المنظمة لإخضاع بلاد جنوبي نجد، وخاصة الخرج، فقد بدأت بعد أن تمكنت الدولة السعودية من إخضاع الرياض في عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م حيث أرسل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى زيد بن زامل رئيس بلد الدلم يلومه على نقض العهد لكن زيداً لم يرد عليه، بل إنه تمادى في عداوته وبدأ يؤلب المعارضين للدولة على العصيان، كما أنه استعان برئيس نجران، حسن بن هبة الله المكرمي، في عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م مرة ثانية واستحثه على القدوم لمساعدته وبذل له الأموال. ولحرصه على مساعدة صاحب نجران استجاب زيد لمطالبه عندما طلب أموالاً كثيرة فاضطر إلى دفعها له، وقد قدرت بثلاثين ألف زر معجلة.(٣) وفي نفس العام قام الأمير سعود بن عبدالعزيز بحملة على الدلم لمعاقبة

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٨٦.

(٣) الزر: نوع من العملة بمنزلة الريال، وهي عملة ذهبية عثمانية، ويطلق عليه (زر محبوب). وقد شاع استعمال هذا النوع من النقود في معظم البلاد العربية الواقعة تحت الحكم العثماني أو المجاورة لها. محمد، عبدالرحمن فهمي، (١٩٦٤م)، **النقود العربية ماضيها وحاضرها**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص ص١١٦-١١٧.

رئيسها على أفعاله المعادية للدولة السعودية، وعندما وصلها في الليل وضع كميناً وأعد فرقة من جيشه لمهاجمة البلدة. وفي الصباح بدؤوا الهجوم بأن أخذوا أغنام أهل البلد فخرجوا عليهم والتحم الفريقان، ثم خرج الكمين الذي أعده سعود فانهزم أهل الدلم وقتل منهم نحو عشرة رجال.(١)

ولا شك أن الظروف العامة كانت تسير لصالح الدولة؛ فقد شهدت هذه الفترة نهاية عصيان الرياض لصالح الدولة السعودية حيث ارتفعت معنويات جيش الدولة واقتنع أهل بعض البلاد التي كانت مترددة بقوة الدولة حيث وفدوا إلى الإمام محمد بن سعود معلنين الطاعة مثل أهل بلاد الحريق وحرمه والمجمعة، كما أن الدولة السعودية استفادت من هذه الظروف للقيام بحملات على بلاد أخرى في نفس العام مثل الزلفي كما سبق أن ذكرنا. وقد استمرت هذه المعنويات العالية للقوات السعودية في العام التالي ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م أيضاً فاستفادت الدولة من هذه المعنويات العالية لدى جيشها للقيام بحملات قوية على بلاد جنوبي الرياض؛ حيث قام الإمام عبدالعزيز بحملة على منطقة الخرج فقاتل أهل بلدة الضبيعة وأخذ سارحتهم ثم وضع كميناً خارجها. وعندما خرج عليه أهل البلدة والتحموا معهم في القتال خرج عليهم الكمين فانهزموا وحاصرهم جيش الدولة وقتل منهم اثني عشر رجلاً وقطع بعض نخيلهم. وقد قتل في هذه المعركة من جيش الدولة ثمانية رجال.(٢)

وفي فترة لاحقة من عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، وبناء على الاتفاق السابق بين زيد بن زامل ورئيس نجران، قدم الأخير لمهاجمة الدولة السعودية، وقد استنفر أعوانه من قبائل يام والدواسر من أهل الوادي، ثم انضم إليهم أهل الخرج وما حولها فأصبح جمعهم كبيراً كما وصفه ابن بشر بقوله "جموع تضيق بها القفار ولا تسقيهم الآبار والأنهار". كما تلقى المعتدون كثيراً من الأموال ممن لهم مصلحة بعداوة الدولة السعودية ومنهم بطين بن عريعر، زعيم بني خالد في الأحساء، الذي دفع مبلغاً يزيد على ستة آلف مشخص وأحمالاً من الطعام. وفي حاير سبيع تجمع المعتدون وحصل بينهم وبين أهلها قتالاً شديداً. ورغم بوادر النصر للجيش المعادي، إلا أنه مني في هذه المعارك بخسائر كبيرة ووقع منهم نحو أربعين قتيلاً مما أدى في النهاية إلى فشل حملة رئيس نجران، واضطراره إلى مصالحة الدولة السعودية،

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٨٩-٩٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٢٢-١٢٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٩-١٢٠.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٩٠-٩١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٤.

ثم رحل إلى ضرما . ويبدو أن من أسباب فشل هذه الحملة حدوث المعارك بين النخيل مما زاد من معاناة الجيش الغازي حيث إنهم لم يتعودوا القتال في مثل هذه المواقع ، بالإضافة إلى انعدام الثقة بين الأطراف المتحالفة ، واختلاف أهداف تلك الأطراف . وهناك سبب جوهري وهو ارتفاع معنويات جيش الدولة بعد تمكنه من القضاء على تمرد أمير الرياض ، دهام بن دواس . (١)

ولاشك أن فشل حملة صاحب نجران يعتبر نصراً ميدانياً ومعنوياً للدولة السعودية ، وضربة قوية لكل أعداء الدولة وبخاصة زيد بن زامل مما جعله يرضخ للسلام ، لكنه كان يخفي ما لا يظهر كما سنلاحظه فيما بعد . ففي أواخر سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م قدم زيد بن زامل مع أعيان من قومه على الإمام عبدالعزيز في الدرعية فجأة دون أن يأخذ لنفسه الأمان ولم يسبق قدومه مفاوضة . وعندما وصلوا إلى الدرعية قابلوا الإمام عبدالعزيز وبايعوه على السمع والطاعة والتزموا بإقامة أحكام الشريعة الإسلامية في بلادهم . وقد طلب منهم الإمام عبدالعزيز أنواعاً من الأسلحة والخيل فصبروا بها ، ثم أرسلها زيد إلى الدرعية لاحقاً ، لكن الإمام عبدالعزيز أخذ بعضها ورد البعض ترغيباً لزيد وتأليفاً لقلبه . (٢)

ولم يطل عهد زيد بن زامل طويلاً ، ففي العام التالي ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م نقض العهد الذي قطعه على نفسه وقتل فوزان بن محمد أمير بلدة نتيقة في الدلم الموالي للدولة السعودية بعد أن طالبه بإقامة شرائع الدين . وعندما علم الإمام عبدالعزيز غضب عليه وقام بحملة ضده وحاصره طويلاً حتى خرج زيد من البلاد هارباً مع ابنه ، ثم صالح الإمام عبدالعزيز أهل الدلم وأعطاهم الأمان ، ثم بايعوه على دين الله ورسوله وعيّن عليهم أميراً هو سليمان بن عفيصان . (٣)

---

(١) ابن غنام ، حسين ، (ط ١٣٦٨هـ) ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٩١ ؛ ابن بشر ، عثمان بن عبدالله ، (ط ١٤٠٢هـ) ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ص١٢٥-١٢٦ ؛ العثيمين ، عبدالله الصالح ، (١٤٠٩هـ) ، مرجع سابق ، ص١٠٦ ؛ عبدالرحيم ، عبدالرحيم عبدالرحمن ، (١٤٠٧هـ) ، مرجع سابق ، ص٧٤ . وقد قال زيد بن زامل في هذه المناسبة قصيدة انظر بعض أبياتها في : الدريهم ، سعد بن عبدالرحمن ، (١٤١٣) ، **الخرج** ، سلسلة هذه بلادنا رقم ٤٠ ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الرياض ، ص ٩٢ .

(٢) ابن غنام ، حسين ، (ط ١٣٦٨هـ) ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ص ٩٤-٩٥ ؛ ابن بشر ، عثمان بن عبدالله ، (ط ١٤٠٢هـ) ، مصدر سابق ، ج١ ، ص١٢٧ .

(٣) ابن غنام ، حسين ، (ط ١٣٦٨هـ) ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٩٥ ؛ ابن بشر ، عثمان بن عبدالله ، (ط ١٤٠٢هـ) ، مصدر سابق ، ج١ ، ص١٢٨ ؛ عبدالرحيم ، عبدالرحيم عبدالرحمن ، (١٤٠٧هـ) ، مرجع سابق ، ص٧٥ .

وبعد انهزام أهل اليمامة، كما سنرى في موضوع ضم اليمامة، نقض أهل الدلم العهد مع الدولة السعودية وأرسلوا إلى زيد بن زامل، لكنه كان يخشى عقاب الدولة السعودية بعد أن جرب القتال معها وعرف استماتة رجال الدولة في الدفاع عنها، لكن زيداً أرسل إليهم ولده وقدم على أخواله من أهل الدلم، ثم أرسل أهل الدلم يستنجدون بآل مرة القريبين منهم. وعندما علم أهل اليمامة بهذا التجمع المعادي للدولة السعودية انضموا إليهم. ثم اتجهت تلك الجموع المعادية لمقاتلة أهل السلمية المؤيدين للدعوة الإصلاحية والدولة السعودية، حيث هاجموهم على حين غرة دون علم بخيانتهم وغدرهم ودخلوا عليهم في وسط بلادهم وقتلوا من أهل السلمية حوالي عشرين رجلاً، بينما هرب أكثرهم مع أميرهم سليمان بن عفيصان وتفرقوا في بلاد الخرج. ثم احتشدت تلك الجموع في الدلم، وعندما جاء الخبر إلى زيد أسرع إليهم في الدلم، كما انضم إليهم أيضاً حسن البجادي رئيس اليمامة واتفق الجميع على الخروج على الدولة السعودية مستفيدين من انشغال الدولة السعودية بحملة على قبائل آل مرة.

ومن الملاحظ أن موقف أهل الخرج من الدولة السعودية قد نحا منحى خطيراً بتحالفهم مع البلاد المجاورة مثل اليمامة، وبهذا دخلت فترة التسعينات من هذا القرن الهجري وتمرد أهل الخرج على أشده. وقد استوجب هذا التحول في العمليات الحربية تكثيف الدولة السعودية من حملاتها على بلاد الخرج كماً وكيفاً. فعندما علم الإمام عبدالعزيز في نفس عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م بمحنة أهل السلمية الموالين للدولة السعودية طلب من ابنه سعود أن يعد حملة لمساعدة أهلها وإخراج من فيها من مؤيدي الدولة السعودية، أما المعادون من أهل الدلم فقد تجمعوا للحرب. وقد التقى جيش الأمير سعود دون قصد بقوات أهل الخرج عائدة من جولة استطلاعية فحصل بين الطرفين قتال في منطقة السهباء ثم عاد كلٌ من الطرفين إلى مواقعه.(١) وفي نفس السنة قاد الإمام عبدالعزيز بنفسه حملة على عرب آل مرة الذين تجمعوا في الخرج للقتال، وعندما وصل إلى هناك شن عليهم هجوماً ففزع آل مرة ونشب بينهم وبين جيش الدولة قتال شديد في شعيب ضيق فأغلق آل مرة مدخل الشعيب فحصل على جيش الدولة هزيمة اضطرتهم إلى الالتجاء إلى عقبة وعرة تسمى مخيريق الصفا، وبذلك حلت بهم الهزيمة وقتل منهم عدد

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٦-٩٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٢٩-١٣٠؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧٥.

كبير قدر بخمسين رجلاً، منهم عبد الله آل حسن أمير بريدة، وهذلول بن ناصر. وقد سميت هذه الوقعة وقعة مخيريق الصفا.(١) وفي أثناء عودة الأمير عبدالله بن محمد بن سعود إلى الدرعية من حملة على حرمه عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م سار إلى الخرج لكنهم علموا به قبل وصوله فاستعدوا، ثم حصل بينه وبين أهل الخرج قتال في السهباء قرب الخرج قتل فيه منهم ستة رجال، وعقر عليهم إبلاً وأغناماً.(٢) واستمرت حملات الدولة السعودية المكثفة على الخرج في الأعوام التالية حيث قام الإمام عبدالعزيز نفسه في عام ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م بحملة إلى الخرج وهاجم بلدة الدلم ودخلت جنوده داخل البلدة حتى ضاق أهلها وطلب بعضهم الأمان. أما رئيس الدلم المعادي للدولة السعودية، زيد بن زامل، فكان غائباً عند البجادي رئيس اليمامة، وعندما علم بهجوم عبدالعزيز سارع واستجمع قواه وسار للانتقام. وعندما وصل إلى مخيم عبدالعزيز كان جيش الدولة يقاتل داخل بلد الدلم فتركهم واتجه إلى حيث يقيم الإمام عبدالعزيز وكبار أعوانه فحصل بينهم قتال شديد سقط فيه من جيش الإمام عبدالعزيز عشرون رجلاً وأخذ من ركابهم حوالي خمسين. وعندما علم باقي جيش الدولة المقاتل داخل البلد بهذه الحادثة خرجوا منها ودخل زيد بلد الدلم فرحل عبدالعزيز بجنوده قاصداً بلدة نعجان.(٣)

وبعد فترة هدوء استمرت ثلاث سنوات استؤنفت الحملات السعودية على بلاد الخرج، حيث قام الأمير سعود بن عبدالعزيز بحملة على جنوبي الرياض قاصداً أهل الدلم في بداية عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م، فوضع لهم كميناً، ثم حاصرهم في بلدهم وعندما اشتد القتال خرج عليهم الكمين فتفرقوا في بلادهم، وظل سعود محاصراً لهم عدة أيام. ثم رحل سعود إلى بلدة السلمية حيث بنى بالقرب منها القصر المعروف بقصر البدع ووضع فيه حامية بقيادة محمد بن غشيان.(٤) وفي وقت لاحق

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٨-٩٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٣٠؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١٢٠.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٩-١٠٠؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٣٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص١٢٠.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٠٢-١٠٣؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٣٦.

(٤) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١٠٧-١٠٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط=

من هذه السنة أجمع أهل الخرج على أنه لا يستقيم لهم حال ما دام قصر البدع قائماً، وكانت حجتهم أن المقاتلين الموجودين في الحصن يغيرون عليهم في أغلب الأيام فضاقوا بذلك ذرعاً، ووضعوا خطة للاستيلاء على الحصن بأن حملوا السلالم والمحامل في الليل، لكن المرابطين في القصر علموا بهم وقتلوا منهم عدة رجال فانهزم المهاجمون للحصن. ولم تنته محاولاتهم التي ترمي إلى دخول الحصن؛ حيث استنجدوا بسعدون بن عريعر زعيم بني خالد وحاكم الأحساء، مما يعني تحولاً خطيراً في مجريات الأحداث. وقد استجاب سعدون لطلبهم على الفور معتبراً ذلك فرصة عظيمة له للانتقام من الدولة السعودية فجرد الجيوش المدعومة بالمدافع. وعند وصوله هاجم قصر البدع لكن دون طائل، ولم يستطع الرجوع بمدافعه فأودعها في اليمامة حيث كانت غنيمة للدولة السعودية فيما بعد.[١]

ومرة أخرى تسير الأمور لصالح الدولة السعودية، وذلك، والله أعلم، لحسن نيتهم ودفاعهم عن الدين وأهله. ذلك أن فشل سعدون بن عريعر قوى من عزائم جيش الدولة، وفي الوقت نفسه فت في عضد أعدائهم من أهل الخرج وحلفائهم بني خالد. ففي عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م وبعد حملة قام بها الإمام عبدالعزيز على حوطة بين تميم رحل منها وقصد الدلم فقاتل أهلها في بلدان الفرع والنتيقة، ثم سار منها إلى نعجان ونازل أهلها، ثم سار منها إلى اليمامة وقاتل أهلها وهدم بروجاً فيها.[٢] ومن ناحية أخرى كانت نهاية زيد بن زامل في عام ١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م فرصة أخرى لإنهاء التوتر طويل الأمد في بلاد الخرج وضمها إلى الدولة السعودية. ففي هذه السنة أغار زيد بن زامل على بادية سبيع ثم عاد أدراجه فصادف سليمان بن عفيصان في حملة كلفه بها الإمام عبدالعزيز لمطاردة قطاع الطرق، وجرت بين الطرفين معركة، فأنزل الله الرعب في قلوب زيد وأتباعه رغم قلة عدد جيش ابن عفيصان. وفي أثناء المعركة انطلقت رصاصة من جيش ابن عفيصان أصابت زيداً وهو راكب على راحلته فسقط ميتاً ففشل أتباعه وقتل منهم نحو عشرة رجال.[٣]

= ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٤٢-١٤٣؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧٦؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢٤.

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٤٤؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٧٦.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٤٤.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١١٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، =

الخبر، فجهز جيشاً كبيراً أسند قيادته إلى ابنه الأمير سعود بن عبدالعزيز. وقد وصل سعود إلى السلمية وجعل فيها عدة رجال مرابطين ثم أمضى عدة أيام يكاتب أهل اليمامة ويحث البجادي على إخراج أهل الفتنة من بلاده، فوعده بأنه سيفعل إذا رحل سعود عنهم. والواقع أن البجادي ليس صادقاً في قوله لأنه كان ينوي الخديعة، إذ بمجرد أن فك سعود الحصار عن بلادهم نقض البجادي البيعة ونكث العهد وغدر ثم خرج مع أعوانه لمقاتلة مؤيدي الدولة السعودية في السلمية لكنهم كانوا مستعدين له، وبمجرد وصوله إليهم قاتلهم أهل السلمية واشتد القتال فانهزم المعتدون وانقلبوا خائبين.[١] وبعد فترة استجمع الإمام عبدالعزيز قواته في الحاير وبعث حملة صغيرة إلى اليمامة فعقروا لهم إبلاً ورجعوا. وفي بداية سنة ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م قام الأمير سعود بن عبدالعزيز بحملة أخرى على اليمامة فصادف مقاتليهم في السهباء قرب اليمامة فحصل بين الطرفين قتال سقط فيها عدة قتلى من الجانبين ثم انصرفوا كل إلى بلاده.[٢]

وفي عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م قام الأمير عبدالله بن محمد بن سعود بحملة على اليمامة حيث وضع كميناً في الليل. وفي الصباح هاجم البلد فخرج عليه أهل اليمامة فحصل قتال شديد انهزم فيه أهل اليمامة فولوا هاربين بعد أن قتل منهم نحو عشرين رجلاً وقتل من جيش الدولة عدة رجال. ومن هناك سار عبدالله بجيشه إلى الحريق حيث حصل بينه وبين عدد من رعاتها قتال سقط منهم نحو عشرين قتيلاً.[٣] وقد هدأت الأمور نوعاً ما في بلدة اليمامة بعد موت رئيس اليمامة حسن بن راشد البجادي في عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م.[٤] وفي عام ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م أعلن أهل اليمامة، كغيرهم من أهل الخرج، الطاعة وبايعوا الإمام عبدالعزيز على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. وقد استعدوا لدفع ما طلبته

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٦-٩٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٢٩.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٩؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٣١؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٣) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١١٠-١١١؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٤٣.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٤٤؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢٣.

منهم الدولة من بلاد الخرج جزاء لهم على خروجهم على طاعة الدولة.[(١)]

وفي بداية عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م وبينما كان الأمير سعود يستعد لتسيير حملة على بلدة ملهم أخبره رجال من أهل اليمامة بأن آل بجاد يريدون نقض العهد فرحل إليها، وعند وصوله خرج إليه أهلها وفيهم النساء وطلبوا منه الأمان والعفو فألزمهم بأن يفدوا على الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام عبدالعزيز ابن محمد بن سعود. وقد استجابوا لطلب سعود لكنهم غيروا وجهتهم وانصرفوا هاربين إلى الأحساء فأمر الإمام عبدالعزيز بهدم محلتهم المسماة البنه، وعين عليهم الرويس أميراً، كما بنى فيها حصناً وجعل فيه حامية تحت قيادة محمد بن غشيان.[(٢)] وبذلك انضمت اليمامة نهائياً إلى الدولة السعودية الأولى.

ضم وادي الدواسر:

من البلاد المهمة في جنوبي نجد وادي الدواسر، والحقيقة أن هذه البلاد لم تكن ضالعة في الأحداث التي وقعت في بلاد الخرج والتي استمرت فترة طويلة في مواجهة مع الدولة السعودية الأولى وبين عدوها اللدود زيد بن زامل. ولا شك أن زعماء وأهالي وادي الدواسر كانوا يسمعون عن تلك الأحداث، ويدركون مدى قوة الدولة ومدى ضعفهم أمامها. وعلى رأس القرن الثالث عشر الهجري أصبحت هيمنة الدولة السعودية على بلاد منطقة الرياض ظاهرة وأعداؤها مندحرين. وقد استفاد أهل وادي الدواسر من التجربة التي مرت بها بلاد كثيرة من بلاد نجد وانضموا إلى الدولة السعودية طائعين. ففي عام ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م قدم ربيع وبدن ابنا زيد الدوسري رئيس المخاريم من وادي الدواسر ومعهما رجالٌ من رؤساء قومهما على الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وبايعوا على دين الله والسمع والطاعة، ثم قاموا بإمارة الوادي على أتم وجه، كما قاموا بنشر الدعوة

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٢٤؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٥٦؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٢٤.

(٢) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١٢٦-١٢٧؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٥٦. أما اليوم فيعتبر الحصن الذي سمي باسم المحلة موقعاً أثرياً يقع في الركن الشمالي الشرقي لبلدة اليمامة، وهو موقع كبير المساحة دخل ضمن المزارع المجاورة، وقد سورت إدارة الآثار التابعة لوزارة المعارف جزءاً من هذا الموقع لمعلم أثري. انظر: الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣)، مرجع سابق، ص ص ٥٩-٦٠.

الإصلاحية، وتأييد الدولة السعودية.[١]

استمرت أحوال أهالي وادي الدواسر هادئة، حيث كان ربيع يقوم بالدعوة إلى التوحيد الخالص. وفي سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م تغيرت أحوال الناس في الوادي وبدؤوا ينفرون من ربيع وأتباعه من الدعاة. ولا شك أن من أهم الأسباب لذلك أنهم كانوا يحثونهم على ترك كل ما يتنافى مع الإسلام مما كانوا معتادين عليه، ويصعب عليهم تركه بسهولة نظراً لعدم تمكن الدين من نفوسهم، كما سيأتي تفصيله. وقد تطور الأمر إلى حد اضطر معه ربيع إلى بناء قصر لإيواء الدعاة تحسباً لما قد تؤول إليه الأحوال الأمنية. وعندما انتهى من بنائه جهر بالدعوة وأخذ يطبق ما تدعو إليه من إزالة شعارات الشرك والمنكر. ومما قام به أنه أشعل النار في شجرة كانت معبداً للضالين الجاهلين منهم، فتألبوا على قتاله مع أعوانه، وحاصروه في قصره، وعملوا كل أسباب التضييق على من بداخل القصر. وعندما أخبر ربيع الإمام عبدالعزيز بما هم عليه من شدة وضيق أمده بالمال والسلاح وأرسل إلى مبارك بن عبدالهادي يطلب منه مساعدة ربيع فاستجاب ونزل مع ربيع في القصر. وقد تكالب أهل الوادي على حربهم، وبعد محاولات يائسة أصبحت كفة ربيع وأتباعه هي الراجحة، لكن الحرب استمرت سجالاً بين الطرفين. وفي النهاية تم التوصل إلى صلح خرج بموجبه أتباع ربيع من القصر وذهبوا إلى مبارك بن عبدالهادي فأكرمهم، ثم رحلوا إلى الدرعية وزودهم الإمام عبدالعزيز بالمال والطعام والسلاح ثم رجعوا إلى وطنهم وبنوا لهم قصراً. وقد أدت جهود هؤلاء الدعاة دورها وكانت سبباً بتوفيق الله في انتشار الدعوة الإصلاحية في الوادي، وقد طلب الأهالي من ربيع ومبارك أن يقدموا إليهم فقدموا وبايعوهم على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.[٢] وبهذه الخطوة خضعت كل بلاد جنوبي نجد حتى وادي الدواسر لحكم الدولة السعودية الأولى، كما تأمنت حدود الدولة من جهة الجنوب.

وبذلك انتهى فصل طويل من جهود الدولة السعودية لضم بلاد منطقة الرياض، وهي خطوة مهمة لتوحيد بلاد نجد بأكملها. ولا شك أن الفترة التي أمضتها الدولة السعودية في ضم البلاد، وتوحيدها

---

(١) ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص١٢٢؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص١٥٥.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن الأحداث في وادي الدواسر انظر: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٣١-١٣٤؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص١٦٣-١٦٥.

تحت مظلة واحدة وتمكين هيبة الدولة السعودية في منطقة الرياض بحدودها الجغرافية الحالية خلال عهد الإمام محمد بن سعود وقدراً كبيراً من عهد ابنه الإمام عبدالعزيز قد أعطت أفضل مثال على مدى قوة هذه الدولة، كما أضافت شواهد أخرى على مقدرة الدولة السعودية على أخذ زمام المبادرة في أية مجابهة. وإذا كانت جهود الدولة السعودية في ضم بلاد العارض والوشم والخرج لها خصوصية باعتبارها كانت النواة التي انطلقت منها الدولة وارتباطها بتغيير ما اعتاد عليه عامة الناس من مظاهر مخالفة للدين أو متصادمة معه، فإن المرحلة الثانية التي شملت الفترة الأخيرة من عهد الإمام عبدالعزيز وابنه الإمام سعود شهدت مدى قوة الدولة عندما ضمت إلى رقعة الدولة بلاداً أخرى زادت من قيمة الدولة وارتباطها بالدول الأخرى وأصبحت دولة بحرية، وبرزت مكانتها السياسية والدينية. فبإطلالة القرن الثالث عشر الهجري استطاعت الدولة السعودية ضم منطقة الأحساء عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م، وبدأت توجه اهتمامها لضم بلاد الحجاز حتى استطاعت أن تضمه نهائياً في عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م. وفي خلال عدة سنوات استطاعت الدولة السعودية ضم معظم بلاد شبه الجزيرة العربية ووصل دعاتها إلى العراق والشام ينشرون عقيدة التوحيد التي انطمست معالمها الصحيحة في نفوس كثير من الناس. وفي الحقيقة فإن المطلع على تاريخ الدولة السعودية الأولى منذ نشأتها وارتباطها بالدعوة الإصلاحية يدرك أن أهدافها كانت ترمي إلى تصحيح العقيدة الإسلامية لدى العامة بالطرق السلمية عن طريق الحجة والإقناع والمناظرات، وعندما لم تُجد تلك الطرق مع بعض الزعماء المتعنتين قامت الدولة بواجبها في الجهاد لإعلاء كلمة الله في المناطق التي انضمت إلى الدولة خلال مسيرتها التي زادت على سبعين عاماً.(١)

---

(١) ليس المجال هنا مجال الحديث عن جهود الدولة السعودية في ضم كل بلاد شبه الجزيرة العربية بسبب خصوصية هذا البحث واقتصاره على منطقة الرياض بحدودها الجغرافية الحالية. ولمزيد من المعلومات عن ضم المناطق الأخرى للدولة انظر: ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، مصدر سابق، وابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، حيث يؤرخان حسب السنين؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص١٠٨-١٤٧؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص٧٧-١٠٠؛ الصقري، صالح بن حمد (١٣٩٨هـ)، **العلاقات السياسية لأشراف مكة بنجد في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

المبحث الثالث

منطقة الرياض تشهد صمود الدولة السعودية

إن المتأمل لعهد الدولة السعودية الأولى يجد أنها أمضت جل وقتها في بناء كيان الدولة، ودعم وحدتها. وكما اتضح من خلال الصفحات السابقة، يمكن للقارئ أن يدرك مدى الجهود التي قامت بها الدولة لضم البلاد وتوحيدها، ومقدار المعاناة التي واجهتها من بعض البلاد في منطقة الرياض بحدودها الحالية من تعنت بعض الزعماء وإصرارهم على مقاومة الدولة بكل ما يستطيعون من جهد مادي ومعنوي.(١)

ورغم أن الدولة السعودية الأولى استطاعت ضم معظم بلاد شبه الجزيرة العربية وتوحيدها في دولة واحدة في فترة تعد قياسية في عمر الدول، إلا أن ضمها الحجاز بخاصة أغضب الدولة العثمانية التي تعتبر الحجاز فرصتها الوحيدة لكسب المسلمين في عامة الدول الإسلامية، وبالتالي استطاعت هذه الدولة حكم البلاد العربية والإسلامية من منطلق أنها دار الخلافة الإسلامية. ومع أن الدولة السعودية لم تكن تعترض على الخلافة الإسلامية بل إنها تدافع عنها، لكنها في الوقت نفسه أدركت أن تحكّم الأشراف في الأماكن المقدسة، ومنعهم بعض الناس عن الحج في بعض السنوات، وخاصة أهل نجد. إضافة إلى أن ما كان يجري في الأماكن المقدسة وفي غيرها من بلاد العالم الإسلامي من أمور بعيدة عن هدي الإسلام أمر لا يمكن السكوت عليه.(٢) ورغم المراسلات التي قامت بها الدولة السعودية مع الدولة العثمانية لشرح مبادئ الدعوة الإصلاحية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبيان طبيعة الارتباط بين هذه الدعوة وبين الدولة السعودية، وبيان أهداف الدولة السعودية من الحجاز، إلا أن الدولة العثمانية لم تحاول دراسة الوضع بأسلوب يضمن قيام علاقات ودية بين البلدين، بل اعتبرت ما

---

(١) أبرز هؤلاء الزعماء دهام بن دواس أمير الرياض، وزيد بن زامل أمير الخرج.

(٢) أول من منع أهل نجد عن الحج هو الشريف مسعود بن سعيد، ولم يكتف بذلك بل تجرأ واحتجز بعض حجاج نجد في عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م. وفي عام ١١٨٢هـ/ ١٧٧٢م طلب أهل نجد السماح لهم بالحج، لكن الشريف غالب اشترط عليهم أن يأخذ عليهم ما يأخذه من الأعاجم، إضافة إلى مئة من الخيل والجياد. انظر تفصيلات عن هذا الموضوع: الصقري، صالح حمد (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص ص ٢٩-٣١.

قامت به الدولة السعودية أمراً خارجاً على سلطتها، ولم تحاول إجراء مفاوضات معها، بل بدأت تدرس خيارات القضاء على هذه الدولة الناشئة اقتناعاً منها، أو بإيحاء من ولاتها وقوادها الذين ربما كان لبعضهم مطامع سياسية على حساب الدولة العثمانية نفسها. ومن هؤلاء الولاة والي مصر محمد علي باشا الذي اغتنم فرصة رغبة الدولة العثمانية في كسر شوكة الدولة السعودية وعجز ولاتها الآخرين في العراق والشام عن القيام بهذه المهمة فقام بها على حساب الدولة العثمانية نفسها.

ففي عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م صدر أول تكليف من السلطان العثماني مصطفى الرابع إلى والي مصر محمد علي باشا بالقيام بحملات عسكرية للقضاء على الدولة السعودية الأولى. وبعد أربع سنوات من التردد بين الرغبة في استغلال الفرصة لمصلحته، وبين الخوف من شرك تنصبه له الدولة العثمانية وافق محمد علي باشا على القيام بهذه المهمة حيث وصلت طلائع القوات القادمة من مصر إلى الحجاز.[١] وعلى الرغم من أن حملات محمد علي باشا على بلاد الحجاز ومن بعده القصيم استمرت عدة سنوات وكلفت محمد علي باشا كثيراً من الأموال والرجال إلا أن خصوصية هذا البحث بمنطقة الرياض اضطرنا إلى إيراد الخطوط العريضة لهذه الأحداث حرصاً على ترابط الموضوع دون الخوض في تفاصيله لكي يكون تمهيداً للدخول في تفاصيل أكثر عن موضوع هذا البحث الذي يختص بمنطقة الرياض.

بدأ محمد علي باشا عملياته العسكرية في الجزيرة العربية بحملاته على الحجاز في عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م واستمرت حوالي ثمانية أعوام انتهت بسقوط الدرعية في عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م. وخلال هذه الفترة العصيبة أبلت الدولة السعودية الأولى بلاءً حسناً في حرب شرسة غير متكافئة من حيث الإمكانات العسكرية والتفوق البشري والإمداد المتوالي. ولأهمية هذه المواجهة والنتائج التي ستترتب عليها بالنسبة للجانبين بذل كلا الطرفين جهوداً مضنية لكسب الجولات الحربية الأولى. فبالنسبة للدولة السعودية قاد الإمام سعود نفسه ومن بعده ابنه الإمام عبدالله أغلب العمليات العسكرية، وبالنسبة للجيوش المصرية قادها طوسون بن محمد علي باشا حتى شوال عام

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، **من محمد علي إلى الباب العالي، دفتر ١**، معية تركي، وثيقة ٤، تاريخ ذي الحجة ١٢٢٢هـ ديسمبر ١٨٠٧م، نقلاً عن عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٠٦؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤١. وانظر عن استعدادات محمد علي باشا لهذه المهمة، والعوامل المهيئة لنجاحها في الحجاز: العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص١٨٢-١٨٣.

١٢٣١هـ/ سبتمبر ١٨١٥م، ثم خلفه في قيادة الجيوش إبراهيم باشا، الابن الأكبر لمحمد علي باشا. وتدعيماً لموقف جيوشه التي لاقت مصاعب، خاصة بعد معركة تربة، وصل محمد علي نفسه إلى الحجاز في ذي القعدة عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م على رأس قوة كبيرة وقدم معه في هذا العام الحاج المصري، ثم وصل إلى مكة المكرمة وقبض على الشريف غالب ثم عزله وعين مكانه الشريف يحيى بن سرور.(١) وكما ذكرنا سابقاً كان محمد علي باشا يخطط للاستفادة من كل خطواته السياسية والعسكرية، فقد ماطل في الاستجابة لطلب الدولة العثمانية القيام بحملات على الدولة السعودية حتى أظهر بأنه الوحيد القادر على ذلك، ثم استغل هذا الطلب في الحصول على الأموال والأسلحة. وعندما استخلص الحجاز ازداد غروره وازدادت مطالبه فأصبح يطالب بولاية الشام. وقد حاول أن يبعد عن نفسه الريبة في مصلحة شخصية بهذه المطالب، إلا أنه لم يستطع أن يخفي غروره بقوله: "ودون أن يكون قولي في معرض التشكر أو المن فإنه لم يبق في الساحة غيري، المتحمس والباذل في سبيل هذه القضية كل الغيرة وكل المقدرة"، ثم قال مرة أخرى في سياق مطالبته بولاية الشام: "إن قصدي من هذا التفضل لم يكن صورة الشكوى ولا هو من أنواع المن بل إنه أولاً إفادة الحقيقة والحال وثانياً إن مطالبتي بالشام في الأول والآخر لم يكن ابتغاء المنفعة وتوسيع المنصب بل هو لمجرد إبراز الخدمة الحسنة للدين"، ثم يظهر غروره بشكل علني عندما ختم رسالته بقوله: "إن إقليم مصر فوق قدري واستحقاقي وإنني في ظل السلطنة لأتشوف بنظري إلى محل آخر وبخاصة للشام...". ورغم هذا الطموح المشفوع بالغرور إلا أنه أراد التمويه حيث علل رغبته بولاية الشام بضرورات عسكرية ومالية عندما قال بأن الهجوم على الدرعية يحتاج إلى ثلاثة أطراف وفي كل طرف ما بين ٢٠-٣٠ ألفاً من العساكر السلطانية. ثم بيّن أن الدرعية تبعد عن الحجاز ما بين ٢٠-٣٠ منزلاً ولذا فإنه من العسير دعم العسكر بالمدد، ثم قال إن بين الشام والدرعية طريقاً عليه ١٧ منزلاً، وأكثر هذه المنازل والمراحل ذات كلأ ومياه وعمار.(٢)

ولا شك أن وفاة الإمام سعود بن عبدالعزيز في الحادي عشر من شهر جمادى الأولى عام

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٣٨، ٣٨٢، ٣٨٤. وانظر مزيداً من التفاصيل عن وصول محمد علي باشا إلى جدة ومكة المكرمة وأعماله العسكرية والمدنية هناك: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٥-١٤٦.

(٢) وردت هذه التفاصيل عن طموحات محمد علي باشا في وثيقة عثمانية. انظر: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-١٦٥، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٢٨هـ.

١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م كانت من الأمور التي أضعفت الجبهة السعودية، إذ إنه بحلول عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م استخلصت جيوش محمد علي باشا الحجاز بأكمله من أيدي السعوديين وأصبح إقليماً تابعاً لمصر من الناحية الإدارية، لكنه تحت سيادة الدولة العثمانية. (١)

وفيما كانت فرق من جيوش محمد علي تقاتل في الجنوب لإخضاع بلاد اليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية، كان محمد علي باشا والي مصر يخطط لنقل ميادين المعارك إلى منطقة القصيم استعداداً للوصول إلى الدرعية وإخضاعها. ولا شك أن هذه المهمة صعبة وشاقة ولذلك استعد لها محمد علي باشا بالقوة اللازمة، وقد وصف هذا الاستعداد في رسالة له بعثها إلى السطان. ومن هذه الرسالة يمكن أن نحصر عدد القوات التي حشدها محمد علي باشا للقيام بالمرحلة التالية؛ وهي الهجوم على القصيم وقد تكونت هذه القوات من أربعمائة خيال كانوا بمعية محافظ المدينة المنورة، كما انتقى محمد علي باشا ثمانمائة خيال من دائرة إبراهيم باشا، ثم أضاف إليهم أربعمائة تحت قيادة حسن آغا، وإلى جانبه بعض القادة الصغار مع نحو ثلاثمائة خيال، وبذلك بلغ عدد الفرسان حوالي ألف فارس انتقاهم من عدة جهات. وهكذا بلغ مجموع الجيش المتواجد في المدينة ثلاثة آلاف خيال، في حين بلغ المشاة حوالي أربعة آلاف، فأصبح المجموع سبعة آلاف من الخيالة والمشاة. (٢)

وفي الوقت الذي غادر فيه محمد علي باشا جدة في ٥ جمادى الثانية عام ١٢٣٠هـ الموافق ٢٠ مايو ١٨١٥م كانت القوات المصرية تحت قيادة ابنه طوسون باشا تواصل توغلها في منطقة القصيم حيث وصلت إلى الرس. وبعد أن استطاع إخضاع بلدان أخرى في القصيم، اعتقد أن الطريق أصبح ممهداً

---

(١) أصبح الحجاز بعد هذه الحملات، ونجاح إبراهيم باشا في اقتحام الدرعية وإسقاط حكومتها، يخضع لحكم محمد علي باشا في مصر مباشرة، وخاصة بعد أن صدر مرسوم بتعيين إبراهيم باشا على جدة بمرتبة وزير، وأصبح تعيين الأشراف يتم في مصر. وقد قام محمد علي باشا بإحداث بعض التغييرات في مقر حكم الأشراف، ومنها استبدال الأسرة الشريفية الحاكمة بأسرة أخرى من العبادلة هي أسرة عون، كما فتح البلاد للإفرنج، والسير في الحكومة على نهج الحكومات الحديثة. وللمزيد من المعلومات عن وضع الحجاز في ذلك الوقت راجع: حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مرجع سابق، ص٣٠٧؛ السباعي، أحمد، (١٣٨٠هـ) تاريخ مكة، مكتبة الثقافة، مكة، ص٣٥٨؛ وهبة، حافظ، (١٣٨٧هـ)، جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص١٥٢؛ باوزير، سعيد عوض، (١٣٨٥هـ)، معالم تاريخ الجزيرة العربية، مؤسسة خليفة للطباعة، عدن، ص ص١١١٨.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-١٩٠، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٠هـ.

للمسير إلى الدرعية. ويبدو أن طوسون كان مخطئاً في هذا الاعتقاد إذ سرعان ما أدرك أن عليه أن يتوقف عند هذا الحد وألا يتوغل في بلدان القصيم خشية على جنوده، وخوفاً من قطع الطريق بينه وبين قواعد تموينه في الحجاز. وفي الوقت نفسه كان الإمام عبدالله بن سعود راغباً في التقاط أنفاس قواته المنهكة، وكان يريد وقتاً لمعاقبة من انحاز إلى قوات طوسون من أهل البلدان. وبذلك التقت الرغبتان وجرت مفاوضات للصلح، لكنها لم تصل إلى اتفاق نهائي بسبب تحفظ الإمام عبدالله على بعضها، ولكون الموافقة عليها منوطة بمحمد علي باشا نفسه. (١)

وقد توقف القتال لمعرفة نتيجة رحلة الوفد السعودي الذي ذهب إلى مصر للمفاوضة. وفي الوقت نفسه انسحب طوسون باشا بقواته إلى المدينة، ويبدو أن ذلك تم بسبب خشيته على قواته وبسبب تدهور حالته الصحية بدليل أنه أرسل إلى والده يطلب منه السماح له بالعودة إلى مصر. ويؤكد ذلك أن محمداً علي باشا لم يسمح له إلا بعد أن استأذن الباب العالي وتعهد له بإتمام عملية القضاء على الدولة السعودية. وفي هذه الأثناء مات طوسون باشا في ٧ ذي القعدة ١٢٣١هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٨١٦م وكلف محمد علي باشا ابنه الأكبر إبراهيم باشا بإتمام مهمة طوسون. (٢)

---

(١) وقد تمت المصالحة بينهما على إيقاف الحرب بين الطرفين، وأن يرحل جيش طوسون باشا عن نجد، وعلى حرية تنقل رعايا الدولة العثمانية عبر نجد في طريقهم للحج، وتنقلهم في جميع بلاد الدولة السعودية. انظر: ابن بشر، عثمان ابن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٧٨. لكن المؤرخ المصري عبدالرحمن الجبرتي، لم يذكر هذه الشروط بل اكتفى بالقول "وأن عبدالله (يقصد الإمام عبدالله بن سعود) ترك الحرب والقتال وأذعن للطاعة وحقن الدماء". انظر: الجبرتي، عبدالرحمن، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٣، ص٤٩٣. ويذكر الرافعي شروطاً أخرى منها: احتلال جيش طوسون الدرعية، وأن يرد آل سعود كل ما أخذوه من الحجرة النبوية، وأن يضع عبدالله ابن سعود نفسه تحت تصرف جيش طوسون، وأن يكون عبدالله خاضعاً لحاكم المدينة حتى تتم الموافقة على الصلح، وأخيراً لا تصبح هذه الشروط نافذة إلا بعد موافقة محمد علي باشا عليها. الرافعي، عبدالرحمن، (١٣٧٠هـ)، **عصر محمد علي**، مطبعة الفكرة، القاهرة، ص١١٦. ويبدو أن الشروط الأخيرة أقرب إلى الواقع لأن زمام الموقف في هذا الوقت كانت لجيش محمد علي، ولهذا فليس غريباً أن يفرض طوسون شروطاً تتوافق مع مهمة الحملات المصرية التي جاءت من أجلها والتي من أهمها تسليم الدرعية والقضاء على الدولة السعودية. ويؤيد هذا الرأي أن الإمام عبدالله بن سعود لم ترضه هذه الشروط التي وضعها طوسون باشا بل اعتبرها إهانة له فرفضها وأرسل وفداً إلى مصر لمقابلة محمد علي باشا والتفاوض معه على الصلح وذلك في شهر شوال ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م.

(٢) للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع وعن شروط صلح الرس واختلاف روايات المؤرخين المعاصرين حولها انظر: =

وفي مصر فشلت مهمة الوفد السعودي قبل أن تبدأ حيث لم يحسن محمد علي باشا استقبالهم، ولم يوافق على توقيع الصلح، وعرف الوفد تصميم محمد علي على القضاء على الدولة السعودية.[١] وكان الوفد يحمل معه رسائل من الإمام عبدالله إلى كل من محمد علي باشا، وإلى السلطان محمود الثاني يشرح فيهما وجهة نظره في أمر الصلح، حيث أوضح أن المسؤول عن عدم الثقة وما جرته من حروب بين بلاده والدولة العثمانية هو وشايات الشريف غالب، إلى درجة أنه كان يزوّر خط والده الإمام سعود في رسائل كان يرسلها إلى الباب العالي لإثارة الفتنة بين الطرفين. وتثبت الوثائق المصرية أن الإمام عبدالله بن سعود أبدى رغبته في إعلان خضوعه للدولة العثمانية مقابل أن تمنحه وشعبه الأمان.[٢] ولا شك أن الإمام عبدالله أدرك صعوبة موقف قواته وتصميم الدولة العثمانية ممثلة بوالي مصر محمد علي باشا على القضاء على دولته، ولهذا فإن هذه المراسلات وما قيل عن استعداده للخضوع للدولة العثمانية والدعاء للسلطان العثماني كان حرصاً منه على الإبقاء على ما يمكن إبقاؤه من استقلال بلاده، والحفاظ على ما بقي من مناطقها لتستمر في رسالتها التي قامت من أجلها.

إبراهيم باشا يواصل مهمة طوسون:

ونتيجة للصلح وما تبعه من مغادرة طوسون باشا إلى مصر، قام الإمام عبد الله بحملة إلى القصيم لمعاقبة بعض البلاد التي وافقت طوسون باشا، كما أدب بعض البدو الذين ساعدوا جيش طوسون، وقد

= ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٧٨؛ الجبرتي، عبدالرحمن، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٣، ص٤٩٣؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٨؛ الرافعي، عبدالرحمن، (١٣٧٠هـ)، مرجع سابق، ص١١٦؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٣١-٣٣٣؛ سعيد، أمين، (د.ت.)، **تاريخ الدولة السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص١٢٠.

(١) الجبرتي، عبدالرحمن، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٣، ص٤٩٣. ويقول آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٨، مختصراً نتيجة رحلة الوفد، ومبيناً موقف محمد علي باشا الرافض للصلح: "ركب رجال من أهل القصيم إلى مصر وأكثروا القول لمحمد علي فتلقى قولهم بالقبول وأخذ في تجهيز العساكر إلى نجد مع ابنه إبراهيم باشا».

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محافظ بحر برا، محفظة ١٦، وثيقة ١٢٢، نقلاً عن عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ملحق ٢٢. وعن مراسلات الإمام عبدالله إلى كل من السلطان العثماني ومحمد علي باشا انظر: الملحقان ٢٣، ٢٤.

وصل في حملته تلك إلى أطراف المدينة المنورة.(١) أما الجانب الآخر فقد عزم محمد علي باشا على مواصلة الحرب حتى النهاية واستعد لها بقوات إضافية، فعلى مستوى القيادة عين، بعد رجوعه إلى القاهرة، ابنه الأكبر إبراهيم باشا قائداً عاماً للجيوش المحاربة في الجزيرة العربية حيث استعد بجيش كبير. كما تواصلت الإمدادات من مصر إلى الحجاز عبر مينائي السويس والقصير، وأقيمت معسكرات التدريب استعداداً لحملات متتابعة، وخلال فترة الحرب كانت الإمدادات المتوالية تصل إلى إبراهيم باشا حسب احتياجه حتى سقوط الدرعية كما سيأتي تفصيله.(٢)

قاد إبراهيم باشا المواجهات بين قواته المتمركزة في الحناكية وبين قوات الدولة السعودية الأولى في القصيم المدعومة من أهالي القصيم والوشم وسدير. ثم تعزز موقف الجيوش السعودية بخروج الإمام عبدالله بن سعود على رأس جيش الدرعية في العشرين من شهر جمادى الأولى عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م.(٣) وفي القصيم حدثت مواجهات بين قوات إبراهيم باشا وجيش الدولة السعودية، ورغم قلة إمكانات الدولة السعودية فإنها أبلت بلاءً حسناً في القصيم لكنها لم تستطع الصمود أمام قوات إبراهيم باشا. ففي الرس ورغم الهزيمة التي منيت بها في المرة الأولى إلا أن حماس قوات إبراهيم باشا والإمدادات التي وصلته والتي كانت تضم أربعمائة خيال وأربعمائة من المشاة، وخمسمائة من مشاة المغاربة، ومعهم من العتاد أربعة آلاف قذيفة من عيار ٧ أوقية مع مدفع، كان لها أثر نفسي حيث فعلت فعلها، واستطاع أن يشدد الحصار على قلعة الرس التي وصفها بأنها قفل للدرعية منذ يوم ٢٧ شعبان، بينما كان الإمام عبدالله بن سعود يترصد لهم في عنيزة. وبعد طول حصار طلب أهل الرس في اليوم العاشر من ذي الحجة الصلح فوافق إبراهيم باشا بعد أن قتل ثلاثة من قادتهم وأمّن الباقين. وبعد ذلك أرسل إبراهيم باشا قواتاً من الخيالة والمشاة والمدافع حيث حاصرت بلدة الخبراء، وبعد أن

---

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٣٩؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص١٩١.

(2) Playfair, R. L., (1959), **A History of Arabia Felix or Yemen from the commencment of Christian Era to the present time**, Education Societys press Bombay, p. 133.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٨٤-٣٨٥؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٨.

يئس المحاصرون استسلموا، ثم غادرها إلى عنيزة فسلمت له.[١] وهكذا أخذت بلدان القصيم تسقط الواحدة تلو الأخرى بعد قتال مرير في بعضها، كما حصل في بعض فترات الحرب محادثات لعقد صلح. وخلال عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م أطبق إبراهيم باشا على أكثر بلاد القصيم. وفي غرة محرم عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م وصل إبراهيم باشا بقواته إلى بريدة واقتحمها وضيق على أهلها بالقذائف ورصاص البنادق مدة يوم وليلة، وبعد أن قتل من أهلها قرابة ستين رجلاً طلبوا الأمان فوافق إبراهيم باشا بعد أن أخذ منهم ثلاثة مدافع كانت لديهم بالإضافة إلى عتادها، كما احتجز ابن أميرها حجيلان بن حمد، ثم بدأ استعداداته للرحيل إلى شقراء.[٢] ومن الملاحظ أن إبراهيم باشا لم يطل المقام في القصيم ولم يحاول أن يخضع كل القلاع الموجودة في المدن والقرى لأنها تحتاج إلى وقت وجهد وذخيرة هو في حاجة إليها لإتمام مهمته إلى الدرعية.[٣] وبذلك سقطت منطقة القصيم بأيدي القوات المصرية، وعندها بدأ إبراهيم باشا يخطط للاستيلاء على منطقة الوشم.[٤]

---

(١) انظر تفاصيل عن هذه الأحداث في: الوثائق العثمانية، دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-١٩٧ من محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٣٣٢هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١-١٢٤، من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم، تاريخ ١٣٣٢هـ(غير واضح)؛ وثيقة رقم ٥/ ١-١٥٢، من محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٣٣٢هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١-١٢٢، من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم، تاريخ ١٢٣٣هـ؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٨-١٤٩.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٢٠٣، من محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٢٣٣هـ.

(٣) الصقري، صالح حمد (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص١٧٠. وعن هذه الأحداث انظر: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٩.

(٤) للمزيد من المعلومات عن حملة إبراهيم باشا على منطقة القصيم ودفاع أهلها، وعن شروط الصلح لتسليم الرس وعنيزة انظر: الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص١٤٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٨٤-٣٩٠؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٨-١٤٩؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٤٤-٣٤٥؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص١٩٢-١٩٣؛ الصقري، صالح حمد (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص١٦٨-١٧٠.

الوشم في الطريق إلى الدرعية:

بعد أن فرغ إبراهيم باشا من السيطرة على بلاد القصيم رحل من بريدة إلى المذنب ثم غادرها قاصداً بلدان الوشم في ٣ربيع الأول ١٢٣٣هـ/ أوائل عام ١٨١٨م، وهي من البلدان التابعة لمنطقة الرياض حالياً، حيث نزل في بلدة أشيقر والفرعة. أما الإمام عبدالله بن سعود فقد اتخذ من شقراء مقراً لقواته. وبسبب الهالة التي صاحبت عملياته العسكرية وخوف هذه البلدان الصغيرة من بطش قواته طلب أهالي أشيقر والفرعة الأمان من إبراهيم باشا على أن يدخلوا في طاعته.[(١)]

شقراء تصمد:

كانت شقراء هي الهدف التالي لإبراهيم باشا، وكان أهلها يعلمون بخطته ولذلك حرصوا على تحصينها. ففي آخر شهر ذي الحجة عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م طلب أمير شقراء حمد بن يحيى من أهلها أن يكملوا حفر الخندق الذي بدأوا في حفره حول بلدتهم في وقت سابق عندما كانت قوات طوسون تحقق انتصاراتها ثم توقفوا عن حفره بعد الهدنة بين طوسون وأهل القصيم. وعندما تحققت لإبراهيم باشا الغلبة في القصيم وبدأ يخطط للاستيلاء على منطقة الوشم سارع الأهالي في إكمال حفر الخندق مستعينين بكل من يستطيع العمل حتى النساء والأطفال ساعدوا بنقل الأطعمة والماء للعاملين بالخندق. وخلال فترة وجيزة أكملوا حفر خندق واسع عميق ثم بنوا على جانبه من جهة السور جداراً. واحتياطاً لطول الحصار طلب أمير شقراء من أغنيائهم شراء كميات كبيرة من الحنطة، كما أمر بقطع عسبان النخيل التي تلي الخندق والقلعة والإبقاء على خوافيها ففعلوا وهم كارهون.[(٢)]

ومن جانبه كان إبراهيم باشا حريصاً على بذل كل أسباب النجاح لحملته على شقراء لأنه يعلم أن أهلها شديدو البأس في الحرب وكانوا من المناصرين المخلصين للدعوة الإصلاحية والدولة السعودية، وكان إبراهيم باشا كثيراً ما يذكرهم في مجالسه. ومن أجل ذلك أراد سبر غور دفاعاتها، ومعرفة أفضل الأماكن لإقامة جيشه. ففي يوم الخميس السادس من شهر ربيع الأول غادر إبراهيم باشا مخيمه وجيشه وقصد شقراء واصطحب معه مدفعاً صغيراً حيث قام بجولة استطلاعية على البلد وحدد المكان الذي

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٠؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٤٦.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٨٩-٣٩٠.

سينزل فيه، والمكان الذي سترابط فيه قواته، والموضع المناسب لمدافعه ثم عاد من حيث أتى، كما استدعى إمدادات عسكرية إضافية من المقاتلين والمدافع. وفي يوم الجمعة التالي نقل إبراهيم باشا جيشه من بلدة أشيقر قاصداً شقراء التي وصلها في ٩ ربيع الأول ١٢٣٣هـ، حيث نزل أسفل البلد ونصب خيامه وحفر الخندق، ثم وصل إلى مشارف قلعة شقراء الترابية المحاطة بالنخيل وأشجار العنب فحاصرها وضربها بالقنابل وقذائف المدافع مدة أربعة أيام مع لياليها، ثم أمر المشاة بالهجوم على أبراج القلعة وأطراف النخيل التي احتشد فيها من أتباع الإمام عبدالله بن سعود أكثر من أربعة آلاف مقاتل، وقد وقع بين قوات إبراهيم باشا وأهل شقراء قتال شديد حتى اضطروا إلى الاحتماء داخل البلد، وقد أسفرت هذه المعركة عن سقوط عدد كبير من القتلى من مشاة إبراهيم باشا بينما كان الجرحى منهم أقل. أما من الجانب السعودي فقد سقط أكثر من مئتي مقاتل من المدافعين عن شقراء، كما جرح في هذا القتال أمير شقراء حمد بن يحيى.[1] ورغم هذه الخسائر البشرية الكبيرة فقد صبر أهل شقراء وأوقعوا بجيش إبراهيم باشا خسائر كبيرة من القتلى والجرحى. وفي هذه المرحلة تكاثف جنود إبراهيم باشا وقاموا بنقل المدافع إلى المرقب في شمال البلد فأخذت تمطر البلدة بوابل من الرصاص بكثافة غير معهودة، حتى إن ابن بشر ذكر أن ما سقط على البلد في ليلة واحدة يقدر بثلاثمائة حمل من الرصاص والبارود. ومن سرعة وكثافة ضرب المدافع كانت رصاص المدافع والقنابر والبنادق تتصادم في السماء فوق البلد وفي وسطها حتى إن أهل بلدان منيخ وسدير والمحمل خافوا من تلك المدافع. ورغم التفوق الواضح لقوات إبراهيم باشا والإمكانات العسكرية التي رصدها لاقتحام البلد حتى إنه قرب المدافع إلى جوار السور وهدم ما يليه من البيوت والقصور، إلا أن أهل شقراء صبروا حتى دب اليأس في نفوس إبراهيم باشا وقواته من صعوبة اقتحام الخندق. ورغم نداءات إبراهيم باشا المتكررة لهم بالصلح إلا أنهم كانوا يرفضون قبوله لثقتهم بالله ثم بأنفسهم. وبينما كانت القلعة على وشك السقوط عنوة طلب أهل شقراء الصلح حيث فاوض من جانبهم رجلان من زعمائهم هما عبدالعزيز بن إبراهيم بن عيسى وغيهب بن زيد. كانت شروط الصلح تتضمن تأمين دمائهم وأموالهم وما تضمه بلادهم. كما اشترط إبراهيم باشا

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٢٠٧، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١ جمادى الأول ١٢٣٣هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١-٧٦، من والي مصر الحاج علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١ ذو القعدة ١٢٣٣هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١-١٢٠، من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم، تارخ ١٢٣٣هـ.

تسليمه المدافع الخمسة الموجودة في القلعة، بالإضافة إلى تسليم الأسلحة التي يحملها المقاتلون من أهل البلاد المجاورة الذين جاؤوا لمساعدة أهل شقراء، وأن يبيع الأهالي للجيش المصري ما عندهم من ميرة، وفي مقابل ذلك يسمح للأهالي بالذهاب إلى حيث يشاؤون شريطة عدم حملهم السلاح والقتال ضد قواته مرة ثانية، وإذا أخلوا بهذا الشروط فإن دماءهم تحل لقوات إبراهيم باشا.(١) ومن الغريب أن تكون هذه الشروط مقبولة لدى أهل شقراء مع أنهم بقوا صامدين حتى رضخ إبراهيم باشا للصلح، فكيف يقبلونها مع أن كفتهم هي الراجحة. وهذا ما يعزز الإشاعة التي وردت إلى إبراهيم باشا بأن أهل شقراء أرادوا بهذا الصلح فك الحصار عنهم لكي يستطيعوا التقاط أنفاسهم، وربما تأتيهم خلال هذه الفترة إمدادات من الدرعية. وعلى العموم فقد تعرض الصلح إلى مشكلات لأن إبراهيم باشا أخذ الإشاعة السابق ذكرها على محمل الجد، وأن أهل شقراء استغلوا الصلح ليقوموا بالاتصال بالإمام عبدالله بن سعود في الدرعية لطلب المعونة فدخل البلد غاضباً وطلب من أعيانه تفسيراً لهذا الإشاعة فبينوا له أنها لا تعدو أن تكون وشاية، ثم لاطفوه وطلبوا عفوه فعفا عنهم. وبعد أن أقام إبراهيم باشا شهراً ارتحل عنها وأخذ من زعمائها عشرة رجال رهائن لديه.

وعلى العموم فقد استغل إبراهيم باشا الصلح فأرسل قواته لمهاجمة بلدان منيخ وسدير وأخذوا بعض الحبوب والدواب والعلف. وفي الوقت نفسه جاءته وفود من المحمل وحريملاء وأعلنوا الطاعة له ثم ارتحل قاصداً ضرما.(٢) ورغم عدم استطاعة إبراهيم باشا اقتحام شقراء ورضوخه لطلبهم تأمين سلامة أهلها إلا أن الصلح وما أعقبه من السيطرة على البلد ومعاقبة البلدان الأخرى وهدمه سور شقراء وردمه خندقها كلها دلائل تؤكد المكاسب التي حققها إبراهيم باشا في هذه الجولة.

ضرما تثبت للقتال:

بعد تمكن إبراهيم باشا من السيطرة على شقراء عن طريق المصالحة وإخضاع بقية بلاد الوشم وسدير

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٢٠٧، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١ جمادى الأول ١٢٣٣هـ؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٣٩٢؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٤٧؛ سعيد، أمين، (د.ت.)، مرجع سابق، ص١٢٠.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٩٢-٣٩٣.

والمحمل بدون قتال وعزمه على المسير إلى ضرما، أدرك الإمام عبدالله حرج موقف قواته وبدأ يخطط للمقاومة في حالة وصول قوات إبراهيم باشا إلى الدرعية. وفي البداية كان الإمام عبدالله يدرك أن بلدان منطقة الرياض هي الدرع الواقي والملاذ الأخير بعد الله للدولة السعودية، ولهذا أمر باستنفار القوى القريبة من ضرما لمساعدتها في الصمود أمام قوات إبراهيم باشا المترقب وصولها إلى البلدة. لقد طلب من الأمير سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود أن يخرج على رأس قوة من الدرعية، كما طلب من متعب بن إبراهيم بن عفيصان صاحب الخرج أن يخرج على رأس قوة من المقاتلين من أهل الخرج ومن حولهم، وأمر محمد العميري ومن معه من الرجال من أهل ثادق والمحمل، وطلب من الجميع التوجه إلى ضرما لمساعدة قواتها فنفذوا الطلب على وجه السرعة.(١)

ومن جانبه استعد إبراهيم باشا لوصول قواته إلى ضرما وتوقعه بأن يلقى مقاومة هناك على اعتبار أن قواته أصبحت قريبة من آخر معاقل قوات الدولة السعودية في الدرعية. وعندما قرب من ضرما أرسل مجموعة استطلاع من قادته لمعرفة ظروف البلد والمكان المناسب لتمركز قيادته وقواته ومدافعه. وفي صباح اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الثاني وصل إبراهيم باشا بقواته إلى مشارف ضرما حيث نزل شرقي البلد في مكان يسمى المزاحميات، وعسكرت قواته بمدافعها وعتادها ونزلوا شمالي البلدة، ثم بدأ القتال بين الطرفين بتفوق قوات إبراهيم باشا بمدافعه على المقاتلين من أهل ضرما الذين صبروا ودافعوا دفاعاً مستميتاً، حتى إن إبراهيم باشا طلب منهم المصالحة فرفضوا مما يدل على أنهم في موقف قوي. ويذكر ابن بشر أن ضرما أقوى بلدان منطقة الرياض بعد الدرعية من حيث العدد والعدة من الرجال والأموال. ومن خلال وصف المؤرخين لهذا القتال يتبين صمود المقاتلين من أهل ضرما ومن وقف معهم وإفشالهم قوة جيش إبراهيم باشا المحتشد أمام البلدة بكل عدته وعدده. ولتصميم جيش إبراهيم باشا على إخضاع البلدة بأي وسيلة اضطروا إلى تقريب المدافع إلى جوار السور وبدؤوا يضربون داخل البلدة بقوة لا مثيل لها مما زاد من المعاناة التي لاقاها أهل ضرما ومن وقف معهم. وقد روى ابن بشر عن شاهد عيان أنه أحصى فيما بين المغرب والعشاء حوالي خمسة آلاف وسبعمائة رمية ما بين قبس ومدفع وقنبرة، فهدموا ما والاهم من السور، ومع ذلك صمد أهل البلد وأوقعوا في جيش إبراهيم باشا ما لا يقل عن ستمائة قتيل حتى اضطر إبراهيم باشا إلى نقل بعض مدافعه وقواته إلى جنوب البلد وأخذ

---

(١) المرجع السابق، ص٣٩٤.

يضربها من جهتين. وقد استطاع جنود إبراهيم باشا الدخول ومباغتة أهل ضرما حيث لم يعلموا بهم إلا بعد أن شاهدوا المقاتلين في داخل البلد وعندها خافوا على أهليهم وأولادهم وأموالهم فانقلبوا للدفاع. وبالإضافة إلى ذلك عانى أهل ضرما من سقوط المطر والبرد في تلك الليلة أيما معاناة مما رجح كفة قوات إبراهيم باشا. ويذكر الفاخري أن سبب انتصار إبراهيم باشا على أهل ضرما حصول خيانة من بعض المدافعين عنها، لكنه لم يذكرهم ولم يبين سبب هذه الخيانة. (١)

وبعد ثلاثة أيام من القتال العنيف الذي أبلى فيه أهل ضرما ومن جاء لمساعدتهم بلاءً حسناً، تمكنت في النهاية قوات إبراهيم باشا في صباح اليوم السابع عشر من شهر ربيع الثاني من دخول ضرما من جميع جهاتها وأخذوها عنوة وقتلوا أهلها في الأسواق والبيوت والطرقات، ومع ذلك لم يستسلم أهل ضرما واستمروا في قتالهم في صباح ذلك اليوم ولم تتم لإبراهيم باشا الغلبة الكاملة إلا بعد أن خدعهم بالأمان. وقد ذكر ابن بشر رواية عن شاهد عيان أن من خدعهم أنهم يأتون إلى أهل البيت فيقولون لهم "أمان أمان ويأخذون سلاحهم ويقتلونهم، ونهبوا جميع ما احتوت عليه البلد من الأموال والأمتاع والسلاح واللباس والمواشي والخيل وغير ذلك". (٢)

أما أهل ضرما ومن جاء لمساعدتهم فقد حاولوا الخلاص بأنفسهم، فقد قاوم محمد العميري ورجاله من أهل ثادق والمحمل رغم مقتل عدد منهم واستطاعوا في النهاية النجاة من قوات إبراهيم باشا. أما الأمير سعود بن عبدالله والمقاتلين معه من أهل الدرعية فقد حوصروا في أحد القصور وكان عددهم يقارب الثلاثمائة حتى أمّنهم إبراهيم باشا على دمائهم وعندها خرجوا إلى الدرعية. أما أهل ضرما فقد اندفعوا خارج البلد لا يلوون على شيء وخلت البلد من سكانها حيث جمع إبراهيم باشا من بقي منهم من النساء والأولاد وعددهم حوالي ثلاثة آلاف شخص وأرسلهم إلى الدرعية سالمين حيث استقبلهم الإمام عبدالله بن سعود وأكرمهم ورتب لهم مأوى وما يحتاجونه من طعام وغيره. أما الخسائر البشرية فقد أحصى ابن بشر عدد القتلى بقوله «الذي قتل في هذه الوقعة من أهل ضرما بنحو ثمانمائة

---

(١) الفاخري، محمد بن عمر، (د. ت.)، مصدر سابق، ص١٤٨؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٥. .

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٦؛ الصقري، صالح حمد (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص١٧١.

رجل وأهل البلد حوالي اثني عشر مائة رجل، وقتل من المرابطين نحواً من خمسين رجلاً» . (١)

الدرعية آخر معاقل الدولة السعودية:

بعد خمس وسبعين سنة على قيام الدولة السعودية في الدرعية، تلك المدينة التي غطت شهرتها الآفاق ليس فقط داخل منطقة الرياض أو بلاد نجد، بل في الجزيرة العربية بأكملها ومن له علاقة بها، ها هي الدرعية تعود لتدخل التاريخ من جديد مدافعة عن دولة الإسلام والدعوة الإصلاحية في العصر الحديث باعتبارها رمز هذه الدولة وشعار بقائها. ولا شك أن جميع ما تحقق لقوات إبراهيم باشا من انتصارات على محاور القتال في الحجاز والقصيم والوشم ليست بحد ذاتها الهدف الذي قاد قوات إبراهيم باشا آلاف الأميال في بلاد صحراوية قاسية المناخ قليلة الموارد، لكن الهدف الأهم والغاية العظمى تكمن في القضاء على الدولة السعودية وهو أمر يعرف مخططو السياسة العثمانية ومن بعدهم محمد علي باشا أنه لن يتم إلا بإخضاع الدرعية رمز هذه الدولة وعاصمتها، ليس هذا فحسب بل والعمل على هدمها وإزالتها عن الوجود لتمحو بذلك أي ذكرى قد تبقى لهذه الدولة في نفوس أهلها.

أما قصة ملحمة الدرعية فقد دخلت التاريخ من أوسع أبوابه ليس فقط لطول المدة التي قاوم فيها قادة الدولة السعودية وأهل الدرعية أعظم جيش من جيوش ولاة الدولة العثمانية، وليس للبسالة التي بذلها المدافعون عن الدرعية فحسب، وليس للمبادئ التي قامت عليها الدولة وجاهدت لبقائها، بل لكل تلك الأسباب مجتمعة ويزيد عليها كون هذه الدولة تمثل الوحدة الإسلامية العربية في العصر الحديث والرمز الذي ولد ليبقى بعد الدولة السعودية الأولى ماثلاً في الدولة السعودية الثانية ثم الثالثة التي تدلج الآن إلى أعتاب قرن ثان من عمرها المديد بإذن الله.

وتصوّر لنا كتب التاريخ المعاصرة لأحداث الدرعية مدى الاستعدادات التي بذلت من قبل الإمام عبدالله بن سعود والمدافعين عنها، ومدى الإمكانات والجهود والمعاناة التي بذلها المهاجمون للدرعية، ثم مسيرة القتال حتى آخر رمق من جهد.

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٦؛ وانظر كذلك الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص١٤٨. ويذكر آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٥٠ أن إبراهيم باشا استولى على ضرما عنوة في اليوم السابع والعشرين من ربيع الآخر، وقتل من أهلها حوالي ألف وثلاثمئة رجل ونهب البلد وأخلاها من أهلها.

لقد واكبت استعدادات المدافعين عن الدرعية عظم المواجهة والدفاع عن حمى الوطن. وفي هذا الجانب عمل الإمام عبدالله بن سعود على ترتيب المدافعين عن الدرعية من أهلها، أو ممن لجأ إليها خوفاً من بطش جيش إبراهيم باشا، أو ممن أجلاهم من البلدان النجدية التي تمكن من دخولها في حملته، وقد تمركز هؤلاء في بطن الوادي وعن يمينه وعن شماله خارج النخيل والسور. وقد فصل ابن بشر أسماء القادة الذين رتبهم الإمام عبدالله والأماكن التي تمركزوا بها، ومنها يتضح أن أغلبهم من أمراء الدولة السعودية، ومنهم قادة من أهل البلاد النجدية التي تضمها منطقة الرياض في الوقت الحاضر مثل منفوحة والحريق وبلاد سدير. فمن أمراء آل سعود فيصل بن سعود وأخواه إبراهيم وفهد، وسعد بن سعود وأخوه تركي، وفهد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وسعود بن عبدالله بن محمد بن سعود، وعبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وعمر بن سعود بن عبدالعزيز وأخوه حسن، وتركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وأخوه زيد، وفهد بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، ومحمد بن حسن بن مشاري بن سعود، ومشاري بن سعود بن عبدالعزيز، وسعود بن عبدالله بن محمد ابن سعود ومملوكه فرج الحربي. ومن القادة الآخرين عبدالله بن مزروع على رأس أهل منفوحة، وتركي ابن عبدالله الهزاني على رأس أهل الحريق وغيرهم، ومعهم رجال من آل دغيثر، وعبدالله بن أحمد بن راشد العريني على رأس أهل سدير.

أما الاستعداد المادي والتنظيم الميداني فقد كان نوعياً أكثر منه كمياً ويمثل كل ما تستطيع الدولة السعودية حشده لمواكبة عظم المسؤولية. وقد استطاع الإمام عبدالله بن سعود حشد أكثر من ثلاثة آلاف رجل موزعين على عدد من المتاريس في أطراف المدينة، وحول أشجار النخيل. كما وضع الإمام عبدالله لأول مرة في تاريخ المجابهة بين الدولة السعودية وقوات إبراهيم باشا عدداً من المدافع قدرتها الوثائق العثمانية ما بين ٨-١٠ مدافع بعضها لاستخدامها في الحرب والبعض الآخر لحماية السكان، فقد كان مع فيصل بن سعود ثلاثة مدافع، ومع عبدالله بن أحمد بن راشد العريني وأهل سدير مدفع واحد. ليس هذا فحسب بل تم ترتيب البروج في أنحاء المدينة والتي بلغ عددها ما بين ٣٠-٤٠ برجاً متيناً مستحكماً، وأقام فيها رؤساء أهلها وأشياخهم والعاجزين منهم الذين لا يستطيعون الحرب أو المسير، وقد وضع لكل برج مدفعاً لحماية سكان البرج.[(١)] وفي مجال التنظيم الميداني قام الإمام عبدالله بن

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ.
وثيقة رقم ٥/ ١-٢٠٨، من محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٢٣٣هـ.

سعود بوضع خطة عسكرية محكمة تتضمن إقامة ثلاثة خطوط للمواجهة أول أو أمامي، وخط الوسط وخط النهاية. وقد ساعدت هذه الخطة على طول أمد الحصار وكلفت جيش إبراهيم باشا خسائر كبيرة في العتاد والرجال.(١)

أما استعدادات إبراهيم باشا وقواته لهذه المواجهة فقد كانت أعظم مما قام به في حروبه السابقة وذلك لأن المواجهة في الدرعية تُعد المعركة الفاصلة وعلى نتيجتها يتوقف الحكم على نجاح حملته أو فشلها، ولهذا فمن الطبيعي أن يستعد لها بأفضل ما يملك من عدة وعتاد ورجال. ليس هذا فحسب بل إنه أرسل إلى والده في مصر وأوضح له أهمية فتح الدرعية ومدى استعدادات القوات السعودية، وأفاد أنه على الرغم أن لديه مبالغ كثيرة ومقذوفات إلا أن ما يتوقعه من طول مدة الحصار والرغبة في انتصار جذري لن يتحقق إلا بإمداده بالمال والمقذوفات والجنود المشاة.(٢)

وفي مسيره إلى الدرعية توخى إبراهيم باشا الحذر حيث سار عبر الحيسية ثم وادي حنيفة قرب بلدتي العيينة والجبيلة، ثم سار في الوادي حتى نزل الملقا وهو نخل معروف لعبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود على بعد مسيرة ساعة عن الدرعية وذلك في أول شهر جمادى الأول ١٢٣٣هـ/ مارس ١٨١٨م وهناك أقام خيامه ومعسكره.(٣) ومن هذا المكان قام إبراهيم بجولة استطلاعية على الدرعية لتحديد أنسب مكان لإقامة جيشه. وقد وجد أن الدرعية تتألف من خمسة أحياء لكل منها سور عليه باب، وفيها عدد من الحصون والأبراج، وقدر محيطها باثني عشر كيلومتراً. وعندما وصل إلى نخل الأمير فيصل بن سعود المعروف بالعلب أدرك الحاجة إلى قوة كبيرة لدخول الدرعية. وهناك حصل

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن هذه الاستعدادات ومواقع المقاتلين والمدافعين انظر: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٩٧-٣٩٩؛ الصقري، صالح حمد (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ص١٧٢.

(٢) دار الوثائق القومية، من إبراهيم إلى محمد علي، محفظة ٥ بحر برا، وثيقة رقم ١٨٦، بتاريخ ١٧ ربيع ١٢٣٣هـ ٢٥ يناير ١٨١٨م، نقلاً عن عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق ص٣٤٩.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٦.

مناوشة بينه وبين قوات الدرعية ثم رجع إبراهيم باشا إلى مقر جيشه في الملقى حيث أقام هناك يومين أو ثلاثة. (١)

ويبدو أن الظروف العامة للقوات المصرية في شبه الجزيرة العربية كانت مواتية ومشجعة للجيش المصري المرابط في الدرعية على الأقل من الناحية النفسية حيث تمكنت قوات حسن باشا من التغلب على آخر المعاقل في عسير وتهامة ونجران. (٢) وفي يوم الثلاثاء الثالث من شهر جمادى الأول عام ١٢٣٣هـ/ مارس ١٨١٨م ارتحل إبراهيم باشا بجيوشه ومعداته ومدافعه عن طريق الوادي إلى الدرعية، كما وضع بعض الفرق من جيشه يمين الودي وشماله باتجاه أهل الدرعية. وفي غرة جمادى الآخرة ١٢٣٣هـ/ ٦ إبريل ١٨١٨م اقتربت الجيوش المصرية من الدرعية وبدأ إبراهيم باشا يرتب مواقع قواته مستعيناً بالضابط الفرنسي فيسير Vassiere ثم بدأ بحفر الخنادق وإقامة المتاريس. (٣)

وخلال خمسة أيام مع لياليها اشتعلت الحرب بين الطرفين جرى فيها قتال عنيف ذكرت المصادر النجدية والوثائق العثمانية تفاصيلها، حيث هاجم جيش إبراهيم باشا المتاريس السعودية من الطرف الشمالي بالخيالة والمشاة وتمكنوا من هدم أحد الأبراج وإزالة أحد الأسوار، ثم حصلت مجابهة بالسيوف داخل الأبراج. وقد قتل في هذه الملحمة ألفان وأربعمائة رجل من جيش الدولة السعودية وجرح خمسمائة، كما قتل من جيش إبراهيم باشا القائد أبو شنب أحمد آغا وعشرة من صغار القادة وخمسمائة من الخيالة والمشاة وعدد من رجال حاشية إبراهيم باشا. (٤) والواقع أن جيش الدولة السعودية لا تنقصه الشجاعة بقدر ما تنقصه أساليب الحرب وخططها، بالإضافة إلى قلة الإمكانات العسكرية مقارنة مع

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٩٦-٣٩٧؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٤٩. ويذكر آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٥٠، أن إبراهيم باشا أقام في الملقى يومين أو ثلاثة ثم ارتحل منه يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الأول ونزل العلب حيث وقع بينه وبين أهل الدرعية وقعات كثيرة.

(٢) دار الوثائق القومية، من حسن باشا إلى محمد علي، محفظة ٤، وثيقة رقم ١١٨، بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٣٢هـ ١٢ يونية ١٨١٧م، نقلاً عن عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٤٩.

(٣) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٤٩.

(٤) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ.

جيش إبراهيم باشا الأكثر تنظيماً وتخطيطاً، الذي يملك مدفعية قوية. وبعد عشرة أيام من النزال اشتعلت حرب أكثر ضراوة وسميت الوقائع الشديدة بأسماء اشتهرت بها مثل وقعة المغيصيبي والحريقة، ووقعة غبيرا. وفي هذه المرحلة رجحت كفة جيش إبراهيم باشا بسبب حصوله على معلومات من رجال من أهل البلد أخبروه عن عوراتهم، ومنهم قائد خيالة الإمام عبدالله، وعن مواطن الضعف لدى جيش الدولة السعودية ولذلك انهزم أهل الدرعية في وقعة سمحة النخل المعروف أعلى الدرعية. وبعدها اشتد القتال وغير إبراهيم باشا من مواقع مدافعه وركزها على الجهة الجنوبية، وفي الوقت نفسه كانت المدافع تضرب الدرعية من الجهة الشمالية. أما إبراهيم باشا نفسه فقد سار بمدافعه عبر الوادي إلى البروج الكبار على يمين الوادي وشماله واحداً بعد الآخر. وبعد معارك شديدة انهزم جيش الدولة السعودية وتراجع إلى النخل المعروف بالسلماني على ضفة الوادي. وفي هذا الموضع قاتل أهل الدرعية قتال الأبطال رغم تفوق عدوهم عدداً وعدة واستطاعوا في النهاية رد جيش إبراهيم باشا عنهم، وقد سقط عدد كبير من القتلى من الجانبين. وبعد ذلك استجمع أهل الدرعية جموعهم في بطن الوادي عن يمينه وشماله وأقاموا لهم مساكن مؤقتة تسمى محاجي بنوها بالحجارة وأحكموها ونزل فيها المقاتلون جماعات. وفي المقابل بنى جيش إبراهيم باشا محاجي مماثلة، وكانوا ملازمين لأهل الدرعية ليلاً ونهاراً.

وفي هذه المرحلة من القتال حرك إبراهيم باشا قواته عن معسكره القديم ونزل بنفسه ومعه مدافعه وجيشه وعسكر في الموضع المعروف بقرى قصير شمال البلد. كما رحل أكبر قواده واسمه علي أزن من موضعه في الجنوب وعسكر قبالة محاجي أهل الدرعية ونشب قتال بين الطرفين وصفه ابن بشر "بأنه لم ينقل مثله عن الأواخر والأوائل، وصار في كل يوم ووقت قتال، واستمر دائماً بالغدو والآصال، وتضاربوا من المحاجي بالبنادق والسيوف والقرابين، وتطايرت القبوس والقنابر في الجو كأنها رجوم الشياطين". وقد استمرت الحرب في كل مكان تقريباً وانشغل المدافعون في كل جهة بما أمامهم وضعف ارتباطهم بعضهم البعض حتى إن من يحارب في جهة من البلد لا يعلم حال الذين هم في الجهة الأخرى. ومع كل تلك الشدة صمد أهل الدرعية وسقط منهم ومن أعدائهم عدد كبير من القتلى والجرحى.

ومرة أخرى يدرك إبراهيم باشا عظم المواجهة وقوة المقاومة من أهل الدرعية، ومن هناك من مصر يدرك محمد علي باشا أن سقوط الدرعية لن يكون بالأمر اليسير وخاصة بعد أن طال أمد الحرب في

الدرعية التي زادت على ستة أشهر فأرسل العساكر المتتابعة من مصر إلى الدرعية خلال الأسابيع والأشهر التي استمرت فيها الحرب ومعها قوافل الطعام والأمتعة، كما أرسل قوة إضافية بقيادة خليل باشا.[(١)] وفي الجانب المقابل كان أهل الدرعية والمقاتلون منهم على وجه الخصوص في تناقص واضح، مع عدم وصول أية إمدادات بشرية أو أطعمة، كما أن بعض المقاتلين من أهل البلاد الذين لجؤوا إليها عندما سقطت بلادهم في يد إبراهيم باشا استغلوا فرصة توقف القتال في بعض الفترات ونجوا بأنفسهم غير مدركين للخطر الذي ينتظرهم في المستقبل تحت حكم محمد علي باشا ممثلاً للدولة العثمانية.

وبعد ذلك استؤنف القتال أو بالأصح اشتدت ضراوته وحصلت عدة وقائع مشهورة مثل وقعة البليدة التي حصل فيها قتال لم ترجح فيه كفة أي من الطرفين، ثم جرت موقعة شعيب قليقل وهي أشد من الموقعة السابقة. وفي خطوة ميدانية أراد إبراهيم باشا صرف الضغط عن قواته فوجه فرقة من جيشه إلى بلدة عرقة القريبة من الدرعية حيث جرى هناك قتال عنيف سقط فيه من أهل عرقة حوالي ثلاثين رجلاً، وهرب باقي سكانها إلى الدرعية بعد أن استولى جنود إبراهيم باشا عليها وأشعلوا فيها النيران. ومرة أخرى أرسل إبراهيم باشا عدداً من الخيالة إلى بلدة عرقة وقت نضوج ثمر النخل وأخرجوا من كان يحميها من مقاتلي الإمام عبدالله بن سعود الذين عينهم لهذه المهمة وكان عددهم حوالي مائة رجل. وفي وقت الثمرة سار إبراهيم باشا إلى بلدة عرقة مع عسكره ومعه عدد من الرجال الذين أيدوه من أهل الرياض ومنفوحة والخرج وغيرهم[(٢)].

وفي هذه المرحلة وبعد طول الحصار وندرة الطعام داخل الدرعية، وما أصاب المرابطين من الملل والسأم من القتال هرب بعض المقاتلين من داخل الدرعية، كما التجأ بعضهم إلى قوات إبراهيم باشا. ومما زاد الطين بلة وفت في عضد أهل الدرعية ما ظهر للعيان من ممالأة زعماء بعض البلاد النجدية وبعض رجالها لإبراهيم باشا. فمن جوانب تلك الممالأة أن بعض زعماء نجد الذين انضموا إلى إبراهيم باشا أشاروا عليه، بعد أن طالت عليه الحرب وبدأ جنوده يتململون، بأن يأخذ من أهل البلاد النجدية المؤيدة للدرعية رجالاً يقاتلون معه، وقد رحب بالفكرة ونفذها في الحال حيث أخذ من كل بلد مجموعة من الرجال وسار بهم إلى الدرعية. وفي الطريق هاجم بلدة عرقة وحاصر أهلها وضربهم بالمدافع حتى طلبوا الأمان على دمائهم وسلاحهم وخرجوا إلى الدرعية.

---

(١) دار الوثائق القومية، من إبراهيم إلى محمد علي، محفظة ٥ بحر برا وثيقة رقم ٩٤، تاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣هـ/ ١٣ يوليو ١٨١٨م، نقلاً عن عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٥٢.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، جـ١، ص ٤١٠.

ومن الأمور المهمة في ملحمة الدرعية ما حصل من انفجار في مخزن البارود في جيش إبراهيم باشا في يوم ١٨ شعبان ١٢٣٣هـ/ أواخر يونيو ١٨١٨م وكاد أن يقلب موازين الحرب لصالح جيش الدولة السعودية، وقد اعترف به محمد علي باشا في رسالة للسلطان العثماني، واستغله من أجل طلب المزيد من الذخائر لكنه ذكر في رسالته أن ما حدث هو حريق في مستودع الذخائر ولم يذكر الانفجار.(١) لقد وصف الجبرتي وابن بشر هذا الانفجار وما نتج عنه من اشتعال النار في مخازن جيش إبراهيم باشا. أما الانفجار فكان شديداً إلى درجة أنه سمع صوته على مسيرة ثلاثة أو أربعة أيام، ثم قضت النار التي اشتعلت بإذن الله ثم بسببه على كل ما هو موجود في المخازن من البارود والرصاص والخيام والأطعمة والأثاث، كما هلك بسبب الانفجار والحريق عدد كبير من الرجال والخيل. أما من بقي من الجيش فقد هربوا واحتموا برؤوس الجبال، وأصابهم الرعب والوهن. يقول ابن بشر "وهمّ أهل الدرعية أن يحملوا عليهم في خيامهم ويدهموهم فيه فلم يفعلوا، وكان أمر الله قدراً مقدورا" ومع الإيمان بأن كل ما يجري في هذا الكون مقدر من الله عز وجل، إلا أن ابن بشر لم يفسر سبب عدم اغتنام أهل الدرعية هذه الفرصة الكبيرة، خصوصاً وأن سبب الانفجار دبره رجال من الدرعية كما يروي المؤرخ المصري عبدالرحمن الجبرتي الذي ذكر أن الحادث وقع كما يروي "نجاب جاء إلى مصر وأخبر أن إبراهيم باشا ركب إلى جهة من نواحي الدرعية لأمر يبتغيه وترك عرضية فاغتنم الوهابية غيابه وكبسوا على العرضي على حين غفلة وقتلوا من العساكر عدة وافرة وأحرقوا الجبخانة". ومما يدل على الآثار النفسية السيئة لدى أفراد جيش إبراهيم باشا في هذه المرحلة من ملحمة الدرعية أن عدداً كبيراً منهم عادوا إلى بلادهم.(٢)

وفي ميدان القتال توانى أهل الدرعية عن استغلال فرصة الانفجار، بينما استجمع أفراد جيش إبراهيم باشا قوتهم وثبتوا للقتال، وفي الوقت نفسه وصلته إمدادات من الجنود والعتاد من مصر حيث ذكر محمد علي باشا في رسالة إلى السلطان أنه أرسل إلى إبراهيم باشا عسكراً وقادة وذخائر، وأن القائد عثمان أغا تحرك من السويس على رأس ستمائة من المشاة، وأن الباشا سيلحق به مع خدمه وأتباعه

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٥، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ.

(٢) الجبرتي، عبدالرحمن، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٣، ص٣١٠.

وباقي مشاته.[١] كما بعث إبراهيم باشا أعوانه إلى بعض البلاد النجدية وأخذوا ما فيها من مخزون الذخائر، كما جاءته إمدادات من القوافل من البصرة والزبير، ومن أهل نجد المقيمين فيهما لاختلافهم مع الدولة السعودية، وكانت هذه القوافل تحمل الطعام من الأرز والحنطة، بالإضافة إلى حاجات العسكر من التنباك وغيره. كما وصلته إمدادات تشمل حاجات الجيش من مختلف البلاد النجدية. وقد فعلت تلك الإمدادات فعلها فنشط أفراد جيش إبراهيم باشا وزادت الثقة بأنفسهم. ومن جهة أخرى أدرك إبراهيم باشا العامل النفسي في الحرب وأعطى الأمان لكل من يخرج من الدرعية من المقاتلين من أهل الدرعية والمقيمين فيها من أهل البلاد النجدية.

وعندما استؤنف القتال في مراحله الأخيرة رجحت كفة جيش إبراهيم باشا وسقط عدد من قادة جيش الدولة منهم فيصل بن سعود بن عبدالعزيز. وفي هذا الوقت حصلت عدة معارك مشهورة مثل وقعة كتلة الشعيب في الجهة الغربية من الدرعية، ووقعة الرفيعة وهي من المواقع الكبيرة التي صمد فيها أهل الدرعية وقاوموا جيش إبراهيم باشا بكل بسالة. ورغم انهزام جيش إبراهيم باشا في بعض الفترات لكن إمكاناته العسكرية من الرجال والعتاد سرعان ما تسعفه في أحلك الظروف وخصوصاً من ساعده من زعماء نجد مثل الرياض والخرج، وقد سقط في هذه الموقعة عدد كبير من القتلى من الجانبين، ثم حصلت عدة معارك بعد ذلك لكنها أقل شدة من سابقتها.

وفي هذا الوقت العصيب من القتال المضني حصل أمر فت في عضد جيش الدولة السعودية وقوّى من عزيمة جيش إبراهيم باشا وهو خروج قائد خيالة الإمام عبدالله واسمه غصاب من الدرعية وانضمامه إلى جيش إبراهيم باشا. ولم نجد في المصادر المعاصرة تعليلاً لسبب خروجه، وهل كان على خلاف مع قادة الدولة السعودية، أم كان بإغراء من إبراهيم باشا. ومهما كان سبب هذا التحول، فإن ما يهم هو النتيجة التي ترتبت على ذلك وهي الأمر المهم فقد ترتب عليها تحول في ميزان القوى لصالح قوات إبراهيم باشا.

على أن أموراً أخرى كانت لها آثار سلبية، بل إنها من الأمور المهمة التي كان لها تأثير كبير على مجريات الحرب بالنسبة لجيش الدولة السعودية، وهي أن الذين انضموا إلى جيش إبراهيم باشا، من

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٥، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٩ رمضان ١٢٣٣هـ.

المقاتلين أو حتى من عامة الناس، أفشوا أسراراً عسكرية ودلوه على أسهل الطرق والمسالك التي تسهل عليه الوصول إلى أهداف داخل الدرعية، وقد ترتب على حصوله على تلك المعلومات أن تمكن من هدم كثير من الحصون والمتاريس في المدينة بالمدفعية. وقد وصف ابن بشر ذلك بقوله "وذلك أنه لما خرج من خرج من أهل الدرعية وغيرهم منها إلى الباشا، أخبروه بعوراتهم وغراتهم وأخبروه بالموضع الذي ليس في أهله شدة في الحرب وبالموضع الذي يتفرقون عنه بالليل، وبالموضع الذي ليس فيه إلا قليل وبالموضع الذي يدخلون منه على أهل الدرعية وهم لا يعلمون". [(١)] ونتيجة لذلك قام إبراهيم باشا بهجوم كبير في صباح يوم السبت الثالث من شهر ذي القعدة على قوات أهل الدرعية من جهاتها الأربع الجنوبية والشمالية والشرقية والغربية وأرغموهم على التراجع، وركز إبراهيم باشا وقواده الهجوم على الجهتين الشمالية والجنوبية تغطية على فرق من الجيش حتى تستطيع أن تدخل من الجهتين الشرقية والغربية حيث استطاعوا الدخول من الجهة التي كان يرابط فيها عبدالرحمن بن سعود فوق مشيرفة، نخل سعود بن عبدالعزيز ودخلوا معه وسط النخل واستولوا عليه. [(٢)] وفي هذا الوقت وقعت الحرب النهائية وحمي وطيس القتال وسقط عدد كبير من القتلى من الجانبين من بينهم إبراهيم بن سعود بن عبدالعزيز، وتفرق أهل الدرعية جماعات كل جماعة في منزلة. وكان من أشرس المعارك ما حصل لقصر غصيبة، الذي بناه الإمام سعود بن عبدالعزيز وجعل بابه من حديد، حيث تحصن به الأمير سعد بن عبدالله بن سعود ومعه عدد من الأعيان. وعندما علم إبراهيم باشا ركز الهجوم على هذا الحصن وجلب مدافعه بالقرب منه وأخذ يرميه بالمدافع حتى ثلم رؤوس البرج وجدرانه. [(٣)] وفي الوقت نفسه اجتاح جنود إبراهيم باشا الدرعية ودخلوا بعض البيوت حيث حصل قتال عنيف بين أهل السهل من أهل البجيري والحوطة والنقيب والمريح وبين جيش إبراهيم باشا، واستطاع أهل الدرعية الحفاظ على منازلهم. أما الإمام عبدالله بن سعود ومن معه من الأعيان فكانوا في منزلهم بين باب الظهرة وباب سمحان، وعندما أدرك الإمام عبدالله حرج الموقف نقل مقر قيادته من سمحان إلى بيته في الطريف تاركاً مدافعه وعتاده في موضعه الأول. [(٤)]

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٤١٤؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٥٢.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٤١٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، المصدر السابق، ج١، ص ص٤١٥-٤١٦.

أما الفصل الأخير من هذه المواجهة فقد كان أكثر شراسة، وكان الوضع يميل إلى صالح جيش الدولة السعودية لكن الوقت كان متأخراً، وربما جاءت هذه الفرصة بعد فوات الأوان. قام إبراهيم باشا بنقل مدافعه وعتاده وجنوده ونزل في منزل الإمام عبدالله وركز هجومه على باب الظهيرة، وفي الوقت نفسه تفرق جنود إبراهيم باشا داخل الدرعية ودخلوا بعض البيوت والنخيل وكادوا أن يأخذوا البلد عنوة واشتد القتال. وفي هذا الوقت فكر بعض قادة جيش الدولة بالمصالحة لكن آخرين اشترطوا لكي يتم الصلح أن يتم إخراج عساكر إبراهيم باشا من داخل الدرعية، من البيوت والنخيل، وقتل ما أمكن منهم. وبالتأكيد فإن هذا الشرط غير ممكن التنفيذ، خصوصاً أن كفة القتال في هذا الوقت كانت في صالح جيش إبراهيم باشا. ويبدو أنه حصل نوع من التفاوض على الصلح لكن إبراهيم باشا رفض كما سيأتي تفصيله. وعلى العموم فإن النتيجة الحتمية هي استمرار القتال ولهذا استعد المقاتلون في الدرعية للقتال دفاعاً عن أنفسهم وأموالهم وبلادهم، وقد تزعم هذه اليقظة القتالية الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن انضم إليه من أهل البجيري حيث حصل بينهم وبين جيش إبراهيم باشا قتال عنيف وصفه ابن بشر بقوله "وقاتلوا قتالاً يشيب من هوله المولود، فأظلمت الهجيرة كأنها الليل وصريخ السيوف في الرؤوس كأنه صهيل الخيل فأخرجوهم منها صاغرين وقتلوا من الروم (جيش إبراهيم باشا) عدة مئين حتى قال لي بعض من حضر ذلك: لو حلفت بالطلاق أني من الموضع الفلاني إلى الموضع الفلاني لم أطأ إلا على رجل مقتول لم أحنث". [1] وقد كان لهذه المعركة وقع سيئ على أفراد جيش إبراهيم باشا فأصابهم الوهن والخوف.

ويبدو أن المعركة الأخيرة أدت دورها الحاسم في وضع نهاية لهذه الحرب التي لم تشهد البلاد السعودية مثيلاً لها طوال حملات محمد علي باشا في شبه الجزيرة العربية، ولهذا فعندما طلب زعماء الدرعية من إبراهيم باشا الصلح وافق بعد أن كان رافضاً له. كان الجانب السعودي في المفاوضات برئاسة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، والأمير محمد بن مشاري بن معمر، والشيخ علي ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب. كانت مطالبهم أن يصالحهم إبراهيم باشا على البلد كلها، فرفض أن يصالحهم إلا على أهل السهل أو يحضر الإمام عبدالله بن سعود، ولم يوافق المفاوضون السعوديون فانتهت المفاوضات بالفشل وذلك في يوم الأربعاء السابع من شهر ذي القعدة.

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، المصدر السابق، ج١، ص ٤١٦.

تسليم الدرعية:

وبهذه النتيجة استؤنف القتال وركزت قوات إبراهيم باشا على محاربة الإمام عبدالله بن سعود حيث نشب قتال شديد، وخاصة على أهل الطريف من مختلف الجهات الأربع، واستخدم جيش إبراهيم باشا في هذا الهجوم المدافع من رأس جبل باب سمحان. وقد أدى هذا الهجوم المكثف إلى تهديم مقاصير آل سعود وطمع جيش إبراهيم باشا في أخذها عنوة لكن الله لم يمكنهم من ذلك. وفي خضم هجوم جيش إبراهيم باشا على الأهداف الحساسة في الدرعية ومنها قصور آل سعود أخرج الإمام عبدالله بن سعود المدافع الموجودة في القصر ووضعها في مسجد الطريف، ثم أخذ يرمي جيش إبراهيم باشا بعد أن انضم إليه رجال كثيرون من أهل البجيري والأماكن الأخرى واستمر على ذلك مدة يومين. ولأسباب تتعلق بالحالة النفسية لدى أهل الدرعية والقاطنين فيها من المقاتلين بدأ كثير من المقاتلين يتفرقون عن الإمام عبدالله، ولم يثنهم عن تخاذلهم ما بذله لهم من أموال، بل بلغ بهم الانهزام النفسي واستغلال الفرص أنهم يأخذون المال ويهربون.

وفي موقف إنساني ورجولي وبطولي أدرك الإمام عبدالله أن الأمر لا يحتمل أكثر من ذلك وخشي أن يأتي الأمر على النساء والأطفال، كما أدرك أن مقاومته في هذه المرحلة لم تعد مجدية فقبل الصلح على مضض. يقول ابن بشر في ذلك "فلما رأى عبدالله ذلك بذل نفسه للروم وفدى بها عن النساء والولدان والأموال، فأرسل إلى الباشا وطلب المصالحة، فأمره أن يخرج إليه فخرج إليه وتصالحا على أن يركب إلى السلطان فيحسن إليه أو يسيء". [1] وقد كان خروج الإمام عبدالله إلى معسكر إبراهيم باشا في ٨ ذي القعدة ١٢٣٣هـ/ ٩ سبتمبر ١٨١٨م حيث قابله إبراهيم باشا وتم الاتفاق بينهما على تسليم الدرعية لإبراهيم باشا، وأن يبقي عليها ولا يؤذي سكانها، وأن يسافر الإمام عبدالله إلى مصر ومنها إلى استانبول لمقابلة السلطان العثماني. [2] وفي الوقت الذي تم فيه تنفيذ الشرط الأول والثالث فإن الشرط الثاني لم يلتزم فيه حيث أعقب تسليم الدرعية انتقام قادة إبراهيم باشا وجنوده من بعض الزعماء والقادة من الجانب السعودي إما تشفياً أو وشاية من المغرضين وأصحاب الأهواء بحق أعيان أهل الدرعية والمقيمين فيها، وبحق بعض العلماء والصلحاء منهم، وقد ذهب أكثر من لحقه الانتقام بعد الحرب

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، المصدر السابق، ج١، ص٤١٧.

(٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٥٣.

بسبب الوشايات المغرضة، وبسبب الإشاعات عن مواقف بعض الزعماء والقادة والأعيان والعلماء في مواقف معينة ضد بعض قادة إبراهيم باشا وجنوده ظلماً وبهتاناً. وقد وصف ابن بشر مظاهر التعذيب التي تعرض لها أولئك النفر وصفاً تقشعر له الأبدان.(١)

وخوفاً من مصير مجهول هرب كثير من أعيان الدرعية الذين وقفوا طيلة ستة أشهر يجابهون جيش إبراهيم باشا. وفي هذه المناسبة يقول وايندر Winder إن معاملة إبراهيم باشا القاسية ليست فقط خلال الحرب لكن أيضاً بعد الاستسلام، حيث أمر الإمام عبدالله أن يستعد للسفر إلى مصر ثم إلى استانبول حسب الشرط الذي وافق عليه عبدالله وحيث يوجد السلطان العثماني حسب أوامر عليا. وفي رسالة من محمد علي باشا إلى السلطان ذكر أنه تم أخذ عبدالله بن سعود وأرسل إلى القاهرة بحراسة قوة عسكرية بقيادة رشوان آغا والدويدار مع أربعمائة من رجال إبراهيم باشا، كما رافقه رجال معتمدون، منهم كاتب الخزينة محمد أفندي الذي سيدلي بتقرير كامل عن الوضع في الدرعية، وعندما يصل مصر فإنه سيبعثه إلى استانبول فوراً.(٢) وقد رافق الإمام عبدالله في رحلته هذه ثلاثة أو أربعة رجال من أعوانه، وأمين سره الشخصي، وبعض عبيده، حيث وصل إلى القاهرة في ١٧ محرم ١٢٣٤هـ/ ١٦نوفمبر ١٨١٨م وقد قابله محمد علي مقابلة لائقة وتمت بينهما محاورة عن الحرب ونتائجها.(٣) وبعد ذلك غادر الإمام عبدالله مصر إلى استانبول في ١٩ محرم ١٢٣٤هـ/ ١٨ نوفمبر ١٨١٨م حيث طافوا به في البلد ثم قتلوه عند باب همايون، كما قتلوا أتباعه في أماكن متفرقة فذهبوا مع الشهداء.(٤) كما نقل عدد كبير من أسرة آل سعود وآل الشيخ إلى مصر بلغ عددهم مئتين وخمسة وثمانين شخصاً

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٤٢١؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٥٠.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٨، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٢٧ ذي الحجة، ١٢٣٣هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١-١٥٢، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٣هـ..

(3) Winder, Bayly, R (1965), **Saudi Arabia in the Nineteenth century**, Macmillan, New York, p. 19.

(٤) الجبرتي، عبدالرحمن، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٣، ص٦٠٠. وانظر كذلك: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٥٠.

أكثرهم من كبار السن والأطفال والنساء.[١] وكما تذكر الوثائق العثمانية استقبل هؤلاء في حدائق شبرا وجرى التعرف عليهم وحصرهم وتسجيل أسمائهم، كما جرى إسكانهم في القاهرة ونظم أمر مخصصاتهم اليومية. وفي تعليق للسلطان العثماني على رسالة والي مصر المرفق بها قائمة بأسمائهم وفئاتهم وجه بأنه ما دام أكثر هؤلاء من الشيوخ والمرضى والصبيان والنسوان فإنه من العبث تأديبهم أو إرسالهم للإقامة في محل آخر، فلتعط إليهم التعيينات بمقدار كاف وليسكنوا في مصر (القاهرة)، أو في ضواحيها، أو في أي مكان مناسب.[٢]

ومن جهة أخرى تذكر الروايات المتواترة أن محمد علي باشا رفض الشرط الثاني من المصالحة وأمر إبراهيم باشا بأن لا يترك الدرعية على حالها بعد هذه المشاق التي بذلت، فإما أن تهدم، أو إذا كان يلزم الاحتفاظ بها فيجب أن يترك فيها رجل وأن يأخذ مدافعها، أو أن تبقى وتربط بنظام حسن.[٣] ويبدو أن إبراهيم باشا اختار أسهل الحلول وأمر بهدم الدرعية قبل أن يغادرها دون مراعاة لأهلها أو تاريخها. يقول الألوسي واصفاً ومتعجباً مما قام به إبراهيم باشا من تهديم للدرعية "ورد في شعبان سنة أربع وثلاثين بعد المائتين والألف من محمد علي باشا صاحب مصر إلى رئيس عسكره في نجد إبراهيم باشا وهو في الدرعية، أن يهدم الدرعية ويدمرها فأمر أهلها يومئذ أن يرحلوا عنها، ثم أمر العسكر أن يهدموا

---

(١) هناك تضارب في الروايات، وخاصة الوثائق العثمانية، حول عدد من نقل إلى مصر من أسرة آل سعود وآل الشيخ، فبعضها تذكر أن عددهم بلغ ٢٥٤ بالإضافة إلى الشيوخ المرافقين لهم وعددهم ٣٤ شخصاً. وبعضها تقدر عددهم ٢٥٨فرداً. وبعضها تذكر أن عددهم كان ٣٥٠ فرداً. لكن الرواية الأولى هي الراجحة لأن الأسماء مرفقة بها. وللمزيد من المعلومات انظر هذه الوثائق: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/ ٤-٨، من إبراهيم باشا إلى محمد علي باشا، تاريخ ٢١ جمادى الآخرة ١٢٣٤هـ؛ وثيقة رقم ٢/ ٤-١٠، من محمد علي باشا إلى وكيل شؤون ولاية مصر بالباب العالي، تاريخ ٢٠ رجب ١٢٣٤هـ؛ وثيقة رقم ٢/ ٤-٩، من محمد علي باشا إلى وكيل شؤون ولاية مصر بالباب العالي، تاريخ ٢٤ رجب ١٢٣٤هـ. وتستفسر الوثيقتان الثانية والثالثة عن كيفية التصرف مع هذه الأعداد، خاصة وأن أكثرهم من الشيوخ والمرضى والصبيان والنساء وعن التعيينات التي تصرف لهم، وطلب العفو عن المرضى والشيوخ والصبيان والنساء منهم. ويبدو أنه أطلق سراح بعضهم لينخفض العدد المذكور في الوثيقة الثالثة من ٣٥٠ إلى عدد يقارب ما هو مدون في الوثيقتين الأولى والثانية والله أعلم.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٨٤، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٢٤ رجب ١٢٣٤هـ.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٩، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٢٣٣هـ. انظر كذلك: الرافعي، عبدالرحمن، (١٣٧٠هـ)، مرجع سابق، ص١٢٩.

دورها وقصورها! وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها! ولا يرحموا صغيرها!! ولا يوقروا كبيرها!! فابتدر العسكر إلى هدمها مسرعين، فهدموها وبعض أهلها مقيمون فيها، وقطعوا الحدائق منها وهدموا الدور، والقصور، ونفذ فيها القدر المقدور، وأوقدوا في بيوتها النيران وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان، فتركوها خالية المساكن، كأن لم يتوطنها متوطن ولا سكنها ساكن. وتفرق أهلها إلى النواحي والبلدان". (١) ولا شك أن عملية تخريب الدرعية تعتبر خرقاً للاتفاق الذي تم بموجبه تسليم الدرعية، وكان من المفروض، ما دام إبراهيم باشا لا يملك صلاحيات تنفيذ الصلح، أن يكون هناك إيضاح بأن تلك الشروط منوطة بموافقة محمد علي باشا حتى يكون الإمام عبدالله على بينة من أمره. لكن إبراهيم باشا نفى أن يكون أبوه هو المسؤول عن ذلك، لأنه كان ينفذ أوامر الباب العالي بهذا الخصوص. ومن خلال أهداف الحملة ومجريات الحرب فليس غريباً على محمد علي باشا هذا العمل. يقول أمين سعيد "تلك كانت خاتمة حملة محمد علي إلى نجد، بدأت بمجزرة القلعة بالقاهرة التي ذبح فيها ٤٦٩ إنساناً في وقت واحد، وانتهت بتدمير الدرعية أجمل مدن نجد وأكثرها عمراناً وسكاناً". (٢) وهكذا كانت هذه السنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م من أصعب السنوات على أهل نجد قاطبة، وعلى الدرعية بخاصة حيث نهبت منها الأموال، وسفكت فيها الدماء. وقد عبر الفاخري عن المآسي التي حصلت في هذه السنة شعراً بقوله:

عام به الناس جالوا حسبما جالوا ... ونال منا الأعادي فيه ما نالوا

قال الأخلاء أرخه فقلت لهم ... أرخت قالوا بماذا قلت (غربال)(٣)

---

(١) الألوسي، محمود شكري، (١٣٤٣هـ)، **تاريخ نجد**، تحقيق محمد بهجت الأثري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص ص ٢٤-٢٥.

(٢) سعيد، أمين، (د.ت.)، مرجع سابق، ص١٢٩؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٥٤. وقد وقعت مذبحة القلعة عام ١٢٢٦هـ ١٨١١م. ويذكر آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٣، أن عدد المماليك الذين قتلهم محمد علي باشا بلغوا ألف رجل. وانظر عن الموضوع كذلك:

Sadlier, G. F., (1866), Dairy of Journey Across Arabia from El Khatif in Persian Gulf, to Yambo in the Red Sea, during the year 1819, Bombay, p. 83.

(٣) الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ١٥٠. وقد ذكر الشبل في تحقيقه لمخطوط الفاخري في نفس الصفحة معنى غربال أي المتاعب والمصاعب والمشكلات. أما معنى غربال بحسب الجمل فقد ذكر أنها: غ = ١٠٠٠ + ر = ٢٠٠ + ب = ٢ + أ = ١ + ل = ٣٠ المجموع ١٢٣٣ وهو تاريخ السنة. انظر كذلك: آل بسام، عبدالله ابن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٥٠.

وبذلك سقطت الدرعية، عاصمة الدولة السعودية الأولى، وخضعت البلاد كلها لحكم محمد علي باشا تحت مظلة الدولة العثمانية. وكان إبراهيم باشا يخطط للتوجه إلى الأحساء بعد إتمام إخضاع الدرعية حيث تذكر الوثائق العثمانية أنه عند اقترابه من الدرعية أرسل يستفسر عن إمكانية السماح له بالتحرك نحو الأحساء بعد الدرعية، لكن السلطان العثماني رفض طلبه خوفاً من عدم القدرة على السيطرة على هذه البلاد. وقال رداً على رسالة محمد علي باشا "وحيث إن المطلوب في الأصل المحافظة على الحرمين فإن ذهاب إبراهيم باشا إلى الأحساء قد يؤدي إلى ضعف السيطرة على الحرمين مما يحتاج معه إلى فتح جديد". وعلى العموم فإن تعليمات السلطان تقضي بأنه عندما يتيسر إخضاع الدرعية تنظم أمورها الداخلية، ويوضع لمنطقة نجد كلها نظام واحد، وبعدها يمكن لإبراهيم باشا التوجه إلى المدينة.[(١)]

وقد عاد إبراهيم باشا إلى مصر في ٢٢ صفر ١٢٣٥هـ/ ٩ ديسمبر ١٨١٩م، حيث استقبل هناك استقبال الأبطال، لكنه رجع مغروراً متكبراً متنكراً للعلماء.[(٢)] وفي مصر أقيمت الاحتفالات بأمر من السطان العثماني الذي طلب أن تطلق المدافع خلال ثلاثة أيام وعلى ثلاث دفعات في كل يوم وإظهار السرور. وفي تعليق للسلطان ثمن ما قام به والي مصر محمد علي باشا حيث ذكر أنه مهما كان التلطف الذي سيمنح للمشار إليه أو لولده إبراهيم باشا لقاء هذه الخدمات فإنه ضئيل. كما أمر بأن يكافأ القادة الذين اشتركوا في هذه الحرب بالخلع والسمور وليعط لكل واحد منهم خمسة آلاف قرش.[(٣)]

وبذلك أسدل الستار على ملحمة طويلة من القتال والمجادلات في ربوع شبه الجزيرة العربية بدءاً بالحجاز ومروراً بالقصيم والوشم وضرما وانتهاءً بالدرعية، ثم تبعتها بلاد شرقي الجزيرة العربية. وبتسليم الدرعية تم طي صفحة مشرقة في حياة بلد شهد أقصى مظاهر القصف المدفعي، كما شهد أعظم مظاهر البطولات التي قام بها أهل تلك البلاد التي أصابها الابتلاء، يتقدمهم عدد من أفراد الأسرة السعودية وأسرة آل الشيخ الذين بقوا على العهد الذي بدأت به الدولة السعودية الأولى ومن أجله

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢، ٧٤ من محمد علي باشا إلى السلطان، بتاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١- ٧٩ من محمد علي باشا إلى السلطان بتاريخ ١٢٣٣هـ.

(٢) الجبرتي، عبدالرحمن، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٣، ص٦١٣؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٥٤.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-١٥٢، من والي مصر محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٣هـ.

تكاتفت الأسرتان في الذود عن مبادئه.

وهكذا كان قدر مدينة الدرعية أن تشهد في بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري ولادة دولة جديدة في الجزيرة العربية، هي الدولة السعودية الأولى، وهي نفسها المدينة التي شهدت في بداية الثلاثينات من القرن الثالث عشر الهجري اضمحلال هذه الدولة بعد حياة حافلة بالنشاط الديني والسياسي استمر حوالي سبعين عاماً. وإذا كان من عزاء لقادة هذه الدولة، والمنتمين إليها، والمؤمنين بنهجها الديني الإصلاحي وسعيها إلى الاستقلال السياسي فإن ذلك تم بقيام الدولة السعودية الثانية على النهج نفسه وطبيعة تلك السياسة.[(١)]

عوامل سقوط الدرعية:

ومن خلال العرض السابق يمكن أن نجمل أهم عوامل سقوط الدرعية بيد إبراهيم باشا إلى ما يلي:

١- رغم ما يمتاز به أهل نجد من الإيمان والشجاعة والإقدام، واعتقادهم أنهم يقاتلون في سبيل غاية شريفة وهي نشر دعوة التوحيد، والدفاع عن بلادهم، إلا أن العامل النفسي، بسبب طول مدة الحرب والحصار، كان له أثره على المدافعين عن الدرعية، خاصة مع تعرضهم للقصف الشديد بالمدافع من قبل جيش إبراهيم باشا في الوقت الذي كانوا يستخدمون السلاح التقليدي من البنادق والسيوف عدا بعض المدافع القليلة القديمة.

٢- عدم تكافؤ قوة الدولة السعودية وقوة إبراهيم باشا، فعلى الرغم من التفوق النسبي لعدد جيش الدولة السعودية، إذا وضعنا في الاعتبار أن أهالي البلدان يعتبرون من ضمن هذا الجيش، إلا أن ذلك التفوق لم يكن كافياً أمام التفوق النوعي لجيش إبراهيم باشا سواء فيما يتعلق بالتخطيط للحرب أو التنفيذ أو نوعية الأسلحة المستخدمة، وخاصة المدافع التي تستطيع الرمي من مكان بعيد.[(٢)]

٣- انضمام عدد من زعماء نجد إلى جانب جيش إبراهيم باشا، مثل زعماء الخرج والرياض، كان له وقع سيئ على نفوس المقاتلين، وقد زاد الطين بلة انضمام قائد خيالة الجيش السعودي المتواجد في الدرعية إلى جانب إبراهيم باشا، وكان في الحقيقة قاصمة الظهر لأنه حصل في وقت عصيب

(١) للمزيد من التفاصيل الدقيقة والشاملة عن ملحمة الدرعية، وما جرى فيها من حروب وقصف بالمدافع. انظر: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٩٧-٤٢٢.

(٢) انظر سعيد، أمين، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص١١١-١١٣، حيث ذكر جملة من المقارنات بين قوة الدولة السعودية وقوة إبراهيم باشا من جميع النواحي.

بالنسبة للقوات السعودية بعد أن تكبدوا خسائر متوالية ومالت كفة القتال إلى جانب إبراهيم باشا .

٤- عدم استغلال جيش الدولة الفرص ، وخاصة بعد حصول الانفجار الكبير والحريق الهائل في الجبخانة المصرية التي كان من الممكن أن تقلب موازين القتال لصالح جيش الدولة السعودية .

٥- وصول الإمدادات المتوالية إلى جيش إبراهيم باشا من الجنود والعتاد من مصر ، فقد ورد في رسالة من محمد علي باشا إلى السلطان أنه أرسل إلى ابنه إبراهيم باشا منذ كلف بالتحرك إلى الدرعية خمسة أنواع من القنابل ، من أوزان ٥ و ٧ و ٩ و ١٤ و ٢٤ أوقية حيث بلغ مجموعها ستين ألف قنبلة ، حتى إنه لم يبق منها في مصر (القاهرة) وما حولها من القلاع إلا القدر القليل من القنابل .(١) وكذلك الإمدادات التي وصلت من المناوئين للدولة السعودية ، وما أخذه إبراهيم باشا من البلاد النجدية بالإكراه ، في الوقت الذي كان جيش الدولة السعودية يعاني من الحصار طوال ستة أشهر . وقد زاد من معاناتهم أن إبراهيم باشا منع أتباع الإمام عبدالله بن سعود من جني محصول التمر في بلدة عرقة ، بل إنه أخذه لجنوده .

٦- لجوء إبراهيم باشا إلى استغلال العوامل النفسية لدى أهل الدرعية والمقيمين فيها مثل أخذه بعض الرجال من كل بلد واحتجازهم لديه رهينة للضغط على أتباعهم للتوقف عن الحرب ، بالإضافة إلى سماحه بخروج سكان البلاد النجدية الأخرى من الدرعية .

وبعد فإن سقوط الدرعية بيد إبراهيم باشا واستسلام الإمام عبدالله بن سعود أدى إلى غياب الدولة السعودية ، مؤقتاً ، من مسرح الأحداث في الجزيرة العربية خصوصاً ، والعالم الإسلامي عموماً . ومن دون جدال فإن سقوط الدولة السعودية الأولى كان له آثار بعيدة المدى دينية وسياسية واجتماعية .(٢)

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز ، مجموعة الوثائق العثمانية ، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٥ من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان ، تاريخ ١٩ رمضان ١٢٣٣هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١-٢٠٢ من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان بوساطة رئيس الكتاب تاريخ ١٢٣٣هـ؛ وثيقة رقم ٥/ ١-١٩٢ ، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب ، تاريخ ١٢٣٤هـ.

(٢) نظراً لاقتصار هذا البحث على منطقة الرياض في عهد الدولة السعودية الأولى فإن المجال لا يسمح بالاسترسال في الحديث عن نتائج سقوط الدولة السعودية والآثار التي ترتبت عليها . ولمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى المصادر والمراجع التي وردت في هوامش هذا البحث أو في قائمة المصادر .

نتائج سقوط الدرعية:

من خلال الصفحات السابقة يمكن استخلاص مجموعة من النتائج التي ترتبت على سقوط الدرعية ونهاية الدولة السعودية الأولى على يد إبراهيم باشا قائد قوات والي مصر محمد علي باشا. ولا شك أن حرباً طويلة وشرسة أداتها المدافع ووقودها السكان وما يملكون، كان لها نتائج بعيدة المدى على المستوى الديني والسياسي والعسكري والنفسي، ليس فقط بالنسبة لأهل البلاد التي كانت تضمهم الدولة السعودية الأولى، وإنما في بلاد الجزيرة العربية قاطبة بطريق مباشر أو غير مباشر. ومع أن بسط الحديث عن هذه النتائج أمر مطلوب لبيان مدى الخسارة التي حلت بالبلاد؛ نتيجة غياب هذه الدولة، إلا أننا تحت ضغط التخصص الذي أعد هذا الكتاب من أجله سنختصر الحديث عن تلك النتائج العامة قدر المستطاع، لكننا سنركز الحديث على نتائج سقوط الدرعية ونهاية الدولة السعودية الأولى وآثارهما المباشرة على منطقة الرياض، وهي المنطقة التي عانت أشرس المعارك وأطولها خلال حملات قوات محمد علي باشا.

فمن الناحية الدينية والعلمية فقدت الدرعية، ومعظم بلاد منطقة الرياض، صفوة علمائها، الذين قتلوا خلال حرب الدرعية أو الذين نقلوا إلى مصر بعد انتهاء الحرب. ليس هذا فحسب بل إن غياب الدولة السعودية الأولى أدى إلى اضمحلال المقومات التي كانت السند بتوفيق الله لما أنجزته الدعوة الإصلاحية من تراث فكري وثقافي لم يكن من السهل إعادة بنائه. ورغم عودة الحكم السعودي متمثلا بالدولة السعودية الثانية، إلا أن تدمير الدرعية من جهة، وحداثة تكوين الرياض عاصمة للدولة من جهة أخرى، وخوف كثير من الناس من بطش قوات إبراهيم باشا من جهة ثالثة، لم يهيئ الجو المناسب لقيام نهضة علمية دينية سريعة على غرار ما كان موجوداً في الدرعية قبل سقوطها بيد إبراهيم باشا.

أما من الناحية السياسية فقد ترتب على سقوط الدولة السعودية الأولى وتدمير الدرعية عاصمة الدولة ورمز بقائها، أن أصبحت بلاد نجد تابعة لحكم محمد علي باشا. وقد أدى غياب السلطة المركزية إلى بروز ظاهرة التجزؤ التي قامت الدولة السعودية الأولى للقضاء عليها. وقد شمل التفرق كافة بلاد شبه الجزيرة العربية، ومنها ما يخص منطقة الرياض، حيث عادت بعض الأسر التي كانت تحكم مناطق محددة؛ مثل آل زامل في الخرج، وآل معمر في العيينة، وآل مبارك في حريملاء. وقد كانت عودة هذه

الأسر لحكم بلادها أمراً متوقعاً نتيجة لضعف الحكم، لكن حكم هذه الأسر تلاشى بعد قيام الدولة السعودية الثانية وانضوائهم تحت سيادتها.

أما من الناحية الاجتماعية فقد أدت الحرب الطويلة في بلاد منطقة الرياض، وخاصة في شقراء وضرما والدرعية إلى تشتت الأسر بذهاب عائلها أو تعطله، إما بالقتل خلال الحرب، أو بالأسر، أو بالإعاقة. وكما أوضحنا سابقاً خلال حرب الدرعية فإن كثيراً من المقاتلين انضموا إلى جيش الدولة للدفاع عن الدرعية لكن أكثرهم لم يعد إلى بلاده. ومن جهة أخرى كان لشراسة المعارك في منطقة الرياض، وخاصة في الدرعية باعتبارها رمز بقاء الدولة، وحرص قوات إبراهيم باشا على استسلامها بأي ثمن حتى لو استدعى الأمر قتل جميع سكانها، أثر في سقوط عدد كبير من القتلى والمعاقين بأعداد كبيرة كما أوضحنا سابقاً. ليس هذا فحسب، بل ترتب على فترة الحرب الطويلة ووجود أعداد كبيرة من الجنود أن انتشرت بعض الأزمات النفسية، والأمراض المعدية، والعادات السيئة مثل شرب الدخان وغيره مما لم يكن معروفاً في هذه البلاد من قبل.

ولا شك أن بيان الصورة الحقيقة لمدى الآثار الاجتماعية التي نشأت بسبب هذه المعارك والتي تأثر بها مباشرة سكان منطقة الرياض، يكمن فيما خلفته هذه الحرب من آلاف القتلى والجرحى والمشوهين والثكلى واليتامى. ومع أن الكتب المعاصرة لا تولي أهمية كبيرة للإحصائيات عن القتلى والجرحى فقد ذكر ابن بشر نقلاً عن شخص قريب من حكومة محمد علي باشا في ذلك الوقت، أرقاماً كبيرة لعدد القتلى، خاصة من جيش إبراهيم باشا. يقول في ذلك "وذكر لي رجل ظهر من مصر ممن جلى مع آل سعود، وقال إن كاتب الباشا ذكر لنا في مصر أن الذي هلك من العسكر من ظهوره من مصر إلى رجوعه إليه اثنا عشر ألف رجل" ويحلل ابن بشر هذا الرقم بقوله "فقلت: فعلى هذا القول فالذي قتل من العسكر في الرس وعنيزة وشقراء وبلد ضرما بالتخمين إن أكثرنا فألفان، وإن قللنا فألف وخمسمائة والباقي في الدرعية" ثم يذكر أن عدد من قتل من أهل الدرعية والمقيمين فيها من أهل النواحي يقدر بألف وثلاثمائة رجل. ولا شك أن هذا الرقم الذي أورده ابن بشر لا يشمل سوى المقاتلين، أما من قتل من أهل الدرعية خلال الحصار والقصف فلا شك أنه سيرفع عدد القتلى إلى رقم أكبر مما قدّره. ومع ذلك فإنني أعتقد أن ما ذكره ابن بشر من أرقام عدد القتلى في الجانب السعودي يُعد متواضعاً مقارنة

بالعدد الذي ذكره عن عدد القتلى من جانب قوات محمد علي باشا، أو مقارنة بطول فترة الحرب التي قاربت ستة أشهر. وقد ذكرنا سابقاً استناداً إلى إحدى الوثائق العثمانية أنه قتل من الجانب السعودي في أول معارك الدرعية فقط ألفان وأربعمائة.(١) ولو افترضنا أن هناك مبالغة في هذه الرواية عن تقدير عدد القتلى من الجانب السعودي، إلا أن العدد يبقى كبيراً بحكم تعدد المعارك واستخدام الأسلحة الحديثة، وخاصة المدافع، من جانب جيش إبراهيم باشا والله أعلم.

ومن جهة أخرى سمّى ابن بشر بعض من قتلوا في هذه الحرب من أهل بلاد منطقة الرياض، ومنهم واحد وعشرون رجلاً من أسرة آل سعود، كما قتل عدد من أسرة آل الشيخ، وقتل من أهل العيينة خمسة عشر رجلاً، ومن أهل الوشم ما يقارب مائة رجل، ومن أهل الحريق والحوطة نحو ثلاثين رجلاً، ومن أهل ثادق والمحمل ما يقارب أربعين رجلاً، ومن أهل عرقة مثلهم، ومن أهل منفوحة أكثر من خمسين رجلاً. كما قتل عدد كبير من أهالي حريملاء والعيينة والأفلاج وسدير والقصيم لم يذكر عددهم ابن بشر. أما الوثائق العثمانية فقد ذكرت أسماء بعض من قتل أو أسر من أتباع الإمام عبدالله بن سعود، ومنهم: سعود، عم الإمام عبدالله الذي أخذ وقتل، وكذلك أخوه إبراهيم الذي أصابته رصاصة فمات. أما محمد بن مشاري وعلي بن الشيخ فقد قبض عليهما فطلبا الأمان فمنحاه للمصلحة لكنهما احتجزا. كما قبض على سعد بن عبدالله حياً في القلعة فطلب الأمان فمنح إياه. كما قبض على كل من صالح بن رشيد وهو من أكبر أعوان الإمام عبدالله بن سعود حيث كان بمثابة وزير، وكذلك أحمد الحنبلي رئيس العلماء وقد سجنا.(٢)

وهكذا ومن خلال هذا الاستعراض السريع لأهم نتائج سقوط الدرعية ونهاية الدولة السعودية الأولى يمكن أخذ صورة عن مدى الخسارة التي تركتها حملات والي مصر محمد علي باشا على بلاد شبه الجزيرة العربية عامة، وعلى البلاد التي كانت تضمها الدولة السعودية الأولى. ورغم هذه النتائج المؤلمة، إلا أن الله حفظ دينه وعباده بقيام الدولة السعودية الثانية بعد فترة وجيزة لتكمل العمل الذي بدأته الدولة السعودية الأولى.

---

(١) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٥/ ١-٧٧، من والي مصر محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٠ ذي الحجة ١٢٣٣هـ.

المبحث الرابع

الجوانب الإدارية والحضارية في منطقة الرياض

النظام الإداري:

كانت نواة الدولة السعودية الأولى إمارة صغيرة في الدرعية تُحكم حسب الأعراف والتقاليد القبلية. وعندما قامت الدولة السعودية الأولى بعد الاتفاق بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود عام ١١٥٧ هـ/ ١٧٤٤م كان الإمام محمد بن سعود هو حاكم الدولة التي لم تتعدى حدودها الدرعية في هذه المرحلة المبكرة. ومع تزايد البلدان التي انضمت إلى الدولة في بداية حكم الإمام محمد بن سعود، كان يقوم بأعماله بمساعدة ابنه عبد العزيز وبمشورة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.[١] وعندما اتسعت رقعة الدولة في أواخر عهد الإمام محمد بن سعود وخلال عهد ابنه عبدالعزيز تغير تبعاً لذلك نمط الحكم من الرئاسة القبلية إلى أسلوب نظام الحكم المدني الشامل. كما ظهر واضحاً تأثير الأسلوب الإصلاحي للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وخاصة بعد أن بدأ الإمام محمد بن سعود يستشير الشيخ في كثير من مسائل الحكم والإدارة. لقد حل نظام الحكم الإسلامي محل النظام القائم على العرف والتقاليد وأصبح الأمير الحاكم يحمل لقب الإمام ليعطي الدولة صفتها الإسلامية. وتبعاً لهذا التغير في مفهوم الدولة برزت الحاجة إلى تنظيم أمورها في مختلف أوجه الحياة، وخاصة بعد أن امتدت رقعة الدولة لتشمل أغلب مناطق شبه الجزيرة العربية.

ففي المجال الإداري قُسمت الدولة إلى عدد من الأقاليم بلغت واحداً وعشرين إقليماً. ورغم أن الإمام هو المشرف العام على الشؤون الإدارية في الدولة، إلا أنه بعد اتساع رقعة الدولة، أصبح بحاجة إلى من يعينه على الإشراف على إدارة الإقليم ومن هنا برزت الحاجة إلى الاستعانة بأمراء الأقاليم، حيث خوّلهم سلطات واسعة في نطاق إماراتهم وفي حدود السياسة العامة للدولة وما يصدره الإمام من تعليمات.[٢]

ومراعاة لخطة هذا الكتاب سنركز الحديث على الأقاليم (البلاد) التي تشملها منطقة الرياض حالياً.

---

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٢٤٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٥.

فبالإضافة إلى الدرعية، عاصمة الدولة والتي تعتبر بمثابة إقليم يضم البلاد المحيطة بها، مثّلت أقاليم منطقة الرياض خمسة أقاليم من مجموع أقاليم الدولة هي: وادي الدواسر، الخرج، المحمل، الوشم، سدير، بالإضافة إلى إقليم المجمعة ومنيخ، لكنهما كانتا غالباً تابعتين لأمير سدير. ويقوم على كل إقليم أمير قد تمتد مدة إمارته لتشمل حكم أكثر من حاكم، وقد تقتصر على سنة أو أكثر من حكم أحد الحكام من آل سعود. [١]

وكانت مهمة أمراء الأقاليم القيام بالأعمال الإدارية نيابة عن الإمام في أقاليمهم، والإشراف على أمورها، وتنفيذ الأنظمة التي تصدرها الدولة. ومن المهام الأخرى المنوطة بأمراء الأقاليم تجهيز ما تحتاجه الدولة من القوة العسكرية في أوقات الحرب، ومساعدة جامعي الزكاة. وقد طبقت الدولة النظام المرن في الصرف على الأقاليم، وخاصة من غنائم الحرب التي يتولاها إقليم من الأقاليم، حيث يصرفها في مصارفها الشرعية فيعزل خمس الغنائم ويرسلها إلى بيت المال في الدرعية ويصرف الباقي في أوجه مصارفه الشرعية. [٢]

ومن جهة أخرى كانت تعليمات الحكومة تلزم الأمراء باستشارة ذوي الرأي ووجهاء البلاد من الحاضرة، ومشايخ القبائل في الأقاليم حتى يكون الرأي شورى بينهم، ويبتعدوا عن الظهور بمظهر الحكّام المستبدين. وقد برزت بعض البيوت التي أمدت الدولة برجال أكفاء تولوا إمارة بعض الأقاليم مثل أسرة السديري والعفيصان. [٣] أما اختيار أمراء الأقاليم فيتم بعناية من المؤيدين والمتحمسين لتطبيق مبادئ الدعوة الإصلاحية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتي قامت الدولة السعودية على أساسها، وأصبحت المدافع عنها والساعي إلى نشرها في داخل الجزيرة العربية وخارجها. [٤] وكانت الدولة حريصة على تطبيق الأنظمة في مختلف أقاليم الدولة. وكان الإمام لا يتوانى عن عزل أمير

---

(١) انظر عن أمراء الأقاليم في عهد الدولة السعودية الأولى بعد عهد الإمام محمد بن سعود: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٧٨، ٣٦٢-٣٦٣، ص٤٢٣. وانظر كذلك: عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧)، مرجع سابق، ص ص ٢٤٤-٢٣٥.

(٢) مؤلف مجهول، (د. ت.)، مصدر سابق، ص٥٠.

(٣) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧)، مرجع سابق، ص٢٤٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٣.

الإقليم، أو عقابه إذا تهاون في عمله أو بدرت منه بوادر تخالف سياسة الدولة. (١)

القضاء والحسبة:

ولم يكن أمير الإقليم وحده المسؤول عن تطبيق الأنظمة في الأقاليم، بل كان هناك اختصاصات أخرى لها مسؤولون يتولون تنفيذها. فهناك القضاة الذين يتولون إصدار الفتاوى التي تهم الناس، ويفصلون في الأحكام الشرعية، وينفذون ما يصدر عنها من أحكام بمساعدة أمير الإقليم.

والواقع أن القضاء والحسبة يعتبران حجر الزاوية في سياسة الدولة السعودية الأولى، خاصة وأن هذه الدولة قامت أساساً على مبدأ نشر العقيدة الإسلامية الصافية وتصحيح بعض المفاهيم والعادات التي شابت هذه العقيدة في الفترة السابقة لقيام الدولة السعودية. وكان القاضي يُمنح راتباً سنوياً من بيت المال. وكان القضاة يقومون بأعمالهم في المعاملات والعبادات، ولا يفرقون في أحكامهم، وكانت أحكامهم نهائية. (٢)

أما نظام الحسبة، وهو ما يعرف اليوم بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كان إرثاً إسلامياً طُبق على مر العصور، ولذلك كان من مبادئ الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بل إنه المبدأ الذي ميزها عن غيرها من الدعوات الإصلاحية، لأنه عبارة عن تطبيق عملي لمبادئ الدعوة. (٣) ولهذا السبب حرصت الدولة السعودية منذ تكوينها على إحياء هذه السنة ودعمها لتقوم بالدور الديني والإرشادي المكمل لأجهزة الدولة القضائية والإدارية. وبالإضافة إلى تنبيه الناس لحضور الصلاة في أوقاتها كان من مهمة رجال الحسبة الحث على التآخي بين الناس، ونشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة والعادات السيئة والضارة بالمجتمع. وفي جانب المعاملات كان رجال الحسبة يشرفون

---

(١) مؤلف مجهول، (د.ت.)، مصدر سابق، ص٥١؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧)، مرجع سابق، ص ٢٤٣.

(٢) للمزيد من المعلومات عن النظام القضائي في الدولة السعودية الأولى، والعقوبات في الجرائم والقضايا راجع: عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧)، المرجع السابق، ص ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٣) الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٩هـ)، مرجع سابق، ص ٣٩؛ السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، **توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ص ١٨٧.

على عمليات البيع والشراء، وتفقد المكاييل والموازين عن التطفيف في الكيل أو الوزن، فيما يعرف الآن باختصاص البلديات.

وقد تولى القضاء في بلدان منطقة الرياض في عهد الدولة السعودية الأولى رجال من خيرة العلماء قاموا بواجبهم خير قيام على رأسهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب. فبالإضافة إلى دوره الجهادي، كان يتولى بنفسه أمر القضاء والحسبة في عاصمة الدولة، الدرعية، بل إنه نفّذ بنفسه بعض الأحكام الشرعية، بالإضافة إلى الدروس العلمية التي كان يعقدها في المسجد. وبعد الشيخ محمد بن عبدالوهاب تولى أمر القضاء في الدرعية أبناء الشيخ وأحفاده. أما في البلاد والأقاليم الأخرى التي يضمها اسم منطقة الرياض حالياً، فهناك عدد من القضاة الذين قاموا بواجبهم في القضاء والحسبة خلال عهد الدولة السعودية الأولى. وفيما استمر بعضهم فترة طويلة من عمر الدولة السعودية الأولى، كان بعضهم يعين مدة محدودة تصل إلى عام أو أكثر، وبعضهم ينقلون إلى بلاد أخرى.(١)

الحياة العلمية:

لا شك أن النواحي العلمية، وخاصة العلم الشرعي المبني على تأصيل العقيدة الإسلامية في نفوس الناس، وإبعاد ما خالط تصرفاتهم وسلوكهم من البدع والخرافات، كان من أولى اهتمامات الدولة السعودية الأولى التي قامت لتأييد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بل كان هذا هو الهدف الأساس لقيامها. وفي فجر عهد الدولة ازدهرت الحياة العلمية في بلاد منطقة الرياض باعتبارها منشأ الدعوة والدولة.

والواقع أن الدرعية، خلال عهد الدولة السعودية الأولى وبفضل انتشار الدعوة الإصلاحية، كانت منارة للعلم، وميداناً للتفقه في الدين، ومركزاً من مراكز الإشعاع الفكري في الجزيرة العربية، حيث شع منها ضياء النهضة الإسلامية الحديثة في الجزيرة العربية. لقد كانت الدرعية موئلاً للعلم وينبوعاً ينهل منه طلاب الفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة على يد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حيث كان الاهتمام بالعلم والحرص عليه من سمات هذه المدينة والقاصدين لها.(٢)

---

(١) انظر عن أسماء هؤلاء القضاة في عهد الدولة السعودية الأولى بعد عهد الامام محمد بن سعود: ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١ ص ٢٧٨-٢٧٩، ٣٦٣-٣٦٤، ٤٢٣-٤٢٤. وانظر عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ص ٦٩.

لقد برزت الأهمية العلمية للدرعية بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد تزايد عدد طلاب العلم الذين يفدون إليه من مختلف بلاد منطقة الرياض بحدودها الحالية، بل ومن جميع بلاد نجد وغيرها من بلاد الجزيرة العربية. وبذلك أصبحت الدرعية أول مركز ثقافي إسلامي، ليس في الدرعية أو في بلاد نجد وحدها، بل في شبه الجزيرة العربية كلها.(١) وقد نفع الله بالشيخ وعلمه حيث رُوي أنه كان في الدرعية في وقته أربعمائة عالم مؤهلين للقضاء، وأن قرية من قرى الوشم كانت تضم ثمانين عالماً كلهم يحملون مؤهلات القضاء.(٢)

والحقيقة أن نشر العلم يحتاج إلى دعم وتشجيع من الحكام في كل زمان ومكان، ولذلك نرى ازدهار الناحية العلمية في الدرعية قد واكب قيام الدولة السعودية الأولى وتعزز في ظلها. لقد كان تشجيع حكام الدولة السعودية الأولى للعلم وأهله واضحاً منذ تعاهد مؤسس الدولة الإمام محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب مما مكنه من الالتقاء بطلابه في جو آمن. ليس هذا فحسب، بل إن الحكام من آل سعود كانوا يرعون العلم وتشجيع المتفوقين من حفظة القرآن الكريم، وطلاب العلم عموماً بالمنح والهبات السخية، وذلك لما يؤمّلونه منهم من القيام بدور بنَّاء في توعية عامة السكان، وربطهم بالعقيدة الإسلامية، ومؤازرة الدولة في جهادها لتعميم الدعوة الإصلاحية. وفي هذا المجال كان الإمام عبد العزيز بن محمد يمرّ به الصبيان إذا خرجوا من مدارسهم فيعطيهم جوائز قيمة لأحسنهم خطاً، وأجودهم عبارة. وزيادة في تشجيع العلم وأهله كان أئمة آل سعود في زمن الدولة السعودية الأولى أنفسهم يتلقون العلم ويحضرون مجالسه ويشجعون طلابه. وتمشياً مع هذا الهدف خُصصت بعض الأماكن والقاعات في قصر الحكم لتكون منابراً للعلم والثقافة والتفقه في علوم الدين، من فقه وحديث وتفسير.(٣) لقد اتبع حكام الدولة السعودية الأولى تقليداً حميداً معروفاً منذ أيام المأمون في العصر العباسي هو حلقة الدرس التي يقرأ فيها بعض كتب التفسير، والسيرة النبوية، وقراءة كتب التاريخ والأخبار. وقد أشار ابن غنام وابن بشر إلى المجالس التي كانت تعقد للدرس في الدرعية. لقد

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٢.

(٢) آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د. ت.)، **تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان**، مطابع مؤسسة النور للطباعة والنشر، الرياض، ج١، ص ٥٦.

(٣) مكتب المهندس زهير كامل ياسين، (د. ت.)، **امتداد قصر سلوى وقصر عبدالله بن سعود، حي الطريف، الدرعية**، الادارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف، الرياض، ص ١٠.

كان الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود يحيي تلك المجالس، وكان ابنه الإمام سعود بن عبد العزيز حريصاً على العلم، حيث كان قد أخذ العلم على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب عدة سنين، وكان مشهوراً بالعلم، ومجلسه مجلس ذكر وعلم. وكان للإمام سعود مجلس علم في السوق التجاري في الدرعية تلقى فيه الدروس من بعد طلوع الشمس يحضره عدد كبير من الناس. وبعد صلاة المغرب يجتمع الناس عنده في القصر للدرس والمذاكرة. وفي هذه المجالس العلمية كانت تقرأ كتب الحديث مثل صحيح البخاري، وكذلك كتب التفسير، مثل ابن كثير والطبري، وكان الإمام سعود يعلق على تلك القراءات تعليقاً علمياً يستفيد منه العلماء وطلبة العلم، ويحل كثيراً من المعضلات والمشكلات العلمية التي كانت تُطرح في ذلك الدرس. [١]

النشاط الاقتصادي:

رغم أن الدولة السعودية الأولى، ككيان سياسي، حديثة التكوين حيث يعود تاريخها إلى النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، إلا أنها لم تنشأ من فراغ، بل قامت لتحل محل مجموعة من الإمارات الموجودة قبل ذلك. وكانت هذه الإمارات والبلدان لديها مقومات اقتصادية، متنوعة زراعية وصناعية وعمرانية وغيرها من أوجه النشاط البشري، لكن هذا النشاط الاقتصادي كان محدوداً كماً وكيفاً، بالإضافة إلى اتخاذه طابعاً محلياً صرفاً لم يتعد حدود البلاد التي يوجد فيها أو البلاد المجاورة في منطقة الرياض. وعندما قامت الدولة السعودية الأولى بالبيعة بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، وما تلاها من مراحل تكوين الدولة، أخذت هذه المقومات طابعاً جديداً وبدأ النشاط الاقتصادي يتجه من المحلية إلى الإقليمية ثم الخارجية.

وفي بداية عهدها، كانت الدولة السعودية الأولى محصورة في رقعة صغيرة لا تتعدى الدرعية وما حولها، ولم يكن هناك مورد مالي معروف، بل كان مصدر دخل الأمير ما يأخذه من خراج على أهلها

---

(١) للمزيد من المعلومات عن حلقات العلم ومشاركة حكام آل سعود فيها في عهد الدولة السعودية الأولى انظر: الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د.ت.)، **قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي، وروعة الحاضر**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، ص ص ٨٢، ٨٣؛ الشويعر، محمد بن سعد، (شوال ١٤١٧هـ)، الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مكانتها السياسية والتاريخية والحضارية، **الدارة**، السنة الثانية والعشرون، العدد الرابع، ص ص ١٧-١٩.

وقت جني الثمار مقابل حمايتهم، وهو ما دعاه إلى أن يشترط، عند الاتفاق بينه وبين الشيخ محمد بن سعود، بقاء هذا الدخل، فأخبره الشيخ أن ذلك سينتهي مع الوقت بعد أن يبسط الله الرزق له جزاء مناصرته الدعوة، كما أوضحنا في بداية هذا الفصل. وقد استمرت حالة الدرعية على هذا الوضع في بداية قيام الدولة مما زاد من الأعباء المالية عليها، ومما زاد من تلك المعاناة ازدياد عدد سكانها بقدوم المهاجرين إليها رغبة في العلم على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى إنه ضاق بهم العيش من شدة الحاجة مما اضطرهم إلى أن يعملوا في الليل للاسترزاق، والجلوس في النهار للدراسة، وقد استمروا على هذا الوضع حتى فرّج الله عليهم واتسع الرزق.[(١)] ومع مرور الوقت استمر الدخل المالي في الدرعية شحيحاً خلال جزء كبير من عهد الإمام محمد بن سعود رغم بداية التحسن في الموارد المالية نتيجة لاتساع رقعة الدولة. وفي عهد الإمام عبد العزيز بدا التحسن واضحاً في دخل الدولة، خاصة بعد أن اتسعت حدودها وشملت مناطق غنية اقتصادياً، بالإضافة إلى ما تتقاضاه الدولة من زكاة على بعض المناطق في الخليج وغيره. وقد بلغ دخل الدولة من الزكاة سنوياً ما يزيد على مليونين من الريالات، فضلاً عن الغنائم من عمليات الجهاد.[(٢)] ونتيجة لذلك أصبح للدولة السعودية في دورها الأول نظام مالي متميز قائم على مبدأ نظام الاقتصاد الإسلامي، حيث بدأ تطبيق الأنظمة الإسلامية في جميع المجالات. وقد شمل النشاط الاقتصادي جميع أوجه الأنشطة التجارية والزراعية والحرفية وغيرها مما كان يتلاءم مع متطلبات ذلك الوقت.

وباعتبار الدرعية عاصمة الدولة والنموذج الذي يمكن وصفه من خلال المصادر المتاحة، فإنه يمكن القول إن أثر ذلك التطور الاقتصادي والتحسن في مستوى نشاط السكان قد ظهر واضحاً في مستوى الوضع الاقتصادي للدرعية، حتى إذا جاء عهد الإمام سعود بن عبد العزيز بلغت الدرعية أوج ازدهارها الاقتصادي. أما بقية البلاد فقد نالها نصيبها من التطور الاقتصادي بنسب مختلفة كما سيأتي تفصيله لاحقاً.

ففي مجال التجارة ساهم أهل بلاد منطقة الرياض في النهضة الحضارية التي عاشتها الدولة

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١ ص ٤٣.

(٢) مكتب المهندس زهير كامل ياسين، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ٨. وللمزيد من المعلومات عن مقدار الزكاة الذي تأخذه الدولة من البلاد التابعة لها عموماً، ومن بلاد منطقة الرياض خصوصاً انظر: مؤلف مجهول، (د. ت)، مصدر سابق، ص ١٧٩.

السعودية الأولى. وكانت الدرعية من أهم البلاد التي قام سكانها بدور تجاري واضح، حيث كانت دار تجارة يقصدها الناس من أنحاء الجزيرة العربية وغيرها.[١] وقد اشتهر سوق الدرعية التجاري والمالي، حيث اتصلت بغيرها من البلدان، وازداد تعاملها التجاري مع كثير من البلاد داخل بلاد نجد وخارجها. وأصبح التجار من أهلها يتاجرون في مدن مختلفة من الولايات العثمانية رغم صعوبة المواصلات في ذلك الوقت. ولا شك أن من المتطلبات الأساسية لنمو الاقتصاد قوة الحكم واستتباب الأمن.[٢] يقول ابن بشر واصفاً الحالة الاقتصادية فيها خلال عهد الإمام سعود، "ولقد رأينا الدرعية بعد ذلك في زمن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمهم الله تعالى، وما فيه أهلها من الأموال وكثرة الرجال والسلاح المحلى بالذهب والفضة وعندهم الخيل الجياد والنجائب العمانيات، والملابس الفاخرة، والرفاهيات، ما يعجز عن عده اللسان ويكل عن حصره الجنان والبنان"، ثم وصف سوقها التجاري، حيث موسم الرجال في جانب وموسم النساء في جانب آخر. وكانت الدكاكين منتشرة على الجانب الشرقي والغربي من السوق، وما فيها من الهُدم والقماش والسلاح الذي يستعصي على الوصف. ثم ذكر كيف أن السوق كان مزدحماً بالبائعين والمشترين، وأنواع البضائع من الذهب والفضة والسلاح والماشية من الإبل والأغنام، وضخامة الصفقات التجارية التي كانت تتم.[٣] ومع ازدهار التجارة في الدرعية توزعت الأسواق وتنوعت، فهناك سوق للخيل، وسوق للإبل، وسوق للنعام وغيرها.[٤] ويصف الألوسي الوضع الاقتصادي المزدهر للدرعية وما كان يدخل على أهلها من الأموال الكثيرة على اختلاف أجناسها، وما كان من سوقها التجاري، وكان الداخل في موسمها لا يفقد أحداً من أهل الآفاق كاليمن وتهامة والحجاز وعمان والبحرين وبادية الشام ومصر وأناس من حاضرتهم وغيرهم. وعن مستوى الأسعار، وخاصة العقارية منها، ذكر الألوسي أن البيوت لا تباع فيها إلا نادراً وكانت أثمان

---

(١) مؤلف مجهول، (د.ت)، مصدر سابق، ص ١٥١.

(٢) آل زلفه، محمد بن عبدالله، (١٤١٩هـ)، الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود الكبير ١٢١٨-١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣-١٨١٤م العاصمة والحكومة والسكان كما وردت في تقارير جوزيف روسو القنصل الفرنسي في حلب، **الدرعية**، السنة الأولى، العدد الأول، ص ١٦٠؛ الشويعر، محمد بن سعد، (شوال ١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ص ١٢.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٤٤.

(٤) آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د.ت.)، مرجع سابق، ج١، ص ٥٥.

منازلها في ذلك الوقت تتراوح ما بين ألف إلى خمسمائة ليرة عثمانية . أما أجرة الحوانيت والدكاكين فقد بلغت في ذلك الوقت خمسة وأربعون ريالاً في الشهر للدكان الواحد، بل بلغت أجرة بعضها في اليوم الواحد ريالاً واحداً وهو قريب من المجيدي . وتزداد قيمة الأجرة إذا أتت القوافل إليها، حيث تبلغ أجرة الدكان في اليوم حينئذ أربعة أمثال الأجرة المعتادة . (١)

وفي مجال الزراعة تعتبر منطقة الرياض من البلاد المنتجة زراعياً كغيرها من بلاد نجد . بل إن الزراعة تعتبر أهم الحرف التي كان السكان يعتمدون عليها بعد الله في حياتهم اليومية . ففي هذه المنطقة توجد قرى كثيرة يشتغل أهلها بالزراعة، وأراض واسعة صالحة للزراعة، وثروة حيوانية تعيش على الزراعة والرعي . وأرضها معتدلة الخصوبة تنتج القمح والشعير والتمر وبعض الفواكه . (٢)

والواقع أن جميع بلدان منطقة الرياض اهتمت بالزراعة خياراً استراتيجياً للحياة هناك . ففي العاصمة الدرعية يزرع النخيل وأشجار الرمان والخوخ والمشمش وبعض أشجار العنب والليمون، كما تزرع بعض المنتجات الغذائية الأخرى مثل القمح والشعير والدخن . (٣) وفي بلاد سدير يعيش السكان على الزراعة في مختلف البلاد هناك مثل الروضة والحوطة والداخلة والعطار والعودة حتى إن هذه المنطقة عرفت بريف نجد لما تحتوي عليه من الزروع والفواكه الطيبة، والصحاري التي تنبت العشب . وفي بلدة ضرما تكثر الحنطة والشعير، وفي وادي عرقه زروع كثيرة، وخاصة البطيخ . وفي بلاد اليمامة من إقليم الخرج تكثر العيون الجارية، والأراضي الخصبة . وفي الحوطة يكثر النخيل . وفي الأفلاج أرض فيحاء واسعة كثيرة الآبار، وفيها عدة عيون غزيرة عميقة غير جارية . وفي وادي الدواسر يكثر النخيل ويكثر فيها القطن . (٤)

وفي مجال الصناعة، قامت في بلاد منطقة الرياض بعض الصناعات الخفيفة التي يحتاجها السكان في حياتهم . وتتشابه الصناعات اليدوية في هذه البلدان، ومنها صناعة السفر التي تستخدم للأكل

---

(١) الألوسي، محمود شكري، (١٣٤٣هـ)، مرجع سابق، ص ٢٥ .

(٢) آل زلفه، محمد بن عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ص ١٦٠-١٦١ .

(٣) المرجع نفسه، ص ١٦٣ .

(٤) للمزيد من التفاصيل عن الزراعة والمنتجات الزراعية في بلاد نجد عامة، وفي بلاد منطقة الرياض خاصة راجع : مؤلف مجهول، (د.ت)، مصدر سابق، ص ص ١٥٢-١٥٣ .

وتصنع من الجلود المدبوغة. ومن الصناعات اليدوية لدى سكان نجد النجارة، وصياغة الذهب والفضة، وخياطة العباءات والثياب، والحياكة. ومن جانب آخر نشأت في بلاد منطقة الرياض الصناعات التي تستخدم في مجال القتال والحرب، والتي تعتبر متقدمة قياساً على صناعات الوقت الذي وجدت فيه. وأهمها صناعة التفق والبندق المزود بفتيل، حيث شاع في جميع بلدان نجد، بل إنه بدأ تصديره إلى خارج البلاد مثل اليمن، وإلى أطراف بلاد جهينة، وكثير من أراضي الحجاز، وهو لطيف الصنعة، سريع الرمي، قليل الخطأ، بعيد الرمية، خفيف الحمل، متوسط بين الطول والقصر، يبلغ قيمة الغالي منه عشرة ريالات والرخيص ما بين خمسة وستة ريالات. ومن الصناعات المهمة صناعة السيوف في الدرعية وبلاد سدير، وكذلك صناعة أسنة الرماح والخناجر، وسرج الخيل.(١)

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن الوضع الاقتصادي في الدولة السعودية الأولى عموماً، وفي البلاد التابعة لمنطقة الرياض حالياً بخاصة اكتنفته عوامل عدة حدّت من تطوره ومن هذه العوامل:

١- أن الموارد الاقتصادية للدولة في عهد الدولة السعودية الأولى كانت تعتمد اعتماداً يكاد يكون تاماً على الرعي، والزراعة، ومنتجاتهما، وما تتقاضاه الدولة من زكاة عليها. أما الصناعة فكانت بدائية وتعتمد على الجهد الفردي، ولذلك لم تكن تشكل دخلاً للدولة، كما أن عروض التجارة كانت محدودة، ولم يكن هناك معادن تستخرج من باطن الأرض.

٢- أن الطبيعة الصحراوية للبلاد السعودية واعتمادها على مياه الأمطار جعلت اقتصادها يتذبذب بين سنة وأخرى بحسب نصيبها من مياه الأمطار.(٢)

ولذلك فمهما تحدثنا عن التطور المالي والازدهار الاقتصادي فإن الأمر لا يعدو أن يكون نسبياً، مما يجعل من الصعوبة مقارنة الموارد الاقتصادية في الدولة السعودية الأولى بموارد بعض الدول المجاورة المتقدمة زراعياً أو صناعياً.

---

(١) للمزيد من التفصيل عن الصناعات اليدوية في بلاد نجد عامة، وفي منطقة الرياض خاصة، انظر: مؤلف مجهول، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ص ١٨٩-١٩٢.

(٢) كان هذا التذبذب من الأمور التي ذكرها ابن بشر في تاريخه بحسب السنوات، وخاصة عندما يكون الأمر غير عادي. ولمزيد من التفصيل عن جوانب من أحوال السكان في بلاد منطقة الرياض في عهد الدولة السعودية الأولى، انظر: الخضيري، محمد بن سليمان، (محرم ١٤١٧هـ)، العوامل الكونية وأثرها على أحوال السكان في بلاد نجد ١١٥٨-١٣٠٩هـ، **الدارة**، السنة الثانية والعشرون، العدد الأول، صفحات متفرقة وكذلك الملاحق.

النظام المعماري:

لا يختلف نظام البناء في بلاد منطقة الرياض زمن الدولة السعودية الأولى عن غيره في بقية بلاد نجد كثيراً. وكان غالب البيوت يتكون من دور واحد حيث إن السكان في هذه المنطقة لا يحبذون البناء على نظام الطبقات العالية، وإذا أحب بعضهم أو اضطر إلى بناء غرفة أو أكثر في أعلى البيت فإنه يبنيها بأقل علو ممكن، وكانت بيوتهم تحوي فضاء واسعاً. (١) وفي منطقة الرياض توجد أعداد من القرى والمدن ما بين كبيرة وصغيرة أقيمت في أماكن مناسبة، لكنها بنيت بغير انتظام، إما في سفوح التلال أو في بطون الأودية، لكنها كانت مكتظة بالسكان. (٢)

وباعتبار الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى ومقر الحكم فإنها تحتوي على بعض النماذج الحضارية التي توضح جانباً من النظام المعماري في الدولة، وهذا يدعونا إلى بسط المزيد من المعلومات عن هذه المدينة من خلال وصف بعض من زاروها في ذلك الوقت أو سمعوا عن أهلها أو سمعوا ممن زارها.

كانت الدرعية أهم المدن في منطقة الرياض وأكثرها سكاناً، حيث قدرت مساحتها في عهد الدولة السعودية الأولى بحوالي فرسخين طولاً ونصف الفرسخ عرضاً، كما قدرت منازلها بحوالي ٢٥٠٠ منزل. وقد بنيت أجزاء منها بالحجارة والأجزاء الأخرى باللبن موزعة على ضفتي الوادي. وهي تحتوي على ٢٨ مسجداً بها مدارس لتحفيظ القرآن الكريم يتلقى فيها الطلاب الدراسة على فترتين في اليوم ما عدا يوم الجمعة. أما السوق فيتكون من متاجر مبنية من القصب مؤقتاً مما يشبه العشش تقام في وسط الوادي نفسه، وعند هطول الأمطار ينقلونها إلى مكان آخر. وفي ذلك الوقت كانت الدرعية تضم عدة أحياء هي: الطريف، والبجيري، والسريحة، وسمحان، وبريكة، والمريح، وملوى، والطوالع، والظهرة. وأهم هذه الأحياء حي الطريف الذي يقع على ضفة الوادي من الجهة الجنوبية، وهو الحي الرئيس بالدرعية الذي يوجد به قصر الحكم (قصر سلوى) وقصور الأمراء من آل سعود وبيت المال. وهناك حي البجيري ويقع على الضفة الشرقية من الوادي وبه مسجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومدرسته وبيته وبيوت أبنائه وبقية أفراد عائلته. وشمال حي البجيري يقع حي السريحة وبه بيوت

---

(١) مؤلف مجهول، (د. ت.)، مصدر سابق، ص١٨٧.

(٢) آل زلفه، محمد بن عبدالله، (١٤١٩هـ)، مرجع سابق، ص ١٦١.

ومساكن الأعيان من الأهالي، وأيضاً حي غصيبة وهي العاصمة الأولى للمنطقة. وقد أقيمت الأسوار والأبراج والحصون حول مدينة الدرعية فضلاً عن الأسوار المحيطة بكل حي من أحيائها السابقة. وكانت الدرعية مقصداً للأمراء ورؤساء القبائل والسفراء وعلية القوم وملجأ وموئلاً لكل مظلوم ومحتاج وفقير، وذاع صيتها عاصمة لدولة مترامية الأطراف يسودها الأمن والاستقرار والعزة والرخاء الاقتصادي. ويصف الألوسي مدى التطور المعماري الذي شهدته الدرعية خلال الفترة الأخيرة من عمر الدولة السعودية الأولى بأنها كانت من أعظم بلاد نجد وأحسنها بناء، وموقعاً، وأكثرها بيوتاً، وأزيدها سكاناً، وأوفرها أموالاً ورجالاً. وكانت كل بيوت البلدة مقاصير وقصوراً حتى إن من يشرف عليها من محل مرتفع يرى أمراً عظيماً ولا سيما موسمها وما فيه من جماهير الأمم والخلائق الذين يسمع لهم دوي كدوي النحل من مكان بعيد. (١)

ومن أهم القصور في الدرعية قصر سلوى، وهو مقر أمراء وأئمة آل سعود طوال حكم الدولة السعودية الأولى. وأول من بناه الإمام محمد بن سعود الذي حكم الدرعية طيلة أربعين عاماً ١١٣٩-١١٧٩هـ/ ١٧٢٥-١٧٦٥م، ولذلك فإنه يعتبر المؤسس الأول لقصر سلوى وإليه يرجع الفضل في بناء الوحدة الأولى من القصر بقسميها بالإضافة إلى المسجد الجامع واستكمال البئر. ومن الطبيعي أن يبدأ البناء من حافة الوادي الشمالية، وأن تتوالى الوحدات الأخرى بعد ذلك وتمتد إلى الجهة الجنوبية. يقع قصر سلوى في محلة سلوى بالجهة الشمالية الشرقية لحي الطريف في مقدمة الحي. ويحد القصر شمالاً وادي حنيفة وشرقاً بيت المال، وغرباً مسجد الإمام محمد بن سعود (مسجد الطريف)، وجنوباً قصر الإمام عبد الله بن سعود وقصور إخوته الأمراء فهد وإبراهيم وغيرهم من أبناء الإمام سعود ابن عبد العزيز، كما يوجد بالجهة الغربية البئر التي كانت تغذي سكان القصر بالماء.

ويعتبر القصر أكبر قصور مدينة الدرعية بصفة خاصة، ومنطقة نجد وما جاورها بصفة عامة، حيث أقيم على مساحة تقارب عشرة آلاف متر مربع، ويتكون من سبعة وحدات معمارية. وقد شيد القصر بإتقان ومهارة ودقة في التخطيط المعماري حيث تتعدد فيه الطوابق مما لم يكن مألوفاً في ذلك الوقت. وقد تم بناؤه على أيدي فنيين وعمال مهرة من المتخصصين في مختلف المهن والحرف من أبناء المنطقة. وتقدر تكاليف بناء القصر، طبقاً للأسعار السائدة حين ذاك، بنحو مائتي ألف ريال.

---

(١) الألوسي، محمود شكري، (١٣٤٣هـ)، مرجع سابق، ص ٢٥.

وعلى مقربة من قصر سلوى يقع قصر آخر يدعى قصر بيت المال وهو دائري الشكل تقع على أسواره بعض الأبراج . ومن الجهة الغربية من القصر الكبير توجد بقايا مسجد الطريف القديم .(١)

ومن الآثار الباقية في الدرعية اليوم قصر الإمام عبد الله بن سعود الواقع في حارة سلوى التي تقع بالجهة الشمالية الشرقية من حي الطريف . (٢) وهو مبني من الطين ولا تزال جدران القصر قائمة حتى الآن رغم طول المدة ، ويبلغ سمك الجدار الواحد منها حوالي متر ونصف المتر ، وقد شيدت أساساته من الحجارة المقصّبة المقطوعة من جبال الدرعية إلى علو مترين تقريباً ، أما بقية أجزاء البناء فقد جرى بناؤه من اللبن والطين . ويقوم في الركن الجنوبي من القصر برج عال يستخدم للمراقبة يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثين متراً . ويمتد من القصر طريق مدرّج من الحجارة المطابقة يطلق عليه "درب فيصل" ويفضي إلى "الدريشة" وهي قلعة تقع على ربوة عالية تشرف على الوادي والهضاب المحيطة به . وحول هذه القلعة منبسط من الأرض يسمى "كوع الخيل" كانت تربط فيه الخيول . ومن هذه القلعة يستطيع الزائر أن يرى عدداً كبيراً من الأبراج القائمة على ضفتي الوادي .

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن الدرعية وآثارها ، وخاصة قصر الإمام عبدالله بن سعود ، وقصر الحكم (قصر سلوى) راجع : آل زلفه ، محمد بن عبدالله ، (١٤١٩هـ) ، مرجع سابق ، ص ١٦٢-١٦٣ : مكتب المهندس زهير كامل ياسين ، (د.ت.) ، مرجع سابق ، ص ص٨ ، ١٠-١١ ؛ إبراهيم ، سيد محمد ، (١٣٩٣هـ) ، مرجع سابق ، ص ص ٦١ ، ٦٦ .

(٢) صدر الأمر السامي الكريم عام ١٣٩٣هـ بالموافقة على مشروع إحياء وتطوير مدينة الدرعية . ومنذ ذلك الوقت اتخذت الخطوات العملية لبدء الترميم حيث تم تسجيل الآثار التي سيشملها الترميم وهي : قصر ناصر بن سعود ومسجد سعد ، وقصر سلوى ، وبيت المال ، وقصر سعد ، وحمام الطريف ، وقصر ثنيان ، وأسوار وأبراج حي الطريف . ولمزيد من المعلومات انظر : مكتب المهندس زهير كامل ياسين ، (د.ت.) ، مرجع سابق ، ص ٣ .

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق:

دار الوثائق القومية بالقاهرة، محافظ بحر برا، محفظة ١٦ ، **وثيقة ١٢٢** .

دار الوثائق القومية بالقاهرة، من إبراهيم باشا إلى محمد علي، محفظة ٥ بحر برا، **وثيقة رقم ١٨٦** ، بتاريخ ١٧ ربيع ١٢٣٣هـ ٢٥ يناير ١٨١٨م.

دار الوثائق القومية بالقاهرة، من إبراهيم باشا إلى محمد علي، محفظة ٥ بحر برا، **وثيقة رقم ٩٤** ، بتاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣هـ/ ١٣ يوليو ١٨١٨م.

دار الوثائق القومية بالقاهرة، من حسن باشا إلى محمد علي، محفظة ٤ ، **وثيقة رقم ١٨ ،** بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٣٢هـ ١٢ يونية ١٨١٧م

دار الوثائق القومية بالقاهرة، من محمد علي إلى الباب العالي، دفتر ١ ، معية تركي، **وثيقة رقم٤** ، بتاريخ ذي الحجة ١٢٢٢هـ ديسمبر ١٨٠٧م.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ١٦٥** ، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٢٨هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ١٧٤** ، من محمد علي باشا إلى السلطان، بتاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ١٩٠** ، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٠هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ١٩٢** ، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٤هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ١٩٧** ، من محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٣٣٢هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ٢٠٢**، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان بوساطة رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ٢٠٣**، من محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ٢٠٧**، من محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١ جمادى الأول ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١- ٢٠٨**، من محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-١٢٠**، من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم، بتاريخ ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-١٢٤**، من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم، بتاريخ ١٣٣٢هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-١٥٢**، من والي مصر محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٢٣٣هـ

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٧٢**، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٧٤**، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٣ رجب ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٧٥**، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١٩ رمضان ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٧٦**، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ١ ذو القعدة ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٧٧**، من والي مصر محمد علي باشا إلى رئيس الكتاب، تاريخ ١٠ ذي الحجة ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٧٨**، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٢٧ ذي الحجة، ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٧٩**، من محمد علي باشا إلى السلطان، بتاريخ ١٢٣٣هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٥/ ١-٨٤**، من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان، تاريخ ٢٤ رجب ١٢٣٤هـ.

ثانياً : المصادر العربية:

ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات الجزري، (د. ت.)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية.

ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (ط ١٤٠٢هـ)، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق وتعليق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د.ت.)، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر**، وزارة المعارف.

ابن غنام، حسين، (ط ١٣٦٨هـ)، **تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، المدني، القاهرة.

الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، (١٣٨٨هـ)، **بلاد العرب**، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الجبرتي، عبدالرحمن، (د.ت.)، **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، دار الفارس، بيروت.

العصامي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك، (ت ١١١١هـ - ط ١٣٧٩ هـ)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

الفاخري، محمد بن عمر، (د.ت.)، **الأخبار النجدية**، دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

مؤلف مجهول، (د.ت.)، **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب**، نسخه حسن بن جمال بن أحمد الريكي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود، (١٣٩٤هـ)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، وانظر كذلك طبعة السعادة بمصر (١٩٥٣م)، تحقيق محمد بن عبد الله بن بليهد.

ثالثاً: المراجع العربية:

أبو العلا، محمود طه، (١٩٧٢م)، **جغرافية شبه جزيرة العرب**، ج٢، جغرافية المملكة العربية السعودية، مؤسسة سجل العرب، القاهرة.

الإدارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف، (د.ت.)، **امتداد قصر سلوى وقصر عبدالله بن سعود**، حي الطريف - الدرعية، مكتب المهندس زهير كامل ياسين، الرياض.

آل بسام، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (ت ١٣٤٦هـ تقريبا)، **(مخطوط) كتاب تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، نقله عن الأصل الخطي نور الدين شريبة، سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، صورة مخطوطة في دارة الملك عبد العزيز.

آل زلفه، محمد بن عبد الله، (١٤١٩هـ)، الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود الكبير ١٢١٨-١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣-١٨١٤م العاصمة والحكومة والسكان كما وردت في تقارير جوزيف روسو القنصل الفرنسي في حلب، **الدرعية**، السنة الأولى، العدد الأول.

آل عبد المحسن، إبراهيم بن عبيد، (د.ت.)، **تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان**، مطابع مؤسسة النور للطباعة والنشر، الرياض، ج١، ص ٥٦.

الألوسي، محمود شكري، (١٣٤٣هـ)، **تاريخ نجد**، تحقيق محمد بهجت الأثري، مكتبة مدبولي، القاهرة.

أمين، أحمد، (١٩٧١م)، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، **معجم اليمامة**، مطبعة الفرزدق، الرياض.

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٤٠٢هـ)، **الدرعية**، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

با وزير، سعيد عوض، (١٣٨٥هـ)، **معالم تاريخ الجزيرة العربية**، مؤسسة الصكبان، عدن.

التركي، عبدالله بن عبدالمحسن، (١٤١٨هـ)، **الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة**، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض.

الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الجاسر، حمد، (١٤٠١هـ)، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، القسم الثاني، منشورات دار اليمامة، الرياض.

حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، **قلب جزيرة العرب**، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

الخضيري، محمد بن سليمان، (محرم ١٤١٧هـ)، العوامل الكونية وأثرها على أحوال السكان في بلاد نجد ١١٥٨-١٣٠٩هـ، **الدارة**، العدد الأول السنة الثانية والعشرون.

الدريهم، سعد بن عبد الرحمن، (١٤١٣)، **الخرج**، سلسلة هذه بلادنا رقم ٤٠، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

ديكسون، هـ. ر. ب.، (١٩٦٤)، **الكويت وجاراتها**، نشره جاسم مبارك الجاسم.

الرافعي، عبدالرحمن، (١٣٧٠هـ)، **عصر محمد علي**، مطبعة الفكرة، القاهرة.

الرويشد، عبد الرحمن سليمان، (د. ت.)، **قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي، وروعة الحاضر**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض.

الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، **تاريخ نجد وملحقاته**، مؤسسة دار الريحاني، بيروت.

الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، ج١، دار العلم للملايين، بيروت.

السباعي، أحمد، (١٣٨٠هـ)، **تاريخ مكة**، مكتبة الثقافة، مكة المكرمة.

سعيد، أمين، (١٣٩٥هـ)، **سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

سعيد، أمين، (د. ت.)، **تاريخ الدولة السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ١٢٠.

السلمان، محمد بن عبد الله، (١٤١٥هـ)، **توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

الشبل، عبدالله بن يوسف، (د. ت.)، **الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب حياته ودعوته**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

الشويعر، محمد بن سعد، (شوال ١٤١٧هـ)، الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مكانتها السياسية والتاريخية والحضارية، **الدارة**، العدد الرابع، السنة الثانية والعشرون.

الصقري، صالح حمد (١٣٩٨هـ)، **العلاقات السياسية لأشراف مكة بنجد في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٤٠٧هـ)، **الدولة السعودية الأولى**، دار الكتاب الجامعي، القاهرة.

العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٩هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، مطابع الشريف، الرياض.

العثيمين، عبدالله الصالح، (د. ت.)، **الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره**، دار العلوم، الرياض.

العجلاني، منير، (د. ت.)، **تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد سعود**.

العجلاني، منير، (د. ت.)، **تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد عبدالعزيز**.

العجلاني، منير، (د. ت.)، **تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد عبدالله بن سعود**.

العجلاني، منير، (د. ت.)، **تاريخ البلاد العربية السعودية، عهد محمد بن سعود**.

عسه، أحمد، (١٣٩١هـ)، **معجزة فوق الرمال**، المطابع الأهلية اللبنانية.

العيسى، محمد الفهد، (١٣٨٦هـ)، مدينة الدرعية القاعدة الأولى للدولة السعودية، **مجلة العرب**، الجزء الرابع، السنة الأولى.

غرايبة، عبدالكريم محمود، (١٣٨٠هـ)، **مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٨م**، الجزء الأول العراق والجزيرة العربية، مطبعة جامعة دمشق، دمشق.

الكليب، فهد بن عبد العزيز، (١٤١٠هـ)، **الرياض ماض تليد وحاضر مجيد**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض

لوريمر، ج.ج. (١٩٧٦م)، **دليل الخليج**، القسم التاريخي، مكتب سمو أمير دولة قطر، الدوحة.

محمد، عبدالرحمن فهمي، (١٩٦٤م)، **النقود العربية ماضيها وحاضرها**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

المسعود، عبد الرزاق بن أحمد اليوسف، (١٤٠٨هـ)، **الزلفي**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ١٣، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

المعجل، عبد الله بن عبد الكريم، (١٤١١هـ)، **حوطة سدير**، سلسلة هذه بلادنا رقم ٣١، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الموسوعة العربية العالمية، (١٤١٦هـ)، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ج ١٠، الرياض.

وهبة، حافظ، (١٣٨٧هـ)، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

رابعاً: المصادر والمراجع الأجنبية:

Gibb, H.A.R.; Kramers, J. H., (1934), **Shorter Encyclopedia of Islam**, (Wahhabiya). Leiden.

Lorimer, J.G, (1986), **Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia,** Archive Edition.

Playfair, R. L., (1959), **A History of Arabia Felix or Yemen, from the commencement of Christian Era to the present time,** Education Societys press, Bombay.

Sadlier, G. F., (1866), **Dairy of A Journey Across Arabia from El Khatif in Persian Gulf, to Yambo in the Red Sea, during the year 1819,** Bombay.

Winder, Bayly, R., (1965), **Saudi Arabia in the Nineteenth century**, Macmillan, New York.

الفصل الثالث

تاريخ منطقة الرياض خلال عهد الدولة السعودية الثانية

إعداد

الدكتور

محمد بن علي عسيري

قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

تمهيد:

لم يمض على سقوط الدولة السعودية الأولى وتخريب عاصمتها الدرعية سنة ١٢٣٣هـ-١٨١٨م، إلا زمن يسير حتى هبت القوى المختلفة في منطقة الرياض إلى طرد المعتدين وإحياء الدولة التي هي رمز وحدتهم وقوتهم واجتماع كلمتهم على مبادئ الدعوة الإصلاحية التي لم يفلح المعتدي في تخريبها كما خرب مدينة الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، أو انتزاعها كما انتزع الحكم من آل سعود، بل ظلت كامنة في النفوس ومشعلاً يضيء الطريق لنهضة عظيمة بدأت تلوح في أفق الجزيرة العربية.

ولقد كان المجتمع النجدي يكن الولاء للأسرة السعودية التي تبنت مبادئ هذه الدعوة الإصلاحية ونصرتها، وأقامت لهم دولة قوية هي الدولة السعودية الأولى، وتولت الدفاع عنهم ضد كل طامع يهدف إلى النيل من استقلالهم وإخضاعهم لأي نفوذ أجنبي يريد أن يسلبهم الحرية التي هي أغلى شيء بعد العقيدة عند ابن الصحراء. لذلك لا نستغرب قيام الثورات ضد قوات محمد علي في منطقة الرياض وإبراهيم باشا لا يزال فيها ولم يغادرها بعد حتى كاد يقتل في إحدى حملاته التأديبية في المنطقة.(١)

وزاد من كراهية أبناء المنطقة للحكم الأجنبي ما قام به الجند العثمانيون من سوء معاملة الأهالي والسلب والنهب والقتل والتعذيب والأسر والتخريب.(٢)

وبعد رحيل إبراهيم باشا بقواته إلى مصر سنة ١٢٣٤هـ-١٨١٨م حدث ما كان متوقعاً نتيجة انعدام السلطة القوية، إذ دبت الفوضى السياسية وتجددت الضغائن بين زعماء منطقة الرياض، وسيطر الخوف على كثير من سكانها لاختلال الأمن، فبات عدد غير قليل منهم يتوقون إلى الخلاص من الحالة التي وصلوا إليها.(٣)

وفي هذه الأثناء ظهر في منطقة الرياض محمد بن مشاري بن معمر محاولاً إقامة دولة له متخذاً من الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى مقراً له، وكان محمد بن مشاري بن معمر قد اشترك مع أفراد

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، جزءان، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض؛ والعثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ج١، ط٤، مطابع الشريف، الرياض، ص٢٠٣.

(٢) أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٤٠١هـ)، **الدولة السعودية الثانية**، مؤسسة الأنوار، الرياض، ص٣٠.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ٢١٨؛ والعثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص٢٠٤.

أسرته في الدفاع عن الدرعية أثناء حصار إبراهيم باشا لها، وأقام ابن معمّر في بلدة العيينة التي كانت إمارتها لأسرته قبل قيام الدولة السعودية الأولى. وكان إبراهيم باشا يعده من الأصدقاء لا من الخصوم وعامله بود واحترام. وبعد أن انسحب إبراهيم بقواته من نجد راودت محمد بن مشاري فكرة إقامة دولة في هذه المنطقة، ولعل مما شجعه على ذلك الفراغ السياسي الذي نجم عن إبعاد آل سعود من المنطقة، وأنه يمت بصلة مصاهرة لآل سعود لأن خاله هو عبدالعزيز بن محمد بن سعود، كما أنه يمتلك كثيراً من الأموال والأسلحة حيث لم يمسه إبراهيم باشا بسوء.[١]

ومن ثم عاد إلى الدرعية في أواخر عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م فأخذ يعيد بناءها وأظهر إعلان الدعوة، ودعا قادة المنطقة إلى مبايعته، لكن بعض القادة النجديين[٢] رأوا في حركته مصدر خطر عليهم، فاتصلوا بزعماء بني خالد وحثوهم على التوجه إلى نجد للقضاء على حركة ابن معمر في مهدها، ولذلك توجه ماجد بن عريعر بأتباعه إلى نجد، ولكن ابن معمر أرسل إلى ماجد بعض الهدايا وأخبره بأنه تابع للسلطان العثماني، وبهذا تخلص ابن معمر من الخطر الذي أحدق به.[٣]

وبمرور الوقت ازدادت شعبية ابن معمر لدى النجديين، وعمل على الحد من ارتفاع الأسعار في الدرعية بما استقدمه من قوافل للطعام. وعاد إلى الدرعية كثير ممن تركوها قبيل استسلامها لإبراهيم باشا، ومن بين هؤلاء تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، وأخوه زيد، اللذان أخذا يساعدان ابن معمر في نشاطه، واستقرت الأمور في نجد لابن معمر بعد أن أخضع حريملاء بمساعدة زيد بن عبدالله بن محمد بن سعود. ثم دانت له بعض البلدان النجدية الأخرى بالولاء.[٤]

ولكن ذلك لم يدم طويلاً، فقد حدث أن مشاري بن سعود أخا الإمام عبدالله بن سعود هرب من حراسه أثناء إرساله إلى مصر مع آل سعود، ووصل إلى الوشم، حيث انضم إليه بعض الأعوان من أهل

---

(١) العجلاني، منير، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص٧٨.

(٢) من هؤلاء القادة النجديين؛ أمير الرياض ناصر العائدي، وأمير حريملاء حمد بن مبارك، وأمير الخرج زيد بن زامل. انظر: الذكير، مقبل بن عبدالعزيز، (مخطوط)، **العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية**، ص ٣٢، -صورة في دارة الملك عبدالعزيز رقم ٥٧٠.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ص٢١٩-٢٢١.

(٤) الذكير، مقبل بن عبدالعزيز، مرجع سابق، مخطوط-ص رقم ٣٢.

القصيم والزلفي وثرمداء وغيرهم، فاتجه بهم إلى الدرعية ودخلها في العاشر من جمادى الآخرة عام ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م، ولم يجد ابن معمر أمامه حلاً إلا أن يتنازل له عن الحكم،[١] وما إن بويع مشاري ابن سعود بالحكم في الدرعية حتى قدم إليه عدد من أفراد الأسرة السعودية، الذين هربوا من تلك المدينة وقت استسلامها لإبراهيم باشا، كما أيده تركي بن عبدالله وعضّده، ثم قدمت إليه وفود من سدير والوشم والعارض والمحمل وغيرهم من مناطق نجد. وبعد أن اطمأن مشاري لقواته جمع أتباعه واتجه بهم إلى الخرج حيث استولى عليها، واتجه إلى الدلم فدانت له، ثم رجع قافلاً إلى وطنه (الدرعية).[٢]

ندم ابن معمر على تخليه عن الإمارة لمشاري بن سعود ومبايعته له، وأعدّ خطة محكمة لاسترجاع الإمارة، فانتقل من الدرعية إلى سدوس وهناك اعتكف في داره بحجة أنه مريض، ولكنه كان يكاتب سراً من يعتقد فيهم الميل إليه وكراهية مشاري، خاصة رؤساء حريملاء الذين طلبوا منه المجيء إلى بلدهم ووعدوه المؤازرة والمناصرة، فانتقل إلى حريملاء، ومن هناك كتب إلى فيصل الدويش زعيم قبيلة مطير أن يمده بالمقاتلين ففعل، وسار إلى الدرعية دون أن يشعر به أحد ودخلها في غفلة، وغدر بمشاري بن سعود، وأرسله أسيراً إلى سدوس، ثم توجه ابن معمر بقواته إلى الرياض، وكان تركي بن عبدالله مقيماً فيها فغادرها قبل أن يقع هو الآخر أسيراً لابن معمر.[٣]

وكان محمد علي والي مصر يتابع الأحداث النجدية باهتمام بالغ عن طريق مصادره المتعددة في الجزيرة العربية، وأرسل إلى السلطان العثماني يستأذنه في إرسال قواته للقضاء على مشاري بن سعود.[٤] وبعث بفرقة من الجيش بقيادة آبوش آغا إلى عنيزة، وكان ابن معمر قد سبقه إلى الدرعية، وأخبره بأن الأعمال التي يقوم بها إنما هي في صالح محمد علي والدولة العثمانية، فأمّره آبوش أغا على أعماله وأيد إمارته على المنطقة.[٥] بعدما وعده بتسليم مشاري بن سعود إليه.

---

(١) آل بسام، عبدالله بن محمد، (مخطوط)، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، ص ١١٧، نسخة مصورة بمكتبة دارة الملك عبدالعزيز، رقم ٢١٠.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ص٢٢٢-٢٢٣.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ص٢٢٣-٢٢٤؛ العجلاني، منير، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق ص٩٥.

(٤) المصدر السابق، ص ص٩٠-٩٤.

(٥) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص٢٢٤.

المبحث الأول

الإمام تركي بن عبدالله وقيام الدولة السعودية الثانية في منطقة الرياض

لما غدر ابن معمر بمشاري بن سعود صمم تركي بن عبدالله أن يعيد الحق إلى نصابه، وكان تركي قد اتجه إلى ضرما بعد تركه الرياض، وأرسل ابن معمر قوة بقيادة ابنه مشاري للقبض على تركي وأعوانه هناك، ولكنه فشل في مهمته، وبايع أهل ضرما تركي بن عبدالله، وكذلك أتى إليه أناس من أهل الجنوب وسبيع وغيرهم.(١)

ومن ضرما قصد تركي بن عبدالله الدرعية في ربيع الأول عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م، وتمكن من ابن معمر وحبسه، ثم توجه إلى الرياض، فاستولى عليها، وقبض على أميرها مشاري بن محمد بن مشاري ابن معمر، وفي محاولة من تركي لإنقاذ مشاري بن سعود، وعد بإطلاق سراح ابن معمر وولده مقابل إطلاق سراح مشاري بن سعود،(٢) وكتب ابن معمر إلى عشيرته في سدوس راجياً إطلاق سراح مشاري بن سعود، ولكنهم امتنعوا خوفاً من الترك، وقاموا بتسليمه لهم، فلما تحقق تركي من أن مشاري بن سعود سُلّم للعثمانيين، ضرب عنق ابن معمر وولده في آخر ربيع الأول عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م؛ لأنهما تسببا في موت مشاري بن سعود في سجنه بعنيزة.(٣) وبذلك بدأ حكم الإمام تركي بن عبدالله الذي يعد المؤسس الأول للدولة السعودية الثانية.

ولكن هذا النجاح الذي حققه تركي بن عبدالله وظهوره بتلك الصورة وبهذا النشاط كان مصدر قلق لمحمد علي وممثله أبوش آغا، ولذلك قام محمد علي بإرسال قوات جديدة مع حسن بك عزّز بها قوات أبوش آغا، وانطلقت القوات من القصيم إلى الوشم ثم إلى الرياض. وحوصر تركي بن عبدالله وأنصاره في قصر الإمارة. ولما اشتد الحصار تسلل تركي من القصر ليلاً إلى خارج المدينة متجهاً إلى

---

(١) العجلاني، منير، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ص٩٦-٩٧.

(٢) الذكير، مقبل بن عبدالعزيز، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص٢٢٤.

جنوب نجد، ومعه عدد قليل من أعوانه، حيث أدرك عجزه عن المقاومة. وطلب الذين حوصروا معه في مدينة الرياض الأمان واستسلموا، لكن غُدر بهم وقُتل أكثرهم.[١] ولم يكتف حسن بك بهذا بل قتل مائتين وثلاثين رجلاً من أهل الدرعية، وفرّق ضباطه في بعض البلدان النجدية ليقوموا بالقتل والتعذيب ومصادرة الأموال. ثم انسحب بقواته من نجد، تاركاً حاميات صغيرة في كل من الرياض ومنفوحة وثرمداء وعنيزة.[٢]

وتجددت الاضطرابات بين الزعامات المحلية في منطقة الرياض، ولذلك قدمت إلى المنطقة حملة عسكرية جديدة بقيادة حسين أبو ظاهر قامت بالغدر والظلم والجور كما هي عادة حملات محمد علي، ولكن صبر السكان نفد أمام هذه الإجراءات التعسفية، فكان لابد من المقاومة والثورة. وبدأت قبيلة سبيع بذلك في أواخر عام ١٢٣٧هـ، حيث قتلت في الحائر أكثر من ثلاثمائة رجل.[٣] ولم يبق في منطقة الرياض من قوات محمد علي إلا ما كان في منفوحة والرياض، ولم تستطع قوات محمد علي القضاء على إيمان السكان في نجد، فلقد كان إيماناً متغلغلاً في أعماق نفوسهم، ولم تستطع أن تنتزع من قلوب الشعب هذا الحنين القوي إلى أمجادهم، وهذا الولاء الخالص لزعمائهم الأوائل الذين بنوا لهم الأمجاد بدمائهم الزكية وشجاعتهم الخارقة وسهرهم الدائم الموصول على أمن الشعب وعزمه.[٤]

وفي رمضان عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م استأنف الإمام تركي بن عبدالله نشاطه ضد العثمانيين، فقام بجمع قوة كافية وصل بها إلى عرقة -بين الرياض والدرعية- وما كان الإمام تركي بقادر على جمع الناس حوله، لولا توفيق الله ثم إن أهل نجد وجدوا فيه البطل العظيم والمجاهد المؤمن الذي حمل سيف الإسلام ورفع راية التوحيد، بالإضافة إلى عاطفة الولاء التي جاشت في أعماق نفوس أهل نجد نحو آل سعود، وكان تركي في نظرهم الوارث المرتجى لآل سعود تجسدت في بطولته آمال أهل نجد في حرية البلاد ووحدتها وقوتها.[٥]

---

(١) المصدر السابق، ص٢٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص ص٢٢٧-٢٢٩.

(٣) آل بسام، عبدالله بن محمد، مرجع سابق، ص رقم ١٢٠.

(٤) العجلاني، منير، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص١٠٦.

(٥) المرجع السابق، ص١٠٧.

استقر الإمام تركي بن عبدالله في عرقة برجاله وسلاحه، حيث وفد عليه أمير ناحية الوشم حمد بن يحيى، وفشلت القوات العثمانية التي حاصرته في عرقة، حيث قاومهم ببسالة وصبر واضطرهم إلى الانسحاب، وكاتب أهل الخرج، وثرمداء، وحريملاء واستولى على ضرما بالقوة، كما كاتب أهل جلاجل، وسُدير، والروضة، والتويم، وثادق حتى لانت قلوبهم، وكتب إلى أهل سدير، فركب إليه جميع رؤساء سدير وبايعوه. كما بايعه أهل جلاجل والزلفي والغاط وغيرهم، وامتنع أهل حريملاء فهددهم فبايعوه. وهكذا وبتوفيق من الله ثم بسبب سياسته الحكيمة اجتمع حول الإمام تركي بن عبدالله من أهل نجد بالسلم أكثر مما اجتمع حوله بالحرب. وبدأ في محاربة الحاميتين العثمانيتين في منفوحة والرياض، واستمر في حربهما أكثر من عام.(١) وفي أواخر عام ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م تقدمت قوات الإمام تركي إلى منفوحة وأجبرت حاميتها على الانسحاب منها واستولت عليها.(٢)

وفي بداية عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م تقدم الإمام تركي بن عبدالله بقواته من منفوحة إلى الرياض، واشتبك مع حاميتها العثمانية في أكثر من موقعة خسر فيها الفريقان العديد من القتلى، وحاصرت قوات الإمام الرياض أكثر من شهر، واستولت على إنتاجها من التمر الذي أوشك على النضج، ودمّرت المزروعات، ثم رفعت الحصار عنها حينما وصل فيصل الدويش بعربانه لنجدتها. وعاد الإمام لحصار الرياض مرة أخرى بعد رحيل الدويش، فاضطر أبو علي المغربي قائد الحامية العثمانية في الرياض إلى طلب الصلح، فوافق الإمام تركي بن عبدالله على أن يخرج المغربي بقواته وأسلحته من الرياض، وأن يؤمن أهل الرياض الذين تعاونوا معه على أرواحهم وأموالهم.(٣)

ودخلت القوات السعودية الرياض بقيادة مشاري بن ناصر آل سعود. أما الإمام تركي فقد توجه مع أعوانه إلى الوشم ونزل ثرمداء وبايعه رئيسها على السمع والطاعة، ورحل معه إلى شقراء حيث أراد الإمام تركي بن عبدالله أن يقطع خط الرجعة على القوات العثمانية المنسحبة من الرياض خشية أن تحاول هذه القوات احتلال هذه المنطقة لمعاودة الهجوم منها على الرياض مرة أخرى، وأقام في شقراء شهراً، وخلال هذا الشهر وفد إليه أمير بلدة عنيزة يحيى بن سليم مبايعاً على السمع والطاعة.(٤)

(١) الذكير، مقبل بن عبدالعزيز، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص٢٢٥.

(٣) آل بسام، عبدالله بن محمد، مرجع سابق، ص رقم ١٢٣.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص١٧.

وهكذا كان استرداد الإمام تركي بن عبدالله للرياض في بداية ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م وجلاء القوات العثمانية عنها إيذاناً بقيام الدولة السعودية الثانية التي تعتبر امتداداً طبيعياً للدولة السعودية الأولى ومكملة لمسيرتها، بل إن سقوط الدرعية في يد القوات العثمانية رغم أهميتها لم يكن إلا حدثاً طارئاً استطاع رجال الدولة السعودية الثانية احتواء آثاره خلال فترة وجيزة من الزمن، ولعل ذلك يرجع في الغالب إلى أن الدولة السعودية قامت على مبادئ الدعوة السلفية التي لم تستطع القوات العثمانية انتزاع مبادئها السامية من قلوب النجديين، الذين ظلوا على ولائهم للدولة السعودية التي آمنت بهذه الدعوة وجاهدت في سبيلها. ولذلك فبمجرد رحيل قوات إبراهيم باشا لم يجد القادة السعوديون صعوبة في تجنيد الطاقات لإقامة الدولة السعودية مرة ثانية.

الإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية:

يعتبر الإمام تركي بن عبدالله هو المؤسس الأول للدولة السعودية الثانية خلاف ما يعتقده قلة من المؤرخين،(١) حيث قام بطرد قوات محمد علي من المنطقة، واستولى على الرياض واتخذها عاصمة لحكمه، ومنها انطلق لتوطيد نفوذه في كل الأقاليم النجدية، خاصة وأن محمد علي حاول أن يقضي على أي حركة يقوم بها أحد أفراد آل سعود بعد القضاء على دولتهم الأولى، وقد ظهر هذا واضحاً وجلياً سواء في محاولة خنق حركة مشاري بن سعود بواسطة أعوان محمد علي، أو التدخل المباشر لضرب محاولة تركي بن عبدالله، وكان العداء واضحاً بين قوات محمد علي والإمام تركي، ونجاح الأخير في طرد قوات محمد علي يعتبر أهم العوامل التي ساعدت في قيام الدولة السعودية الثانية، حيث إنه بمجرد جلاء القوات عن بلاد نجد، بدأ رؤساء بعض بلدانه يفدون إلى الإمام تركي ليبايعوه إماماً لهم، والبعض الآخر -وهم قلة- احتاج إلى استخدام القوة. ولم ينته عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م إلا وإقليم نجد قد دخل بأكمله في طاعة الإمام تركي بما في ذلك القصيم وجبل شمر. وقبل أن يقتل كان نفوذ دولته يشمل نجداً والأحساء وأجزاء من عمان، ولم تتسع الدولة السعودية الثانية في عهد فيصل أكثر مما اتسعت في عهد أبيه.(٢)

---

(١) منهم؛ أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٤١١هـ)، مرجع سابق، ص ص٤٠-٤١.

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع: العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٤هـ)، **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية**، دار الهلال، الرياض، ص ص١٤٧-١٥٢.

ولم يحاول محمد علي أو حكومة الحجاز التدخل في شؤون نجد بصورة مباشرة طوال حكم الإمام تركي، الذي مارس حكمه وقام بتعيين العمال والقضاة على جميع البلدان التي خضعت لنفوذه في منطقة الرياض والمناطق الأخرى كالأحساء والساحل العماني، وقد اتبع كل الأنظمة التي سار عليها أسلافه أئمة الدولة السعودية الأولى.[(١)]

الرياض قاعدة الحكم السعودي:

لقد ظلت الدرعية هي قاعدة حكم الدولة السعودية الأولى إلى نهايتها بعد استسلام الإمام عبدالله ابن سعود في الثامن من ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م للقوات الغازية -قوات إبراهيم باشا- وقد أعقب ذلك قيام المعتدي (إبراهيم باشا) بتدمير الدرعية ونهبها، والانتقام الغادر من سكانها؛ إمعاناً في القضاء على مقومات الدولة، وإرهاباً لأنصارها حتى لا تقوم لها قائمة كما سبق إيضاح ذلك بالتفصيل.

ويعد الإمام تركي بن عبدالله أول من اتخذ من الرياض قاعدة للحكم السعودي بعد نجاح جهوده في تأسيس الدولة السعودية الثانية سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م وأصبحت الرياض منذ ذلك العهد إلى الوقت الحاضر قاعدة للحكم السعودي وعاصمة للمملكة العربية السعودية. وترجع أسباب اختيار الإمام تركي ابن عبدالله للرياض لتكون قاعدة لحكمه وتفضيلها على الدرعية إلى عدة عوامل منها: أن إبراهيم باشا دمر الدرعية كما سبق ويصعب إعمارها في فترة قصيرة وظروف الدولة تتطلب وجود مقر عمار لتتمكن من ممارسة نشاطها الحربي والسياسي والإداري، إضافة إلى قوة تحصين الرياض وأهمها السور الذي طالما رد كثيراً من الهجمات ضدها.[(٢)] على عكس الدرعية التي خرب إبراهيم باشا سورها فأصبحت مفتوحة أمام الغزاة.

يضاف إلى ذلك كثرة مزارع الرياض[(٣)] ونخيلها التي تنتشر بكثرة فيما حولها، أكثر من الدرعية التي تتركز زراعتها ونخيلها على ضفاف وادي حنيفة فقط، وهي قليلة على كل حال مقارنة بمزارع مدينة الرياض.

---

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، **محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤-١٢٥٦هـ/ ١٨١٩-١٨٤٠م**، ج٢، ط١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ص٢٧٣.

(٢) راجع ما سبق تفصيله في الدولة السعودية الأولى من هجمات الإمام محمد بن سعود وابنه عبدالعزيز على الرياض التي بلغت ٣٥ غزوة خلال الفترة ما بين عام ١١٥٩-١١٨٧هـ.

(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٤هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٢١٠.

وبمناسبة اتخاذ الإمام تركي بن عبدالله الرياض قاعدة لحكمه واستمرار خلفائه على نفس سياسته حتى أصبحت الرياض اليوم عاصمة المملكة العربية السعودية وكبرى مدنها، وأعظم مدينة تربض في قلب الصحراء، فإنه من المستحسن إعطاء نبذة تاريخية عن هذه المدينة ونشأتها وتطورها، وأهم معالمها في عصر الدولة السعودية الثانية، مع ملاحظة عدم تكرار ما سبق تفصيله في الفصول السابقة.

نشأة مدينة الرياض وتسميتها:

يتفق أغلب الباحثين المحققين[(١)] على أن مدينة الرياض قد قامت على أنقاض مدينة حَجْر القديمة.[(٢)] ولكي نقف على كيفية ظهور مدينة الرياض على أنقاض مدينة حَجْر لا بد لنا من تتبع ما ورد عن مدينة حَجْر بعد القرن الثامن إلى اختفاء اسمها، وظهور اسم الرياض على أنقاضها. وفي هذا الصدد يجد الباحث صعوبة كبيرة في تتبع تاريخ مدينة حَجْر في هذه الفترة الغامضة من تاريخ المنطقة، بسبب قلة المصادر إلا من بعض الإشارات البسيطة التي تذكر اسم حَجْر ومنها: في منتصف القرن التاسع الهجري وفَدَ ربيعة بن مانع المريدي على ابن عمه ابن درع صاحب حَجْر والجزعة من الدرعية بالقطيف فأقطعه المُلَيْبيد وغُصَيْبَة وما بينهما في مكان الدرعية الآن فسماه من يومئذٍ باسم الدرعية. وربيعة بن مانع هو الجد الثاني عشر للملك عبدالعزيز (رحمه الله).[(٣)]

وكانت هذه آخر إشارة إلى حَجْر في المصادر التاريخية مما يدل على أن شأن مدينة حَجْر المشهورة قد بدأ يتضاءل ويضعف نتيجة لعوامل كثيرة ليس هذا مجال التفصيل فيها. وبدأ اسم حَجْر يختفي شيئاً فشيئاً، في حين بدأت تظهر مكانه أسماء جديدة مثل مقرن ومعكال وهي كيانات متنافسة كل منها تدعي الزعامة وتحتضن السلطة، وتقوم بينها المنافسات والحروب.[(٤)]

---

(١) ابن بليهد، محمد بن عبدالله، (١٣٩٩هـ)، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار**، ج١، القاهرة، ص ص١٩٩-٢٠٤.

الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، ط١، منشورات دار اليمامة، الرياض، ص ص٩-١٦.

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، **معجم اليمامة**، ط١، ج١، مطبعة الفرزدق، الرياض، ص ص٢٩٢-٣٠٥.

(٢) سبق أن درست مدينة حَجْر من خلال أقوال الجغرافيين والرحالة المسلمين في الفصل الثالث من الجزء الثاني إلى آخر ما ورد عنها في رحلة ابن بطوطة الذي زارها سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م فليرجع إليه.

(٣) الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص٨٥.

(٤) ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ج١، ص ص٣٠٤-٣٠٥.

وهذه التسميات غير معروفة الأصل هل هي أسماء لقرى جديدة نشأت حول حَجْر وبرزت بعد أن تضاءل شأن المدينة (حَجْر)؟ أم هي أحياء من حَجْر ـ المدينة القديمة ـ حلت محلها بعد اختفاء اسمها؟ ويرجح الشيخ حمد الجاسر[١] أن هذه التسميات كانت قديماً من محلات مدينة حَجْر متصلة بعضها ببعض ثم تحولت إلى قرى صغيرة متفرقة بعد اختفاء اسم حَجْر منذ القرن العاشر. وظلت تلك التسميات وخاصة معْكَال ومُقْرِن هي المذكورة في الإشارات التاريخية عن المنطقة خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجريين، وأن اسم الرياض بدأ في البروز في فترة حكم دهام بن دواس، ثم أُطلق اسم الرياض على تلك المحلات القديمة المتبقية من حَجْر وهي معكال ومقرن والعَوْد في القرن الثاني عشر الهجري.[٢]

هذا ما ذكره الشيخ حمد الجاسر عن ظهور اسم الرياض وإطلاقه على الأحياء المتبقية من مدينة حَجْر القديمة. ولكن هناك إشارات متعددة لدى ابن بشر ورد فيها ذكر بلد الرياض وأنها كانت موجودة قبل هذا التاريخ بكثير مما يوقع بعض الباحثين في لبس واعتقاد بوجود مدينة الرياض قبل التاريخ الذي ذكره الشيخ حمد الجاسر، ولعل أبرز هذه الإشارات ما يلي:

١- نقل ابن بشر عن العصامي في تاريخه (سمط النجوم العوالي بأخبار الأوائل والتوالي) قال: "وفي سنة ست وثمانين وتسعمائة سار الشريف حسن بن أبي نمي صاحب مكة إلى نجد وحاصر معكال المعروف في الرياض ..."[٣] وبمراجعة هذا النص عند العصامي لم نجد للرياض ذكراً عنده مما يدل على أن هذه الإضافة من ابن بشر على اعتبار أن معكال كانت في زمنه حياً من أحياء مدينة الرياض.

٢- ذكر ابن بشر تحت عنوان سابقه ما يلي: "وفي سنة تسع وأربعين وألف توفي قاضي الرياض أحمد بن ناصر ...."[٤] وقد أجاب الشيخ حمد الجاسر عن ذلك بأن المقصود هو بلدة مقرن وأن إطلاق اسم الرياض عليها هو من عند ابن بشر الذي عاش في فترة متأخرة كانت فيها مقرن داخلة في مدينة الرياض فأطلق عليها اسم الرياض.[٥]

---

(١) الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص٨٧.

(٢) الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص ص٩٠-٩٤.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج١، ص٢٣.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٤٧.

(٥) الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص٩١.

٣- أشار ابن بشر إلى إجلاء أبناء دواس بن عبدالله بن شعلان وهم دهام وعبدالله ومشلب وتركي وفهد عن منفوحة ونزولهم الرياض واستوطنوه، وكان واليها زيد بن موسى . . . . إلخ[١] وهذه الإشارة إلى مدينة الرياض مثل سابقتيها من عند ابن بشر الذي أطلق اسم الرياض على بلدة مقرن باعتبار ما عليه الوضع في زمنه حيث كانت الرياض تضم بلدة مقرن كأحد أحيائها .

معالم مدينة الرياض في عهد الدولة السعودية الثانية:

في عهد الدولة السعودية الثانية تمت في مدينة الرياض عدة إصلاحات وأقيمت بعض المنشآت في عهد الإمام تركي بن عبدالله ومن خلفه حكام الدولة السعودية الثانية ومنها :

١- بناء سور لمدينة الرياض، أو إصلاح ما تهدم منه أو تأثر بالحروب والغزوات من السور القديم (سور دهام) .[٢]

٢- قام الإمام تركي ببناء قصر حصين في داخل المدينة كان مقراً للإمام ومركزاً للحكم .

٣- قام الإمام تركي أيضاً ببناء مسجد قرب القصر . وقد أقيم في موضعه الآن الجامع الكبير بمدينة الرياض وأطلق اسم الإمام تركي بن عبدالله عليه . كما قام ابنه الإمام فيصل بن تركي بتوسيع المسجد وزخرفته ومد جسر علوي فصل بين المسجد وقصره .[٣]

ومن المعالم المهمة التي بقيت في مدينة الرياض إلى الآن من عهد الدولة السعودية الثانية حصن المسمك (المصمك) الذي بناه الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢هـ ليكون قلعة تحمي المدينة وقد استعمله الإمام عبدالله مقراً وسكناً له ولأسرته في بداية الأمر ثم اتخذه مقراً للحكم . والاسم الحقيقي لهذا القصر هو قصر المسمك وذلك لسمك أدواره وجدرانه الجانبية، ثم سمي بقصر المصمك بعد ما حرف العامة حرف (السين) إلى حرف (الصاد) فصار المصمك .

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج١، ص٨٠ .

(٢) كان دهام بن دواس أمير الرياض قد أقام سوراً منيعاً على أحياء مدينة الرياض القديمة المتناثرة وظل هذا السور قائماً إلى أن هدمه ابن رشيد سنة ١٣٠٩هـ. (ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٤٠٧هـ)، **تاريخ اليمامة**، ج٣، ص٢٩٨) .

(٣) الرويشد، عبدالرحمن بن سليمان، (١٤١٢هـ)، **قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي وروعة الحاضر**، د. ن.، ص ص٣٣، ٥١ .

ومن أسماء هذا القصر (القلعة والحصن) وهذه التسمية تنطبق على وصف القصر تماماً فهو أنموذج للعمارة الحربية في ذلك العصر بجدرانه السميكة وأبراجه الأربعة الشائحة. ويقع قصر المصمك في منطقة الثميري في مدينة الرياض. ولا يزال قائماً إلى الآن معلماً أثرياً يحكي ملحمة دخول الرياض على يد الملك عبدالعزيز (رحمه الله) في الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م.[١]

أما تسميتها باسم الرياض فقد أطلق عليها هذا الاسم بسبب كثرة الأراضي المنخفضة والمتساوية التي كانت تسمى رياضاً في موضع البلد فسمي بها، أو بسبب وجود عدد من الروضات فيما حول الموضع مثل روضة القميعة وروضة السلي فجمع ذلك بعضه إلى بعض فقالوا الرياض (جمع روضة) ثم خصوا بهذا الاسم هذا الموضع بعينه، وقد أشار ابن خميس[٢] إلى موقع مدينة الرياض القديمة بين وادي الوتر البطحاء الذي يفيض في منطقة منخفضة مستوية يتخللها بعض الحزون والمرتفعات تقسمها إلى رياض ومستقرات للمياه تنبت في أرضها أنواع من النباتات فمن أجل ذلك سميت الرياض. وهكذا جاءت تسمية الرياض من طبيعة أرضها.

توحيد نجد:

انطلق الإمام تركي بن عبدالله من مدينة الرياض لتوطيد نفوذه في كل إقليم نجد، وكانت معظم منطقة الرياض قد دخلت تحت نفوذه ما عدا منطقة الدلم التي لم تخضع لسلطانه منذ توليه الحكم، فجعلها هدفه الأول، وجمع أتباعه من سدير، والوشم، والمحمل، والعارض، والفرع، والأفلاج، وقصد الدلم بهدف إخضاعها لنفوذه، وتوحيدها مع البلدان الخاضعة له، فتصدى له زعيم الدلم زقم بن زامل، فشدّد الإمام من حصاره للدلم، حتى طلب أهلها الصلح بشرط العفو عن زقم وجماعته، فأجابهم الإمام إلى طلبهم شريطة ذهاب زقم إلى الرياض، والاستيلاء على أمواله وخيله وسلاحه.[٣] ولما فرغ من الدلم، سار إلى السلمية واليمامة، حيث وطد نفوذه فيهما، وبذلك ضمن دخول هذه البلدان في إطار دولته. ثم دعا أهل اليمامة لمبايعته فبايعوه على السمع والطاعة، وعاد الإمام إلى الرياض في رمضان عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م بعد أن دانت له كل منطقة الخرج.[٤]

(١) الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، **الرياض ماض تليد وحاضر مجيد**، الرياض، ص ص٩٦-٩٧.

(٢) ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٤٩٠.

(٣) آل بسام، عبدالله بن محمد، (مخطوط)، مصدر سابق، ص رقم ١٢٣أ.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٧-١٨.

وهكذا لم يمر عامان على جلاء قوات محمد علي عن نجد واستقرار الإمام تركي بن عبدالله في الرياض إلا وقد بايعته البلدان النجدية كلها. ومن الملاحظ أن تلك البلدان -باستثناء بعض بلدان الخرج- قد انضمت إلى دولته دون حرب. وهذا يدل على تطلع كثير من النجديين إلى زعامة تجمع شتاتهم وتحقق لهم الأمن والوحدة، كما يدل على تحلي الإمام تركي بن عبدالله بصفات قيادية عظيمة أثرت في نفوس كثير منهم زعامات وأتباعاً. (١)

وفي عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٠م وصل الشيخ عبدالرحمن بن حسن حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب من مصر إلى الرياض، بناء على رغبة الإمام تركي بن عبدالله، وفرح الإمام بمقدمه وأكرمه غاية الإكرام، وحلّ محل جدّه محمد في إدارة الشؤون الدينية في الدولة، وإبداء المشورة في تسيير أمورها العامة. (٢)

ثم استأنف الإمام تركي بن عبدالله نشاطه لاستكمال توحيد نجد، وأول ما بدأ به مواجهة الأخطار التي كانت تهدد حكمه في تلك الفترة، وكان أشدها التحالف الذي قام ضده، الذي جمع بني خالد حكام الأحساء مع أهل العارض والمحمل وسدير من أجل تقويض نفوذ الإمام بمساعدة المناهضين لحكمه من أهل نجد والتحالف معهم، وقد تمكنت قوات الإمام تركي من هزيمة هذا التحالف والقضاء عليه، كما قام الإمام تركي بن عبدالله بنفسه في عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م على رأس قوة للقضاء على تمرّد بادية هتيم في الوشم وبعض بدو الدواسر في القرائن والخرج فهزمهم وجمع منهم الزكاة. ثم اتجه على رأس قوة للإغارة على العجمان، عند بنبان وتمكن من الانتصار عليهم وإخضاعهم، ووفد عليه آنذاك عيسى ابن علي رئيس جبل شمر، وأعلن طاعته، وأرسل الإمام تركي إلى أمراء القصيم يطلب منهم إعلان الطاعة، فاستجابوا له.

ولم يبق أمام الإمام تركي من العناصر المتمردة سوى بعض عربان من مطير، كانوا يتلقون العون من بني خالد، فاتجه إلى الشمال لملاقاتهم، وأغار على السويقي وعربانه، وانتصر على هؤلاء العربان وأعوانهم من بني خالد، واستولى على ما معهم من أموال. وكان لتحركات الإمام تركي هذه تأثيرها

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٢٥١.

(٢) آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف، (١٣٩٢هـ)، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، دار اليمامة، الرياض، ص ص٥٨-٩٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٢٠-٢١.

القوي على كثير من العربان، فقد وفد عليه رؤساء سبيع، والسهول، والعجمان ومطير، وقحطان، وأعلنوا ولاءهم "فأرسل معهم عمالاً يقبضون الزكاة" . وبذلك أصبح نفوذ الإمام تركي شاملاً لمعظم البلدان والمناطق النجدية. [١]

وفي تلك الأثناء وفد عليه ابنه فيصل قادماً من مصر بعد أن تمكن من الهروب منها، [٢] حيث أصبح الساعد الأيمن لأبيه تركي في توطيد دعائم الدولة السعودية الثانية وتوسيع نفوذها. فقاد الجيوش في الغزوات، وشارك في إعداد الخطط وتنظيمها ورسمها، وعاون والده في الأمور السياسية والإدارية. [٣] وشارك فيصل والده في بعض العمليات التأديبية ضد بلدان الوشم وسدير، ثم قام فيصل بالإغارة على عربان الصقور من عنزة وانتصر عليهم. [٤]

وقد ترتب على التحركات التي شهدتها منطقة الرياض عامي ٤٣-١٢٤٤هـ/ ٢٧-١٨٢٨م ازدياد نفوذ الإمام تركي وبلغ درجة كبيرة من القوة، وبدأت المناطق الواقعة خارج حدود المنطقة، والتي كانت تابعة للدولة السعودية الأولى تتطلع إلى الانضواء تحت نفوذه، فتذكر المصادر أن أهل عمان أرسلوا إليه رجالاً من رؤسائهم، وطلبوا منه قبول ولائهم، وأن يعين لهم قاضياً ومعلماً، وأن يرسل معهم سريّة تشاركهم قتال عدوهم، حيث كانت منطقتهم واقعة تحت عمليات ضغط من جانب الإنجليز وسلطان مسقط من ناحية والصراعات المحلية بين قبائل المنطقة من ناحية أخرى، فاستجاب الإمام تركي بن عبدالله لمطلب أهل عمان. [٥]

وبذلك ازداد نفوذه وامتد إلى المناطق الواقعة خارج حدود منطقة الرياض شرقاً، وفي الغرب امتد إلى بلاد عتيبة القاطنين بنواحي مكة، فدفعوا له الزكاة، وامتنعوا عن دفعها لأمير مكة وأظهروا ميلاً عظيماً وانقياداً قلبياً إلى الإمام تركي. ولذلك أعدت حكومة الحجاز قوة من مكة وأخرى من الطائف لتأديب قبيلة عتيبة على موقفهم، وتمكنت هذه القوات من هزيمة هؤلاء الخارجين على طاعتها وإعادتهم

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٢٦-٣٣.
(٢) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ٣٧.
(٣) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٤-٣٥.
(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٣.
(٥) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٣.

إلى نفوذها، ثم تقدمت القوات الحجازية إلى الشعراء لشن هجوم على القبائل القاطنة هناك والعمل على تهديد الإمام تركي عن قرب، ولكن هذه القوات تراجعت حيث ظهر لقادتها أن الإقبال على هذه الخطوة فيه مخاطرة كبيرة بالنسبة لهم. (١)

ولم يتصدَّ الإمام تركي بن عبدالله لهذه الحملة الحجازية على أطراف بلاده، كما كان متوقعاً، لأن سياسته في تلك الفترة كانت قائمة على أساس توطيد نفوذه في منطقة نجد، واسترداد المناطق الأخرى، التي كانت تابعة لأسلافه في منطقة الخليج، والابتعاد بقدر الإمكان عن الاصطدام المباشر بحكومة الحجاز. ويدل على ذلك أنه في الوقت الذي كان فيه الشريف محمد بن عون قائد القوات الحجازية يقوم بعملياته، كان الإمام تركي يتجه بقواته نحو الأحساء. وقد نجح في ضمها إلى دولته. ولم يكتف بذلك بل مد نفوذه إلى جميع المناطق الواقعة في الخليج كالبحرين وعمان وغيرهما. (٢)

ولقد كان النجاح الذي حققه الإمام تركي بن عبدالله في منطقة الخليج، وازدياد نفوذه فيها مصدر إزعاج لحاكم عام الحجاز، وخشي من أن يقوم الإمام بعمل مماثل على جبهة الحجاز، فسارع بإرسال تفاصيل العمليات التي قام بها الإمام تركي في الحجاز إلى محمد علي في القاهرة، وطلب منه أن يأذن له في القيام ببعض العمليات الحربية ضده، لكن محمد علي لم يأذن له لانشغاله بحروبه خارج الجزيرة العربية، والقضاء على ثورة عسير. (٣)

وهكذا كانت حكومة الحجاز كارهة لامتداد نفوذ الإمام تركي خارج حدود نجد، وظل الإمام تركي يتصرف في دولته تصرف الحاكم القوي المستقل، لكنه لم يحاول أن يتحدى الدولة العثمانية أو حكومة محمد علي بالتعرض للمناطق الحساسة كالحجاز. (٤)

نهاية عهد الإمام تركي بن عبدالله:

كان مشاري بن عبدالرحمن آل سعود -ابن أخت الإمام تركي- مع من أخذ من أفراد الأسرة السعودية إلى مصر بعد سقوط الدرعية، وكان خاله يقدّره غاية التقدير ويراسله في منفاه، وقد حثه على

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص ص٢٥٥-٢٥٧.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص ص٢٢٠-٢٢١.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٢.

(٤) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص ص٢٥٠-٢٥١، ٢٦٠-٢٦١.

القدوم إليه في نجد. فهرب مشاري من مصر وقدم إلى الرياض عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م، فأكرمه الإمام تركي وولاه منفوحة، لكنه عزل عن إمارة هذه البلدة عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م، إثر وشاية دارت حوله بأنه يتآمر مع آخرين على الإطاحة بخاله عن الحكم. وفي السنة التالية لعزله خرج مشاري من الرياض ثائراً ضد خاله. لكنه فشل فشلاً ذريعاً، ولم يجد من ينصره.(١)

ولذلك توجه إلى الحجاز طالباً العون من الشريف محمد بن عون أمير مكة، ولكن الأخير لم يستجب لطلبه ولم يمد له يد العون. وذلك في إطار السياسة التي رسمها محمد علي لحكومة الحجاز والقاضية بعدم القيام بأي عمل ضد الإمام تركي في تلك الفترة، لأن الدخول في مواجهة مع الإمام تركي داخل نجد يحتاج إلى استعداد وقوات كثيرة لا تسمح ظروف محمد علي بإعدادها وتجهيزها في ذلك الوقت.(٢)

ومعنى هذا أن أي مواجهة مع الإمام تركي سيكون الفشل مصيرها المحتوم. ولذلك قرّر مشاري العودة إلى الرياض، والاعتراف بذنبه، وطلب العفو من الإمام، ووسّط رؤساء بلدة المذنب في القصيم، فاستجاب الإمام للوساطة وعفا عن مشاري وأكرمه غاية الإكرام.(٣)

على أن طموح مشاري بن عبدالرحمن إلى الحكم ظلّ مسيطراً على مشاعره. ولذلك استغل وجود فيصل بن تركي بقواته في شرق الجزيرة العربية للقضاء على التمرّد الذي حدث هناك، وقام بتدبير مؤامرة اغتيال خاله مع مجموعة من رجاله وخدمه. وكان ذلك بعد صلاة الجمعة في آخر يوم من عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤، وأسرع مشاري بالاستيلاء على قصر الحكم في الرياض، وعلى الخزائن والأموال والسلاح، وأرسل الرسل إلى البلدان ليأخذوا له البيعة من الأهالي.(٤) وهكذا انتهى عهد الإمام تركي مؤسس الدولة السعودية الثانية.

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٣.

(٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص٣٨٢.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٨.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٤٩-٥٠.

إلى نفوذها، ثم تقدمت القوات الحجازية إلى الشعراء لشن هجوم على القبائل القاطنة هناك والعمل على تهديد الإمام تركي عن قرب، ولكن هذه القوات تراجعت حيث ظهر لقادتها أن الإقبال على هذه الخطوة فيه مخاطرة كبيرة بالنسبة لهم.(١)

ولم يتصدَّ الإمام تركي بن عبدالله لهذه الحملة الحجازية على أطراف بلاده، كما كان متوقعاً، لأن سياسته في تلك الفترة كانت قائمة على أساس توطيد نفوذه في منطقة نجد، واسترداد المناطق الأخرى، التي كانت تابعة لأسلافه في منطقة الخليج، والابتعاد بقدر الإمكان عن الاصطدام المباشر بحكومة الحجاز. ويدل على ذلك أنه في الوقت الذي كان فيه الشريف محمد بن عون قائد القوات الحجازية يقوم بعملياته، كان الإمام تركي يتجه بقواته نحو الأحساء. وقد نجح في ضمها إلى دولته. ولم يكتف بذلك بل مد نفوذه إلى جميع المناطق الواقعة في الخليج كالبحرين وعمان وغيرهما.(٢)

ولقد كان النجاح الذي حققه الإمام تركي بن عبدالله في منطقة الخليج، وازدياد نفوذه فيها مصدر إزعاج لحاكم عام الحجاز، وخشي من أن يقوم الإمام بعمل مماثل على جبهة الحجاز، فسارع بإرسال تفاصيل العمليات التي قام بها الإمام تركي في الحجاز إلى محمد علي في القاهرة، وطلب منه أن يأذن له في القيام ببعض العمليات الحربية ضده، لكن محمد علي لم يأذن له لانشغاله بحروبه خارج الجزيرة العربية، والقضاء على ثورة عسير.(٣)

وهكذا كانت حكومة الحجاز كارهة لامتداد نفوذ الإمام تركي خارج حدود نجد، وظل الإمام تركي يتصرف في دولته تصرف الحاكم القوي المستقل، لكنه لم يحاول أن يتحدى الدولة العثمانية أو حكومة محمد علي بالتعرض للمناطق الحساسة كالحجاز.(٤)

كان مشاري بن عبدالرحمن آل سعود -ابن أخت الإمام تركي- مع من أخذ من أفراد الأسرة السعودية إلى مصر بعد سقوط الدرعية، وكان خاله يقدرّه غاية التقدير ويراسله في منفاه، وقد حثه على

---

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص ص٢٥٥-٢٥٧.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص ص٢٢٠-٢٢١.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٢.

(٤) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص ص٢٥٠-٢٥١، ٢٦٠-٢٦١.

المبحث الثاني

منطقة الرياض في الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي

بعد استشهاد الإمام تركي بن عبدالله، استطاع خادمه الهروب من الرياض، قاصداً الأحساء ليبلغ الإمام فيصل -الذي كان على رأس حملة في الأحساء- بتفاصيل حادث مقتل والده واستيلاء مشاري ابن عبدالرحمن على مقاليد الأمور في الرياض، وكان مع الإمام فيصل جماعة من رؤساء بلدان نجد، فأخبرهم بما حدث، وطلب منهم البيعة والنصرة والأخذ بالثأر، فبايعوه على ذلك. واستقر رأي الجميع على العودة بسرعة إلى الرياض لانتزاع الحكم من مشاري بن عبدالرحمن.(١)

وفي ليلة التاسع عشر من محرم عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٣م وصل الإمام فيصل إلى الرياض، وأمر رجاله بدخول البلدة، فدخلوها سراً، واستطاعوا الاستيلاء على جميع بروجها وأماكن تحصينها في غفلة من مشاري بن عبدالرحمن ورجاله، فأسرع مشاري وتحصن بالقصر، وكان واضحاً منذ البداية أن كفة فيصل هي الراجحة، لأن سكان الرياض كانوا متعاطفين معه؛ لمكانة والده بينهم، وللأثر العميق الذي أحدثه أمر اغتياله في نفوسهم، ويدل على ذلك أن من وضعوا في بروج سور مدينة الرياض للدفاع عنها فرحوا برؤية أتباع الإمام فيصل وساعدوهم على الدخول إليها.(٢)

تولى الإمام فيصل بنفسه إدارة المعركة ضد مشاري ومن معه، واستمر القتال ليلاً ونهاراً، حتى اضطر الرجال الذين كانوا في القصر إلى طلب الأمان من الإمام فيصل في ٩ صفر عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٣م عن طريق سويد بن علي، رئيس جلاجل، الذي كان موجوداً بالقصر، وقام سويد بطلب ذلك من فيصل، على ألا يمنح الأمان لمن شارك في قتل الإمام تركي، أو ساعد في قتله، فاستشار الإمام فيصل الرؤساء الذي كانوا معه، فوافقوا، حماية لما في القصر من المال والخزائن، فأعطاهم الإمام فيصل الأمان.(٣)

---

(١) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٥٠-٥١.

(٣) عبد الرحيم، عبدالرحيم عبد الرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص٢٧٨.

وتمكن أتباع فيصل من دخول القصر، وقتلوا مشاري وأعوانه، ودخل الإمام فيصل القصر بعد أربعين يوماً فقط من اغتيال والده. وبعد أن استقر المقام بفيصل في الرياض كتب إلى قضاته أن يأتوا إليه في الرياض، فجاؤوه، وأقاموا عنده أكثر من شهر، فأكرمهم وأظهر توقيرهم واحترامهم، ورسم لهم خلال إقامتهم برنامجه في الحكم، ثم وجه رسالة إلى الدرعية أوضح لهم فيها برنامجه في الحكم، وحثّهم على الطاعة والإخلاص، وأداء الزكاة واتباع قواعد الشريعة، ونبّه الأمراء على أن يكونوا عوناً للرعية، عاملين على حفظ أرواحهم وأموالهم. ثم أخذت الوفود من مختلف البلدان التي كانت تابعة لأبيه تصل إليه معلنة ولاءها وتأييدها، فأقرهم وأعطاهم وحباهم وكساهم. وأقر القضاة على أعمالهم، وأذن لهم في الرجوع إلى بلدانهم، وأمر عمال الزكاة أن يخرجوا مع رؤساء القبائل الذين وفدوا إليه لجبايتها من قبائلهم.(١)

وبذلك استقر الأمر للإمام فيصل في الرياض وبدأ يمارس سلطاته، ويواجه أحداث المنطقة، والاضطرابات التي كانت تموج بها بعض البلدان. حيث إن الأمور لم تسر وفق ما كان يتمناه، لا من حيث الاستقرار الداخلي ولا من حيث تأدية الزكاة إلى حكومته. فلقد حدث خلاف بين أهل وادي الدواسر، وكان على الإمام فيصل أن يضع حداً لمثل هذه الاضطرابات، ولذا جمع قوة من أهالي البلدان النجدية ووضعها تحت قيادة حمد بن عياف الذي ذهب إلى المنطقة لإنهاء الخلاف الذي حدث بين سكانها، وتمكنت تلك القوة من القيام ببعض الأعمال التأديبية ضد مثيري الشغب، جاء بعدها بعض أهل الوادي إلى الرياض وبايعوا الإمام فيصل، وظل البعض على عنادهم، وامتنعوا عن دفع الزكاة لحكومة الرياض، فسار إليهم الإمام على رأس قوة وهاجمهم في أرض العرمة، ثم نزل قرب بلد تمير، حيث اجتمعت له قواته في هذا الموضع، وبذلك أدرك المعارضون مدى قوته، وأصبحوا على استعداد للإذعان له أكثر من ذي قبل. ثم اتجه الإمام بمن معه إلى عالية نجد وأقام فيها نحو أربعين يوماً حول بلدة الشعراء، وبعث بعماله يقبضون الزكاة من العربان، وعاقب من امتنع عن دفعها، وهناك وفد عليه رؤساء قبائل مطير وقحطان، وغيرها، كما وفد إليه زعماء وادي الدواسر طالبين الصفح والعفو عما بدر منهم وبايعوه على السمع والطاعة، فأجابهم إلى طلبهم وأرسل معهم أميراً.(٢)

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٦٣-٦٦.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٦٦-٦٧.

محمد علي والإمام فيصل بن تركي:

وما كاد الأمر يستقر للإمام فيصل بن تركي حتى داهمه خطر أشد وأقوى، تمثّل في تطلّع محمد علي إلى المناطق التي يسيطر عليها الإمام في نجد والمناطق الشرقية من الجزيرة العربية. حيث إن الموقف بين السلطان العثماني ومحمد علي قد تأزم إلى درجة بالغة، ونجح محمد علي في الاستيلاء على بلاد الشام، وشجعه ذلك على التوسع، وولى وجهه صوب الجزيرة العربية مرة أخرى، محاولاً الاستيلاء عليها وتطويق العثمانيين في العراق من الجنوب عبر الخليج العربي ومن الغرب حيث قد استولى على الشام.

وكان نجاح الإمام فيصل بن تركي في فرض سيطرته على نجد والمناطق الشرقية من الجزيرة مما يعوق توسعات محمد علي وتطلعه إلى بسط نفوذه على تلك المناطق، ولذا فإنه أراد في البداية أن يختبر الإمام فيصل ويقف على حقيقة أهدافه ومدى تقبله لفكرة الولاء له، فأرسل إليه دوسري بن عبدالوهاب أبو نقطة ليطلب منه تزويد الجيش المصري ببعض اللوازم، ودفع الخراج عن منطقة نجد، وجاءت مطالب محمد علي هذه عن طريق حكومة الحجاز.[١]

ويبدو أن الإمام فيصل قد أدرك بأنه من الصعب عليه تعزيز موقف خصمه وزيادة قوّته الحربية التي قد تستعمل ضده مستقبلاً، أو تستغل في ضرب ثورة أهل عسير، التي كانت مشتعلة في ذلك الوقت ضد محمد علي. خصوصاً وأن زعماء عسير كانوا على علاقة طيبة بالإمام ومن أشد المتحمسين لمبادئ الدعوة الإصلاحية.[٢] ولكن الإمام فيصل رأى أن من المصلحة تجنب عداء محمد علي، واستحسن أن يرسل أخاه جلوي مزوداً بالهدايا إلى أحمد باشا يكن حاكم عام الحجاز، معرباً عن حسن نواياه ورغبته في إقامة علاقة طيبة، وأبدى جلوي استعداده لمد حكومة محمد علي ببعض ما طلبته من الإبل، وأقام جلوي في مكة إلى ما بعد انتهاء موسم الحج لعام ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م، ولكن حاكم الحجاز اعتبر عدم وفاء الإمام فيصل بما طلب منه تمرداً، وامتناعاً عن الولاء ويجب محاربته لعدم طاعته.[٣] وهكذا لم تكن مطالب محمد علي في حقيقة الأمر إلا ذريعة للقيام بحملة عسكرية كان قد أعدّ لها للاستيلاء على نجد وما يتبعها من المناطق.

---

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص٢٨٢.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص٢٥٢.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٦٨-٦٩.

ولكي تنجح الحملة، وحتى لا تثار الشكوك حول نوايا محمد علي التوسعية في تلك المنطقة، عمد إلى الدخول إلى منطقة نجد هذه المرة خلف واجهة شرعية، لتنصيب خالد بن سعود[١] حاكماً عاماً على البلاد، مدعياً أحقيته بذلك ليتفرق أهل نجد بين مؤيد للإمام فيصل بن تركي وبين خالد بن سعود، وبذلك تسهل مهمة قوات محمد علي في الاستيلاء على تلك المنطقة، وحتى لا يثير محمد علي بغزوه لنجد معارضة كل من الدولة العثمانية أو بريطانيا بحجة أن دخوله إلى تلك المنطقة جاء بدعوة من أحد أفراد الأسرة السعودية.

أعدّ محمد علي حملة قوية تحت قيادة إسماعيل بك، وخالد بن سعود للاستيلاء على نجد، والقضاء على حكم الإمام فيصل وتنصيب خالد مكانه. وحينما علم الإمام فيصل بخبر وصول الحملة إلى ينبع، أرسل إلى إسماعيل بك وخالد بن سعود رسولاً مزوداً بالهدايا لإظهار حسن النوايا وتفادي الصدام، محاولاً الوصول معهما إلى حل سلمي، ولكن المحاولة باءت بالفشل. وواصل جيش محمد علي زحفه إلى المدينة المنورة ومنها إلى الحناكية متجهاً إلى القصيم ومنها إلى الرياض.[٢]

ولذلك استقر رأي الإمام فيصل ورفاقه على التوجه إلى القصيم للحيلولة دون استيلاء قوات محمد علي عليها، واستنفر الإمام قواته من الأحساء والجنوب والوشم وسدير وغيرهم، وخرج من الرياض في أول شوال عام ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م، وأقام بقواته قرب بلدة التنومة، وظل فيها أكثر من شهر يعدّ عدته ويرتب أمور جنده.[٣] ولما علم أن الجيش المصري وصل إلى بلدة الرّس، توجه الإمام فيصل بقواته إلى بلدة عنيزة، واستنفر أهلها، فسار معه أميرها واتجهوا إلى بريدة، حيث استنفر الإمام أهلها، وتحركت القوات إلى رياض الخبراء، واستقرت في هذا الموضع أكثر من عشرين يوماً دون أن يحدث قتال.

وأصبحت القوتان النجدية والمصرية وجهاً لوجه إلا أن الإمام فيصل درس موقفه فوجده أضعف من حيث القوات والعدد، خاصة وأن بعض بلدان الشمال أطاعت القائد المصري خوفاً من نتائج الحروب

---

(١) هو أخو الإمام عبدالله بن سعود، آخر حكام الدولة السعودية الأولى، وكان من ضمن آل سعود الذين حملهم إبراهيم باشا بعد سقوط الدرعية إلى القاهرة وظل فيها مدة ١٨ عاماً، أنعم عليه محمد علي برتبة قائمقام وخصص له راتباً قدره ٢٥٠٠ قرش عثماني، واختاره محمد علي ليعمل تحت اسمه في نجد، ولذلك كانت سلطته فيها اسمية. انظر: أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ص٦٦-٦٧.

(٢) آل بسام، عبدالله، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ١٣٢ب.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٧٠.

لأن أراضيهم ستصبح ميداناً للقتال، فرأى الإمام فيصل بعد استشارة رجاله، أن خير وسيلة له هي العودة إلى الرياض لتحصينها وتنظيم المقاومة فيها. وجمع كل ما يمكن جمعه من المؤن والعتاد والرجال للدفاع عنها.(١)

لكن الأمور في الرياض كانت عكس ما توقعه الإمام فيصل تماماً، فقد لاحظ من بعض رجاله الميل إلى الاستسلام، والعزوف عن المقاومة، حيث أظهروا له عدم استعدادهم لمواجهة قوات محمد علي.(٢) وكان لهذا الموقف عدة أسباب:

١- كره أهالي الرياض للحروب التي تذكرهم بحملة إبراهيم باشا على الدرعية عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م، وما صاحبها من دمار وخراب.

٢- ظهور الأمير خالد بن سعود على مسرح الأحداث، ووجود بعض المؤيدين له.

٣- تدهور القوة العسكرية السعودية وضعفها، وذلك حينما رأى أهالي الرياض فشل قوات الإمام فيصل في مقاومة الحملة المصرية في القصيم.(٣)

أصدر الإمام فيصل إلى جماعته الذي ظلوا على ولائهم له تعليمات تقضي بخروجهم من الرياض سراً بعد أخذ كل ما يستطيعون حمله، كما قام هو بحمل أمواله وسلاحه واتجه إلى الخرج ومنها إلى الأحساء، حيث استقبله أميرها عمر بن عفيصان وأعيان البلدة، وبايعوه على النصر، ونزل قصر الكوت واستقر في الأحساء.(٤)

أما قوات المعتدي فتقدمت إلى عنيزة فور مغادرة الإمام لها، وتمكنت من الاستيلاء عليها صلحاً، ثم دخلت بقية بلدان القصيم تحت طاعتها، وبينما كان إسماعيل بك والأمير خالد في عنيزة قدمت إليهما وفود من بلدان نجدية مختلفة معلنة ولاءها. ومن بين هذه الوفود أناس من أهل الرياض ذاتها، وبدا أن كثيراً من سكان المنطقة يؤيدون الجيش المصري الغازي، أو على الأقل لا يعارضونه، ثم توجه

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٧٥-٧٩.

(٢) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٣) السعدي، حصة أحمد عبدالرحمن، (١٤١٦هـ)، **الدولة السعودية الثانية وبلاد غرب الخليج وجنوبه**، مكتبة العبيكان، الرياض، ص٦٥.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٧١-٧٢.

الجيش إلى الرياض فدخلها دون قتال في صفر عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م.(١)

وبعد أن أصبحت الرياض وجميع البلدان النجدية الواقعة غربها وشمالها تحت نفوذ الجيش المصري، أراد خالد بن سعود أن يسيطر على بلدان جنوبي نجد، حيث رفض أهل الحلوة، والحريق، وحوطة بن تميم، الخضوع للحملة المصرية بعد وصولها للرياض. ولقد شجعهم على موقفهم هذا أفراد من أسرة آل الشيخ كانوا قد تركوا الرياض وقت دخول القوات المصرية إليها، وانتقلوا إلى منطقة جنوب نجد فراراً من حكم العثمانيين. وقد أرسل خالد بن سعود إلى أهل الحريق والحوطة يدعوهم إلى الدخول في طاعته، فكتبوا له "إن كان الأمر لك ولا يأتينا من ناحيتنا عسكر من الترك العثمانيين، فنحن رعية لك، وإن كان الأمر للترك العثمانيين، فنحن لهم محاربون". ولما قرأ إسماعيل آغا الكتاب غضب غضباً شديداً وصمم على حربهم، وإخضاعهم بالقوة، وزحف بقوات تقدر بسبعة آلاف مقاتل من الجند النظامي والمتطوع. لكن أهالي جنوب نجد تمكنوا من إنزال هزيمة ساحقة بهذا الجيش قرب بلدة الحلوة، وعاد الجيش المنهزم بفلوله إلى الرياض.(٢)

وشاعت أخبار هزيمة خالد بن سعود ومن معه في نجد والأحساء، وغيرها من بلدان الجزيرة، ولما علم الإمام فيصل بن تركي بهذه الهزيمة، جمع قواته وتوجّه مسرعاً من الأحساء إلى الخرج. وكتب إلى أهل الحوطة والحريق فأتوا إليه واتحدت قواته مع قوات أهالي الجنوب، ثم زحف الإمام بالجميع حتى وصل قرب الرياض، وخرج إليه خالد بن سعود مع جيش محمد علي، واشتبك الجيشان في قتال مرير انتهى بانتصار فيصل وتقدم جيوشه إلى الرياض ومحاصرتها في جمادى الآخرة عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م. ولما طالت مدة الحصار ولم تستسلم البلدة، فكر أتباع الإمام فيصل في تسلق سورها والنزول إلى داخلها، وكادت الرياض أن تسقط في يد الإمام فيصل، إلا أن الإمدادات الجديدة التي وصلت خالد بن سعود من بعض قبائل نجد المؤيدة له كسبيع وقحطان، اضطرت الإمام فيصل وجيشه إلى فك الحصار عن الرياض والتراجع إلى منفوحة.(٣)

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص ص٢٤٥-٢٤٦.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٧٢-٧٤؛ الفاخري، محمد بن عمر، (د. ت.)، **الأخبار النجدية**، دراسة وتحقيق وتعليق عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص١٧٣.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٧٤-٧٦؛ الفاخري، محمد بن عمر، مصدر سابق، ص١٧٤.

وبُذلت المساعي لعقد صلح بين الطرفين، وعُقد اجتماع طويل بين خالد بن سعود والإمام فيصل بن تركي من الظهر حتى العصر على أرض محايدة بين الرياض ومنفوحة، ولكن الاجتماع لم يسفر عن نتيجة حاسمة، وكانت نقطة الخلاف الرئيسة أن أهل نجد لا يرضون بحكم العثمانيين ولا من يواليهم، وكان هذا رأي الإمام فيصل، أما خالد بن سعود فقد طلب من الإمام الانسحاب من نجد، على أن تبقى تحت حكمه هو ومن معه من العساكر، وأن يقنع الإمام فيصل بحكم الأحساء، ولكن الإمام فيصل أصر على انسحاب القوات المصرية من الرياض إلى مكة، فرفض خالد أن يبقى أعزل بدون قوة تسانده، وأصر كل طرف على موقفه، وفشلت محاولة الصلح بين الطرفين واستعد كل منهما لاستئناف الصراع المسلح من جديد.(١)

وكانت الهزيمة الساحقة التي منيت بها قوات إسماعيل بك وخالد بن سعود، قد أثرت تأثيراً بالغاً في نفسية خالد وأصابته باليأس، ولذلك أرسل إليه أحمد باشا يكن، حاكم عام الحجاز يشجعه، ويؤكد له أن الإمدادات الكافية لتثبيت أقدامه وتقوية مركزه ستصل إلى نجد قريباً، كما وجّه أحمد باشا يكن إلى أهالي نجد خطاباً حاد اللهجة متوعداً ومهدداً. وعكف محمد علي وابنه إبراهيم على دراسة التقرير الذي أرسله إسماعيل بك عن وضعه السيء في نجد، واتخاذ التدابير الكافية لإنقاذ الموقف.(٢)

ولذلك قرر محمد علي تعزيز قواته في نجد، فأرسل خورشيد باشا بقوات كثيفة عسكرت في بلدة الرس في القصيم، وكانت قد سبقتها نجدات أرسلت من المدينة إلى الرياض، وتجدد القتال بين الطرفين حول الرياض مرة أخرى، ولذلك بدأ خورشيد في خداع الإمام فيصل بن تركي حتى يتمكن منه، ويسيطر على الموقف، فأرسل إليه الشريف عبدالله شريف من ينبع مزوداً بهدايا وآذناً له بأن يأخذ ما أراد أخذه من ممتلكاته الموجودة في الرياض، مقابل الانسحاب من نجد، وإنهاء حالة الحرب والاقتناع بحكم الأحساء.(٣) ومن الواضح أن هدف خورشيد من ذلك العرض كان لكسب الوقت حتى يصل إلى العارض قبل أن ينال الإمام فيصل من خالد ما ينال.(٤)

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، مصدر سابق، ج٢، ص٧٦؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص٢٩٨.

(٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص ص٢٩١-٢٩٧.

(٣) المرجع السابق، ص٢٩٩.

(٤) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٢٤٠.

واستجاب الإمام فيصل في بادئ الأمر لداعي الصلح، وحمل جميع ما له في الرياض من خزائن وغيرها، وأبلغ أعوانه أنه قرر أن يغادر الرياض في ثلاثة أو أربعة أيام، وانسحب إلى منفوحة، ومن هناك أرسل أخاه جلوي بن تركي بالهدايا لمقابلة خورشيد في المدينة المنورة، وبقي جلوي مع خورشيد في مسيرته من المدينة المنورة حتى وصل القصيم، إلا أن الأمير جلوي هرب من عنيزة وذلك بعد أن عرف موقف خورشيد باشا من أخيه الإمام فيصل، [١] وارتحل الإمام فيصل من منفوحة واتجه إلى الدلم بالخرج، وهناك أعاد مراجعة موقفه بعد أن أخذ مشورة أعوانه، حول قبوله حكم الأحساء فقط دون نجد، ووجد إغراء بعض أتباعه له -وبخاصة من أسرة آل عفيصان- هوى في نفسه، واقتنع الإمام فيصل بأن هذا الوعد له من جانب خورشيد ما هو إلا خديعة مؤقتة لإبعاده عن نجد، ثم القضاء عليه نهائياً بعد أن يستقر الأمر لخورشيد في نجد، ولذلك أعاد الإمام فيصل ترتيب موقفه في الدلم وأرسل من قبله أمراء على نواحي الأحساء، وعمان، ووادي الدواسر، والأفلاج، أي أنه عمل على الاحتفاظ بالمناطق الجنوبية من نجد تحت نفوذه إلى جانب الأحساء والساحل العماني. [٢]

وانتهزت الدولة العثمانية الفرصة وأوحت إلى علي باشا واليها على بغداد بالاتصال بالإمام فيصل ابن تركي وتشجيعه على الاستمرار في حركته المناهضة لتقدم قوات محمد علي في نجد، ولذلك أرسل والي بغداد إلى الإمام فيصل يحثه على إعلان ولائه للدولة العثمانية حتى يحفظ إمارته، وأنه على استعداد لتقديم العون له كافة، إذا ما أعلن ولاءه للدولة العثمانية. [٣]

ازدادت شكوك خورشيد باشا بعد أن علم برسالة والي بغداد إلى الإمام فيصل، خاصة وأن الإمام قد تقاعس عن تنفيذ ما طلب منه، وأخذ يعد الأمر للمعاندة والحرب، ولذلك وجد خورشيد المبرر لتقدم قواته نحو الرياض. وسواء أكان هذا المبرر كافياً أم لا، فإن تقدم خورشيد بقواته إلى الرياض والاستيلاء على نجد والمنطقة الشرقية كان ضمن خطة محمد علي التوسعية لمحاولة الوصول إلى الخليج العربي لتطويق العراق ومهاجمته من الجنوب بعد أن نجحت قواته في ذلك الوقت في الاستيلاء على بلاد الشام والأناضول مهددة الدولة العثمانية بالسقوط.

---

(١) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٧٧-٨١.

(٣) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص ص٣٠١-٣٠٢.

تقدمت قوات خورشيد من الحناكية إلى القصيم، واستقر خورشيد في عنيزة حوالي خمسة أشهر، وفد إليه خلالها كثير من زعماء القبائل الكبيرة معلنين ولاءهم له والدخول في طاعته، كما وفد إليه الأمير عبدالله بن رشيد ونال تقديره وهداياه.(١) ومن عنيزة تقدمت قوات خورشيد نحو الرياض، فلما وصلها أفصح عن نواياه الحقيقية تجاه الإمام فيصل بن تركي، وأنذره بأنه سيحاربه إن لم يستسلم له، ورفض الإمام أن يستسلم، فكانت الحرب.

وكان جلوي بن تركي قد وقف على حقيقة الاستعدادات التي تجري ضد أخيه، ورغب في إطلاعه عليها حتى يعدّ للأمر عدته، ونجح في الوصول إلى أخيه في الخرج، وأوضح له حقيقة نوايا خورشيد والاستعدادات التي تجري على قدم وساق للقضاء عليه.(٢)

دارت عدة معارك بين القوتين في جهة الدلم، وكان النصر في النهاية لخورشيد ومن معه، واضطر الإمام فيصل أن يقابل خورشيد لإنهاء الحرب. واتفقا على أن يؤمن أتباع الإمام، وأن يسافر هو وأخوه جلوي وولداه عبدالله ومحمد وابن أخيه عبدالله بن إبراهيم إلى مصر للإقامة فيها، وهكذا انتهت فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الأولى في أواخر رمضان عام ١٢٥٤هـ،(٣) والتي لم تتجاوز أربع سنوات، قضاها الإمام في الحروب الداخلية من أجل توطيد حكمه، وتثبيت دعائم الدولة السعودية.

أوضاع البلاد بعد الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي:

١- انسحاب قوات محمد علي وأثره على الأوضاع في منطقة الرياض:

بعد استسلام الإمام فيصل بن تركي لخورشيد باشا، بدأ خورشيد يخطط للاستيلاء على منطقة الأحساء المهمة، تمهيداً لغزو العراق، وأصبحت السيادة الاسمية على بلدان نجد لخالد بن سعود، والأمر والنهي لقوات محمد علي، وعمل خورشيد باشا على بسط نفوذ محمد علي على كل المناطق التي كانت تابعة لنفوذ آل سعود، لذلك أرسل إلى حاكم الأحساء ورؤسائها عارضاً عليهم الأمان مقابل دخولهم

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١١هـ)، **نشأة إمارة آل رشيد**، ط٢، مطابع الشريف، الرياض، ص ص١٤٥-١٥٦.

(٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص ص٣٠١-٣٠٢.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت)، مصدر سابق، ج٢، ص٨٤.

في طاعته.[١] وإدراكاً من عمر بن عفيصان لقوة خورشيد باشا وعدم ثقته في الأمان الذي أعطاه، أو لعدم رغبته في الانضواء تحت لوائه ترك الأحساء وتوجّه إلى البحرين، حيث التجأ عند آل خليفة، ومنها توجه إلى الكويت، وقد سهل ذلك الطريق أمام خورشيد لضم الأحساء دون حرب تحت نفوذه، ولذلك عين خورشيد أحمد السديري أميراً على إقليم الأحساء،[٢] ووفد رؤساء الأحساء على خورشيد فأعطاهم الأمان وأذن لهم في العودة إلى بلادهم، وأعلن كل من أمير القطيف وسيهات ولاءهما، وبذلك خضعت المنطقة الشرقية كلها لنفوذ محمد علي.[٣]

ونتيجة لاستيلاء خورشيد باشا على المنطقة الشرقية أصبح الباب مفتوحاً له على بقية جهات الخليج وعمان، مما أثار مخاوف بريطانيا بدرجة كبيرة، فبدأت العمل على تحطيم قوات محمد علي التي باتت تهدد مصالحها في منطقة الخليج العربي، والشرق الأوسط -طريقها إلى الهند- وما كانت بريطانيا لتسمح لأي قوة كانت محلية أو خارجية بالسيطرة على تلك المناطق، ومن ثم عملت على القضاء على قوة محمد علي وأرغمته على سحب قواته من بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية بموجب معاهدة لندن ١٥ جمادى الأولى ١٢٥٦هـ (١٥ يونيو ١٩٤٠م).[٤]

وبذلك لم تطل إقامة قوات محمد علي في منطقة الرياض بل انسحبت إلى الحجاز فمصر، تاركة مع خالد بن سعود حامية صغيرة يتراوح عددها بين ٢٠٠-٣٠٠ جندي احتياطي.[٥]

وكان لانسحاب قوات محمد علي أثر كبير على موقف خالد بن سعود، فلقد حدثت عدة مشكلات كان أبرزها المشكلة التي قامت بين عبدالله بن رشيد زعيم جبل شمر، وزعماء القصيم برئاسة عبدالعزيز آل عليان أمير بريدة، والتي تطورت إلى معركة انتصر فيها عبدالله آل رشيد انتصاراً كبيراً في بقعاء عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م. وثبت مركزه في منطقته وما حولها أكثر من ذي قبل.[٦]

---

(١) آل بسام، عبدالله، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ١٣٤ب.

(٢) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ٤٦.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٨٥-٨٦.

(٤) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٥) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص٣٨٨.

(٦) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٢٤٧.

٢- قيام عبدالله بن ثنيان ضد خالد بن سعود:

ولكن المشكلة الكبرى التي صادفت خالد بن سعود كانت في قيام عبدالله بن ثنيان آل سعود[١] ضده. ويرجع البعض أسباب ذلك إلى عدة عوامل أهمها:

١- اختلاف أسلوب الحكم وفلسفته لدى كل منهما عن الآخر: فلقد أخذ خالد بن سعود بمبدأ التبعية السياسية في الحكم، ورأى الخروج عن الأسلوب الأصيل الذي سارت عليه الدولة السعودية الأولى في حكمها للبلاد، في حين أن منافسه عبدالله بن ثنيان يرى عكس ذلك، فهو يمثل القوى النجدية التي تدعو للتخلص من التبعية السياسية في الحكم وتطالب بالاستقلال تحت زعامة آل سعود.[٢]

٢- العامل البيئي: لقد كان لمعيشة خالد بن سعود في كنف محمد علي في مصر ثمانية عشر عاماً، أثره على تفكير خالد وعلى حياته، وعلى طريقته في الحكم، فنفر النجديون منه وعدّوه أجنبياً، بينما عاش عبدالله بن ثنيان في بيئة تسودها تعاليم الدعوة السلفية التي تعد في حدّ ذاتها تحدياً دينياً للمبادئ الصوفية وغيرها من المبادئ المنحرفة المنتشرة في البلاد العثمانية.[٣]

٣- أثر العامل النفسي في حياة كل منهما: طالب خالد بن سعود بالحكم، لأنه الوريث الشرعي لأخيه عبدالله بن سعود، في حين يرى عبدالله بن ثنيان أنه أولى بالعرش من خالد، لأنه يمثل أهل البلاد.[٤]

بالإضافة إلى أن ابن ثنيان أخذ يَعِدُ الأهالي بتخليصهم من حكم محمد علي، كما ادعى أنه ينوب عن الإمام فيصل بن تركي الذي أسره خورشيد باشا عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م.[٥]

---

(١) هو من أبناء عمومة الأمير خالد بن سعود، وجده البعيد ثنيان أخ لمحمد بن سعود الجد البعيد لخالد بن سعود، والمؤسس الأول للدولة السعودية الأولى، اتصف بالشجاعة والمراس، والثبات في الغزو، كما كان متديناً ورجل عقيدة، وكان لهذه الصفات أثر بعيد في تأييد أهالي نجد له وانفضاضهم من حول منافسه خالد بن سعود. انظر أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ص٦٧-٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص٦٨.

(٣) السعدي، حصة أحمد عبدالرحمن، (١٤١٦هـ)، مرجع سابق، ص٧٥.

(٤) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٦٩.

(٥) السعدي، حصة أحمد عبدالرحمن، (١٤١٦هـ)، مرجع سابق، ص٧٦.

وقد اتضح موقف عبدالله بن ثنيان المعادي لمحمد علي وأعوانه قبل انسحاب خورشيد من نجد وربما كان هذا هو السبب الأساس في عدم اطمئنان خالد إليه، وإلحاحه على أن يذهب معه إلى القصيم لوداع خورشيد باشا عند رحيله من المنطقة.

لكن عبدالله اعتذر متعللاً بالمرض، فأصر خالد عليه فوافق ابن ثنيان مكرهاً، وفي الطريق هرب إلى البصرة، وأقام عند رئيس قبائل المنتفق عيسى بن محمد السعدون عدة أسابيع. (١)

عاد ابن ثنيان إلى نجد واتّجه إلى بلدة الحائر القريبة من الرياض، والتجأ عند رئيس قبائل سبيع، وأخذ يدعو الناس لتأييده، فكتب إلى أهالي جنوب نجد (حوطة بني تميم، والحريق، والحلوة) الذين اشتهروا بمقاومتهم للنفوذ الأجنبي، واتفق معهم على الإطاحة بخالد بن سعود. وتخوف خالد بن سعود من وجود ابن ثنيان في بلدة الحائر، فدعا الناس إلى قتاله، ولكنهم تثاقلوا عليه وباءت محاولته بالفشل، ولذلك قرر الخروج من الرياض والذهاب إلى الأحساء علّه يجد فيها من يقف معه. (٢)

وزحف عبدالله بن ثنيان بجنوده واحتل ضرما، ثم أخذ يهاجم الرياض حتى تمكن من دخولها في عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، ومن ثم قدمت إليه الوفود من أمراء البلدان لمبايعته، وعاد إلى العاصمة من سبق وأن تركوها في ظل وجود قوات محمد علي. (٣)

وحينما علم خالد بن سعود باستيلاء ابن ثنيان على الرياض حاول أن يقوم بتجهيز جيش من الأحساء ليزحف به على نجد لمحاربة عبدالله بن ثنيان، ولكن شعوره بالضعف جعله يعدل عن رأيه، فخرج من الأحساء متجهاً إلى الدمام ثم إلى الكويت، ثم إلى القصيم ومنها إلى مكة المكرمة. ولذلك بعث عبدالله بن ثنيان بطليعة من أتباعه استولت على قصر الحكم في الأحساء، ثم بعث إليها عمر بن عفيصان أميراً، وعين أحمد السديري أميراً على القطيف. (٤) وهكذا أصبح نفوذه يشمل المنطقة الشرقية ونجد باستثناء القصيم وجبل شمر اللتين يبدو أنهما كانتا تتمتعان بالاستقلال.

وبعد أن استقر الحكم لعبدالله بن ثنيان، أعلن للجميع أنه لن يتغاضى عن أي اضطراب يحدث في

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٢.

(٢) آل بسام، عبدالله، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ١٣٦ب.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٣-٩٥.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٦.

الأقاليم، واتخذ سياسة الشدة والعنف لتوطيد حكمه، فقام بإعدام عدد من الشخصيات البارزة في البلاد والمناوئة لحكمه، وعامل الرعية معاملة قاسية، هذا بالإضافة إلى إرهاقهم بالضرائب، فخضعوا له كرهاً، وتطلعوا إلى التخلص من حكمه.(١)

الإمام فيصل بن تركي وقضية خروجه من مصر:

وفي عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م تمكن الإمام فيصل بن تركي من مغادرة مصر بتدبير من عباس باشا حفيد محمد علي والوصول براً إلى جبل شمر، ومن هناك بدأ خطواته التي أدت إلى القضاء على حكم عبدالله بن ثنيان وبداية فترة حكمه الثانية.(٢)

أما كيفية خروج الإمام فيصل بن تركي من مصر فهي موضع خلاف بين المؤرخين والباحثين، وقد جمعت(٣) الآراء التي قيلت في خروج الإمام فيصل بن تركي من مصر وهي:

أولاً: رواية ابن بشر عن كيفية هروب الإمام فيصل ومعه أخوه جلوي وابن عمه عبدالله بن إبراهيم وابنه عبدالله بأنهم نزلوا من الحبس بحبال عن طريق فرجة في مكان سجنهم تبعد عن الأرض أكثر من سبعين ذراعاً، وكانوا قد أعدوا ركايب تحت فركبوها في الليل وساروا إلى جبل شمر. وقد تبع عدد من المؤرخين والباحثين ابن بشر في هذه الرواية.(٤)

ثانياً: أن الذي أخرج الإمام فيصل بن تركي من مصر هو عباس باشا بن طوسون بن محمد علي.(٥)

والرأي الراجح أن خروج الإمام فيصل بن تركي من مصر كان بترتيب من بعض المسؤولين في مصر حيث رأوا في إرجاعه إلى نجد انتقاماً من عبدالله بن ثنيان الذي ثار ضد خالد بن سعود -والي نجد من قبل محمد علي- الذي أخرج باقي الحاميات المصرية في نجد والمصاحبة لخالد بن سعود. أضف إلى ذلك

---

(١) السعدي، حصة أحمد عبدالرحمن، (١٤١٦هـ)، مرجع سابق، ص٧٩.

(٢) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ٥٠ وما بعدها.

(٣) السلمان محمد بن عبدالله، (١٤٠٧هـ)، **القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية**، الطبعة الأولى، المطابع الوطنية للأوفست، عنيزة، ص ص ١٣٩-١٤٢.

(٤) المرجع السابق، ص١٤٠.

(٥) المرجع السابق، ص١٤١.

محاولة كسب فيصل بن تركي لإقامة علاقات ودية مع مصر، وهذا ما حصل فعلاً.[١]

ويرجح أن اسم المسؤول الذي تولى إخراجه من مصر هو عباس باشا بن طوسون بن محمد علي لأدلة منها:

١- ما رواه الأمير مساعد بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي عن عمته بنت الإمام فيصل بن تركي أن والدها كان يهدي الخيول إلى عباس باشا ويقول: هذا صديقنا وساعدنا على الخروج من مصر.

٢- تقرير السفارة البريطانية في استانبول الذي جاء فيه أن عباس باشا سمح لفيصل بالهروب من مصر حيث توجه إلى القصير ومنها دعا رجاله إليه.

٣- أن رواية ابن بشر تركز على كيفية هروب الإمام فيصل من مصر ولا تتناقض مع القول بإخراج عباس باشا له من مصر، بل يمكن القول بأن عباس باشا بن طوسون هو الذي اتفق مع أصحاب الركائب التي نقلته ومن معه، وجعل نزوله بالحبال من أحد بروج السجن المرتفعة من باب تغطية عمله.[٢]

---

(١) المرجع السابق، ص١٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ص١٤١-١٤٢.

المبحث الثالث

منطقة الرياض في الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي

بعدما تمكن الإمام فيصل بن تركي من مغادرة مصر اتجه إلى جبل شمر، وهناك طلب العون من صديقه القديم عبدالله بن رشيد أمير الجبل، فوعده عبدالله بتقديم العون والمساعدة حتى يتمكن من استرداد حكمه من ابن ثنيان. وبعد وصول الإمام فيصل بن تركي إلى حائل واستقراره فيها، كتب إلى أمراء نجد وزعمائها يخبرهم بوصوله ويطلب منهم الانضمام إليه وتأييده. (١)

ولما علم ابن ثنيان بنبأ وصول الإمام فيصل إلى حائل، استشار جماعته فأشاروا عليه بالحرب ضد فيصل بن تركي، وخرج عبدالله بن ثنيان بقواته من الرياض ونزل بنبان شمال الرياض، وأقام بها عدة أيام، وفي أثنائها وردت إليه مراسلات من الإمام فيصل، ولما علم بعض رجاله هربوا إلى جبل شمر وانضموا إلى الإمام. (٢)

فلجأ ابن ثنيان في البداية إلى الحيلة قبل استخدام القوة والحرب مع الإمام فيصل، فكتب إلى أهل الرياض يبشرهم بوصول الإمام من مصر، كما أرسل إلى الإمام فيصل أمير ضرما وحمله بالهدايا لإقناع الإمام فيصل بالحضور إلى الرياض للتفاوض معه. (٣) وما كانت هذه الحيلة لتنطلي على الإمام فيصل ذو الحنكة السياسية والخبرة الطويلة، الذي عركه الزمن، وعصرته التجربة والحروب.

وعندما باءت محاولة ابن ثنيان بالفشل عمد إلى استخدام القوة، وتوجه بقواته إلى القصيم ونزل بها خارج بلدة بريدة، وذلك لخلاف أمير بريدة عبدالعزيز آل عليان مع عبدالله بن رشيد المؤيد للإمام فيصل بن تركي، ولما علم أمير عنيزة عبدالله بن سليمان بن زامل بذلك، قام بمشاورة جماعته في موقف بلدتهم من القوى المتنازعة، فرأى الأغلبية تأييد الإمام فيصل، وقرروا إرسال مبعوث عنهم إلى الإمام

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٩-١٠٠.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٩-١٠٠.

(٣) المصدر السابق، ج٢، الصفحة نفسها.

لمبايعته ودعوته لزيارتهم، وبالفعل قدمت جيوش الإمام فيصل حيث كانت معسكرة في الكهفة -بين حائل وبريدة- إلى بلدة عنيزة في القصيم. (١)

وعندما علم جنود عبدالله بن ثنيان بوجود الإمام فيصل في عنيزة، هربوا من معسكره إلى معسكر الإمام فيصل بن تركي، فلما رأى ذلك ابن ثنيان انسحب من القصيم وعاد إلى الرياض وتحصن فيها. (٢) وما إن انسحب ابن ثنيان من القصيم حتى أصبحت جميع بلدانها تدين بالولاء والطاعة للإمام فيصل بن تركي الذي غادر عنيزة إلى الوشم، فبايعه أهلها، ثم اتجه إلى حريملاء، حيث مكث بها عدة أيام، ومنها أرسل إلى ابن ثنيان يدعوه إلى المصالحة وحقن الدماء، وعرض عليه أن يخرج من الرياض بما شاء وينزل أي بلد شاء في نجد أو غيرها، وتعهد إليه الإمام بصرف مبالغ تكفيه كل سنة، فرفض عبدالله بن ثنيان هذا العرض، وأصرّ على القتال والمقاومة. (٣)

ولذلك واصل الإمام فيصل سيره إلى الرياض ونزل بلدة منفوحة، وهناك جهّز الإمام فيصل رجالاً من قومه مع أخيه جلوي وأمرهم بدخول الرياض، بعد مراسلة من مدينة الرياض جاءت إليه خفية، وحينما علم ابن ثنيان بذلك، دخل قصره وتحصّن بداخله، وطلب الصلح ولكن لم يتم التوصل إلى نتيجة إيجابية، فحاول ابن ثنيان الهرب ولكن رجال الإمام فيصل تمكنوا من الإمساك به، وأمر الإمام بحبسه ولم يدم ذلك طويلاً لوفاة ابن ثنيان في سجنه في منتصف جمادى الثانية عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م. وبهذا انتهى حكم عبدالله بن ثنيان الذي دام ما يقرب من عامين. (٤) وهكذا عاد الإمام فيصل بن تركي إلى الرياض عاصمة حكمه، وبدأت فترة حكمه الثانية التي دامت ثلاثة وعشرين عاماً.

وكان الإمام فيصل بن تركي قد استولى على كثير من بلدان نجد قبل أن يستولي على الرياض، وبعد استيلائه على العاصمة قدمت إليه وفود من بقية البلدان النجدية معلنة ولاءها له دون قتال. (٥) وهذا يوحي بتطلع كثير من سكان المنطقة إلى حكمه، ونظرتهم المعجبة بزعامته، وكان مما قام به في مستهل

---

(١) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٩٦.

(٢) آل بسام، عبدالله، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ١٣٨ب.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص١٠١.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص ص١٠٢-١٠٣.

(٥) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٢.

فترة حكمه الثانية أن وجه رسالة إلى رعيته في أنحاء البلاد كانت بمثابة خطاب العرش كعادة رؤساء الدول في وقتنا الحاضر عند تسلمهم سلطتهم الجديدة، وكانت مشابهة لتلك التي وجهها إلى رعيته عند استيلائه على العاصمة ذاتها في بداية فترة حكمه الأولى .(١)

كما استهل الإمام فيصل حكمه الجديد بإجراء سلسلة من التغييرات والتعيينات الإدارية في مناطق دولته، فعزل عدداً من موظفي حكومة عبدالله بن ثنيان السابقة، وعيّن خلفاً لهم إداريين وقضاة وموظفين تابعين له، ومع هذا فإن هذه التعيينات الجديدة لم تثبت وتستقر طويلاً، فكان يعزل حاكماً من منصبه ويعين آخر بدلاً منه بسبب ما قام في الأقاليم من حركات تمرد ضد السلطة المركزية كان يدعمها بعض حكام الأقاليم .(٢)

وإذا كان سكان نجد والأحساء قد رحبوا بصفة عامة بالإمام فيصل بن تركي، وحكمه فإن بعض القبائل لم تحبذ الخضوع لسلطة تُحدّ من نشاطها غير المبرر أحياناً. ومن هذا القبيل الاعتداء على قوافل التجارة وعلى قوافل للحجاج، فأغضب هذا التصرف الإمام فيصل، لأن هذا يعني انعدام الأمن في دولته، فجهز جيشاً توجه به إلى مضارب هذه القبائل لتأديبهم .(٣)

كما تمكن الإمام فيصل في السنوات التالية من القضاء على الاضطرابات في الأحساء والقصيم بكل قوة وأخضعهما لنفوذه .(٤)

ولم تسلم منطقة الرياض من ظهور بعض الاضطرابات فيها ففي عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م حدثت خلافات في الأفلاج، فسار إليها الإمام فيصل ومعه محمد بن مقرن، رئيس منطقة الأفلاج، وعبدالعزيز بن محمد آل أبو عليان أمير بريدة في منطقة القصيم، وكادت الفتنة أن تأخذ مجراها، لولا تدخل الإمام فيصل وقواته التي اتجهت إلى الجنوب، فأطفئت الفتنة ونزل الإمام في ليلى وأتاه رؤساء البلاد، وأعلنوا ولاءهم له وسجن أهل الخلاف، وعاد إلى الرياض .(٥)

---

(١) انظر نص الرسالة في المصدر السابق؛ ج٢، ص ص١٠٣-١٠٥ .

(٢) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص١٠٣ .

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١١١-١١٢ .

(٤) لقد كانت الاضطرابات في القصيم أكثر قوة وخطورة من جنوب نجد ولكن الباحث لم يركز عليها لوقوعها خارج منطقة الرياض موضوع البحث .

(٥) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ١١١ .

وفي السنة نفسها حدثت فوضى وخلافات في إحدى بلدان جنوب نجد، فأرسل إليها الإمام فيصل قائده سليمان بن منديل، فاستطاع هذا القائد أن يحاصر المتمردين في البلدة، وتمكن من إعادة الأمن إليها.[١] وحدث تمرد آخر في بلدة السيح في جنوب نجد، فأرسل الإمام أخاه جلوي، وابن أخيه عبدالله لإخضاعها، مما أدى إلى حدوث مناوشات بين الطرفين، وتم التوصل إلى صلح بينهما عادت الأمور على إثره إلى مجراها الطبيعي.[٢]

علاقة الإمام فيصل بالدولة العثمانية:

اعترف الإمام فيصل بن تركي بالسيادة الاسمية للدولة العثمانية، وطبق عليه نظام الالتزام العثماني، وهو أن يدفع للدولة مقداراً من المال دليلاً على الطاعة، وتصرّف في الداخل بكل حرية، وهذا نوع من الاستقلال الداخلي، ولم تمنع هذه التبعية الاسمية الإمام فيصل من مفاوضة المعتمد البريطاني بلي عندما زار الرياض عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥هـ.[٣] وكان دفع الإمام فيصل المال للدولة العثمانية خاضعاً للظروف المحيطة بكلا الطرفين. فمن المرجّح أن الإمام لم يدفع ما كان عليه أن يدفعه خلال العقد الثامن من القرن الثالث الهجري، لأن سلطة الدولة العثمانية في غربي الجزيرة العربية قد تعرضت للكثير من الهزات العنيفة لكن حينما تمكنت تلك الدولة من استعادة هيبتها في تلك المنطقة، عاد الإمام فيصل إلى دفع ما كان يدفعه في الماضي.[٤]

علاقة الإمام فيصل ببريطانيا:

وقفت بريطانيا بالمرصاد لأي قوى إقليمية أو خارجية تحاول بسط نفوذها في الخليج العربي وجهات عمان حيث مصالحها الاستراتيجية في تلك المنطقة، ومن ثم وقفت ضد محمد علي، والدولة السعودية الأولى، ولم يختلف موقفها من الإمام فيصل بن تركي عن الموقفين السابقين، خاصة وأن نفوذها في المنطقة قد ازداد بعد انسحاب القوات المصرية منها.

ولقد امتنعت بريطانيا عن مساندة المعارضين للإمام فيصل في البريمي، وما حولها في بداية عهده،

---

(١) المصدر السابق، ج٢، نفس الصفحات.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١١٨-١١٩.

(٣) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص١٦٨.

(٤) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٥.

وأرسل إليها الإمام رسالة عبّر فيها عن أمله في إقامة علاقات طيبة معها، وحينما توغلت القوات السعودية في عمان وأصبحت تهدد مدينتي مسقط وصحار، نصحت بريطانيا حاكمي هاتين المدينتين بدفع الزكاة إلى حكومة الرياض، لكن بريطانيا وقفت ضد أي محاولة للاستيلاء على مسقط وصحار.

وكان موقف بريطانيا بالنسبة للنزاع بين الإمام فيصل وآل خليفة مشابهاً بدرجة كبيرة للموقف الذي اتخذته في عمان، ذلك أنها لم تشجع حاكم البحرين على عدم دفع الزكاة للإمام فيصل، لكنها وقفت إلى جانبه ضد أي محاولة غزو لبلاده. وفي إطار اهتمام بريطانيا بعلاقاتها مع الإمام فيصل بن تركي بعثت اللفتنانت كولونيل لويس بلي المقيم البريطاني في أبي شهر لزيارة الرياض عاصمة الدولة السعودية الثانية وذلك عام ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م) ومقابلة الإمام فيصل بن تركي، وشرح السياسة البريطانية في المنطقة، وقطع الطريق على المحاولات الفرنسية لإقامة علاقات مع القوى المختلفة في الجزيرة العربية ومنها الدولة السعودية الثانية وتكوين امبراطورية عربية تديرها فرنسا في طريق الهند. (١)

ولا نريد الدخول في تفاصيل ما تمخضت عنه زيارة بلي للرياض، ولكن نكتفي هنا بالإشارة إلى نتيجة هامة نستخلصها من توصيات بلي إلى حكومته مؤداها "أن قوى السعوديين في الداخل (داخل الجزيرة العربية) هي القوى المتماسكة الحقيقية التي يمكن تنفيذ ما تعد به من تحقيق الاستقرار في المنطقة، ومن هنا فإن التعامل معها أكثر جدوى وفائدة من التعامل مع كيانات صغيرة وهامشية." وهي السياسة التي طبقتها بريطانيا بحذافيرها عند قيام الدولة السعودية الثالثة. (٢)

نهاية الإمام فيصل بن تركي:

وهكذا اتسعت حدود الدولة السعودية الثانية في عهد الإمام فيصل بن تركي اتساعاً كبيراً، وشملت بالإضافة إلى منطقة الرياض الأحساء والقطيف وعسير والجبل والقصيم، وذلك لأن سكان هذه المناطق تأكدوا من نجاح الإمام فيصل بن تركي، الذي أعاد للبيت السعودي مكانته السياسية في شبه الجزيرة العربية، واجتهد في بناء الدولة. هذا ويعد الإمام فيصل بن تركي من أعظم حكام آل سعود، فهو يتميز

---

(١) بلي، اللفتنانت كولونيل لويس، (١٤١١هـ)، **رحلة إلى الرياض**، ترجمة وتحقيق وتقديم عبدالرحمن عبدالله آل الشيخ وعويضة بن متيريك الجهني، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، صفحة ح.

(٣) بلي، اللفتنانت كولونيل لويس، (١٤١١هـ)، مرجع سابق، صفحة ط.

بقوة الشخصية وبذكاء واسع، ونعمت البلاد في عهده بالوحدة والحرية والاستقلال.[١] وقد عبر اللفتنانت كولونيل لويس بلي عن إعجابه بصفات الإمام فيصل بن تركي عندما زار الرياض عام ١٢٨٢هـ وقابل الإمام فيصل قبل وفاته ببضعة أشهر ووصفه بأن ملامح وجهه كانت تمثل الهدوء والصرامة ورباطة الجأش والطمأنينة، كما أن عباراته كانت هادئة وموزونة، وكان جليل القدر مهاباً.[٢]

وفي عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م توفي الإمام فيصل بن تركي -رحمه الله تعالى- في الرياض مخلفاً أربعة أولاد هم عبدالله، وسعود، ومحمد، وعبدالرحمن. وخلفه في الحكم ابنه الأكبر عبدالله، وبموت الإمام فيصل فقدت البلاد أعظم حاكم من حكام الدولة السعودية الثانية.

---

(١) السعدي، حصة أحمد عبدالرحمن، (١٤١٦هـ)، مرجع سابق، ص ص٨٦-٨٨.

(٢) بلي، اللفتنانت كولونيل لويس، (١٤١١هـ)، مرجع سابق، ص ,٧٦

المبحث الرابع

فترة الاضطرابات بعد وفاة الإمام فيصل

كانت وفاة الإمام «فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود» خسارة كبيرة للبلاد، وفتحاً لباب الفتن والنزاعات التي دامت سبعاً وعشرين سنة تدوال الحكم فيها أبناؤه (عبد الله وسعود ومحمد وعبد الرحمن)، كما تولى إمارة الرياض في هذه الفترة عمهم (عبد الله بن تركي) وصار كل من يستولي على الرياض منهم يعد هو الحاكم.

وتفصيل ذلك: أن الإمام عبد الله بن فيصل كان الساعد الأيمن لأبيه طيلة أيام حكمه، وطالما قاد الجيش السعودي في معارك عدة، كما كان والده ينتدبه للمهمات فينهض بها على أتم وجه، فنال ثقة والده وعهد إليه بالحكم من بعده مما أغضب أخاه سعوداً وجعله يحقد عليه، ويطمع في أن ينزع الحكم من أخيه؛ لأنه يعتقد أنه أكفأ وأقوى شخصية منه، وأقدر على إدارة البلاد؛ لذا خرج في العام الثاني لولاية أخيه (١٢٨٣هـ) مغاضباً لأخيه واستنجد القبائل لمساعدته فامتنع بعضها وأجاب البعض الآخر فجمع من أتباعه جيشاً التقى مع جيش أخيه (عبد الله) في (المعتلى) عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م فهزم جيش سعود هزيمة ساحقة جعلته يتوقف عن الحرب فترة حتى استطاع أن يستجمع قواه ويستعين بالقوى الخارجية التي كانت تتربص الدوائر في الدولة السعودية الثانية للإجهاز عليها أو إضعافها، وكوّن جيشاً التقى مع جيش أخيه في معركة (جودة) قرب الأحساء في رمضان عام ١٢٨٧ هـ وهزم جيش الإمام عبدالله الفيصل هزيمة منكرة وأسر قائده الأمير (محمد بن فيصل)، وتعد هذه المعركة، المعركة الحاسمة في هذا النزاع من حيث الأهمية، وفداحة خسارة البلاد، وبُعد المدى في النتائج؛ فقد استولى سعود على الأحساء ثم زحف ودخل الرياض في مطلع العام التالي (١٢٨٨هـ). وفي هذه الأثناء وقعت بين الطرفين معركتان (في الجزعة ثم في البرة) أجهزت على ما بقي لدى الإمام (عبد الله) من قوة فخرج هائماً على وجهه يطلب النجدة من أهل القصيم ثم من ابن رشيد، فلم يجبه أحد، مما اضطره إلى اللجوء إلى ولاة الدولة العثمانية في العراق فأرسل مندوباً يحمل رسالة إلى «خليل بك» والي البصرة، وإلى «مدحت باشا» والي بغداد؛ فكان الإمام عبد الله الفيصل بهذا «كالمستجير من الرمضاء بالنار» فانتهز «مدحت باشا» الفرصة وأعد جيشاً بقيادة الفريق «نافذ باشا» وانضمت إليه بعض القبائل التي

تسكن شمالي الجزيرة العربية وتحركت الحملة في ربيع الأول عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م فاحتلت القطيف وفكت أسر الأمير (محمد بن فيصل) ثم احتلت الأحساء، ولما قدم «مدحت باشا» في العام نفسه أطلق على منطقة الأحساء: «ولاية نجد» ثم زحف على قطر واحتلها.

وقد حاول الأمير «سعود» إخراج الأتراك العثمانيين من الأحساء عن طريق المفاوضات ففشل وعن طريق الحرب في معركة الخويرة في رجب سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م فهزم وعاد إلى الرياض.

وفي شهر ذي القعدة عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م اشتبك في معركة مع إحدى القبائل الموالية لأخيه «عبدالله» فهزم وجرح وعاد إلى الرياض حيث توفي فيها في ١٨ من ذي الحجة عام ١٢٩١هـ/ ٢٧ يناير ١٨٧٥م رحمه الله وعفا عنه.

وبعد وفاة الأمير «سعود» اختار أهل الرياض أخاه الإمام «عبد الرحمن الفيصل» وبايعوه أميراً عليهم.

ولم يمكث الإمام «عبد الرحمن» إلا عاماً واحداً حتى قدم عليه أخوه الإمام «عبد الله» فتنازل له عن الحكم عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م.

استقر الأمر للإمام «عبد الله الفيصل»، ولكن أبناء أخيه «سعود» أخذوا يحرضون عليه القبائل وينازعونه، مما فتح الباب أمام تدخل الأمير «محمد بن عبد الله بن رشيد» الذي كان يطمع في الاستيلاء على نجد كلها، فزحف بجيشه على الرياض ففر أبناء سعود الثلاثة (محمد وسعد وعبد الله) إلى الخرج، أما أخوهم الرابع عبد العزيز فكان يقيم منذ بداية المحنة في حائل.

استولى ابن رشيد على الرياض وجعل الإمام (عبد الرحمن الفيصل) والياً عليها من قبله عام ١٣٠٦هـ، واصطحب معه أخاه الإمام (عبد الله) إلى حائل، ثم لم يلبث أن استدعى ابن رشيد الإمام (عبد الرحمن) إلى حائل وفرض عليهما الإقامة الجبرية، وعين عاملاً من قبله (سالم السبهان) ثم عزله وعين (فهاد الرخيص).

مرض الإمام «عبد الله الفيصل» أثناء إقامته، وفي مطلع عام ١٣٠٧هـ اشتد به المرض فأذن لهما بالعودة إلى الرياض وبعد أيام قليلة جداً من وصولهما توفي الإمام «عبد الله الفيصل» في ربيع الآخر عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٨م، رحمه الله وغفر له.

كان ابن رشيد قد تعهد للإمام «عبدالله الفيصل» بإعادته إلى الإمارة ، ولما توفي كتب أخوه «عبدالرحمن» لابن رشيد يخبره بوفاة أخيه ، وطلب منه عزل عامله على الرياض ، وتعيينه بدله ، فكان جواب ابن رشيد أن عزل «فهاد الرخيص» وعين «سالماً السبهان» عاملاً على الرياض .

وفي عيد الأضحى من العام نفسه (١٣٠٧هـ) بلغ الإمام «عبد الرحمن» أن ابن سبهان يدبر له مكيدة عندما يأتي ابن سبهان لتهنئته بالعيد فيقتله ويتخلص ممن بقي من آل سعود ، فسبقه الإمام «عبد الرحمن» إلى المكيدة نفسها فسجنه ، وقتل رجال الإمام عبد الرحمن عدداً من رجال ابن سبهان .

ولما علم أهل القصيم بما قام به الإمام «عبد الرحمن» كتبوا له يعاهدونه على السمع والطاعة .

أما ابن رشيد فزحف بجيشه يريد الرياض لمعاقبة الإمام «عبد الرحمن» فاعترضه أهل القصيم ودارت بينهم معركة عرفت بـ «وقعة المليداء» في ١٣ من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٨هـ/ ٢٥ يناير ١٨٩٠م هزم فيها أهل القصيم هزيمة منكرة وقتل فيها عدد من رجاله المشهورين ، وكان الإمام عبدالرحمن قد خرج لنجدتهم ففاتته الفرصة بهزيمتهم ، فعاد إلى الرياض ، ثم علم أن ابن رشيد يعد جيشاً قوياً للهجوم على الرياض ، والتفت الإمام «عبد الرحمن» فلم يجد حوله أنصاراً يعتد بهم فخرج من الرياض يستجمع قواه ، وفي العام التالي عاد واستولى على الرياض وما حولها .

ولما علم ابن رشيد بتحركات الإمام عبد الرحمن ، جهز جيشاً للقضاء عليه فالتقى الجيشان عند حريملاء في شهر صفر ١٣٠٩هـ/ سبتمبر ١٨٩١م فهزم الإمام «عبدالرحمن» وأتباعه ، وزحف على الرياض وهدم سورها وقصورها . وأصبح يعين عليها عمالاً إيذاناً بنهاية الدولة السعودية الثانية واستأثر بحكم نجد مدة عشر سنوات .

أما الإمام عبد الرحمن فرحل من نجد إلى الأحساء والقطيف ثم إلى قطر ، فالكويت حيث استقر به المقام هناك ونزل ضيفاً على أميرها سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م ، وكانت نتائج هذا النزاع : استيلاء الأتراك العثمانيين على منطقة الأحساء ، وسيطرة بريطانيا على مشيخات وإمارات الخليج ، واستئثار آل رشيد بحكم نجد ، وهكذا أجهز على الدولة السعودية الثانية .

وقد انتهت هذه المحن -ولله الحمد والمنة- بظهور الملك عبد العزيز الذي أخذ على عاتقه إعادة ملك آل سعود وأمجادهم ، وتخليص البلاد ممن اغتصبها ، وتوحيدها ، وقد تحقق له ذلك بتوفيق الله وصلاح

نيته وصدق عزيمته فبنى -على أساس متين من العقيدة الإسلامية الصحيحة والشريعة الغراء- صرحاً شامخاً أصبح مضرب المثل في استتباب الأمن والاستقرار والعدل والرخاء والتقدم على نحو ما يأتي تفصيله في الفصل التاسع- إن شاء الله- .

المبحث الخامس

بعض الأنظمة الإدارية والحضارية خلال عهد الدولة السعودية الثانية

أولاً : نظام الحكم والإدارة:

١- الإمام وسلطاته:

حافظت الدولة السعودية الثانية على لقب الإمام كحاكم للدولة، باعتبار هذا اللقب شعاراً لنظام الحكم الإسلامي، وكانت مهمة الإمام حفظ الدين وتدبير شؤون الرعية على أسس من الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح. وكانت سلطات الإمام مقيدة بالشرع من ناحية، وله إصدار الأوامر والتنظيمات وإبرام معاهدات الصلح وإعلان الحرب ضد أي جهة داخلية أو خارجية. ومن ناَحية أخرى فهو له الرئاسة التنفيذية والتنظيمية والقضائية والمالية والعسكرية في الدولة. والإمام هو الذي يقوم بحل المسائل المعقدة والخلافات الكبيرة التي كانت بين القبائل في البلاد.[١] وكان مقر الدولة السعودية الثانية في الرياض، وللإمام ديوان في قصره يجتمع فيه مستشاروه وقضاته وأمراؤه ورؤساء الأقاليم ومشايخ القبائل.[٢]

٢- ولاية العهد:

كانت ولاية العهد حسب النظام الوراثي الأسري للابن الأكبر من أولاد الإمام. ومن سلطات ولي العهد واختصاصاته وواجباته أنه ينوب عن الإمام أثناء غيابه لمرضه أو لحالات الغزو والزيارات، وكان يعين ولي العهد حاكماً (أو أميراً) على إقليم من الأقاليم لتدريبه على الأمور السياسية والإدارية والتعرف على مشكلات الناس ومطالبهم، ومن الأمثلة على ذلك تعيين الأمير عبدالله بن فيصل زمن إمامة أبيه

---

(١) فاسيلييف، أليكس، (١٩٨٦م)، **تاريخ العربية السعودية**، ترجمة خيري الضامن وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو، ص٢٢١.

(٢) أحمد، فؤاد عبدالمنعم، (١٤١١هـ)، **أصول نظام الحكم في الإسلام مع بيان التطبيق في المملكة العربية السعودية**، مؤسسة شباب الإسكندرية، ص ص٣٠٠-٣٠١.

حاكماً على الرياض. وقد يتسلم ولي العهد قيادة الجيوش بدلاً من أبيه الإمام تدريباً له على فنون الحرب والفروسية لأنه في المستقبل سيكون قائداً عاماً للغزو.[١]. كما حدث بالنسبة للإمام عبد العزيز في عهد والده الإمام محمد بن سعود ولابنه سعود في عهده (أي عهد والده الإمام عبد العزيز).

٢- حكام الأقاليم:

كانت الدولة مقسمة إلى عدة نواحٍ وأقاليم، يعين الإمام على كل إقليم حاكماً أو عاملاً. وكان الإمام يراعي في اختيار أمير الإقليم أن يكون من ذوي النفوذ والزعامة في الإقليم حتى يساعد ذلك على خضوع أهلها للسلطة المركزية لأنهم أكثر خبرة ودراية بمناطقهم وبلادهم وأكثر فهماً لمشاكلهما، كما أن كلمتهم مسموعة لدى أهلها.

على أنه من الملاحظ أن الإمام فيصل بن تركي بالذات لم يتبع ما اتبعه قادة الدولة السعودية الأولى من عدم تعيين أناس من الأسرة الحاكمة في إمارات المناطق. فقد عين ابنه سعوداً أميراً لإقليم الخرج، وعين أخاه جلوي بن تركي حاكماً عاماً على القصيم، ولعل هدفه الأساس من ذلك تثبيت الأمن والاستقرار في هذين الإقليمين.

ويأتي مركز الأمير بعد مركز الإمام في البلد الذي يعين به. فكانت وظيفته سياسية وإدارية وعسكرية، فهو المسؤول عن تجميع الزكاة في البلد وإرسال ذلك إلى مركز الدولة في الرياض، وعليه تجهيز الغزو في حالة النفير العام[٢]، والغالب أن يكون هو رئيس غزو بلده. ولم تمنع قوة نفوذ الأمير أن يقوم الإمام بعزله إذا تبين له عدم كفاءته. وتتضح قوة مركز الإمام من كلمات الإمام تركي لأمراء الأقاليم عندما جمعهم في إحدى غزواته فقال: من حدث منه منكم ظلم لرعيته ليس أدبه عزله بل أجليه عن وطنه ثم وجه كلامه لبعض الرعايا الحاضرين فقال: أيما أمير ظلمكم فأخبروني. فقام أمير بريدة عبدالعزيز بن محمد آل عليان فقال: يا إمام المسلمين خص بقولك ولا تعم به فإذا كنت نقمت على أحد منا فأخبره بفعله. فقال الإمام تركي: "إنما القول فيك وأمثالك تحسبون أنكم ملكتم البلدان بسيوفكم وإنما أخذها لكم وذللها سيف الإسلام والاجتماع على إمام".[٣] ولقد كان حكم الدولة السعودية

---

(١) أحمد، فؤاد عبدالمنعم، (١٤١١هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٠١-٣٠٢.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د.ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ١٦١.

(٣) السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية، ١٢٣٨-١٣٠٩هـ/ ١٨٢٣-١٨٩١م**، ط١، المطابع الوطنية للأوفست، عنيزة، ص ص٢٩٤-٢٩٦.

الثانية لأقاليمها ولبلدانها حكماً مرناً أكثر من كونه مركزياً لأن الإمام أعطى الأمير سلطات واسعة في إقليمه، أو في بلده دون الرجوع إليه عند الضرورة.

٤- الشورى:

طبقت الدولة السعودية مبدأ الشورى في نظام حكمها منذ بداية الدولة السعودية الأولى على يد الإما م محمد بن سعود - يرحمه الله -، فلم تتخلى عنه في أي مرحلة من مراحله حتى وقتنا الحاضر. وكان في الدولة السعودية الثانية نوعان من الشورى: شورى خاصة وأخرى عامة.

والشورى الخاصة تضم عدداً من الأمراء والقضاة والفقهاء والقادة وبعض أفراد الأسرة الحاكمة. وتجتمع هذه النخبة من أصحاب الرأي عندما يأمر الإمام باجتماعها، ويكون لها دور كبير في حالات الحرب، وعند تعيين ولي العهد، ومن أمثلة ذلك اجتماع مجلس الشورى للتباحث في وضع الخطط اللازمة لمقاومة حملة القائد إسماعيل بك وخالد بن سعود، اللذين أرسلا من قبل والي مصر محمد علي للقبض على الإمام فيصل وإنهاء سيادة الدولة السعودية المستقلة.(١)

أما الشورى العامة: فكانت تنعقد في شكل اجتماعات عامة في مناسبة معينة من أجل دراسة المشكلات المتعلقة بالأقاليم عند حدوث تمرد أو فتور في بعض أقاليم الدولة، وكان يحضر هذه الاجتماعات القضاة والأمراء والفقهاء ومشايخ القبائل وأصحاب الفكر والقادة وغيرهم، ومن أمثلة هذه الاجتماعات العامة اجتماع وثيلان الذي أقيم في الدهناء عند عين تدعى وثيلان واجتمع فيه الإمام فيصل بعامة المسؤولين في الأقاليم.(٢)

٥- ولاية القضاء:

يمكن القول أن سلطة القاضي تأتي في المرتبة الثانية مباشرة بعد سلطة الأمير في البلد، وغني عن البيان القول أن القضاء في الحاضرة يستمد أحكامه من الشريعة الإسلامية تبعاً لما تمليه دلالات الكتاب والسنة، وليس مقترناً بالمذهب الحنبلي فحسب، وإن كان يأخذ به في كثير من الحالات لاعتماد المذهب على الدليل أكثر من غيره. وكان القضاة بسيطين في معاملتهم وتنفيذهم للقضاء سواء في المسجد أو الشارع أو المنزل ويتحلون بالنزاهة الحقيقية. وكان القاضي يجلس إلى الخصمين ويسمع شكواهما ثم

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د.ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ٧٠.

(٢) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ص٢٥٢-٢٥٣.

يقضي بينهما فيقومان راضيين دون تعقيدات، ومن الواضح أن الحزم في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية خصوصاً في القصاص والحدود قد أدى إلى الاستقرار والأمن وانعدام المشكلات بين الناس. (١)

"والفصل في جميع القضايا المختصة بالناس من أهم وظائف القاضي وقد يفصل الإمام أو الأمير فيها ولكن لا بد من مصادقة القاضي عليها بختمه المعروف. وغالب الذين يتولون القضاء يكونون من علماء البلد إذا وجدوا، وإلا أرسلت حكومة الرياض قاضياً من قبلها". (٢)

وقد شهدت الدولة السعودية الثانية علماء أفاضل وقضاة أكفاء، وكان بعض هؤلاء قد ولدوا في عهد الدولة السعودية الأولى، وتعلموا في ذلك العهد. بل إن منهم من تولى القضاء في أواخره، لكن أكثر أعمالهم وإنتاجهم كان في عهد الدولة السعودية الثانية. وكان من أبرز أولئك العلماء والقضاة مرتبين حسب سنوات وفاتهم:

١- عبدالله بن عبدالرحمن أبو بطين: ولد في روضة سدير سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، وتعلم فيها، ثم في شقراء، ثم في الدرعية. ولما دخلت الطائف تحت الحكم السعودي عُين قاضياً لها، ثم ولي قضاء جهات عمان. وفي عهد الإمام تركي بن عبدالله تولى قضاء الوشم، ثم تولى قضاء القصيم متخذاً من عنيزة مقراً له، وذلك من سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م إلى سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م. وبعد هذا استقر في شقراء حتى وفاته سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م. وهو من أكثر علماء زمنه النجديين تأليفاً لكتب جيدة. (٣)

٢- عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب: ولد في الدرعية سنة ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، وتتلمذ على علمائها، وتولى القضاء في الدرعية، كما تولاه فترة قصيرة في مكة. وكان مع عبدالله بن سعود في معركة وادي الصفراء سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م. وقد دافع عن الدرعية مع المدافعين عنها. ثم أخذ إلى مصر، وجالس علماءها، وناقشهم. ثم عاد إلى نجد عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م، وأصبح يتولى الشؤون الشرعية في عهد الإمام تركي بن عبدالله. وظل

---

(١) السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٠٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢٩٨.

(٣) المرجع السابق، ص٣٢٠.

في منصبه حتى وفاته في عهد الإمام عبدالله بن فيصل سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م. (١)

٣- عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن: ولد في الدرعية سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م، وأخذ مع أبيه إلى مصر وتعلم في الأزهر مختلف العلوم الشرعية والعربية. ثم عاد إلى نجد سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م، فأصبح الساعد الأيمن لأبيه عبدالرحمن في إدارة الشؤون الدينية. ولما حدث النزاع بين أبناء الإمام فيصل بعد وفاته بذل جهداً كبيراً لتخفيف وطأة ذلك النزاع. وقد توفي عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م. (٢)

٤- حمد بن عتيق: ولد في الزلفي سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م ثم انتقل إلى الرياض، وتتلمذ على علمائها. وقد تولى قضاء الخرج، ثم الحلوة، ثم الأفلاج، واستمر قاضياً للبلدة الأخيرة حتى وفاته سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م.

٥- عبدالله بن عبداللطيف: ولد خلال إقامة والده المؤقتة في الأحساء عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م، فنشأ في بيت جده، قاضي تلك البلاد، عبدالله الوهيبي، وتتلمذ على علمائها الأفاضل، ثم انتقل إلى الأفلاج، واستقر فيها، حتى أقنعه قاضيها حمد بن عتيق بالانتقال إلى الرياض، ففعل. وأصبحت له مساهمة كبيرة في إصلاح الأمور العامة. وقد استقدمه الأمير محمد بن رشيد إلى حائل، فمكث فيها فترة، ثم عاد إلى الرياض. ولما بدأ الملك عبدالعزيز آل سعود حكمه أصبح عوناً له في تسيير الشؤون الدينية. وقد توفي عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م. (٣)

٦- هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهذه هي السلطة الثالثة في البلد بعد الأمير والقاضي، وهي تستمد سلطتها من سلطتيهما. (٤) والهيئة تشبه ديوان الحسبة في صدر الإسلام، وأول ذكر لهذه الهيئة جاء في رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب المعروفة بالرسائل النجدية وقد أخذ أمرها يتضح أكثر في فترة حكم الإمام فيصل بن تركي إذ أمر بتشكيل هيئة الأمر بالمعروف في أول خطاب له ألقاه على الشعب. كما شدد على الأمراء في المناطق

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، ج١، مرجع سابق، ص ص٣١٩-٣٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص٣٢٠.

(٣) المرجع السابق، ص ص٣٢٠-٣٢١.

(٤) المرجع السابق، ص٣٠١.

أن يعاضدوا هذه الهيئة لأنها دعم لهم. واستمرت الهيئة أيضاً خلال فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الثانية. وما زالت المملكة العربية السعودية -بفضل الله- تعضد هذه الهيئة وتهتم في أمرها حتى وقتنا الحاضر.[١]

وكان صاحب وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له سلطة واسعة في حدود وظيفته، حيث يقوم بالمرور في الأسواق لتذكير الناس بأوقات الصلاة، وعلى الجميع ترك الأعمال والذهاب لأداء الصلاة جماعة في المساجد التي أقيمت في كل حارات المدينة أو البلدة أو القرية، كما كان يقوم بالإشراف على الموازين والمكاييل ومراعاة أحكام الشرع في عمليات البيع والشراء.[٢]

ثانياً: النظام العسكري:

لم يكن هناك نظام عسكري كما هو في المفهوم الحديث، وإنما كانت الدولة السعودية الثانية تعتمد على نظام النفير العام وهذا يعني التعبئة العامة في البلد بقسميها الحضري والبدوي. أما عن كيفية إعداد النفير فكانت تتلخص فيما يلي:

يصدر الإمام أوامره إلى أمراء الأقاليم وشيوخ القبائل بتجهيز غزوهم والحضور إلى مكان قد عينه لهم سراً. وعلى أمير الإقليم أو شيخ القبيلة القيام بتجهيز قواته بالسلاح والمؤونة.[٣] وكان على كل مدينة أو قبيلة أن تقدم في حالة الاستدعاء عدداً معيناً من المقاتلين والدواب وكانت تلك الأعداد تسجل في سجلات تعتبر أساساً لجباية الزكاة، ويشمل الاستدعاء عادة نصف العدد الإلزامي للمحاربين، وفي الحالات الاستثنائية تستدعى كل القوات، وكانت كل قبيلة أو مدينة تشكل في جيش الدولة وحدة خاصة لها رايتها.[٤]

أما في الحالات العاجلة فإن الأمير إذا عزم على الغزو استنفر أهل البلد فخرج القادر على ذلك باستثناء الكبير والضعيف والصغير، وإذا كانا أخوين خرج أحدهما وبقي الآخر عند الأسرة، وكل غاز يجهز نفسه بالسلاح والذخيرة والمتاع والمركوب من إبل أو خيل، والأمير يمد المحاربين بالأطعمة

---

(١) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٢٦٨؛ وانظر أيضاً الباب الثامن، الفصل الثاني.

(٢) المرجع السابق، ص٢٦٩؛ السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ص٣٠٢-٣٠٣.

(٣) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٢٥٤.

(٤) فاسيلييف، أليكس، (١٩٨٦م)، مرجع سابق، ص ص٢٢٣-٢٢٤.

اللازمة، وذلك عن طريق سكان هذه البلدة. حيث يكلف الأمير ممثليه بجباية هذه الأموال والمؤونة على اختلاف أنواعها، وهذا ما كان يطلق عليه ضريبة الجهاد. ولقد أمر الإمام تركي في إحدى توجيهاته لأمراء الأقاليم ألا يستغلوا ذلك فيأخذوا من السكان أكثر من المطلوب منهم. (١)

ولقد كان أغلب تسليح القوات بدائياً مثل السيف والدرع والرمح والقوس والنبال والخنجر، ومنها البندقية ذات الفتيل. (٢) وكذلك بضعة مدافع لم تستخدم إلا في حالات نادرة جداً. (٣) وكانت القوات تنقسم إلى مشاة وفرسان وهجانة. (٤)

ولم تتخذ الدولة السعودية الثانية خطوات جادة لتشكيل أسطول بحري، وكانت عملية تعتمد على سفن أتباعها من القبائل الساحلية، كأهل البحرين، وعندما فتح الإمام فيصل بن تركي قطر عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م سخر سفنها لخدمة الدولة. (٥)

أما بالنسبة للخطط الحربية فكان لدى الدولة السعودية الثانية أكثر من طريقة، كالمباغتة، أو الهجوم المكشوف، أو بواسطة الكمائن، أو أسلوب الكر والفر، وفي أكثر الأحيان كان يسود القتال أسلوب الزحف، وربما عمدوا إلى قتال التعبئة وهي أن تسير القوات للقاء عدوها وهي مقسمة إلى قلب وميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة. (٦)

وكان الغزو في الدولة السعودية عموماً يتم في فصلي الشتاء والربيع كل سنة، أما أشهر الصيف فهي فترة استراحة. لأن فصلي الشتاء والربيع هما فصلا المطر، والقبائل تنتشر في الصحراء للرعي فيسهل غزوها، بعكس الصيف التي تتجمع حول موارد المياه للسقاية. (٧)

ولم يكن للجندي (الغازي) راتب معين، ولم تكن هناك جيوش منظمة ثابتة في الدولة بل كانت

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٧؛ والسلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٠٤-٣٠٥.

(٢) السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص ٣٠٦.

(٣) فاسيلييف، أليكس، (١٩٨٦م)، مرجع سابق، ص٢٢٤.

(٤) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٢٥٥.

(٥) المرجع السابق، ص٢٥٨؛ فاسيلييف، أليكس، (١٩٨٦م)، مرجع سابق، ص٢٢٤.

(٦) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٢٥٥.

(٧) السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٠٨.

توزع عليهم الغنائم في حالة النصر، كالقاعدة العامة الخمس لبيت مال الدولة، والأربعة أخماس الباقية للجنود المحاربين.[١] حصة للمشاة أو الهجانة وحصتان للفرسان.[٢] ولعل هذا التفاوت نتيجة لأن جهود الفارس وتكلفته أكثر من غيره.

وكان الإمام تركي بن عبدالله آل سعود هو القائد لأتباعه قبل بداية دولته، وظل يقود بعض الغزوات بعد ذلك، ولما قدم إليه ابنه فيصل من مصر تولى قيادة أكثر الغزوات. وكان وضع عبدالله بن فيصل مع أبيه كوضع أبيه مع جده. ولما حدث النزاع بين عبدالله وأخيه سعود كان كل منهما يقود أتباعه أحياناً. وأحياناً كان أخواهما محمد وعبدالرحمن يقودان الأتباع.

ولقد برز في عهد الدولة السعودية الثانية عدد من الشخصيات التي تولت مناطق أو قيادة جيوش ونجحت نجاحاً كبيراً. وكان من أشهرهم:

١- عمر بن عفيصان: كان مع الإمام تركي بن عبدالله في عِرْقة سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م، ثم عينه الإمام أميراً للخرج سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م، ثم أرسله قائداً لسرية إلى عمان سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م. وفي عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م غزا جهة الأحساء وأخضعها لحكم الدولة السعودية وعُين أميراً عليها. وفي سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م قاد الجيوش المتجهة إلى عمان. وظل أميراً للأحساء حتى عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م، وهرب منها خوفاً من بطش خورشيد باشا، ثم أعاده عبدالله بن ثنيان إلى إمارة الأحساء سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م.[٣]

٢- أحمد بن محمد السديري: وفد إلى الإمام تركي بن عبدالله سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م. على رأس جماعته أهل الغاط مبايعاً، ثم عينه إسماعيل بك أميراً لسدير عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، فأحسن السيرة بأهلها، ثم أمَّره خورشيد باشا على الأحساء فترة من عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م، ثم عينه عبدالله بن ثنيان أميراً للقطيف سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م، ثم عينه الإمام فيصل بن تركي أميراً للأحساء سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م. وكان له دور كبير في تثبيت الحكم السعودي هناك، وفي جهات عمان عندما نقل إليها أميراً سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م. وقد توفي بالأحساء عام

(١) المرجع السابق، ص٣٠٨.

(٢) فاسيلييف، أليكس، (١٩٨٦م)، مرجع سابق، ص٢٢٤.

(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، ج١، مرجع سابق، ص٣٢٤.

١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م. (١)

٣- تركي بن أحمد السديري: عينه الإمام فيصل أميراً على الأحساء سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، ثم حل محل أبيه في جهات عمان بعد سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م. وكان له دور مشابه لدور أبيه في الأحساء، ثم في الجهات العمانية، وظل هناك حتى اغتيل سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م. (٢)

٤- محمد بن أحمد السديري: عينه الإمام فيصل أميراً في بريدة وعلى سائر بلدان القصيم عام ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، ثم أمّره في الأحساء عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م. وكان مع سعود بن فيصل في معركة طلال ضد الروقة من عتيبة عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، وقتل في تلك المعركة. (٣)

ثالثاً: النظام المالي:

إن النظام المالي في الدولة السعودية الثانية يعني مصادر الدخل ووجوه الإنفاق (إيرادات ومصروفات)، ولقد كانت واردات بيت المال تتكون من الآتي:

١- الزكاة:

وهي تعتبر أهم مصادر الدخل في الدولة السعودية الثانية، وتؤخذ من الحاضرة والبادية حسب ما قررته الشريعة الإسلامية، ومقدارها يختلف باختلاف الصنف المراد أخذ الزكاة عنه. والزكاة عادة تجبى من الإقليم والمسؤول الأول عن جبايتها هو أمير الإقليم، فهو يعين وكلاء أو جباة أو محصلين يجمعون الزكاة من إقليمه، وهذا بدوره يرسلها إلى بيت المال في الرياض. وكان مقدار الزكاة يخضع للتطورات الاقتصادية والسياسية في الدولة، فأحياناً كانت ترتفع وأحياناً أخرى كانت تنخفض بسبب الحروب. (٤)
وقد شدد الإمام فيصل بن تركي في وجوب دفع الزكاة في أوقاتها المحددة لأنها الركن الثالث من أركان الإسلام، كما أنها الممول الرئيس لبيت المال في الرياض. (٥)

---

(١) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (١٣٨٦هـ)، ط١، مرجع سابق، ص ص١٦٤-١٧٥.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، ج١، مرجع سابق، ص٣٢٣.

(٣) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ص٤٠-٤٢.

(٤) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٢٧٤.

(٥) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ٦٦.

٢- ضريبة الجهادية:

وهي ضريبة تجمع من المواطنين لتجهيز الغزوات التي تقوم بها الدولة أو الإمارة، وهي موجودة في الدولة السعودية الثانية، ويدل على ذلك خطاب الإمام تركي إلى أمراء البلدان بقوله: "اسمعوا يا أمراء البلدان، اسمعوا يا أمراء المسلمين إياكم وظلم الرعايا والأخذ منهم غير الحق، فإذا ورد عليكم أمري بالمغزى حملتموهم زيادة لكم إياكم وذلك، فإنه ما منعني أن أجعل على أهل البلدان زيادة ركاب لغزوهم إلا الرفق بهم وإني ما حملتهم إلا بعض ما حملهم الذي قبل". (١)

٣- ضرائب أخرى:

وتشمل الضرائب أو الجمارك التي تؤخذ على البضائع، وهذه الجمارك كانت موجودة في زمن الدولة الإسلامية الأولى. لذا فقد أخذت الدولة السعودية الثانية الأعشار من البضائع التي تدخل البلاد من الخارج. ولا توجد سجلات رسمية تحصي كمية ومقدار العشور التي كانت تجمعها الدولة سنوياً. (٢) كما تشمل الضريبة التي تؤخذ على الحجاج أثناء مرورهم في أراضي الدولة لقاء تأمينهم من الحوادث وما يحتاجونه من ماء وغيره. (٣)

٤- الغنائم:

وهي ما تؤخذ من أسلاب المعركة بعد نهايتها سواء أكانت عينية كالأسلحة أم نقدية أم مواشي. وحصة بيت المال منها الخمس حسب القاعدة الشرعية، والباقي يوزع على المحاربين كل حسب كفاءته ورتبته ومقدرته كما أوضحنا ذلك في النظام العسكري. (٤)

وكان تصدير الخيول العربية الأصيلة في عهد الإمام فيصل بن تركي من الأبواب الثابتة للإيرادات، وكانت خيول جبل شمر تصدر عبر الكويت، أما الخيول الأخرى فتصدر عبر القطيف والعقير. وفي عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م بيع عن طريق الكويت ستمائة من الخيول العربية، بسعر متوسط قدره مائة وخمسون

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د.ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٧.

(٢) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٢٧٤.

(٣) السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣١٣.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د.ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٧.

ريالاً ماريا تريزا للرأس الواحد. وأرسل عباس باشا حاكم مصر عدة بعثات لشراء الخيول، وكان الرحالتان الأوربيان المعروفان فالين وغوارماني قد زارا الجزيرة العربية بحجة شراء الخيول. (١)

وقد بلغت العائدات التي وصلت إلى بيت المال في آخر عهد الإمام فيصل بن تركي حوالي ٨٦٠ ألف ريال ماريا تريزا من جميع المناطق التابعة للدولة، وكان نصيب منطقة الرياض منها ٢١٢ ألف ماريا تريزا وهي بذلك تعد ثاني منطقة من حيث كثرة الإيرادات ولا يسبقها إلا منطقة الأحساء التي بلغت إيراداتها ٢٧٠ ألف ريال ماريا تريزا. (٢)

أما المصروفات فتشمل الإنفاق على شؤون الإمام الخاصة كأمور أسرته وحرسه وخيله وركابه، إضافة إلى الإنفاق على ضيافته، كما تشمل رواتب للقضاة وعطايا ومنح لطلبة العلم وللفقراء والعاجزين عن الكسب. هذا بالإضافة إلى المشروعات العمرانية كبناء القصور وبناء السور أو ترميمه، وكذلك بناء المساجد وتعمير العيون. (٣)

وكانت النقود المتداولة بين الناس في الدولة نقوداً أجنبية مسكوكة خارج الدولة، وقد حاول ولاة الأمر من آل سعود أن يضربوا النقود العربية الخالصة. وكان من النقود المتداولة عندهم المتليكات ومفردها متليكة وقد طبعتها الدولة بطابعها الخاص وكتبت عليها اسم الحاكم، لكنها لم توفق في بقاء مثل هذا النقد الذي حاولوا سكه وذلك نتيجة الانقسامات الداخلية في الدولة. (٤) وكانت العملة الرئيسة هي الريال الفضي (ريال ماريا تريزا) ومع ذلك استخدم في التداول الشلن الإنجليزي والنقود العثمانية والفارسية والهندية الذهبية والفضية. (٥)

رابعاً: العلم والتعليم:

لقد أصبحت الرياض هي مركز الحركة العلمية في الدولة السعودية الثانية بعد أن كانت الدرعية هي مركز الحركة العلمية في عهد الدولة السعودية الأولى. وأصبحت مقصداً لطلاب العلم من أنحاء البلاد

---

(١) فاسيلييف، أليكس، (١٩٨٦م)، مرجع سابق، ص٢٢٦.

(٢) بلي، اللفتنانت كولونيل لويس، (١٤١١هـ)، مرجع سابق، ص ٥١.

(٣) المرجع السابق، ص٢٢٥؛ السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣١٥.

(٤) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ص٢٩٥-٢٩٦.

(٥) بلي، اللفتنانت كولونيل لويس، (١٤١١هـ)، مرجع سابق، ملحق ٨، ص ١٤١.

" وقد اهتم الإمام تركي بن عبدالله بالتعليم وأنشأ مؤسسة علمية على غرار ما كان موجوداً في عهد الدولة السعودية الأولى حينما أنشأ المسجد الجامع الكبير وترك أمر الإشراف عليه وعلى مناهجه لكبير علماء آل الشيخ عبدالرحمن بن حسن الذي عينه الإمام تركي مشرفاً ورئيساً للعلماء، وطلب منه أن يعيد المدرسة القديمة لدراسة العلوم والفنون الشائعة آنذاك " .[(١)] التي كانت لا تتعدى العلوم الشرعية كالفقه والتوحيد والتفسير والقراءات وبعض العلوم اللغوية الثانية، كالنحو والصرف والعلوم الاجتماعية والتاريخ، إلى جانب المرحلة الدراسية الأولية كالقراءة والكتابة. أما بالنسبة للعلوم العصرية فقد كانت نادرة في البلاد. ومن المعتقد أن بعض هذه العلوم قد دخلت في عهد الإمام فيصل بن تركي الذي عمل على تطوير التعليم في عهده.

" فقد أعاد الإمام فيصل أهمية كبرى لمسجد آخر وهو مسجد الشيخ عبدالله وجعل له دوراً تعليمياً ممتازاً على نمط ما كان موجوداً في الجامعة الأزهرية فكان ذلك المسجد يغص بحلقات العلم ليل نهار، وتولى التدريس فيه العلامة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالوهاب " .[(٢)]

ونتيجة ذلك ظهرت في البلاد مجموعة من الشيوخ والعلماء الأفاضل، لهم كتب ورسائل وفتاوى في أمور الدين، وكان على رأس هؤلاء أسرة آل الشيخ في منطقة الرياض، ومنهم الشيخ علي بن حسين ابن محمد بن عبدالوهاب وأخوه عبدالملك وعبدالرحمن بن محمد بن حسن بن عبدالوهاب وحمد بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب وغيرهم.

ومن علماء نجد المشهورين عثمان بن منصور، وعثمان بن عبدالجبار، وعبدالرحمن الثميري، وحمد ابن عبدالعزيز الدوسري وسليمان بن بليهيد والمؤرخ عثمان بن بشر صاحب كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد، وإبراهيم بن عيسى الذي اختص في التاريخ أيضاً وله كتاب عقد الدرر، وبعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان، وتعد كتاباته التاريخية مكملة لكتابات ابن بشر عن تاريخ نجد وتوابعها.

ولقد انتشرت المدارس (الكتاتيب) في مدن وبلدان المنطقة؛ حيث وجدت فيها مجموعة من كتاتيب القراءة والكتابة، وبعض الكتاتيب العليا الخاصة بتدريس العلوم الدينية والاجتماعية واللغوية.[(٣)]

---

(١) الرويشد، عبدالرحمن بن سليمان، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص٤١.

(٣) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ص٢٨٨-٢٩١.

على أن التركيز العلمي ظل -كما كان في عهد الدولة السعودية الأولى- على التوحيد. لكن علوم اللغة العربية حظيت باهتمام أوفر عن ذي قبل. وظهرت كتابات نثرية وشعرية فيها لمحات لا بأس بها من حيث الجودة. أما الشعر العامي الجميل القريب من الفصحى فقد ازدهر ازدهاراً عظيماً، وأُثر منه الشيء الكثير. وممن أثر عنه ذلك اللون من الشعر عدد من أفراد الأسرة السعودية وغيرهم من أمراء المناطق وزعماء القبائل. وقد أسهم بعض الشعر -بالإضافة إلى التمتع به- في توضيح كثير من الأحداث السياسية والاجتماعية.[١]

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، ج١، مرجع سابق، ص ص٣١٨-٣١٩.

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق :

دارة الملك عبدالعزيز، من مجموعة الوثائق التركية، **وثيقة رقم ١٧٣٣٧**، (رسالة من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان العثماني بتاريخ ١٥ ذي الحجة ١٢٤١هـ).

دارة الملك عبدالعزيز، المركز الوطني للوثائق والمخطوطات، **وثيقة رقم ١٧٢١**، تقرير عن تحرك سعود شقيق عبدالله بن فيصل نحو الحسا وسيطرته عليها وتحرك قوة من الجيش السادس الهمايوني ضده.

ثانياً : المصادر :

أ- مصادر مخطوطة:

آل بسام، عبدالله بن محمد، (مخطوط)، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، لوحة ١١٧، نسخة مصورة بمكتبة دارة الملك عبدالعزيز، رقم ٢١٠.

الذكير، مقبل بن عبدالعزيز، (مخطوط)، **العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية**، لوحة ٣٢، نسخة مصورة في دارة الملك عبدالعزيز رقم ٥٧٠.

ب- مصادر مطبوعة:

ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، جزءان، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (١٣٨٦هـ)، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**، دار اليمامة، الرياض.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د. ت.)، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر**، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ، المطابع الوطنية الحديثة، الرياض.

الحموي، ياقوت بن عبدالله، (ت٦٢٦هـ، ط١٩٦٧م)، **معجم البلدان**، ج٢، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان.

الفاخري، محمد بن عمر، **الأخبار النجدية**، دراسة وتحقيق وتعليق أ. د. عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، الرياض.

ثالثاً: المراجع:

إبراهيم، سيد محمد، (١٤٠٠هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٤٠١هـ)، **الدولة السعودية الثانية**، مؤسسة الأنوار، الرياض.

أحمد، فؤاد عبدالمنعم، (١٤١١هـ)، **أصول نظام الحكم في الإسلام مع بيان التطبيق في المملكة العربية السعودية**، مؤسسة شباب الإسكندرية.

آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف، (١٣٩٢هـ)، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، دار اليمامة، الرياض.

ابن بليهد، محمد بن عبدالله، (١٣٩٩هـ)، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار**، ج١، القاهرة.

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، **معجم اليمامة**، ج١، مطبعة الفرزدق، الرياض.

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٤٠٧هـ)، **تاريخ اليمامة**، ج٣، مطابع الفرزدق، الرياض.

بلي، اللفتنانت كولونيل لويس، (١٤١١هـ)، **رحلة إلى الرياض**، ترجمة وتحقيق وتقديم عبدالرحمن عبدالله آل الشيخ وعويضة بن متيريك الجهني، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، صفحة ح.

الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، ط١، منشورات دار اليمامة، الرياض.

السعدي، حصة أحمد عبدالرحمن، (١٤١٦هـ)، **الدولة السعودية الثانية وبلاد غرب الخليج وجنوبه**، مكتبة العبيكان، الرياض.

السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية، ١٢٣٨-١٣٠٩هـ/ ١٨٢٣-١٨٩١م**، ط١، المطابع الوطنية للأوفست، عنيزة.

عبدالرحيم، عبد الرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، **محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤-١٢٥٦هـ/ ١٨١٩-١٨٤٠م**، ج٢، ط١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة.

العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٤هـ)، **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية**، ط١، دار الهلال، الرياض.

العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١١هـ)، **نشأة إمارة آل رشيد**، ط٢، مطابع الشريف، الرياض.

العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ج١، ط٤، مطابع الشريف، الرياض.

العجلاني، منير، (١٤١٠هـ)، **الإمام تركي بن عبدالله**، دار الشبل، الرياض.

فاسيلييف، أليكس، (١٩٨٦م)، **تاريخ العربية السعودية**، ترجمة خيري الضامن وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو.

الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، **الرياض ماض تليد وحاضر مجيد**، الرياض.

المختار، صلاح الدين، (د.ت.)، **تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها**، مكتبة الحياة، بيروت.

الفصل الرابع

تاريخ منطقة الرياض
خلال عهد الدولة السعودية المعاصرة

إعداد
الدكتور
محمد بن سليمان الخضيري
قسم التاريخ والحضارة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المبحث الأول

الملك عبدالعزيز ومحاولة تأسيس الدولة السعودية

إن المتتبع لتاريخ الدولة السعودية منذ ظهورها على الخارطة السياسية للجزيرة العربية عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م يدرك أن مقومات البقاء والاستمرار ولدت معها وظلت تلازم مسيرتها رغم إمكاناتها المحدودة من جهة، ورغم الظروف المحيطة بها، وتعدد المناوئين لها من جهة أخرى.

وقد رأينا ظروف قيام الدولة السعودية الأولى ونجاحها السريع بفضل الله ثم بفضل تأييد الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب - يرحمه الله - وما هي إلا سنوات قليلة حتى استطاعت التغلب على القوى الداخلية التي ناصبتها العداء، ثم مدت كيان الدولة شرقاً وغرباً لتصطدم بالدولة العثمانية التي جندت ولاتها في العراق والشام ومصر للقضاء على هذه الدولة الوليدة كما رأينا في الفصل السادس من هذا الكتاب.

ولأن البذرة صالحة، والمعدن نفيس، والمبادئ أصيلة، وتأييد السكان لم يضعف، فقد قامت الدولة السعودية الثانية بعد بضع سنوات من سقوط الأولى على الأسس والمبادئ نفسها، واتخذت من الرياض عاصمة لها بعد أن دمّر إبراهيم باشا الدرعية، العاصمة الأولى للدولة السعودية كما رأينا. ومنذ ذلك التاريخ أخذت الرياض تنمو، واستمرت تأخذ في سبيل التقدم والرقي. ورغم استطاعة الدولة السعودية الثانية استعادة كيان الدولة، وبسط سيطرتها على أجزاء كبيرة من شبه الجزيرة العربية إلا أن أعداءها، وخاصة والي مصر محمد علي باشا، ظلوا يتربصون بها الدوائر ويتدخلون في شؤونها الداخلية حتى أسقطوا حكومتها أكثر من مرة. وإذا كانت الدولة السعودية الثانية قد استطاعت البقاء رغم هذه الظروف فإنها أخفقت في امتحان آخر هو النزاع بين الأخوة، وبروز قوى محلية، وتشابك المصالح الخارجية مما أدى إلى انطفاء الشمعة الثانية بعد حوالي خمس وسبعين سنة من قيامها.

ومرة ثالثة تظل الأسس ثابتة، والمقومات ماثلة لانبعاث شمعة جديدة بقيام الدولة السعودية المعاصرة على يد الملك عبدالعزيز -يرحمه الله-.[1] لقد استفاد من تاريخ آبائه وأجداده أعظم الدروس، فهو

(١) نظراً لتغير لقب الملك عبدالعزيز خلال الفترة التي يغطيها هذا البحث، وحرصاً على توحيد اللقب بما أصبح يطلق=

وعلى العموم فقد ولد الملك عبدالعزيز في وقت تكالبت فيه الشدائد على أسرته بسبب الخلافات العائلية، وتدخل القوى المحلية والخارجية التي هددت أركان دولتهم وكانت سبباً بإرادة الله في انتهاء حكمهم. وفي ظل الظروف السياسية والعسكرية التي حلت بالأسرة السعودية، وخاصة بعد معركة المليدا في ١٣ جمادى الآخرة عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م وانتصار محمد بن عبدالله بن رشيد على أهل القصيم، أدرك الإمام عبدالرحمن أن خطوته التالية ستكون الهجوم على الرياض، وحيث إن قوته لم تعد كافية لمواجهة ابن رشيد لم يجد الإمام عبدالرحمن بداً من الرحيل عنها حفاظاً على مقومات أسرته، وانتظاراً لوقت أفضل يعود فيه إلى عاصمة بلاده. وبعد أن أقام بضعة أيام فيها، حمل ما استطاع من ممتلكاته وأمتعته ورحل بأسرته وأقاربه وبعض رجاله في شهر رمضان من العام نفسه متجهاً إلى البادية بين يبرين والأحساء. وقد اختار هذه المنطقة لأنها أكثر أمناً، وذلك لبعدها عن مركز ابن رشيد من جهة، ولوجود بعض القبائل المتعاطفة معه، والمناوئة لخصمه مثل قبائل آل مرة والعجمان من جهة أخرى. هذا بالإضافة إلى أن البادية ومعيشة الصحراء تتيح له فرصة التأمل في المرحلة القادمة.[1] ويبدو أن الإمام

= (١٤٠٢هـ)، **تاريخ ملوك آل سعود،** ج١، مطابع المدينة، الرياض، ص ٤٨؛ آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د.ت.)، **تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان،** مطابع مؤسسة النور للطباعة والنشر، الرياض، ص ٢٨٢، العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٧؛ السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٣-١٤. وقد تولى محمد بن عبدالله بن رشيد الإمارة في حائل عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م حتى وفاته في ٣ رجب ١٣١٥هـ الموافق ١ أكتوبر ١٨٩٧م. وكان رجلاً غنياً وسياساً ناجحاً، حيث كان يعتبر في ذلك الوقت رجل الجزيرة العربية القوي. انظر عن محمد بن رشيد خصوصاً، وتاريخ أسرة آل الرشيد عموماً؛ الذكير، مقبل عبدالعزيز، (١٣٦٣هـ)، **مخطوطة العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية،** صورة مخطوط لدى دارة الملك عبدالعزيز، مصورة عن نسخة في مكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، كلية الآداب، ص ١١٠؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠١هـ)، **نشأة إمارة آل رشيد،** عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، حيث خصص الكتاب كله للحديث عن نشأة هذه الأسرة؛ أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٤هـ)، **الدولة السعودية الثانية،** دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ص ١٧٧-١٨٧؛ إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، **أمراء وغزاة، قصة الحدود والسيادة الإقليمية في الخليج،** دار الساقي، لندن، ص ص ١٤٥-١٥٣؛

Blunt, Lady Ann, (1881), Pilgrimage to Najd, vol. 2, London, pp. 2-3.

(١) انظر عن معركة المليدا وتطور الوضع السياسي بعدها؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٠؛ السلمان، عبدالله بن عبدالرحمن، (مخطوط) **تاريخ بعض حوادث وقعت في نجد،** ١٢٨٤-١٣٤٤هـ، ص ٢، عن السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ١٣؛ الذكير، مقبل=

عبدالرحمن تشجع بعد انضمام بعض المؤيدين له، وخاصة آل مهنا أمراء بريدة، وعاود الهجوم على الرياض لكنه لم يستطع دخولها فتركها واتجه إلى حريملاء، وهناك جرت بينه وبين ابن رشيد معركة حريملاء المشهورة عام ١٣٠٩هـ التي انهزم فيها فعاد ثانية إلى بادية الأحساء.[١] ودون الدخول في تفاصيل هذه الجولات من الحروب فإن ما يعنينا هنا هو أن الإمام عبدالرحمن وطّن نفسه على العيش في الصحراء. ونتيجة لهذا الواقع كان قَدَرُ الملك عبدالعزيز أن يتغرّب في البلاد والصحاري مع والده، ولذلك لم يعش فترة طفولته وصباه في حياة هانئة بل عاش في هذا الجو المتوتر، وكانت مدرسة الحياة هي المدرسة الأولى في حياته، فقد حرص والده على تعليمه كل ما ينفعه في حاضره ومستقبله، من القراءة والكتابة وأخذ قسط وافر من العلوم الدينية، كما علمه المهارات الحربية وفنون الشجاعة ووسائلها، ثم كان له حظ في التعرف على مجريات السياسة المحلية والدولية من خلال إقامته في البلاد المجاورة.

ولأهمية هذه المهارات التي تلقاها الملك عبدالعزيز في شبابه، وتأثيرها في مستقبل حياته، واستفادته منها خلال المرحلة التاريخية الدقيقة والحساسة من مراحل توحيد البلاد، فإن من حق الأجيال الحاضرة والقادمة أن تعرف دقائق حياة الملك عبدالعزيز ونشأته. فمن الناحية العلمية، أوكل والده هذه المهمة إلى نخبة من العلماء في ذلك الوقت، حيث تعلم في بداية حياته مبادئ القراءة والكتابة على عالم من أهل الخرج مقيم في الرياض اسمه عبدالله بن محمد الخرجي.[٢]، كما قرأ القرآن الكريم كاملاً وحفظ بعض سوره على يد الشيخ محمد بن مصيبيح، ثم تعلم بعض العلوم الدينية مثل التوحيد

= عبدالعزيز، (١٣٦٣هـ)، مصدر سابق، ص ص ٩٦-٩٧؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٥٦، ٥٧؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٣١؛ أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٤هـ)، مرجع سابق، ص ١٨٧. وانظر كذلك؛

Philby, J.B., (1955), Saudi Arabia, Arro Press, Nw York, p. 234.

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٦٣؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٢؛ الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د.ت.)، **قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي، وروعة الحاضر**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، ص ٢٢٤.

(٢) انظر تعريفاً به في: الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، **الخرج**، سلسلة هذه بلادنا رقم ٤٠، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ١٠٤، هامش ٣.

وأصول الفقه على يد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، كما كان يحفظ الرحبية في الفرائض، وتعلم زاد المستقنع في الفقه، ويحفظ من الحديث الأربعين النووية، وبلوغ المرام، وكان يحب قراءة البداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الرسل والملوك للطبري، والسيرة لابن هشام، والمغني والشرح الكبير، والإنصاف، وتفسير ابن كثير، والبغوي، وكان يحب من الشعر ما تميز منه بالطابع الإسلامي والنصائح.(١) ومن ناحية أخرى كان لوالدة الملك عبد العزيز، سارة بنت أحمد السديري فضل كبير في توجيهه لمعالي الأمور وإعداده للمهمات الصعبة منذ صغره.(٢)

أما من ناحية مقومات الحياة في ذلك الوقت، فقد حرص والده على تزويده بكل ما يساعده على خوض غمار الحياة بكل ثقة ومقدرة. وكما ذكرنا سابقاً عاش الملك عبدالعزيز فترة صباه بعيداً عن حياة المدينة وما فيها من أسباب الراحة والدعة، فقد عاش فترة تربو على سبعة أشهر متنقلاً بين قبائل آل مرة والعجمان وتعلم مع أبنائها احتمال مكاره العيش والصبر على الجوع والعطش والتعب، وافتراش الأرض والتحاف السماء.(٣) ومع هذه الحياة القاسية لم يضع الملك عبدالعزيز وقته بالتحسر على تلك الحياة الهانئة التي عاشها طفلاً، وعاشها أسلافه من قبل، بل أمضى جل وقته متنقلاً مع والده بين القبائل البدوية في أطراف الربع الخالي مستفيداً من مدرسة الصحراء. فمن الناحية الحربية تعلم فنون الشجاعة وأخذ منها بحظ وافر مما كان يتعلمه أبناء جيله. وفي مجال الخبرة في السلاح، أحسن استخدام البندقية كالرماة، حتى قيل إنه تغلب على أول مبارز له وهو في سن الحادية عشرة من عمره، كما تعلم ركوب الخيل حتى أصبح كالفرسان. وقد وصف، وهو في الأربعين من عمره، بأنه فارس صبور، قلما يوجد له نظير بين أهل الصحراء، وكان مشهوداً له بالإقدام.(٤) وفي مجال الحروب كانت إقامته في الصحراء فرصة له للتدرب على فنون القتال، وما تحتاجه الحروب في ذلك الوقت من السرعة والدهاء، وكيفية

---

(١) رواية شفهية عن الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان الخثعمي المتوفى في ٢٦/ ١٠/ ١٤٠٣هـ.

(٢) هي سارة بنت أحمد بن محمد السديري، من أهل بلدة الغاط في سدير، كانت من أكمل النساء عقلاً وتدبيراً، وكان أبوها ممن حارب إبراهيم باشا، وقد ولاه خالد بن سعود إمارة الأحساء عام ١٢٥٤هـ. وكان يُروى عنها الشعر الملحون. توفيت في أواخر عام ١٣٢٧هـ/ ١٩١٠م. انظر: الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٥٧، ٦١. وقد استقى الزركلي بعض هذه المعلومات عن الملك خالد يرحمه الله.

(٣) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٦٥.

(٤) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩١ نقلاً عن صحيفة الإيجبشن ميل (Egyptian mail) في عام ١٩١٦م.

مباغتة العدو، والظهور فجأة في أماكن لا يتوقع ظهوره فيها. كما تعلم كيف يخفي آثاره بحيث لا يعرف العدو اتجاهه، وكيف يستفيد من طبيعة الأرض من أخاديد وأحجار. ثم تعلم طريقة الاعتماد على الآثار في تحركاته وتنقلاته، وما يستطيع استنباطه منها من معلومات.(١) ومن جانب آخر كان الملك عبدالعزيز خلال إقامته في الصحراء يتأمل حياة القبائل والعلاقات بينها، وكان مهتماً بعاداتها وتقاليدها، ومصادر قوتها ونقاط الضعف لديها.(٢) أما ذكاؤه فقد كان منذ صغره تبدو عليه أمارات الذكاء والنشاط والحيوية؛ كما ورد على ألسنة من عرفوه عن قرب. يروي حافظ وهبه عن أصدقائه الكويتيين ممن عاصروا الملك عبدالعزيز في صباه أنه كان يفوقهم نشاطاً وذكاءً، وأنه كان يتزعمهم دائماً في الألعاب المألوفة لمن كان في سنه، وأنه كان دائماً يميل إلى سماع تاريخ جده الإمام فيصل وبطولاته من شيوخ نجد المسنين المقيمين في الكويت.(٣) وإلى جانب ذلك، تمتع الملك عبدالعزيز ببنية جيدة، فكان رجلاً طويل القامة، متناسب الأعضاء، حسن الوجه، أبيض البشرة، أسود الشعر، خفيف اللحية، والعارضين، بارز الصدر، عريض المنكبين، حاد العينين، دقيق الخصر، ضامر البطن، مفتول الساعدين والساقين.(٤) وقد حافظ الملك عبدالعزيز على هذه البنية الجيدة رغم تقدمه في العمر. يقول عباس العقاد إن الملك عبدالعزيز وهو يناهز السابعة والستين يحتفظ بقوة عضلية لا تتوفر للكثيرين في سن العشرين أو الثلاثين، وهو يحتفظ بجميع أسنانه. ويرجع الاحتفاظ بهذه البنية إلى نظام المعيشة الذي يلتزم به.(٥) أما الصفات الشخصية والخلقية، ومؤهلات القيادة، والتمسك بالدين، والسخاء

---

(١) إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ص ١٧٩.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٥٧-٥٨؛ البديوي، محمد منير، (١٣٩٧)، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٣) وهبه، حافظ، (١٣٨٠هـ)، **خمسون عاماً في جزيرة العرب**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ص ٢٧؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٥٩-٦٠.

(٤) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ج١، ص٥٧، كما أورد في صفحة ٢٩١ أوصافاً للملك عبدالعزيز عندما كان عمره أربعين سنة عن صحيفة الايجبشن ميل سنة ١٩١٦م؛ انظر كذلك: الرشيد، ضاري بن فهيد، (١٣٨٦هـ)، **نبذة تاريخية عن نجد**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص ١٢٦؛ الريحاني، أمين، (د. ت.)، **ملوك العرب**، دار الجيل، بيروت، ص ٥٣٣.

(٥) للمزيد عن هذا الموضوع راجع: العقاد، عباس محمود، (١٤ صفر ١٣٦٥هـ/ ١٨ يناير ١٩٤٦م)، "مع الملك عبدالعزيز في البحر"، **جريدة المصور المصرية**، العدد ١١١، ص٤.

والكرم فقد كانت من العوامل التي أهلته لقيادة هذه البلاد.(١)

وهكذا نجد أنه على الرغم من أن فترة الاغتراب التي فُرضت على الإمام عبدالرحمن وأسرته كانت قاسية ومريرة بسبب الظروف التي ألجأتهم إلى ذلك، إلا أن الملك عبدالعزيز عرف كيف يستثمرها لصالحه، حيث اكتسب خلال هذه الفترة صفات كثيرة قلما تتوفر لأحد غيره. ولا شك أن العلوم التي استقاها في طفولته، والمهارات الحربية التي تعلمها، والفراسة والذكاء، ومعرفة أحوال القبائل وعلاقاتها، واتصاله بالحكام، ومعرفة تجاربهم السياسية، كلها خبرات استفاد منها الملك عبدالعزيز في مستقبل أيامه أحسن استفادة وكانت مقومات استراتيجيته التي عول عليها، بعد الله، في ضم البلاد السعودية في وحدة وطنية متكاملة العناصر مترابطة الأواصر من الحاضرة والبادية.

ومن جانب آخر كانت فترة تنقل الإمام عبدالرحمن وأسرته فرصة أخرى للملك عبدالعزيز في مجال السياسة، فكرة وتجربة وممارسة، كما استفاد من التعرف على دهاليز السياسة، وطريقة التعامل بين الحكام والتفاوض معهم وهو في هذه السن المبكرة. ففي خلال وجوده في الصحراء أرسله والده إلى حاكم البحرين عيسى بن علي آل خليفة يستأذنه في نزول النساء والأطفال من أسرته في جوار البحرين نظراً لصعوبة العيش في الصحراء عليهم فنجح في مسعاه.(٢) ثم أقام خلال الفترة من شهر صفر حتى شهر جمادى الأولى عام ١٣١٠هـ الموافق أغسطس إلى نوفمبر ١٨٩٢م مع والده وحاشيته في ضيافة شيخ قطر.(٣) ويبدو أن الإمام عبدالرحمن وطّن نفسه بالبقاء فترة طويلة في قطر بدليل أنه بعث من

---

(١) انظر تحليلاً لجوانب من هذه الصفات في: الموسوعة العربية العالمية، (١٤١٦هـ)، الدولة السعودية الثالثة، ج ١٠، ص ص ٤٨٦-٤٨٧، **عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود**، ج ١٦، ص ٩٤.

(٢) انظر عن تنقل الأسرة في هذه الفترة: الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٦٣، حيث يذكر أن الأسرة انتقلت إلى العقير على ظهور الابل، ومن هناك ركبت السفن الشراعية إلى البحرين برفقة الملك عبدالعزيز وأخيه الأصغر محمد. انظر كذلك:

Philby, J.B., (1955), op. cit., p. 234.

(3) Lorimer, J.G, (1986), Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, Archive Edition, p.1140.

لوريمر، النسخة المعربة، ص ١٦٩٤.

وقد اعتمدنا على النسخة الإنجليزية لأن النسخة المعربة تحوي أخطاء كثيرة علمية ومطبعية، وقد قام كاتب هذا البحث بتجميع وتبويب وتحقيق ما يخص البلاد السعودية من كتاب دليل الخليج في كتاب سيصدر قريباً إن شاء الله، وهو تحقيق للنسخة المعربة من دليل الخليج، القسم التاريخي، الذي قام مكتب سمو أمير دولة قطر بترجمته وصدر عام ١٩٧٦م. وسنورد في هذا البحث الصفحات في النسختين الإنجليزية والمعربة تعميماً للفائدة.

يحضر أسرته الموجودة في البحرين في ذلك الوقت. وفي مرة أخرى أرسله والده إلى المتصرف العثماني في الأحساء للتفاوض حول السماح للأسرة السعودية بالإقامة في الأحساء، أو في المناطق المحيطة بها، لكن المتصرف لم يستطع تحمل الموافقة الشخصية نظراً لما ينطوي عليه هذا الطلب من مغزى سياسي نظراً لعلاقته بأطراف أخرى فاعتذر له.[١] وبغض النظر عن نتائج هذه المهمات إلا أن ما يهمنا هو أن الملك عبدالعزيز استفاد منها فائدة كبيرة. لقد مكنته رحلته إلى الأحساء من مقابلة المتصرف، الذي يحيط نفسه عادة بهالة من العظمة، وأزالت عنه الرهبة في مثل هذه المواقف، كما استشف من خلالها بعض خفايا الأمور. ومن جانب آخر، فإن هذه المفاوضات لا بد أنها تركت آثارها على مستقبل وجود الإمام عبدالرحمن وأسرته كما سنلاحظ فيما بعد. ويظهر أن مصير الإمام عبدالرحمن وأسرته كانت محور مفاوضات على مستوى رفيع في الإدارة العثمانية العليا. وكانت النتيجة أن سمح له في عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م بالانتقال والإقامة في الكويت بعد اكتمال تلك المفاوضات والتفاهم بشأنها بين متصرف الأحساء والدولة العثمانية من جهة، وبين متصرف الأحساء والإمام عبدالرحمن من جهة أخرى. ويدل على هذا الاستنتاج أن كلاً من متصرف الأحساء وشيخ الكويت كانا مترددين في السماح للإمام عبدالرحمن بالإقامة في بلديهما قبل ذلك.

وقبل الدخول في تفاصيل إقامة الملك عبدالعزيز في الكويت قد يرد تساؤل عن ظروف موافقة الدولة العثمانية على إقامة الإمام عبدالرحمن وأسرته في الكويت وهدفها من ذلك، ولماذا وافقت على أن تدفع له راتباً شهرياً، وما هو موقف الشيخ محمد بن صباح من هذه الإقامة، وهل كان بدافع النخوة العربية الإسلامية، أم بطلب من الدولة العثمانية؟. والجواب على هذا التساؤل يعود بنا إلى الوراء قليلاً عندما كان الخلاف على أشده بين الإمام عبدالرحمن، وإخوته، وبين ابن رشيد حليف الدولة العثمانية في بلاد نجد، الذي استطاع بمساعدتها، وبسبب الظروف المحيطة بالأسرة السعودية، التفرد بالحكم في بلاد نجد. أما الدولة العثمانية فقد كانت حريصة بشكل واضح على استقطاب الإمام عبدالرحمن، أو على الأقل التعرف على علاقاته الداخلية والخارجية، ورصد اتصالاته وتحركاته. وفي هذا المجال، وعندما كان الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز في بوادي الأحساء يتنقل بين بوادي آل مرة والعجمان عرض عليه والي الأحساء عاكف باشا، عن طريق الطبيب اللبناني الدكتور زخور عازار، أن يكون أميراً على الرياض على أن يعترف بسيادة الدولة العثمانية على بلاد نجد، ويدفع للدولة العثمانية كل سنة ألف

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٦٤.

ريال مقابل أن تتعهد الحكومة العثمانية بحمايته وتمده بالمال والسلاح، لكنه رفض هذه الشروط.[١] ويبدو أن الإمام عبدالرحمن كان يريد أن يكون حاكماً مستقلاً كما كان آباؤه وأجداده، ولم يكن راغباً في أن يكون حاكماً اسمياً تحت سلطة الدولة العثمانية التي لم تكن مواقفها من أسرته طوال تاريخها مواقف إيجابية بل كانت مواقف عدوانية، بخاصة قضاءها على الدولة السعودية الأولى، وعرقلة قيام الدولة السعودية الثانية. وفي مرة أخرى، عندما اعتذر شيخ الكويت عن استضافة الإمام عبدالرحمن، وبينما استقر لفترة محدودة في قطر، كانت الدولة العثمانية تراقب تحركاته ولذلك كلفت والي الأحساء في ذلك الوقت لعقد اتفاق مع الإمام عبدالرحمن لكي تأمن تحركاته، فأرسل إليه وتم الاتفاق بينهما على السماح له بالإقامة مع أسرته في الكويت على أن تدفع له الدولة العثمانية ستين ليرة عثمانية.[٢] والواقع أن الدولة العثمانية اتخذت من ابن رشيد حليفاً لها ومنفذاً لتعليماتها في بلاد نجد خاصة، وفي شبه الجزيرة العربية بوجه عام، لأنها لم تستطع أن تقنع أو تغري الإمام عبدالرحمن بأن يقوم بهذا العمل، بل إنه رفض عرضها عليه بأن يتولى الحكم في الرياض مقابل اعترافه بتبعيته الاسمية للدولة العثمانية.[٣]

---

(١) آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله بن عبد المحسن، (١٣٧٩هـ)، **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد**، ج١، مطابع الرياض، الرياض، ص ١٨٠؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ص ٤٩-٥٠؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٦٢.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ، ج١، ص ٦٧؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، **نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما**، مؤسسة الريحاني، بيروت، ص ١٠٦. ويذكر Lorimer, J. G. ، (١٩٨٦), op. cit., p. ١١٤٠. أن مقدار الراتب ثلاثة وثلاثون (t#) وهي في الغالب تعني ليرة تركية، حيث لا يوجد في اللغة الإنجليزية رمز لليرة كما هو الحال في الجنية أو الدولار، وقد وردت العبارة في النسخة المعربة، ص ١٦٩٤، ٣٣ ليرة عثمانية. ويبدو أن هذا المخصص كان يصرف لفترة ثم توقف، ثم أعيد صرفه مرة أخرى. ويدل على هذا الاستنتاج أن الوثائق العثمانية تذكر "أنه تم إعادة تخصيص معاش لعبد الرحمن الفيصل . . . بدلاً من ذلك الذي قطع أخيراً، وأن الأمر منوط بصدور الإرادة السنية من صاحب الخلافة" انظر: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-١٢**، تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١٤ ربيع الأول ١٣١٩هـ. ولمزيد من المعلومات عن موقف الدولة العثمانية وأهدافها من تبعية كل من ابن رشيد والإمام عبدالرحمن وتحركاتهما، وعن العلاقة المتوترة بين شيخ الكويت وابن رشيد انظر: وهبه، حافظ، (١٣٨٠هـ)، مصدر سابق، ص ٢٦؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٢-٣٣؛ السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، **العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩-١٣٤١هـ/ ١٩٠٢-١٩٢٢م**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ص٤٢-٥٢.

(3) Habib, John. S, (1970), **The Ikhwan Movement of Najd: Its Rise, Development, And Decline,** PH.D., The University of Michigan, p.17.

وعندما فشلت مساعيها في هذا المجال خشيت أن تفقد كل شيء، ولهذا، فعندما سمحت له أخيراً بالإقامة في الكويت، كانت في الواقع تهدف إلى مراقبة حركاته واتصالاته لعلمها بأنه لن يستطيع السكوت على الضيم وهو يرى عدوه يحكم بلاد آبائه وأجداده. ومن جهة أخرى أدركت الدولة العثمانية، في سعيها للتقليل من تأثير الإمام عبدالرحمن، أن إقامته في الكويت فرصة لإبعاده عن الاتصال ببعض القبائل الموالية له، وخاصة في الأحساء.[١]

أما موافقة محمد بن صباح على استضافة الإمام عبدالرحمن فكان المحرك الأول لها هو الضغوط السياسية من جانب الدولة العثمانية في ذلك الوقت، بدليل أن الأسرة السعودية تنقلت في عدة أماكن قبل أن تستقر أخيراً في الكويت، بل إن بعض الروايات تذكر أن محمد بن صباح اعتذر عن استضافة الإمام عبدالرحمن، فرجع من حدودها وتوجه إلى قطر حيث أقام هناك شهرين.[٢] ومهما كانت الظروف التي جعلت أمير الكويت يعتذر عن استضافة الإمام عبدالرحمن فإنه يجب دراسة تلك الظروف بعناية لأن الرغبة شيء والعمل شيء آخر، وربما كان أمير الكويت راغباً في استضافة الأسرة السعودية لكنه لم يستطع ذلك بسبب تشابك المصالح السياسية الدولية والمحلية في هذه المرحلة، أو كما يقول الزركلي أن ابن صباح "لم يجرؤ على الجمع بين مناوأة ابن رشيد ومخالفة سياسة الترك"[٣] ويؤيد هذا ما حصل بالفعل عندما قبل هذه الاستضافة متأخراً بطلب من الدولة العثمانية من جهة، ولكسب موقف الإمام عبدالرحمن.[٤]

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٦٢.

(٢) الذكير، مقبل عبدالعزيز، (١٣٦٣هـ)، مصدر سابق، ص ٩٨؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٠٦؛ آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن، (١٣٧٩هـ)، مرجع سابق، ج١، ص ١٨٠؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٥٠.

(٣) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٦٥.

(٤) من المعلوم أن أمير الكويت في ذلك الوقت، محمد بن صباح، كان خاضعاً خضوعاً تاماً للدولة العثمانية، وكان يحمل لقب قائمقام الكويت مقابل معونة تدفعها له الدولة العثمانية، وقد استمرت هذه المعونة، فيما بعد، في عهد الشيخ مبارك، حرصاً منها على تدعيم ارتباط الشيخ مبارك معها. وقد قامت الدولة العثمانية بهذا التحرك بعد تلقيها معلومات عن محاولة بريطانيا تحريك مبارك الصباح ضدها، وكانت تهدف إلى جعل هذه التحركات بدون تأثير. ومن الخطوات التي قامت بها في هذا المجال تكليف نقيب البصرة بالتوجه نحو مبارك الصباح لنصحه وموعظته. وكان نقيب الأشراف يرى ملاطفة الشيخ مبارك بمنحه رتبة ميراميران أي أمير الأمراء، وبقطعة نيشان وبقبول=

أما الإمام عبدالرحمن فقد وافق على الإقامة في الكويت، رغم ما تنطوي عليه من شروط قد تقيد من حرية تحركاته واتصالاته السياسية، لأنه يعتبرها إقامة مؤقتة، ولهذا فقد فضلها على عرض الحكومة العثمانية عليه بأن يكون حاكماً على الرياض تحت سلطة العثمانيين كما ذكرنا من قبل. والواقع أن الإمام عبدالرحمن وجد أن إقامته في الكويت فرصة له لالتقاط أنفاسه بعيداً عن عدوه محمد بن عبدالله بن رشيد، وهو بهذا لم يتخل عن مطالبته بحكم بلاد نجد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعتبر الكويت، بحكم موقعها وحركتها التجارية مع بلاد الجزيرة العربية ومع العالم الخارجي، مقراً لكثير من أبناء نجد الذين أقاموا بها مؤقتاً للمتاجرة، أو الإقامة بها بصفة دائمة، بالإضافة إلى من ألجأتهم ظروف الوضع السياسي والحربي في بلاد نجد إلى الارتحال هرباً بأنفسهم إلى الكويت. وقد وجد الإمام عبدالرحمن نفسه مع أبناء جلدته ليسوا أغراباً في الكويت، مع اختلاف وضع الإمام عبدالرحمن عن بقية النجديين في الكويت بسبب منحه ما يمكن أن يسمى في العرف الدبلوماسي الحديث لجوءاً سياسياً مع فارق الظروف.

إرهاصات قيام الدولة السعودية المعاصرة:

مرت السنوات التسع التي أقامها الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز في الكويت ثقيلة، لكنهما استفادا خلالها فوائد كبيرة. فبالنسبة للإمام عبدالرحمن كان وجوده في الكويت فرصة له للاطلاع على ما كان يجري داخل بلاد نجد من خلال المعلومات التي يستقيها من أهل نجد الذين يترددون بين نجد والكويت من أجل التجارة. أما الشاب عبدالعزيز فقد استفاد من هذه الإقامة خبرات سياسية لم تحصل له في مكان آخر، خاصة وهو ما يزال في أوائل عمره. والواقع أن الكويت كانت مدرسته الأولى في السياسة العملية، ففي ذلك الوقت كانت المناورات السياسية، ومحاولة الدول الغربية مد نفوذها إلى منطقة الخليج العربي ما تزال تحتل الصدارة في جميع المحافل السياسية، ومنها الكويت، وخاصة في عهد الشيخ مبارك الصباح.[1] وفي الحقيقة فإن موقع الكويت الاستراتيجي على مدخل الخليج العربي

= استرحامه في الاستمرار بتقديم المساعدة التي تقدم لعائلة الصباح منذ القدم والتي مقدارها ٢٨٠ طناً من التمور سنوياً، وهذا سيفيد جداً في تقوية صداقته ودوام ارتباطه. وقد اشترط لسريانها المحافظة على قوة وأمن وحقوق الدولة العثمانية في الكويت على أن تدفع من موازنة المعاشات الذاتية. انظر: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٨**، من وزارة الداخلية إلى السلطان، تاريخ ١٣١٧هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-٥**، من وزارة المالية إلى السلطان، تاريخ ٨ ذي الحجة ١٣١٧هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٢**، تقرير عن مخصصات قائمقام الكويت مبارك الصباح السنوية، من مجلس الوزراء إلى السلطان، تاريخ ٧ محرم ١٣١٨هـ.

(١) تولى الشيخ مبارك الصباح الإمارة عام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م، عندما أقدم على قتل أخويه محمد وجراح بسبب خلاف=

جذب انتباه الدول الغربية، وخاصة بريطانيا التي تنبه مخططو طرقها البحرية إلى أهمية الكويت منذ عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م. وكان أبرز ما يدور في الساحة السياسية في هذه المنطقة في ذلك الوقت المشروعات الاقتصادية الغربية ذات البعد السياسي. ومن هذه المشروعات توقيع ألمانيا اتفاقية مع الدولة العثمانية في أواخر عام ١٣١٦هـ/ أبريل ١٨٩٩م لمد خط حديدي يمتد من برلين في ألمانيا إلى بغداد مروراً باستانبول، وكان مخططاً له أن ينتهي في الكويت.(١) ومن جانب روسيا حاول ولهلم الثاني قيصر روسيا Kaiser Wilhelm II، في التسعينات من القرن التاسع عشر، الحصول على امتياز من الدولة العثمانية لاستخدام الكويت كنهاية لمشروعه، سكة حديد الشرق الأوسط، يبدأ من مدينة باماكو مروراً بأصفهان والأراضي الإيرانية حتى يصل إلى الخليج العربي، بالإضافة إلى إقامة محطة للفحم في الكويت، وكان الهدف من وراء تلك المشروعات الوصول إلى مياه الخليج العربي "الدافئة".(٢) وفي الوقت نفسه كانت بريطانيا تعارض هذه المشروعات خوفاً على مصالحها في المنطقة، والطرق البحرية والبرية المؤدية إلى أملاكها في الهند، ولذلك تدخلت بريطانيا سريعاً وأعلنت الحماية على الكويت.(٣) وفي هذا الجو السياسي المتوتر كانت مجالس الشيخ مبارك الصباح مجالاً لالتقاء أقطاب السياسة الدولية (بريطانيا وفرنسا وألمانيا

= عائلي حول السلطة. وقد استمر حكم الشيخ مبارك حتى عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م. وللمزيد من التفاصيل عن هذه الظروف راجع: السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، مرجع سابق، ص ص ٢٨-٣٠.

(١) بنواميشان، (١٣٨٥هـ)، عبدالعزيز آل سعود، **سيرة بطل ومولد مملكة**، ترجمة عبدالفتاح ياسين، دار الكاتب العربي، ص٦٥.

(2) Peretz, Don, (1983), **The Middle East Today**, Praeger Publishers, New York, pp. 487-488.

انظر تفاصيل أخرى عن ظروف توقيع هذه الاتفاقية لاحقاً. كذلك انظر: بنواميشان، (١٣٨٥هـ)، مصدر سابق، ص ص ٦٥-٦٦؛ الموسوعة العربية العالمية، (١٤١٦هـ)، **الدولة السعودية الثالثة**، ج ١٠، ص ٤٨٦.

(٣) وقعت هذه الاتفاقية في عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م، لكنها لم تعلن إلا بعد ذلك بسنتين. وظلت سارية المفعول حتى استبدلت بمعاهدة استقلال الكويت في ٤ محرم عام ١٣٨١هـ الموافق ١٩ يونيو ١٩٦١م. انظر عن هذه المعاهدة وظروف توقيعها: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-١١** تقرير بشأن إنزال قوات حربية بريطانية في الكويت، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ١٤ جمادى الأولى ١٣٢٩هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-١٣**، من الصدر الأعظم إلى السلطان، تاريخ ١٤ ربيع الأول ١٣١٩هـ؛ الرشيد، عبدالعزيز، (١٩٧٨م)، **تاريخ الكويت**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ص١٢٨-١٢٩؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٧٢؛ قدورة، زاهية، (د.ت)، **شبه الجزيرة العربية: كياناتها السياسية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص٥٠١.

وروسيا والدولةالعثمانية)، بالإضافة إلى القوى المحلية في الخليج والدول العربية.[١] ومع أن الملك عبدالعزيز لم يكن طرفاً فيها إلا أنه كان يحضر مجلس الشيخ مبارك ويلاحظ ما يجري هناك من محاورات ومفاوضات وصفقات واتفاقيات، وكان يختزن خلاصاتها ويتدبر طرق معالجة الأمور فيها. وعندما رأى منه الشيخ مبارك حرصه ونباهته أفسح له المجال وأشركه في بعض تلك المناقشات.[٢] وتذكر بعض الآراء أن الشيخ مبارك أدرك أن وجود أمير سعودي مبعد عن وطنه يحمل صفات الطموح، والنظر إلى معالي الأمور، وعلامات الزعامة المبكرة كان فرصة له في تحقيق طموحاته ونشاطه السياسي، فبدأ يقربه منه في مجالسه عله يستفيد منه في المستقبل في خططه السياسية والعسكرية.[٣] ومهما كانت أهداف الشيخ مبارك من عنايته بالملك عبدالعزيز وتقريبه، فإن مما لا شك فيه أن هذه الأجواء السياسية التي كانت متوفرة في الكويت آنذاك كانت فرصة للملك عبدالعزيز للاستفادة منها مستقبلاً كما كشفت عنه الأحداث فيما بعد.

المحاولة الأولى لاستعادة الرياض:

من هذه الخلفية الشخصية، والإحاطة بالظروف السياسية والعسكرية في هذه المنطقة برز الملك عبدالعزيز، ومن تاريخ آبائه وأجداده اتخذ له نبراساً وقدوة، حتى إذا بلغ مبلغ الشباب أصبح

---

(١) انظر عن موضوع الصراع الدولي في الخليج منذ وصول البرتغاليين حتى قيام الدولة السعودية المعاصرة؛ السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، مرجع سابق، ص ص ٢٠-٢٥؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٧١؛ عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، **صقر الجزيرة**، مؤسسة عبدالحفيظ البساط، بيروت، المجلد الأول، ص ٢٢٥؛ الطربين، أحمد، (يوليو ١٩٧٦)، عبدالعزيز آل سعود منشيء دولة وباعث نهضة، **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية**، العدد السابع، السنة الثانية، ص ٤٠. انظر كذلك: وليمز، كنث، (١٣٥٢هـ/١٩٣٤م)، **ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز**، تعريب كامل صمويل مسيحة، المطبعة الأدبية بيروت، ص ٢٣؛ فاسلييف، (١٩٨٦م)، **تاريخ العربية السعودية**، ترجمة خيري الضامن وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو، ص ص ٢٤٣-٢٤٨؛ بنواميشان، (١٣٨٥هـ)، مصدر سابق، ص ص ٦٥-٦٧.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٧٠.

(٣) فلبي، سنت جون، (د.ت.)، **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (السلفية)**، تعريب عمر الديراوي، المكتبة الأهلية، بيروت، ص ٢٧٣. وانظر كذلك:

Graves, Philip, (1941), The Life of Sir Percy Cox, London, p. 100.

استخلاص ملك آبائه وأجداده ديناً عليه لا ينفك عن التفكير فيه، ومن هنا بدأ يفكر في استعادة الرياض.[(١)] وخلال إقامة الملك عبدالعزيز في الكويت لم تكن الرياض تفارق مخيلته لحظة واحدة، كما كانت كذلك منذ خروجه منها مع والده، ولا يلام في ذلك فهي المدينة التي تفتحت عيناه على ثراها، وعاش طفولته بين أحيائها. يذكر خالد الفرج نقلاً عن حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أمير البحرين أنه سأل الملك عبدالعزيز في صباه "أقطر أحسن أم البحرين؟ فأجاب الملك عبدالعزيز على الفور: الرياض أحسن منهما فقال الشيخ عيسى: سيكون لهذا الغلام شأن"[(٢)] وهي دلالة على النباهة التي لازمته منذ صغره، وعلى الحس الوطني الذي تشرّبه منذ نعومة أظفاره، كما تدل على أن الرياض هي كل تفكيره في ذلك الوقت.

وعندما بلغ الملك عبدالعزيز مبلغ الرجال أدرك أن عليه أن يسدد الدين المحكم حول رقبته تجاه أسرته والمؤيدين لها، وأن يقوم بالواجب المنوط به لاسترجاع ملك آبائه وأجداده، وأن ينقذ بلاده التي عادت إليها الفوضى السياسية والنزعات القبلية التي طويت صفحتها بقيام الدولة السعودية. ومنذ ذلك الوقت عقد العزم على استخلاص بلاده من وضعها المتردي. ومع كل هذا التصميم لم يكن لديه من رصيد سوى إيمانه بالله، ثم بتاريخ أسرته الحافل بالبطولات، وكذلك عزيمة الشباب التي لازمته منذ قدومه إلى الكويت منتظراً الفرج من الله.[(٣)] ولم يطل الوقت ففي شهر ذي القعدة من عام ١٣١٨هـ الموافق ١٩٠١م احتدم الخلاف والنزاع بين عبدالعزيز بن متعب بن رشيد الذي انتزع حكم نجد في ذلك الوقت

---

(١) رغم أن أغلب كتب التاريخ المعاصرة للملك عبدالعزيز والمتأخرة عنه تذكر محاولة واحدة فقط قام بها الملك عبدالعزيز قبل المحاولة الثانية التي نجح خلالها في استعادة الرياض، إلا أن الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٧٧، يذكر نقلاً عن رواية نصار في كتابه الرجل، أن الملك عبدالعزيز سبق أن قام مع رفاقه، وهو في سن الخامسة عشرة، بحملة محدودة إلى نجد وإثارة العشائر ضد ابن رشيد، لكنه لم يحالفه الحظ ورجع إلى الكويت. ويضيف الزركلي فإن صحت هذه الرواية فتكون المحاولة قد تكررت. ونحن نعتقد أنه سواء صحت هذه الرواية أم لا، فإن من المؤكد أن الملك عبدالعزيز كان دائم التفكير في أي عمل يستطيع القيام به لاستعادة ملك آبائه وأجداده، ويدل على ذلك كثرة إلحاحه على والده للسماح له باستغلال أي فرصة ممكنة للوصول إلى نجد، وهذا ما تم فعلاً عندما قام الملك عبدالعزيز بمحاولته الأولى والثانية لاستعادة الرياض.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص٦٠.

(٣) إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٦.

وبين الشيخ مبارك الصباح بسبب أطماع ابن رشيد وتطلعه إلى ضم الكويت إلى إمارته لكي تصل حدودها إلى الخليج . (١) وكانت الدولة العثمانية تؤيد ابن رشيد في موقفه هذا رداً على تقارب الشيخ مبارك الصباح مع بريطانيا الذي توج بمعاهدة حماية كما أسلفنا . ويذكر خزعل أن للشيخ مبارك أهدافاً في بلاد نجد، حيث كان يطمع بأن يكون هو سيد بلاد نجد وتوابعها، بالإضافة إلى الكويت، وكان يرى أنه الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يقف في وجه ابن رشيد . هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان الشيخ مبارك الصباح يسعى إلى إحياء وإنعاش طرق تجارة الكويت وتنمية مواردها التي يعتمد جزء منها على بوادي نجد، وهي لن تكون آمنة بسبب الغارات التي تشنها القبائل التي تلقى الدعم من آل الرشيد في حائل . (٢) ولتحقيق بعض أهدافه، ولردع ابن رشيد عن تنفيذ تهديده للكويت أراد الشيخ مبارك أن يعاجل ابن رشيد بحملة عسكرية إلى نجد . ورغم أن أمير الكويت لقي مساعدة من سعدون باشا رئيس عشائر المنتفق، إلا أنه كان يتطلع أيضاً إلى مساعدة، ولو معنوية، من الإمام عبدالرحمن، زعيم نجد المقيم عنده، في ذلك الوقت، حيث اعتقد أنه سيرحب بأي مبادرة لحرب ابن رشيد قد تؤدي إلى عودة الحكم السعودي . وفي الوقت نفسه كاتب الشيخ مبارك الصباح باسمه وباسم الإمام عبدالرحمن عدداً من رؤساء نجد يؤلّبهم على ابن رشيد . (٣) وتذكر بعض الآراء أن الإمام عبدالرحمن بدأ يفكر في عمل عسكري داخل بلاد نجد، بل إنه بدأ بالفعل يتحرك في هذا المجال، خصوصاً بعد بداية ظهور علامات التفكك في إمارة عبدالعزيز بن متعب بن رشيد . ومن جهة أخرى فإن ما اتبعه هذا الأمير من سياسة البطش والتنكيل بالسكان قد ألّبت القبائل النجدية عليه وأعادت إلى الذاكرة حالة انعدام الأمن في بلاد نجد، والخوف على الأعراض والدماء والأموال التي كانت مصانة طوال عهد الدولة السعودية خلال

---

(١) تولى عبدالعزيز بن متعب بن رشيد الإمارة في حائل عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م وقتل في معركة روضة مهنا عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م . أما الشيخ مبارك الصباح فقد تولى الإمارة في الكويت عام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م حتى عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م . أما أسباب النزاع بينهما فقد تطورت نتيجة تحرشات من الجانبين، وذلك عندما قام حمود الصباح بحملة على بعض العشائر التابعة لشمر، وعندها غضب ابن رشيد وقام بحملة مماثلة للهجوم على العشائر التابعة لأمير الكويت . وبعد ذلك جهز مبارك حملة كبيرة على ابن رشيد والتي عرفت بوقعة الصريف عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م، التي نحن بصددها والتي اشترك فيها الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز .

(٢) خزعل، حسين خلف الشيخ، (د. ت.)، **تاريخ الكويت السياسي، عصر الشيخ مبارك**، ج٢، دار الكتب، بيروت، ص ٤٠ .

(٣) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١١٧ ؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٧٣ .

عهديها الأول والثاني . ومن أجل ذلك بدأت هذه القبائل تتخوف على أوضاعها فأخذ زعماؤها يتصلون بالإمام عبدالرحمن ليخلصهم من محنتهم . وفي هذا المجال ذكر المقيم البريطاني في الخليج في رسالة إلى حكومة الهند بتاريخ ٢١ ذو القعدة ١٣١٨هـ/ ١١ مارس ١٩٠١م، أن شيوخ وأعيان عنيزة وبريدة والزلفي كتبوا إلى الإمام عبدالرحمن بن فيصل يشكون معاناتهم على يد ابن رشيد ويطلبون خروجه إليهم . ومن جهته أرسل الشيخ مبارك إليهم بعض أعيان هذه المناطق اللاجئين عنده هاربين من سلطة ابن رشيد يستحثونهم على مقاومة ابن رشيد . [1] وقد شجعت هذه الأحوال الإمام عبدالرحمن على القيام بحملات محدودة على العشائر التابعة لابن رشيد . ومن جهة أخرى كان الإمام عبدالرحمن يتابع أخبار بلاده وهو في الكويت ويعرف أوضاعهم ويتألم لما يصيبهم ولذلك كان مستعداً لعمل أي شيء يساعدهم على التغلب على تلك الأوضاع . [2] ففي رسالة بعثها الإمام عبدالرحمن إلى رجب

---

(١) إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٨ عن :

Kembal to Col., 11 mar. 1901, in Bidwel, (A.K.) vol., 1, part II, p. 27.

(٢) يوصف عبدالعزيز بن متعب بن رشيد بأنه كان فارساً مغواراً شجاعاً لا يهاب، قاسياً لا يرحم، واثقاً لا يتردد، شديد الغضب، سريعه، يحكم السيف قبل السياسة، والإقدام قبل الرأي، حقوداً، يشد عقاله فوق عينيه، وكوفيته على فمه، حتى سمي العبوس الملثم . وقد وصفه آخرون بأنه كان معروفاً بالظلم والقسوة والجور . وعندما تولى الإمارة بعد عمه محمد بن عبدالله كتب إلى بلدان نجد يخبرهم بأنه تولى الحكم وأنه ليس عنده إلا الحافر وصنع الكافر، أي الخيل والأسلحة النارية التي تأتي من الغرب مثل البنادق والمدافع . أما بلاد نجد خلال فترة حكمه فقد عانت اضطراباً شديداً في الأمن، وتدهوراً في الاقتصاد، وكثرة الضرائب، وضعف الاهتمام بأمور الدين التي من مظاهرها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك كره الناس حكمه وتمنوا زواله . والواقع أن لأسلوب عبدالعزيز بن رشيد في الحكم المتصف بالشدة الأثر الكبير في تنفير أكثر النجديين منه، وتهيئتهم للانضمام إلى من سيقف ضده . وفي غضون عشر سنين لم يستطع أن يحافظ على القسم الأكبر من الإرث الذي تولاه . وبعد أن ضم الملك عبدالعزيز بلاد جنوبي نجد قال رشيد رضا : إن جميع الأهالي يودون لو خلصت الإمارة لابن سعود لأنه أعلم وأرحم، وابن رشيد أجهل وأظلم . ويقول في مناسبة أخرى؛ ونعلم أن أكثر البلاد العربية (المقصود الجزيرة العربية) تخضع له وتبغض ابن رشيد . انظر : رضا، محمد رشيد، (١ جمادى الثانية ١٣٢٠هـ/ ٤ سبتمبر ١٩٠٢م)، **مجلة المنار**، مجلد ٥، ج١١، ص ٤٤٠؛ (١ شوال ١٣٢٢هـ/ ٨ ديسمبر ١٩٠٤م)، مجلد ٧، ج١٩، ص ٧٦٠ . وللمزيد من المعلومات عن عبدالعزيز بن رشيد وصفاته وحكمه انظر : السلمان، عبدالله بن عبدالرحمن، (مخطوط)، مصدر سابق، ص ٨، عن السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٢١٤؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ١١٩؛ آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د.ت.)، مرجع سابق، ج١، ص ص ٣١٠-٣١١؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٨؛ فاسلييف، (١٩٨٦م)، مصدر سابق، ص ٢٤٢؛ إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٨؛ =

النقيب في البصرة في شهر ربيع الآخر عام ١٣١٨هـ/ ديسمبر ١٩٠٠م، يخبره فيها بعزمه على الخروج إلى بلاد نجد، وذكّره بمواقف ابن رشيد وتعدياته على بلدان وعشائر نجد وظلمه إياهم دون وجه حق في ذلك، ثم قال: "وبمقتضى تعدياته وظلمه، أكثر علينا أهل نجد الإلحاح أن نتوجه لأجل استنقاذهم من يده وتوجهنا لذلك، فنرجو من فضلكم أن تسترحموا لنا حضرة والي ولاية البصرة أن يكتب لابن رشيد أن لا يتعرض لنا ولا يحرك أحداً من عشائره علينا حذراً من أن تقع فتنة قتل ومقتول وسفك دماء المسلمين وهو السبب في ذلك. . . "[(١)] ومن ضمن الخطوات التي قام بها في هذا المجال أنه غادر الكويت في شهر ربيع الآخر عام ١٣١٨هـ/ أغسطس ١٩٠٠م وقام، بتشجيع من بعض الأنصار داخل نجد، بحملة محدودة على عشائر قحطان الموالية لابن رشيد في روضة سدير وعاد ظافراً، ثم يضيف أنه لما اقترب من الكويت رجاه الشيخ مبارك بأن يتريث ولا يدخل الكويت، فعجب عبدالرحمن، لكن عجبه زال عندما علم أن الشيخ مبارك، في الوقت الذي أرسل فيه رسائل إلى رؤساء نجد يستنهضهم على ابن رشيد، أرسل أيضاً إلى ابن رشيد يفاوضه على الصلح، ومن حسن حظ الإمام عبدالرحمن أنه عاد قبل أن يعود جواب ابن رشيد على الصلح. يقول الزركلي "ولو جاء الجواب بقبول الصلح، لما وجد عبدالرحمن له مأوى في الكويت". [(٢)]

وعندما جاء رد ابن رشيد رافضاً الصلح أدرك ابن صباح أنه لا مناص من الحرب وقد استعد لها بكل ما يملك. ومن الخطوات التي قام بها في هذا المجال أنه أطلع الإمام عبدالرحمن على خطته لمهاجمة ابن رشيد وطلب منه مرافقته. وتذكر بعض الروايات أن الإمام عبدالرحمن نصح الشيخ مبارك بتعديل

= Lorimer, J.G, (1986), op. cit. p.114

لوريمر النسخة المعربة، ج ٣، ص ١٦٩٦. وانظر كذلك:

Musil, Alois, (1928), Northern Nejd, **American Geographical Society**, Oriental Explorations and Studies, No. 5, New York, p.238.

(١) الرشيد، عبدالعزيز، (١٩٧٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٢؛ إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٨.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٧٣. وانظر عن تحركات الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز:

Lorimer, J. G, (1986), op. cit. p. 1141.

لوريمر النسخة المعربة، ص ١٦٩٦- ١٦٩٧.

خطتـه لكنه أصرّ على قيـامـهـا، ولم تذكـر هذه الروايات مـاهيـة هذه الخطة. وعلى كل فـإن الإمـام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز شاركا في هذه الحملة دعماً للشيخ مبارك الصباح مضيفهما من جهة، وللانتقام من ابن رشيد من جهة أخرى، بل إن بعض المصادر تذكر أن الشيخ مبارك عهد إلى الإمام عبدالرحمن بقيادة القسم الهام من قواته. استعد الشيخ مبارك لهذه الحملة فاستنفر القبائل الموالية له حيث استجابت له قبائل مطير، والعجمان، وآل مرة، والضفير، كما طلب مساعدة حلفائه مثل سعدون باشا رئيس عشائر المنتفق الذي جاءه بعشائر الشمال. كما كانت هذه الحملة تضم بعض زعماء القصيم السابقين المتواجدين في الكويت، ومنهم آل سُليم أمراء عنيزة وآل مهنا أمراء بريدة، ثم زحف إلى نجد بعد أن بلغ جيشه حوالي عشرة آلاف مقاتل.(١)

وفي الطريق كانت الأحلام تراود الملك عبدالعزيز في استعادة عاصمة بلاده الحزينة التي طالما أشغلت تفكيره، حتى إذا وصل الشوكي، على بعد حوالي مائة وستين كيلاً شمال الرياض، قاده الحنين إلى الرياض بعد أن شم هواءها وتراءت له أزقتها الحزينة. وبعد الاتكال على الله قرر الملك عبدالعزيز أن يجرّب حظه ويحقق حلمه بدخول هذه المدينة التي طالما تغنى بماضيها القريب الذي جعلها عاصمة الدولة السعودية، وأهم مدينة في منطقة الرياض. وهنا تتفاوت الروايات في مسألة خروج الملك عبدالعزيز والطريقة التي خرج بها. ففي حين تذكر بعض الروايات أن هذه الفكرة كانت مدار نقاش على مستوى عال قبل أن يتحرك الجيش من الكويت، حيث يذكر سعود بن هذلول أنه "قبل زحف هذا الجيش العرمرم اتفق زعماؤه على أن يسير الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بثلة من الجنود نحو الرياض، وصالح بن حسن آل مهنا نحو بريدة بثلة من الجنود أيضاً، وكذلك ابن سليم أمير عنيزة، فإذا اشتبك ابن صباح مع ابن رشيد في القتال تمكنوا من استرجاع أوطانهم". ويؤيد هذا ما ذكره بدول من أن خطة الشيخ مبارك كانت تقضي بأن يفتح حواضر نجد كلها ويعين عليها أمراء من عنده، ثم يضيف أن هؤلاء الأمراء ساروا كل واحد منهم على قوة، فدخل الملك عبدالعزيز الرياض، ودخل آل مهنا بريدة، ودخل

---

(١) انظر عن هذه الحملة: السلمان، عبدالله بن عبدالرحمن، (مخطوط)، مصدر سابق، ص ٧، عن السلمان، محمد ابن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٢٠؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١١٨؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٧٥؛ بنواميشان، (١٣٨٥هـ)، مصدر سابق، ص ٦٣.

آل سليم عنيزة واشتبكوا في قتال مع حاميات ابن رشيد " .(١) وتذكر مصادر أخرى أن المبادرة جاءت من الملك عبدالعزيز حيث فاتح الشيخ مبارك برغبته في الاتجاه إلى الرياض وبين له جدواها التي ستجعل ابن رشيد يضطر للقتال في جبهتين مختلفتين فتتشتت قواته، ولذلك وافق الشيخ مبارك على هذه الفكرة، فانفصل الملك عبدالعزيز عن جيش مبارك بقوة صغيرة واتجه إلى الرياض. ومن جهة أخرى يذكر الريحاني أن الملك عبدالعزيز أخذ قوة تقدر بألف رجل من البادية إلى الرياض، وهو عدد قد يكون أكثر من العدد الفعلي، لأن الملك عبدالعزيز لم يكن في تخطيطه في هذا الوقت استعادة الرياض وإنما كان يريد الاستطلاع ومعرفة مدى إمكانية قيامه بحملة تحقق هذا الهدف. ومع وجاهة هذا التفكير في هذه الظروف بالذات وأن هذه فرصة لا يحسن تضييعها، تذكر بعض الروايات أن الملك عبدالعزيز كان يشك في مقدرة الشيخ مبارك على إحراز نصر عسكري على ابن رشيد، ولذلك لم يرض أن يخاطر بسمعته وبأقاربه من آل سعود في المشاركة في معركة خاسرة لا يستطيعون بعدها الإفلات من عقاب ابن رشيد، وقد كانت فكرة الانفصال عن جيش الشيخ مبارك فرصة له للخروج من هذا المأزق. وفي هذا المجال يقول أمين سعيد "ولاحظ الفتى بعد أن مشت الحملة وأوغلت في أراضي نجد أنها تتألف من أمشاج وأخلاط، تنقصها وحدة الغاية، ووحدة الهدف، ولا نجاح لجيش إذا فقدهما، كما لاحظ أن المزايا العسكرية التي يجب أن تتوافر في القادة العسكريين تكاد تكون معدومة عند الشيخ مبارك "(٢) ويؤيد هذا ما ذُكر سابقاً من أن الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز طلبا من الشيخ مبارك تعديل خطة الحملة لكنه لم يوافق. وفي الواقع فإنه لا تعارض بين الرغبتين، بل إن تنفيذ هذه الفكرة يسير أيضاً في صالح الشيخ مبارك الصباح لأنها ستشغل ابن رشيد وتعرقل خططه، ولذلك فإنه سواء نوقشت هذه الفكرة قبل

---

(١) ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٥١؛ السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، مرجع سابق، ص ٦٩ نقلاً عن:

Bidwell, Robin, (1971), The Affairs of Kuweit 1896-1905, Foreign Office Confidential print, vol. 1., part III, London, p. 24.

ويذكر ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د. ت.)، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر**، وزارة المعارف، الرياض، ص ٩١: أن آل مهنا وآل سليم تمكنوا من استرجاع بلادهم فأقبل عليهم ابن رشيد فساروا من بريدة للقائه فالتقوا في الطرفية، وبعد هزيمة ابن صباح عادوا إلى الكويت.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١١٨؛ سعيد، أمين، (د. ت.)، **تاريخ الدولة السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ج٢، ص٢١.

خروج الجيش، أم أن الملك عبدالعزيز عرض الفكرة على الشيخ مبارك واستأذنه فأذن له وشجعه على القيام بها، فإن العبرة بنتيجة الأعمال. وهكذا يمكن الجمع بين الروايات.

وأياً كان المبرر والطريقة التي قادت الملك عبدالعزيز إلى الرياض، فإن ما يهمنا هنا هو أن الملك عبدالعزيز، من شدة حنينه للرياض، وصلها خلال يومين رغم بُعد المسافة. وبعد قتال مع حاميتها استطاع دخولها دون عناء حيث سبق أن قام محمد بن عبدالله بن رشيد بتهديم أكثر أسوارها عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م. وكانت الخطوة التالية هي محاصرة عامل ابن رشيد، عبدالرحمن بن ضبعان، في قلعة قصر المصمك التي بنيت لكي يحتمي بها رجال الحامية.[١] وقد استمر محاصراً لها أربعين يوماً فاستعصت عليه، حتى إنه عزم على حفر نفق تحت قصر المصمك، بل إنه بدأ بحفره حتى كاد القصر أن يسقط، وقيل إنه عزم على فتح ثقب في جداره ليتمكن من الدخول، وهي خطوة نحو انتزاع الرياض من حكم ابن رشيد.[٢]

---

(١) ويذكر بعض المؤرخين أن عامل ابن رشيد على الرياض في المحاولة الأولى لاستعادة الرياض كان عجلان بن محمد العجلان الذي كان عاملاً عليها في المحاولة الثانية. أما لفظ المصمك فيروى بالصاد لإحكامه، ويروى المسمك بالسين لسماكة جدرانه الجانبية، ورغم أن الثانية أصوب وأقرب معنى لوصفه، لكن الأولى أشهر. ويقال إن لفظ المصمك تحريف من العامة للمسمك. ومن ضمن أسمائه القلعة والحصن. وهو قصر حصين محكم الإغلاق من جميع جوانبه، جدرانه مرتفعة. وهو مبني بالحجر والطين، وله أربعة أبراج كبيرة في جوانبه الأربعة، وبوابة كبيرة بها خوخة. وهو يمثل الطابع الحربي وفن العمارة المنتشرة في منطقة الرياض في تلك الفترة. وتذكر بعض المصادر والمراجع أن أول من بناه الإمام عبدالله بن فيصل عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، حيث اتخذه أولاً سكناً له ولأسرته، ثم اتخذه مقراً للحكم. وقد حل هذا القصر محل قصر دهام بن دواس الذي كان مقراً للحكم قبل بناء المصمك. ويروى على لسان الملك عبدالعزيز أن الذي بنى هذا الحصن هو محمد بن عبدالله بن رشيد على أنقاض قصر الإمام عبدالله، حيث هدمه ابن رشيد وأبقى فيه القلعة المسماة بالمصمك. ولمزيد من المعلومات عن وصف هذا القصر، وتاريخ بنائه وما قيل فيه من روايات، والأحداث التي شهدها راجع: الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ٢١٩-٢٣٦. وانظر كذلك: ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ٤٨؛ ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ)، معجم اليمامة، ج٢، ص ٣٧٢؛ الجاسر، حمد (١٣٨٦)، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص ١٠٨؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، **الرياض ماض تليد وحاضر مجيد**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، ص ص ٩٦-١٠٠.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدرسابق، ص ١١٩؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٥١؛ عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ٢٣٣.

وفجأة غيّر الملك عبدالعزيز استراتيجيته وترك الرياض بعد أن جاءته رسالة عاجلة من والده وهو في طريق عودته إلى الكويت يطلب منه فك حصاره للحامية والعودة إلى الكويت.[١] وقد جاء هذا التطور في استراتيجية الملك عبدالعزيز بعد هزيمة جيش الشيخ مبارك شيخ الكويت والمتحالفين معه في معركة الصريف في القصيم أمام قوات ابن رشيد في ٢٧ ذي القعدة ١٣١٨هـ، الموافق ١٧ مارس ١٩٠١م، وعاد الملك عبدالعزيز أدراجه إلى الكويت بعد أربعة أشهر من وصوله إلى الرياض.[٢] ورغم تمكنه من

(١) السلمان، عبدالله بن عبدالرحمن، (مخطوط)، مصدر سابق، ص ٧، ٨، عن السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٢١.

(٢) تعرف هذه الموقعة بمعركة الطرفية الأولى أو موقعة الصريف. فالطرفية قرية، والصريف ماء، والمسافة بينهما ساعة ونصف، وقد نزل ابن صباح على الطرفية بينما نزل ابن رشيد على الصريف، ثم سار لمقابلة ابن صباح فكانت الواقعة بين الماء والقرية وبذلك كانت تسمى بهذين الاسمين. انظر: الرشيد، ضاري بن فهيد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص ٥٨. وقد كان النصر في هذه المعركة حليف ابن رشيد في حرب لم تدم أكثر من ثلاث ساعات قتل فيها حمود أخو مبارك الصباح وابن أخيه خليفة بن عبدالله وعدد كبير من أهل الكويت. وبعدها انتقم ابن رشيد من كل من ساعد ابن صباح من أهل نجد في هذه المعركة. وعلل المؤرخ عبد العزيز الرشيد، (١٩٧٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٤، السبب في هزيمة مبارك الصباح إلى إعجابه بنفسه، وإلى أن أكثر جيشه كان خليطاً من البدو وغيرهم وأغلبهم يقاتلون بدافع الطمع بالمال، ومن الأسباب كذلك أن جيش ابن رشيد كان يقاتل في أرض معروفة لديه، بالإضافة إلى خطة الهجوم المباغت التي استخدمها ابن رشيد ضد جيش مبارك الصباح. ومن الأسباب كذلك انخداع مبارك بعد وصوله إلى القصيم بمن قال له إن ابن رشيد ضعيف، وأن جيشه مفكك وأنهم بدأوا يتفلتون من يديه مما جعل الشيخ مبارك يأذن لمن أراد أن يذهب من جيشه. ويذكر لوريمر، Lorimer, J.G, (1986), op. cit. p. 1143. النسخة المعربة، ص ١٦٩٨، أن النجاح الجزئي (ربما كان يقصد تمكن الملك عبدالعزيز من دخول الرياض) الذي أحرزه الحلفاء المعادون لابن رشيد، قد أفزعه فزعاً شديداً، فحاول في شهر مايو من عام ١٩٠١م عن طريق وكيل له في البصرة، طلب حماية الحكومة البريطانية. وهناك آراء متفاوته حول تاريخ هذه الوقعة أقربها إلى الصحة ما دون في المتن. وللمزيد من المعلومات عن هذه الوقعة راجع: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٤-٢٠٥؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ص ١١٦-١١٩؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص ٧٦، ١١٩-١٢٠؛ ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ٩١؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٥٢؛ السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، مرجع سابق، ص ص ٥٢-٥٨؛ إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ص١٧٢-١٧٣. وهناك تحليل لكثير من الروايات التي وردت في بعض المصادر والمراجع يحسن الرجوع إليها في: الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل، (١٤١٣هـ)، **مسائل من تاريخ الجزيرة العربية**، مؤسسة دار الأصالة، الرياض، ص ص١٢٠-١٩٥. وهناك تحليل للأسباب المفترضة لخروج الشيخ مبارك بحملته على نجد في: =

السيطرة عليها، إلا أنه قرر الانسحاب، وهو قرار حكيم أملته فطنة القيادة البصيرة لدى الملك عبدالعزيز بدلاً من نزعة المجازفة التي تتحكّم عادة في ردة فعل المتصرين. لقد أدرك الملك عبدالعزيز أن الانسحاب في هذا الوقت يعتبر نصراً تكتيكياً رغم ما يظهر أنه تراجع وهزيمة. ولم يمض وقت طويل حتى انتشرت الأخبار بأن غضبة ابن رشيد المنتصر تحولت إلى الانتقام من بقايا حملة الشيخ مبارك بقتل جميع الأسرى، كما شملت التنكيل برؤساء البلاد النجدية التي ساعدت جيش مبارك، ثم استولى ابن رشيد على جميع الأسلحة التي يملكونها، وفرض عليهم الضرائب الباهظة عقاباً لهم على موقفهم، وهو، بلا شك، سينتقم لعامله على الرياض.[1] بل إن بنواميشان يذكر أن ابن رشيد أضرم النار في القرى والواحات، وشنق مائة وثمانين رجلاً من أهل بريدة.[2] وهنا تظهر حنكة الملك عبدالعزيز وتقديره للأمور عندما انسحب من الرياض مختاراً. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل كان الملك عبدالعزيز متيقناً من هزيمة ابن رشيد أمام قوة الشيخ مبارك الصباح مما جعله يستبق الأحداث ويتجه إلى الرياض؟. الإجابة المؤكدة قد تكون صعبة في ظل غياب الحقائق التي تبيّن ما كان يدور في ذهن الملك عبدالعزيز. ولتحليل هذا الموقف من خلال مجريات الأحداث فإنه من المستبعد أن يربط الملك عبدالعزيز، الذي بدأت علامات النجابة تظهر عليه مبكراً، مصيره بنتيجة حملة مبارك الذي سيلاقي ابن رشيد، الخصم العنيد القوي الذي يقاتل بين قومه. وما يمكن أن يستشف من هذا الموقف هو أن الملك عبدالعزيز لم يكن يقصد استرجاع الرياض في هذا الوقت بالذات لأنه يعتقد أن الوقت غير مناسب الآن، ولكي تتضح نتيجة حملة الشيخ مبارك ضد ابن رشيد. والواقع أن الملك عبدالعزيز أراد بحملته على الرياض سبر غورها، ومعرفة مدى قوتها، وتذكير أهلها بأنه ما زال على العهد الذي ربط بين أسرته

= الرشيد، عبدالعزيز، (١٩٧٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٤؛ التويجري، عبدالعزيز بن عبدالمحسن، (١٩٩٧م)، **لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز دراسة وثائقية**، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ص ٧٢، هامش ١. أما عن التحليل العسكري للمحاولة الأولى لاستعادته الرياض فراجع: رحمو، محمد إبراهيم، (١٤٠٢هـ)، **أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ص٢٤، ٤٥-٥٦.

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١١٩؛ العُبيِّد، محمد العلي، (ت ١٣٩٩هـ) **النجم اللامع للنوادر جامع، أخبار وأشعار من القرنين الثالث عشر والرابع عشر**، صورة مخطوط لدى دارة الملك عبدالعزيز، ص ٤٢؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٩.

(٢) بنواميشان، (١٣٨٥هـ)، مصدر سابق، ص ٦٤.

وأهل نجد . ومن غير توقع منه وجد أبوابها مفتوحة حيث دخلها بدون مقاومة تذكر . لكن هذه التجربة فتحت أبواب الأمل على مصراعيها أمامه للعودة إلى الرياض عندما تحين الفرصة ، وقد عبّر عن هذا الشعور بقصيدة قال في أحد أبياتها :[١]

يـــادارنــــا لا تـــرهـــبـــين أعـطيـك أنـا العـلـم الـيـــقـين

لا بـد مـــــا نـرجع عـلـيـك لـو نـنـتـــحي لازم نجـــيك

وبالتأكيد فإن هذه التجربة التي خاضها الملك عبدالعزيز على محدوديتها ، وقصر المدة التي قضاها محاصراً لقلعة المصمك كانت ثرية بالمعطيات التي تخدم هدفه الذي ما انفك يفكر فيه ليلاً ونهاراً ، وهو استعادة ملك آبائه وأجداده . لقد عرف من خلال هذه التجربة الكثير من أوضاع الرياض بعد عشر سنوات من خروجه مع والده وأسرته منها ، كما عرف شعور أهلها ووفاءهم ومدى تعلقهم بالحكم السعودي ، كما عرف مدى ضيقهم من حكم ابن رشيد ، وهي بلا شك معلومات ومعطيات شجعته على التخطيط والتفكير في محاولة جديدة لاستعادة الرياض . لقد كانت الفترة التي قضاها مسيطراً على الرياض ، باستثناء القلعة ، كانت فترة كافية لاستثارة مكامن الزعامة في نفسه ، كما كانت تدريباً عملياً على ممارسة الحكم وقيادة الجيوش .[٢] ومن جهة أخرى فإن مجرد محاولة الملك عبدالعزيز استعادة الرياض تعتبر بارقة أمل ظلت كامنة في نفوس المؤيدين لعودة الحكم السعودي ، وكانت على وشك أن تخبو لولا أن قيض الله الملك عبدالعزيز ليحيي هذه الجذوة ويجعل منها ملحمة عظيمة ما زالت آثارها الخيرة وافرة الظلال حتى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - إن شاء الله - وكما يروى في الأمثال "رب ضارة نافعة" ، فإن ما قام به عبدالعزيز بن متعب بن رشيد من معاملة قاسية لأهل نجد عموماً ، وأهل الرياض خصوصاً ، بعد انسحاب الملك عبدالعزيز منها نتيجة لهزيمة الشيخ مبارك في موقعة الصريف كما أوضحنا ، كان سبباً فيما أبداه هؤلاء السكان للملك عبدالعزيز من مشاعر الود والتعاون ، وكانت من العوامل التي ساعدته في محاولته الثانية لاستعادة الرياض كما سنرى .

---

(١) الظاهري ، أبو عبدالرحمن بن عقيل ، (١٤١٣هـ) ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

(٢) السعدون ، خالد محمود ، (١٤٠٣) ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

المبحث الثاني

استعادة الرياض ومرحلة تكوين الدولة

لا شك أن عملية استعادة الرياض تعتبر من الأحداث المهمة التي غيرت مجرى التاريخ في شبه الجزيرة العربية، بل وفي العالم العربي والإسلامي. وحيث إن هذا الكتاب يؤرخ لمنطقة الرياض في عهد الدولة السعودية المعاصرة التي بدأت باستعادة الرياض، فسيتم التركيز بشيء من التفصيل على هذه الملحمة العظيمة، لأن فيها كثيراً من العبر والمواقف السياسية والعسكرية والإنسانية التي يمكن أن تضيف جديداً لما روته مصادر التاريخ عنها.

وفي الواقع فإنه على الرغم من ترك الملك عبدالعزيز الرياض بعد أن تمكن منها في محاولته الأولى لاستعادة ملك آبائه وأجداده، إلا أن تلك المحاولة، وما حصل فيها من نجاح نوعي، يعتبر بحد ذاته دافعاً قوياً له للقيام بعملية منظمة ومدروسة لاستعادة الرياض وإقامة الدولة السعودية من جديد. ومن أهم الصفات التي تميز بها الملك عبدالعزيز هي عدم اليأس رغم ما عاناه خلال طفولته وبداية شبابه من التنقل خارج بلاده. إن صفة الصبر وعدم اليأس لا تتحقق لكثير من الناس في الأمور العادية فما بالك بشخص ضاع ملك آبائه أمام ناظريه، وبأسباب داخلية وخارجية ليس من السهولة إعادة نصابها.

وإذا عدنا إلى الوراء قبل مئتين وخمسين سنة، عندما بدأ الأمير محمد بن سعود تأسيس الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، نجد أن الجزيرة العربية كانت مقسمة إلى وحدات سياسية، وبلاد نجد مقسمة إلى إمارات صغيرة متناحرة ومع ذلك استغرق توحيدها جهداً ووقتاً ليس بالهين. أما في هذا الوقت الذي بدأ فيه الملك عبدالعزيز التطلع إلى استعادة ملك آبائه وأجداده، فإن المطلع على الخريطة السياسية للجزيرة العربية في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري/ بداية القرن العشرين الميلادي يدرك أن شبه الجزيرة العربية عادت مقسمة إلى وحدات سياسية لا رابطة بينها، سادتها عداوة مستحكمة، ولا شك أن إعادة توحيدها أشبه بالمستحيل؛ بسبب قوة الكيانات السياسية التي من أهمها: آل الرشيد في نجد، والأتراك في الأحساء، والأشراف في الحجاز، وآل عائض في عسير الشمالية، والأدارسة في المخلاف السليماني، واليمن تحت حكم الإمام يحيى حميد الدين. ليس هذا فحسب بل استجد عامل جديد وهو وجود نفوذ مباشر لقوى سياسية دولية، فالأحساء وعسير كانتا تحت الحكم

العثماني المباشر، وعدن وعمان وإمارات الخليج كانت تحت النفوذ البريطاني، بالإضافة إلى أطماع دول عديدة في الشرق والغرب في هذه المنطقة. هذا الوضع كان كافياً لمعرفة مدى الصعوبة التي تنتظر الملك عبدالعزيز في محاولته لاستعادة كيان الدولة بسبب تشابك المصالح والنفوذ.

وبعد محاولته الأولى لاستعادة الرياض أقام الملك عبدالعزيز مع والده في الكويت مرة أخرى لا يعلم إلا الله متى ستنتهي. والواقع أن إقامتهما هذه المرة اختلفت عن سابقتها بدخول عامل جديد، هو تفكير الملك عبدالعزيز الجدي في القيام بمحاولة ثانية لاستعادة ملك آبائه وأجداده، لكن تنفيذ هذه الفكرة مرتبط بأطراف ثلاثة هو واحد منهم، أما الثاني فهو والده الإمام عبدالرحمن، والثالث الشيخ مبارك الصباح الذي لا يمكن للملك عبدالعزيز التحرك بدون دعمه المعنوي والمادي. فبالنسبة له كان النجاح النسبي الذي تحقق في محاولته الأولى لاستعادة الرياض باعتبارها كانت أول تجربة عملية، قد زاد من قناعته بإمكانية نجاحه في القيام بمحاولة أخرى في المستقبل القريب. ومن جهة أخرى، كانت مشاعر أهل نجد ومساعيهم لم تتوقف في إقناع الإمام عبدالرحمن كما رأينا سابقاً، أو ابنه عبدالعزيز عندما أظهر حماساً منقطع النظير أمام الشيخ مبارك لاستعادة حكم آبائه وأجداده في نجد. ويذكر الشيخ خزعل في هذا الصدد أن الملك عبدالعزيز كان يطلع الشيخ مبارك على الرسائل التي كانت تصله من زعماء بلاد نجد ووجهائها، وعلى الأخص رسائل آل الشيخ الذين كانوا يحثونه على استرجاع مجد آبائه، ويخبرونه بأن أهالي نجد كلهم يؤيدون آل سعود، وكانوا يتمنون اليوم الذي ينهضون فيه لاستعادة ملكهم وتخليصهم من الذل والهوان الذي لاقوه من آل الرشيد.[(١)] وكان لكبرى شقيقات الملك عبدالعزيز، نورة، فضل في تشجيعه، وحثه على عدم النظر إلى الوراء والندم على ما فات، وكانت تقول: إن كانت خطته الأولى والثانية لم تنجح فإن الظفر سيكون حليفه في المرة الثالثة إن شاء الله، ولم تنس أن تنصحه بالتطلع لمعالي الأمور وعدم الخلود للراحة بين الأهل، وتوطين النفس لمجابهة الأمور الصعبة، لأن الرجال لم يخلقوا للراحة، بل كان قدرهم تحمل المشاق والتعب ليطمئنوا هم ويهنأ أتباعهم.[(٢)] والواقع أن الملك عبدالعزيز كان دائم التفكير في العودة إلى بلاده وكيفية تخليصها من

---

(١) خزعل، حسين خلف الشيخ، (د. ت.)، المرجع السابق، ج٢، ص ٤٠.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٧٨. ونورة هي الأخت الشقيقة للملك عبدالعزيز، كان ينتخي بها في الحرب حيث يقول "أنا أخو نورة". ويضيف أنها كانت أقرب الناس إليه وكانت تساعده في تذليل=

مغتصبي الحكم فيها، وقد نظم هذه الأحاسيس في أبيات من الشعر قال فيها:(١)

يا نجـــد مـــا جـــانا منك رد علوم	والـيـوم أنـا شـفـق عـلـى المسـناد
قــالوا مـريح قلت أنا المهـــمـــوم	حـتـى نـقـرر لـلـنضـا مـيـعـاد
نركب عـلى اللي نيـــهن مـــردوم	وان روحن مـــثل القـطا الشـــراد

وبالنسبة لوالده، الإمام عبدالرحمن بن فيصل، فقد كان يرى أن الظروف لم تكن مناسبة للقيام بمثل هذا التحرك الذي قد يؤدي إلى نتائج عكسية له وللأسرة السعودية التي عانت كثيراً خلال السنوات الماضية من التنقل في بلاد عديدة، بالإضافة إلى العيش في الصحراء. كانت معركة الصريف التي هزم فيها ابن صباح مخيبة لآماله فأصبح أكثر حذراً في مواجهة ابن رشيد، ولهذا فإنه عندما عرض عليه ابنه عبدالعزيز فكرة القيام بمحاولة جديدة لاستعادة الرياض اعتبر ذلك ضرباً من الخيال. فبخبرته السياسية والحربية، باعتباره آخر حكام الدولة السعودية الثانية، أدرك الإمام عبدالرحمن مدى قوة حكم آل الرشيد في حائل حيث إنه إضطر شخصياً إلى التراجع أمام محمد بن عبدالله بن رشيد والإقامة في الكويت. أما الآن فإنه سيجابه عبدالعزيز بن متعب بن رشيد الذي ضربت بقسوته وعنجهيته الأمثال، وأقربها معركة الصريف، وانتقامه من أهل نجد الذين ساعدوا الشيخ مبارك. ليس هذا فحسب، بل إنه يعرف أن انتصار ابن رشيد في معركة الصريف كان عاملاً إيجابياً في التمكين له؛ حيث زادت من غروره واعتزازه بنفسه، كما قوّت من عزيمة أتباعه. ولهذه الأسباب مجتمعة كان الإمام عبدالرحمن يرى أن الوقت غير مناسب لقيام ابنه بهذه المجازفة.

أما مبارك الصباح فإنه مع اقتناعه بصعوبة نجاح الملك عبدالعزيز بهذه المهمة، وخشيته من تكرار الهزيمة التي حلت بجيشه في معركة الصريف، لم يكن يميل شخصياً إلى مجازفة جديدة، لكنه وافق على قيام الملك عبدالعزيز بتنفيذ فكرته بعد إلحاح من الأخير، وأملاً بأن قيامها سيحقق مصالح له، فإما أن ينتصر عليه الملك عبدالعزيز فيقضي على خطره، أو على أقل تقدير فإن هذه الحملة، بغض النظر عن

= بعض المصاعب حتى في بيته، وكان يستشيرها في أمور الأسرة، ويزورها كل يوم حتى توفيت في شهر شعبان عام ١٣٦٩هـ/ يونيو ١٩٥٠م (بعد مرور خمسين سنة على استعادة الرياض).

(١) الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٤٤؛ المارك، فهد، ١٤٠٠هـ)، **من شيم الملك عبدالعزيز**، ج١، الرياض، ص ٨٢.

نتيجتها، ستؤدي إلى إشغال ابن رشيد عن مهاجمة الكويت، التي أجمعت الروايات على أنه كان يعتزم القيام بها انتقاماً من حملة ابن صباح التي دخلت نجداً لكنها فشلت في معركة الصريف. بل إن ابن صباح كان يأمل في أن محاولة الملك عبدالعزيز ستؤدي إلى أن يصرف ابن رشيد النظر عن مهاجمة الكويت نهائياً، وهذا ما حصل بالفعل. ولكل هذه الأسباب فإن الشيخ مبارك شجع الملك عبدالعزيز، وذلل له الصعاب، وبذل له المساعدات المادية والمعنوية كما سنرى.(١)

ومع مرور الأيام ازداد الملك عبدالعزيز قناعة بفكرته لكن كان عليه إقناع والده، وهي مهمة صعبة استخدم فيها كل الوسائل الممكنة بما فيها تدخل والدته رغم خوفها الشديد من نتائج فشلها. وتمضي الأيام والملك عبدالعزيز يزداد إصراراً على تنفيذ خطته، ووالده الإمام عبدالرحمن يزداد إعراضاً عن الاستجابة لمطلبه. ويروي يوسف ياسين عن الملك عبدالعزيز وصفه لجلسة مناقشة بينه وبين والده؛ حيث يقول لأبيه: "أنت بين خطتين، إما أن تأمر أحد عبيدك بانتزاع رأسي من بين كتفي فأستريح من هذه الحياة، وإما أن تنهض من توّك فلا تخرج من منزل شيخ الكويت إلا بوعد في تسهيل خروجي للقتال في بطن نجد".(٢) ولم يجد الإمام عبدالرحمن أمام إصرار ابنه عبدالعزيز وتدخل والدته، رغم عاطفة الأمومة، إلا أن يوافق على مضض. وبعد أن نال الملك عبدالعزيز موافقة والده، طلب منه أن يقنع الشيخ مبارك الصباح بالموافقة على قيامه بجملة لاستعادة الرياض تنطلق من الكويت وبدعمه الشخصي، المادي والمعنوي. ويبدو أن مهمة إقناع الشيخ مبارك لم تكن صعبة رغم ما تنطوي عليها من محاذير سياسية، إذ إن ابن صباح وافق على الفكرة؛ لأنها ستحقق له مكاسب كما أسلفنا، فوافق على خطة الملك عبدالعزيز وزوده بأربعين ذلولاً، وثلاثين بندقية، ومئتي ريال، وبعض الزاد.(٣) يروي التويجري عن عبدالله الخنيزان، أحد مرافقي الملك عبدالعزيز في عملية استعادة الرياض، تحليل الملك عبدالعزيز لموقف الشيخ مبارك، وكذلك الدافع للملك عبدالعزيز لاستعادة الرياض قوله: "لما صرنا خارج سور الكويت أخذ الملك عبدالعزيز يحكي لنا، نحن رجاله، ما دار بينه وبين الشيخ مبارك، ومما

(١) فلبي، سنت جون، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ٢٧٨؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدرر سابق، ص ٥٣؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، **معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد**، مكتبة العبيكان، الرياض، ص ٤٢.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٧٩.

(٣) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدرسابق، ص ١٢١.

قاله : لعل الهزيمة التي حلت بوالدي الشيخ مبارك في القصيم في الموقع المسمى (بالصريف) على يد الأمير عبدالعزيز بن رشيد باقية في ذهنه ، وهي هزيمة من حق الشيخ ألاّ ينساها . ومما قاله الشاب عبدالعزيز لنا : لقد استحيت أن أقول للشيخ مبارك : إن دورك غير دوري ، إني صاحب الحق " .(١) كانت هذه القناعة هي المحرك الذي كان يلازم الملك عبدالعزيز منذ ارتحاله مرغماً عن بلاده قبل عشر سنوات من ملحمة استعادة الرياض .

أصبحت كل الظروف مهيأة للملك عبدالعزيز للقيام بمغامرته فأسرع يجهز نفسه بالزاد والركائب والسلاح ، ثم باختيار الرجال الذين سيساعدونه ، وهي مهمة ليست سهلة ؛ نظراً لبعد الشقة وما تنطوي عليه من مخاطر . أكمل الملك عبدالعزيز استعداداته المتواضعة التي اشتملت على أربعين ذلولاً ، وثلاثين بندقية ، ومئتي ريال ، وقليل من الطعام كانت مساعدة من الشيخ مبارك .(٢) أما الرجال فقد اختار أربعين رجلاً من أقربائه ، ومن الموالين لهم . وهنا قد يرد تساؤل عن مدى اقتناع الملك عبدالعزيز بنجاح مغامرته في ظل الظروف المحيطة به ، ومنها استعداداته المتواضعة من جهة ، وقوة ابن رشيد من جهة أخرى . وقبل الإجابة يجدر بنا أن نوضح أن المقصود بعبارة مغامرة ليس مفهومها السلبي الذي يوصف به من يقوم بعمل طائش محكوم على عمله بالفشل قبل أن يقوم به ، وإنما المقصود بعبارة مغامرة أن الظروف لم تكن مهيأة للملك عبدالعزيز في ذلك الوقت نظراً لقلة الإمكانات التي استطاع تسخيرها ، وللبعد المكاني للهدف المقصود ، وأخيراً لأن الخصم قوي ومعنوياته مرتفعة ، خصوصاً بعد انتصاره الأخير في معركة الصريف الذي أعطاه دفعة قوية لمجابهة جيش دولة فضلاً عن محاولة فردية . وأخيراً فإنه لا يمكن وصف محاولة الملك عبدالعزيز بأنها حملة ؛ لأن مفهوم الحملة يعني الاستعداد الكبير بالرجال والعتاد .

أما الإجابة على التساؤل فيمكن استخلاصها من مجمل الظروف الشخصية والمكانية والزمانية المحيطة بالملك عبدالعزيز في ذلك الوقت . ولا شك أن الملك عبدالعزيز وضع لنفسه خطة عسكرية استراتيجية تتناسب مع أهمية المهمة التي ينوي القيام بها .(٣) وبداية ، لابد من التأكيد على أن أهم

---

(١) التويجري ، عبدالعزيز بن عبدالمحسن ، (١٩٩٧م) ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

(٢) الريحاني ، أمين ، (١٩٧٠م) ، مصدرسابق ، ص ١٢١ . وقد ذكر ابن هذلول ، سعود ، (١٤٠٢هـ) ، مصدر سابق ، ص٥٣ ، أن عددها أربعين بندقية .

(٣) عن النواحي العسكرية والخطط الحربية والتكتيك العسكري الذي اتبعه الملك عبدالعزيز في عملية استعادة الرياض انظر : رحمو ، محمد إبراهيم ، (١٤٠٢هـ) ، مرجع سابق ، ص ص ٥٧-٦٣ .

الأسباب التي جعلته يقتنع بتنفيذ فكرته هو إيمانه القوي بالله الذي هو عماده في كل الأحوال، وكان دائماً يتمثل قول الله تعالى ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(١). ومنها أنه سيقوم بهذه المحاولة لغرض سام، وهو استعادة كيان الدولة السعودية التي قامت بتوحيد شبه الجزيرة العربية في دولة واحدة مرهوبة الجانب بدلاً من حالة التمزق الذي عاشته هذه البلاد قبل قيام هذه الدولة منذ قرابة مئتين وخمسين عاماً، ثم عادت إليه من جديد بسقوط الدولة السعودية الثانية. ثم إن إقامة الملك عبدالعزيز هو ووالده في الكويت طالت عن الوقت الذي كانا يتوقعانه، ومع أن ابن صباح أحاطهما وأتباعهما بمظاهر الاحترام والتقدير والمساعدة إلا أن بقاءهما في الكويت لم يكن هو الهدف النهائي لهما، وإنما كان إقامة مؤقتة ينتظران خلالها الفرصة الملائمة للرجوع إلى بلادهم حاكمين لا محكومين. وفي هذه الظروف يتحدث الملك عبدالعزيز عن وضعه في الكويت وعن أهدافه الخاصة من استعادة الرياض، وعن خوف والده عليه. فذكر أنه لم يهدف من قيامه بهذه الحملة الاستزادة من المال، أو البذخ، أو التنعم بالدنيا؛ لأنه تعود على شظف العيش، لكن ما كان يعانيه هو الغربة عن بلاده، وشعوره بالذل؛ لأن الرياض بلده وبلد أجداده، ومن العار أن تبقى السيادة عليها لعدوه، وحاكماً في ذويه وعشائره. وبعد ذلك عاهد أصحابه على المسير معهم، وأن يكون في طليعتهم ليستقبل الطعن دونهم.

أما عن محدودية الاستعداد المادي، المتمثل في الرجال والسلاح ووسائل النقل، الذي تزود به الملك عبدالعزيز فقد كان مناسباً للمهمة التي ينوي القيام بها كما سيأتي تفصيله. والواقع أن الملك عبدالعزيز لم يقصد القيام بهجوم مكشوف ومجابهة عسكرية مع ابن رشيد وإنما كان ينوي القيام بمهمة محدودة في استعداداتها، لكنها عظيمة في أهدافها، كان يقصد من ورائها الدخول إلى داخل قصر المصمك والقبض على عامل ابن رشيد وإعلان استعادته الرياض. ولا شك أنه في عمله هذا يعلم، من خلال تجربته الأولى التي دخل فيها الرياض، أن هناك أنصاراً له سيرحبون به بمجرد تمكنه من الدخول إلى الرياض، وهو ما تم فعلاً كما سنرى لاحقاً. وغني عن القول إن تنفيذ خطة سرية ومصيرية مثل هذه تتطلب الحذر في كل شيء، ولا شك أن أولى واجبات الحذر عدم الظهور بشكل علني، وإبعاد الريبة، واستخدام أسلوب التمويه وهي عوامل اعتمد عليها الملك عبدالعزيز بعد الله فأدت إلى نجاح خطته.

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٤٩.

ومن هنا يمكن الإجابة على التساؤل السابق لندرك أن قلة الاستعداد الذي تزود به الملك عبدالعزيز كان عاملاً إيجابياً ولم يكن سلبياً. ولعلنا لا نضيف جديداً إذا قلنا إن إيمان القائد وجنوده بالله ثم بعدالة وأهمية المهمة التي جاؤوا من أجلها، وكذلك الشجاعة والبسالة التي عرفوا بها، كانت بحد ذاتها أمضى من كثير من الأسلحة الكثيرة التي يحملها رجال تنقصهم الروح المعنوية؛ لأنهم يقاتلون لمصلحة غيرهم، ويذودون عن بلادٍ هم دخلاء عليها. ولا شك أن قيام الملك عبدالعزيز بحملة كبيرة لن تحقق النجاح المطلوب، بل قد تكون عاملاً سلبياً؛ لأن مدينة الرياض بعيدة جداً عن الكويت، وكثرة الجيش تحتاج إلى تموينات كثيرة، إضافة إلى صعوبة إخفاء مهمة هذا الجيش وبالتالي تنتفي السرية التي هي أهم عامل في مهمة الملك عبدالعزيز. أما عامل الزمان فكما ذكرنا سابقاً، يعتبر نجاح ابن رشيد في معركة الصريف، التي أدت إلى هزيمة ابن صباح، تأكيداً على مدى قوته، وحيث إن التجارب تقاس ببعضها فإن قيام حملة كبيرة مكشوفة من الكويت بقيادة الملك عبدالعزيز قد تواجه نفس المصير الذي لقيته حملة الشيخ مبارك، إضافة إلى أن ابن صباح لن يوافق على قيام مثل هذه الحملة لاعتبارات سياسية وعسكرية وأمنية تخصه شخصياً وتخص بلاده.

التحرك نحو الرياض:

ودّع الملك عبدالعزيز أباه في جو مفعم بالعاطفة حيث قال الأب: "ترى يا عبدالعزيز، ليس لي قصد في أن أقف في سبيل إقدامك. ولكن، كما ترى، موقفنا وحالنا يقضيان باستعمال الحكمة في إدارة أمرنا. أما وقد عزمت، فأسأل الله لك العون والظفر". قال الرواي: "وبدرت دمعة من عين الأب، كانت أثمن ما حمله قلب الابن في سيره إلى المعركة التي خرج من أجلها".[(١)] تحرك الملك عبدالعزيز من الكويت في شهر ربيع الثاني عام ١٣١٩هـ/ يوليو ١٩٠١م، متخذاً طريق الصحراء تمشياً مع خطته السرية.[(٢)] وخلال الفترة بين هذا التاريخ وتاريخ مغادرته صحراء الجافورة متجهاً إلى

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٨٠. والمقصود بالراوي يوسف ياسين.

(٢) يرد اختلاف في بعض الكتب عن تاريخ مسير الملك عبدالعزيز إلى الرياض، هل هو في شهر ربيع الآخر، أم في شهر جمادى الآخرة أم في شهر رجب؟. ويترجح لدينا أن خروجه من الكويت كان في شهر ربيع الآخر لأنه أمضى فترة في الصحراء القريبة من الأحساء، قام خلالها ببعض الحملات المحدودة كما ذكرنا، ثم عاد إلى مقر إقامته استعداداً للقيام بمحاولته الثانية لاستعادة الرياض وذلك في آخر يوم من شهر رجب. ولمزيد من التفاصيل راجع: القاضي، إبراهيم بن محمد بن عبدالله، (ت ١٣٤٦هـ)، **مخطوط تاريخ القاضي**، ص ٩؛ الزركلي، خير الدين، =

الرياض، ومن أجل التمويه على عدوه، أخذ الملك عبدالعزيز يقوم ببعض الحملات المحدودة التي كان يرمي من ورائها إلى محاولة إقناع بعض القبائل والعشائر الموالية له أو المحايدة، على تأييده في هذه المرحلة. يقول بنواميشان عن هدف الملك عبدالعزيز من هذه الحملات الصغيرة: "لم يكن عبدالعزيز بالطبع، قرصاناً، ولا غازياً، ولا كان هدفه الإثراء وجمع المال، بل كان يرمي إلى إثارة الحماسة والشعور في أهل نجد، وإلى إثبات وجوده بين ظهرانيهم قبل أن يدعوهم للانضمام إليه".[(١)] وقد نجح الملك عبدالعزيز من خلال تطبيق هذه الخطة بتحقيق هدفين:

الأول: مادي وهو انضمام عدد كبير من المقاتلين من عشائر آل مرة، وسبيع، والسهول والعامة من قبيلة العجمان رغم تردد رؤسائهم. وفي نهاية المطاف بلغ عدد رجال حملته حوالي ألف رجل على الإبل وأربعمائة فارس، كما أنه خلال هذا الوقت استطاع أن يكفي حاجة جيشه الصغير من المؤن حيث كان يتزود من الأحساء. وتذكر بعض الروايات أن النشاط العسكري للملك عبدالعزيز في هذا الوقت ازداد قوة، وأخذ عدة اتجاهات حيث كان منطلق حملاته الأحساء، وقد وصل في بعض حملاته إلى العرض في عالية نجد حيث توجد هناك قبائل قحطان وعتيبة الموالية لابن رشيد. وفي حملة ثانية توغل في بلاد نجد وقصد جماعة من قحطان في عشيرة من جهات سدير. وقد ازداد عدد جيشه من جراء هذه الحملات حتى وصل إلى ألف وخمسمائة ذلول وستمائة خيال.[(٢)]

الثاني: معنوي، وهو التمويه بأن أهدافه العسكرية محدودة وترمي إلى معاقبة القبائل المعادية له، وهذا بالتالي يدخل الطمأنينة على قلب ابن رشيد والإيحاء له بأن تحركاته تدخل في ظل هذه الاستراتيجية ولن تصل إلى حد مهاجمة الرياض. ومع ذلك فإن ابن رشيد أوجس خيفة من تلك التحركات مما دعاه إلى أن يطلب من الدولة العثمانية، الحليف الاستراتيجي له، التدخل من أجل منع الملك عبدالعزيز من القيام بهذه الحملات، أو حتى التمون من الأحساء، كما سيأتي تفصيله لاحقاً.

= (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص٨٣؛ حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠؛ فلبي، سنت جون، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ٢٧٨؛ السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، مرجع سابق، ص ص ٧٠-٧٢؛ خزعل، حسين خلف الشيخ، (د. ت.)، المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٤ .

(١) بنواميشان، (١٣٨٥هـ)، مصدر سابق، ص ٧١.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدرسابق، ص ١٢٢؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص ٨٠-٨١.

وفي تحرك الملك عبدالعزيز بهذه الصورة ربما قال المشفقون عليه لماذا لم يخرج متخفياً عن العيون، وقد أجاب الملك عبدالعزيز نفسه عن هذا التساؤل لأحد رفاقه بقوله "لقد قال لي بعض رجالي مثل ذلك فرفضت، فأنا لم أكن رجل ظلام، ما أردت إلا أن يراني أعدائي وغير أعدائي على ما أنا عليه". (١)

ومع أن هذه التحركات لم تكن هدفاً بحد ذاتها إلا أن هذا الإجراء فتح أعين ابن رشيد، والدولة العثمانية من خلال متصرفها في الأحساء على تحركات الملك عبدالعزيز التي كان يخطط لاستثمارها من أجل العمل المهم وهو استعادة الرياض. أما ابن رشيد فقد عاد بجيشه إلى الحفر وبدأ يفكر في العمل لصد هجمات الملك عبدالعزيز، ولم يكتف بذلك بل أرسل رسولاً إلى الشيخ قاسم بن ثاني شيخ قطر يستنجد به ضد ابن سعود، كما أرسل إلى الوالي العثماني في البصرة لكي تتدخل الدولة العثمانية لدى حاكم الأحساء لوقف نشاط الملك عبدالعزيز. (٢) وحيث إن الدولة العثمانية لم يكن لديها خلفية واضحة عن طبيعة تحركات الملك عبدالعزيز وأهدافه، خصوصاً وقد سبق له أن قاد فرقة من جيش ابن صباح ودخل الرياض في العام الماضي كما أوضحنا، ولهذا فإن الدولة العثمانية حرصت في هذه المرحلة على تتبع تحركاته والعمل في الوقت نفسه على تأمين سلامة ابن رشيد الحليف القوي لها في المنطقة. اتخذ موقف الدولة العثمانية عدة جوانب، الأول: إبلاغ الإمام عبدالرحمن بأن يمنع ابنه من الاشتراك، أو الدخول في أي عملية عسكرية تهدد ابن رشيد. الثاني: تكليف والي الأحساء بمراقبة تحركات الملك عبدالعزيز وتهديد الموالين له من العشائر المقيمة في المنطقة، ومنعه من التموين من الأحساء. الثالث: تهديد الإمام عبدالرحمن بقطع راتبه الذي تصرفه له الدولة العثمانية إذا لم يقم بثني ابنه عن أعماله الحربية ضد ابن رشيد. (٣) وهيهات أن يستجيب الملك عبدالعزيز لهذه المطالب التي يعتبرها تدخلاً في أعماله وتحركاته، وتمالؤاً مع ابن رشيد الذي سبق أن اغتصب الحكم من آل سعود ولم تقف الدولة بجانبهم كما تقف الآن بجانب عدوهم. ورغم أن الملك عبدالعزيز لم يكن ينتظر مساعدة الدولة العثمانية، لكنه في الوقت نفسه لم يكن يتوقع منها هذا الموقف المتشدد من تحركاته البعيدة عن ابن رشيد. وقد ازداد إلحاح ابن رشيد على الدولة العثمانية، وعلى وجه الخصوص بعد أن قام الملك

---

(١) ذكر هذه الرواية عبدالله الخنيزان، أحد مرافقي الملك عبدالعزيز. انظر: التويجري، عبدالعزيز بن عبدالمحسن، (١٩٩٧م)، مرجع سابق، ص ٧٦.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٢؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٥٤.

(٣) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٨١.

عبـدالعزيز بحـملة ثالثـة وصل بهـا إلى جنوبي نجد حيث توجـد قـبـائل من الـدواسر، ثم عـاد إلى الأحساء. [١]

وعلى العموم فإن هذه الإجراءات أدت إلى نتائج سلبية بالنسبة لموقف الملك عبدالعزيز حيث امتنع عن تأييده كثير من البدو إما خوفاً من الدولة العثمانية وممثلها في الأحساء، أو خوفاً من ابن رشيد. بل إن كثيراً ممن انضموا إليه في السابق تخلو عنه بعد هذا التهديد، كما أن بعضهم تركوا الملك عبدالعزيز سعياً لطلب الكلأ لمواشيهم حيث إن فصل الشتاء، موسم الرعي، قد حلّ. وأياً كان السبب فقد تفرق عنه أكثر من ألف هجان ومائة خيال، لكنه لم يبال كثيراً لأنه لم يكن يركن، كما يقول الريحاني، إلا لرجاله الأربعين الأولين. [٢] ومما زاد الأمر صعوبة عليه أنه لم يعد يستطيع الحصول على تموين لأتباعه من الأحساء بسهولة بعد تدخل واليها بضغط من ابن رشيد وموافقة الدولة العثمانية، لكن هذه الإجراءات والتحديات لم تغير كثيراً من خطط الملك عبدالعزيز. أما بالنسبة للدولة العثمانية فإنها، مع فشل هذه الإجراءات، لم تيأس بل ضغطت على كل من الشيخ مبارك الصباح والإمام عبدالرحمن لكي يتخليا عن الملك عبدالعزيز، لكنها فشلت مرة أخرى في مسعاها. وعندما لم يستجب، أو بالأحرى لم يستطع، الإمام عبدالرحمن الوقوف أمام إصرار ابنه أو إقناعه بالعدول عن فكرته، نفذت الدولة العثمانية تهديدها وأوقفت المعاش الذي كانت تصرفه للإمام عبدالرحمن خلال إقامته في الكويت. [٣]

وكما أوضحنا سابقاً فإن الإمام عبدالرحمن، بغض النظر عن موقف الدولة العثمانية منه، لم يكن في قرارة نفسه مقتنعاً أصلاً من فكرة قيام ابنه عبدالعزيز بتنفيذ فكرته، والآن استجد عامل جديد عزز وجهة نظره وهو موقف الدولة العثمانية المعلن من تحركات الملك عبدالعزيز في صحاري الأحساء، فضلاً عن توجهه إلى الرياض الذي ربما لم تعلم به بعد. وإزاء هذا الوضع وأملاً في ثني الملك عبدالعزيز عن تنفيذ فكرته بعث إليه الإمام عبدالرحمن والشيخ مبارك رسولاً، وهو في الجافورة، يطلبان منه إلغاء فكرته والعودة إلى الكويت. وصل الرسول إلى مقر إقامة الملك عبدالعزيز في واحة يبرين في آخر يوم من شهر رجب عام ١٣١٩هـ/ ١٢أكتوبر ١٩٠١م وأخبره بطلب والده، وسلمه رسالة منه. ومع أن

---

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٢.

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٣.

الملك عبدالعزيز لم يقتنع بإلغاء فكرته، إلا أنه لم يُرد أن يرغم أتباعه على المسير معه، خصوصاً وقد انفضّ عنه أغلب الذين انضموا إليه سابقاً ولم يبق معه سوى عشرين رجلاً، بالإضافة إلى أربعين رجلاً؟ من آل سعود والموالين لهم، الذين خرجوا معه أصلاً من الكويت.[١] ولهذا جمع هؤلاء الستين وأخبرهم بطلب والده، ثم قرأ عليهم رسالته التي تدعوهم إلى العودة، وبعد ذلك أعطاهم الملك عبدالعزيز الحرية المطلقة في اختيار ما يريدون، إما العودة إلى الكويت أو الذهاب معه إلى الرياض. وبعبارات مختارة بعناية تُلخّص همومه وطموحاته وحماسته، قال الملك عبدالعزيز لأتباعه: "لا أزيدكم علماً بما نحن فيه، وهذا كتاب والدي يدعونا للعودة إلى الكويت، قرأته عليكم. ومبارك ينصحنا بالعودة. أنتم أحرار فيما تختارون لأنفسكم. أما أنا فلن أعرّض نفسي لأكون موضع السخرية في أزقة الكويت. ومن أراد الراحة ولقاء أهله والنوم والشبع فإلى يساري، إلى يساري".[٢] لكن أتباعه كانوا قد وطّنوا أنفسهم على السير معه على السراء والضراء، ولذلك انحازوا سريعاً إلى يمينه معلنين استعدادهم للتضحية معه. وفي هذا الوقت كان رسول الإمام عبدالرحمن حاضراً المشهد المهيب الذي أراد منه الملك عبدالعزيز أن يعبّر عن عدم استجابة مطلب والده بالعودة لكن بطريقة وعبارات مهذبة احتراماً له وكأنه يقول له الجواب ما ترى لا ما تسمع. أما الجواب النهائي لطلب الإمام عبدالرحمن فلم يكن يحمل رفضاً لكنه وعدٌ بإتمام المهمة التي خرج من أجلها، حيث قال لرسول الإمام "سلّم على الإمام وخبره بما رأيت، واسأله أن يدعو لنا وقل له: موعدنا إن شاء الله في الرياض"[٣]

وفي الحادي والعشرين من شهر رمضان عام ١٣١٩هـ/ أوائل شهر يناير عام ١٩٠٢م غادر الملك عبدالعزيز واحة يبرين متوجهاً إلى الرياض يسير في الليل ويستريح في النهار حتى تنقطع أخباره عن ابن رشيد فيطمئن ويقوم بتسريح أتباعه الذين أوكل إليهم مهمة متابعة الملك عبدالعزيز وتعقب آثاره.[٤] هكذا انطلق الملك عبدالعزيز لهدفه رغم العقبات وقلة الرجال حيث لم يكن مجموع رجال المجموعة يتجاوز ستين رجلاً بما فيهم القائد. وفي هذا المجال يحسن أن نوضح ما يظهر في بعض الكتب

---

(١) انظر عن هذا الموضوع خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٨٣؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٥١.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٨٣.

(٣) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) سعيد، أمين، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٤.

والأبحاث من اختلاف في هذا العدد هل هو ستين أم أربعين رجلاً. فعند تصفح الكتب التي تحدثت عن تاريخ الملك عبدالعزيز نجد أن هذا الاختلاف انحصر في هذين العددين. وفي الحقيقة فإن المتتبع لخطوات استعادة الرياض لا يجد اختلافاً، بل يمكن إرجاع هذا التباين إلى أسلوب رواية المناسبة أكثر من التباين في حقيقة الرقم. والواقع أن من ذكر أن عددهم ستين رجلاً فإنه يقصد بهم الأربعين الذين خرجوا مع الملك عبدالعزيز من الكويت والعشرين الذين انضموا إليه في الطريق كما أوضحنا سابقاً، ومن ذكر أن عددهم أربعين فإنه يقصد الذين خرجوا معه من الكويت دون من انضموا إليه في الطريق. وهناك احتمال آخر وهو أن المقصود بالأربعين الذين دخلوا حتى أسوار الرياض فيما بقي العشرون المتممون لهم قرب الرياض حتى تم للملك عبدالعزيز استعادة المدينة كما سيأتي تفصيله. ومهما كان عددهم، فإنه يشمل كل من رافق الملك عبدالعزيز منذ خروجه من الكويت، ومن انضم إليه في الطريق، ومن بقي في ضواحي الرياض ومن دخل معه حتى قصر المصمك. ولا شك أن كلاً منهم قد تحمل المشاق، وطول الطريق ومخاطره، والمغامرة والمجازفة بأنفسهم، ثم قام كل واحد منهم بالمهمة المنوطة به خير قيام حسب توجيه القائد، ويكفيهم فخراً أن أسماءهم ظلت محفورة في أذهان المؤرخين والمهتمين، وسيحفظها التاريخ في سجلاته إلى ما شاء الله.[١]

كانت الخطوة التالية هي التخطيط للوصول إلى الرياض ثم مهاجمتها، لكن كيف تم ذلك، وما هو الوقت الملائم، وكم كان العدد المناسب لتنفيذ هذه المهمة، وما هو الطريق الأنسب الذي سلكه؟. ولتنفيذ فكرته في استعادة الرياض وضع الملك عبدالعزيز خطة محكمة تدل على خبرته ومهارته الحربية حيث اعتمدت هذه الخطة على مراعاة عوامل متعددة منها الطريق الذي سيسلكه، والوقت المناسب من السنة واليوم، إضافة إلى عاملي السرية والسرعة. أما الطريق فقد راعى في اختياره أن يسلك طرقاً غير مألوفة كي لا يلتقي بقوات ابن رشيد، أو عيونه، أو المؤيدين له.[٢] كما كان من خطته أن يقسّم أصحابه

---

(١) قامت دارة الملك عبدالعزيز، باعتبارها الجهة الرسمية التي أوكل إليها حفظ وتوثيق تاريخ الملك عبدالعزيز، بالتحري عن عدد الرجال الذين رافقوا الملك عبدالعزيز في عملية استرداد الرياض، وذكر أسمائهم ونبذة عن كل شخص، وقد بلغ عددهم ثلاثة وستون شخصاً. انظر ملحق رقم (١) عن أسماء هؤلاء الرجال نقلاً عن: **المئوية**، تصدر عن الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، العدد الثالث، السبت ٢٢ رمضان ١٤١٩هـ/ ٩ يناير ١٩٩٩م، ص١.

(٢) قامت دارة الملك عبدالعزيز بتحقيق خط سير الملك عبدالعزيز من الكويت إلى الرياض، مع بيان القرى والأماكن التي مر عليها، وتوثيقها من مصادر مدونة، أو روايات شفهية.

إلى جماعات صغيرة حتى لا يثير انتباه من يصادفهم في الطريق، وأن يتكتّم على هدفه المنشود حتى لا يفسح المجال لابن رشيد أو أعوانه بمراقبته أو الهجوم عليه، وإذا اضطر إلى المجابهة فليكن على طريقة الكر والفر حتى تزداد قوته. كما كان من خطته معاقبة العشائر التي وقفت موقف العداء من والده عندما كان حاكماً للدولة السعودية الثانية بانضمامها إلى ابن رشيد، وكانت حتى هذا الوقت تؤيد ابن رشيد، وكذلك الهجوم على القبائل التي تنشد الكسب بانضمامها إلى من تكون له الغلبة. أما الوقت الملائم من السنة فقد فضّل الخروج في فصل الشتاء لاتقاء حر الشمس من جهة، ولأن فصل الشتاء هو موسم المراعي وفيه يكثر تواجد البدو الرحل وغيرهم في البراري، وبذلك لا يكون تواجده محل ريبة، كما أنه كان يسير بالليل ويستريح في النهار، وخصوصاً عندما قرب إلى الوصول إلى هدفه إمعاناً في التخفي. وفي وصوله إلى الرياض كان تخطيطه أن يصلها في أول الليل حتى لا ينكشف أمره، وفي آخر الليل يتجه إلى حيث يوجد عجلان، عامل ابن رشيد على الرياض. وفي كل خططه كان يعتمد على السرعة في اتخاذ المواقف، والحسم السريع للأمور، كما كان يحرص على حمل القليل من الطعام لتسهيل الحركة والسرعة في الوصول إلى هدفه، نظراً لإمكانية التزود من الطعام من القرى في الطريق. وباختصار فإن خطة الملك عبدالعزيز في استعادة الرياض اعتمدت على ثلاثة عناصر، السرية، والمباغتة والسرعة.

الوصول إلى الرياض:

إن من صفات القادة العظام الاستفادة من التجارب السابقة، وقد تمثل الملك عبدالعزيز هذه الصفات خير تمثيل. فالخبرة استفادها من تجربته الأولى التي من خلالها عرف الملك عبدالعزيز أن دخول الرياض ليس هو الأمر المهم لأنه سبق أن دخلها، لكن المهم بالإضافة إلى ذلك هو دخول القلعة التي تسيطر على المدينة، بل وفي أقرب فرصة لأن عامل الوقت ليس في صالحهم.

وقبل الدخول في تفاصيل هذه الملحمة يجدر التنبيه إلى بعض الأمور المهمة التي كان لها تأثير مباشر وغير مباشر خلال محاولة الملك عبدالعزيز استرداد الرياض، منها: أن الرياض بعيدة جغرافياً عن حائل قاعدة ابن رشيد، وكان يقوم عليها عجلان بن محمد العجلان عاملاً من قبل أمير حائل.[1] ولهذا

---

(١) كان عجلان من ثقات عبدالعزيز بن رشيد، وهو من مولّدي حائل، ويوصف بالشجاعة لكن فيه غلظة. وقد ذاق منه أهالي الرياض المؤيدون لآل سعود الأمرين. يقول عنه العطار إنه "اختير للجلوس على كرسي إمارة الرياض ليُري=

السبب فإن أهميتها لن ترقى إلى أهمية حائل، وقد سهّل ذلك من مهمة الملك عبدالعزيز. والواقع أن الرياض، رغم أنها لم تعد في هذا الوقت عاصمة للدولة، إلا أنها بقيت على أهميتها من النواحي السياسية والعسكرية، ولهذا فإن استرداد الملك عبدالعزيز لها يعني له ولابن رشيد بداية إعادة الحكم السعودي من جديد. والأمر المهم هو أن الرياض ارتبطت تاريخياً بالأسرة السعودية منذ أن اتخذها الإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية عاصمة لدولته، ولهذا فإن رصيد آل سعود من ولاء أهلها ما زال قائماً رغم خضوعها المؤقت لابن رشيد.

وكما ذكرنا سابقاً، كان أسلوب السرية والكتمان والتمويه هو الأسلوب الحربي الذي اعتمد عليه الملك عبدالعزيز بعد الله في عملية استرداد الرياض، وفي غيرها من الحملات التي قام بها لضم بقية بلاد نجد وغيرها كما سنرى لاحقاً. وتمشياً مع هذا الأسلوب كان أكثر أعوانه لا يعرفون الطريق الذي سيسلكه خلال وجهته إلى الرياض، ليس عدم ثقة بهم، بل حربياً معروفاً اقتنع به الملك عبدالعزيز وطبقه، حيث كان يخبر رفاقه بوجهته في الوقت والمكان المناسبين. ومن أجل ذلك أمضى شهر شعبان وعشرين يوماً من شهر رمضان في صحراء الربع الخالي، حتى أن أياً من رفاق الملك عبدالعزيز لا يدري أين كانوا كما يروي فؤاد حمزة. وعندما تجاوز نصف الطريق بين يبرين والرياض أخبر رفاقه بهدفه.[(١)] ومن ضمن خططه العسكرية الموفقة أنه حرص على الوصول إلى الرياض في أول الشهر عندما يكون القمر في أول أيامه فيسود الظلام أغلب الليل مما يمكنه من تنفيذ خطة الهجوم التي تعتمد على خفة الحركة وسرعة الوصول إلى الهدف. ويذكر الغلامي أن الملك عبدالعزيز طلب من أتباعه أن يلبسوا أحسن ما عندهم من اللباس، وقال لهم إما أن تكون هذه الثياب أكفاناً لكم، وإما أن تكون لباس العيد التي تلبسونها بين أهليكم. وفي ليلة العيد عام ١٣١٩هـ/ يناير ١٩٠٢م وصل إلى قرب الرياض في مكان يسمى أبو جفان على طريق الأحساء حيث قضى فيه أيام العيد، ثم تحرك نحو الرياض في ليلة

= أهلها بأس الحكام وبطشهم، ويذيقهم ألوان القهر والذل. وكان يقصد من ذلك إدخال الرعب إلى قلوبهم وقتل إحساسهم الحي، فأهان عزيزهم، وأفقر غنيهم، وأحال مغانيهم المأهولة بلاقع حتى لا تقوم لهم قائمة تمكنهم من استعادة الحكم وتخليص بلادهم من آل الرشيد". وبعد وقعة الصريف نقل ابن رشيد أميره في الرياض عبدالرحمن ابن ضبعان إلى بريدة وعين مكانه عجلان، كما بعث سالم بن سبهان إلى الرياض ليصادر أموال أهلها وينكل بهم. انظر: عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ٢٤٦. وانظر عنه كذلك: الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٩٢؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٣.

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٢.

الثالث من شهر شوال.[١]

وفي اليوم الرابع من شهر شوال ١٣١٩هـ/ ١٤ يناير ١٩٠٢م، وصل الملك عبدالعزيز مع أتباعه إلى مشارف الرياض عند ضلع الشقيب[٢]. وهناك أبقى عشرين رجلاً من رفاقه منهم معضد بن خرصان، ومسلم بن مجفل، وعبد اللطيف المعشوق، وكلّفهم بحفظ متاع الحملة وعدة الجيش وأثقالها والإبل والخيل، ثم اتجه إلى الرياض في منتصف الليل مع الأربعين من جيشه.[٣] ولا شك أن الملك عبدالعزيز كان يحسب لكل خطوة حسابها خاصة أنه لم يكن بينه وبين أهل الرياض أي اتفاق بشأن هجومه عليها كما يروي الملك عبدالعزيز، وهو من الأمور الجوهرية في خطته. وبعد ذلك تتابعت خطط الملك عبدالعزيز الاستراتيجية في عملية دخول قصر المصمك، وقد بعث أمامه فارسين من رجاله هما صطام أبا الخيل وعبدالله بن جريس ليكشفا له الطريق ثم دخل الرياض عن طريق نخل العود من جهتها الشرقية فأبقى ثلاثة وثلاثين رجلاً من الأربعين الذين جاء بهم إلى أطراف الرياض في مكان يسمى الشمسية تحت قيادة أخيه محمد بن عبدالرحمن، وفي رواية أخرى أنه أبقى عشرة رجال فقط، لكن الرواية الأولى هي الراجحة.[٤] ومن الأمور المهمة التي تعكس مدى اهتمامه بجنوده وتقديره للأمور أنه قال لأتباعه الذين أبقاهم خارج الرياض إذا ارتفعت الشمس ولم يأتكم منا أحد فاذهبوا أنى شئتم فربما نكون قد قتلنا، وإن

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٨٨؛ حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، **البلاد العربية السعودية**، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ص٢٠؛ الغلامي، عبدالملك، (١٤٠٠هـ)، **الملك الراشد**، دار اللواء، الرياض، ص ٢٣.

(٢) هو تل يقع في الجنوب الشرقي من مدينة الرياض، في شرق محطة سكة الحديد في المنطقة الواقعة شمال مصنع الأسمنت، حيث تقع هناك الآن حديقة تحمل اسم الملك عبدالعزيز كما تسمى حديقة المناخ. والشقيب شعيب يقع جنوبي الرياض على بعد مسيرة ساعة ونصف للراجل، أي على بعد حوالي عشرة كيلومترات منها، في أعلاه جبل يسمى أبي غارب استخدمه الملك عبدالعزيز في انطلاقته نحو الرياض. ومن هنا يرد اسمه أحياناً الشقيب نسبة إلى التل، أو الشعيب نسبة إلى المكان. وللمزيد من التفاصيل عن هذين المكانين انظر: ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦١.

(٣) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٨٨؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٥.

(٤) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ، ج١، ص ٨٩؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، المصدر السابق، ص ٥٥. والشمسية هو المكان المعروف بهذا الاسم حتى الآن والواقع بين دوار سمير أميس إلى ميدان وزارة التجارة، ومن عمائر الراجحي إلى خزان مياه الرياض.

كان الله قد أراد لنا الظفر على أعدائنا واستولينا على البلد فسأبعث لكم من يخبركم . قال هذا الكلام، كما يروي سعود بن هذلول، لحامل الراية عبداللطيف المعشوق مع العشرين الذين تركهم في الشقيب، بينما يذكر الزركلي أنه قال هذا الكلام لرفاقه الثلاثة والثلاثين الذين أبقاهم بقيادة أخيه محمد خارج أسوار الرياض مع اختلاف في عبارات الوصية عندما قال لهم " لا حول ولا قوة إلا بالله، إذا لم يصل إليكم رسول منا غداً فأسرعوا بالنجاة، واعلموا بأننا قد استشهدنا في سبيل الله " .(١) وحيث إن معنى هذه الروايات واحد وهو حرص الملك عبدالعزيز على أتباعه فإنه يحتمل أنه أعطى هذه التعليمات للمجموعتين . وإذا رجحنا أنه أعطاها للمجموعة الثانية فقط فلأن موقعهم أقرب لحامية ابن رشيد الموجودة في المصمك، ولذلك فإن تعرضهم للأذى أقوى احتمالاً، ولأن المجموعة الأولى يستطيعون معرفة النتيجة من المجموعة الثانية إذا انهزموا إليهم والله أعلم . وعلى العموم فقد دخل الملك عبدالعزيز إلى داخل سور الرياض مع الستة الذين ذكرهم بأسمائهم وهم عبدالعزيز، وعبد الله وفهد، ابنا جلوي ابن تركي، وناصر بن سعود، وخادمين هما المعشوق، وسبعان .(٢) وهكذا قسم الملك عبدالعزيز جيشه الصغير عدداً، القوي همة وتفان، إلى ثلاثة أقسام لكل قسم مهمة خاصة تتطلبها مرحلة من مراحل استعادة الرياض، ولم يبخل القائد عبدالعزيز بنفسه أو يكتفي بإصدار الأوامر بل كان على رأس الستة الذين سيتولون المهمة الصعبة والخطيرة، لأن هذا قدره وقد جاء من أجله مؤمناً بعون الله له .

كان الملك عبدالعزيز يعرف بعض المعلومات عن الرياض وأحيائها، وخاصة منطقة قصر الحكم

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٨٩؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص٥٥ . ويذكر عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ٢٤٥، صيغة أخرى لهذه الوصية بقوله "وقال لهم؛ اذا ارتفعت الشمس ولم يأتكم خبرنا فعودوا إلى الكويت وكونوا رسل النعي إلى أبي، واذا أكرمنا الله بالنصر فسأرسل إليكم فارساً يلوّح لكم بثوبه إشارة إلى الظفر وتأتوننا" . ويذكر الغلامي، عبدالملك، (١٤٠٠هـ)، مصدر سابق، ص ٢٣، صيغة أخرى لهذه الوصية عندما ودّع أصحابه المرابطين خارج الرياض قائلاً لهم؛ "لا حول ولا قوة إلا بالله، لقد استودعنا الله حياتنا وإنا سندخل الرياض لنطرد عدونا منها أو نلاقي في تربتها منيتنا، فإذا سمعتم معمعة القتال في المدينة اسرعوا إلينا، أما إذا غربت شمس الغد ولم تسمعوا عنا شيئاً فإنا نكون في عداد الموتى، قد تولى الله نفوسنا برحمته، أما أنتم فاطلبوا لأنفسكم النجاة . والواقع أن فحوى هذه الروايات واحد، وكلها تؤكد أن الملك عبدالعزيز قد أوكل أمره إلى الله، وهو يعلم أن الرياض لا يمكن أن تسترد بسبعة رجال إلا بعون من الله، كما قال تعالى؛ ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٨٩، هامش ٢ . ويذكر الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٤، أنه أبقى ثلاثين رجلاً واصطحب معه عشرة رجال .

والبيوت المحيطة بقصر المصمك ومنها بيت خاص للأمير، لكنه لا يعلم عن مكان إقامة عجلان، عامل ابن رشيد على الرياض، ولا عن تحركاته كما يتضح من رواية وصوله إلى قصر عجلان. ويذكر الريحاني أن الرياض كان فيها قلعتان واحدة ضمن الأخرى شيدهما ابن رشيد.(١) وربما كان المقصود بيت عجلان وقلعة المصمك. ومن الروايات التي ذكرت عن وصول الملك عبدالعزيز إلى بيت عجلان لا يبدو أنه يعرفه بالتحديد حيث إنه مرّ على بيتين قبله. أما الروايات التي حددت مكان إقامة عجلان فقد ذكرت أنه كان يسكن في بيت خارج القلعة لكنه مقابل له داخل سور المصمك، وكان من عادة عجلان أنه إذا حل الليل دخل مع حاميته حصن المصمك حتى الصباح حيث يخرج إلى بيته.

بدأت الملحمة العظيمة المشهودة بوصول الملك عبدالعزيز مع رجاله الستة إلى بيت شخص يدعى جويسر كان يبيع المواشي، وحيث إن الحرب خدعة، فقد تظاهر الملك عبدالعزيز بأنه ابن مطرف، الذي كان يعمل في خدمة عجلان لجلب المواشي له. وعندما طرق الباب ردت عليه إحدى النساء من داخل المنزل فقال لها كما يروي الملك عبدالعزيز نفسه: "قلت أنا ابن مطرف أرسلني الأمير عجلان يريد من أبيك أن يشتري له باكر بقرتين وأريد أن أقابل أباك". ولم يكن الملك عبدالعزيز يقصد مقابلة جويسر بالفعل بل كان يريد الدخول إلى المنزل لاستكمال خطة اقتحام بيت عجلان. ويبدو أن المرأة أوجست خيفة فلم تفتح الباب، فهددها الملك عبدالعزيز بأنه سيخبر عجلان وسيتعرض أبوها للعقاب نتيجة لذلك. سمع جويسر الحديث، وكانا يعرفان بعضهما منذ حملة الملك عبدالعزيز على الرياض في العام السابق، فأسرع لفتح الباب للملك عبدالعزيز الذي أمسك به وهدده بالقتل إن بدر منه حركة أو صوت ودخل مع رفاقه الستة إلى داخل المنزل، ثم كانت الخطوة التالية بأن جمع الملك عبدالعزيز نساء جويسر في غرفة وأغلق عليهن بابها. ويذكر الملك عبدالعزيز في روايته أن النساء في بيت جويسر صحن بعد أن عرفن الملك عبدالعزيز قائلات عمنا، عمنا عبدالعزيز، وكان بعضهن يشتغلن خدماً في بيت آل سعود من قبل، فقال الملك عبدالعزيز لا بأس عليكن إذا سكتن، ثم أدخلهن إحدى الغرف وأقفل عليهن الباب. ثم يذكر أن جويسر هرب بعد ذلك واختبأ في ضلع البديعة ولم يره الملك عبدالعزيز.(٢) ولم

---

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص١٢٣.

(٢) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ٢٢؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٩٠؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، المصدر السابق، ص١٢٤. ويذكر عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ٢٤٨، أن المغامرة أنست الملك عبدالعزيز أن يستوثق من جويسر وأهله، كما نسي=

تسعفنا الروايات المعاصرة للحدث عن مدى علم الملك عبدالعزيز بأن هناك بيتاً آخر كان يجب عليه أن يجتازه قبل الوصول إلى بيت عجلان، لكن الخطة التي استخدمها ومعرفته بعلاقة جويسر بعجلان تؤكد أن الملك عبدالعزيز كان يعلم أن بيت جويسر ليس مجاوراً لبيت عجلان، لكنه كان يعلم أيضاً أنه ليس لديه المبرر لطرق ذلك البيت كما هو الحال مع بيت جويسر، وتمشياً مع خطته في إضفاء عامل الكتمان والسرية على جميع تحركاته كان لزاماً عليه أن يتبع هذه الخطوات الحذرة. وتمضي الروايات لتذكر أن الملك عبدالعزيز تسلق البيت المقصود من خلال بيت جويسر حتى لا ينكشف أمره، ثم وجد صاحب المنزل مع زوجته نائمين. [١] وهنا يجب التروي في التعويل على الروايات من ظاهرها، فالروايات تذكر أن الملك عبدالعزيز ورفاقه أدخلوا الرجل وامرأته في غرفة وأغلقوا عليهما الباب ثم تابعوا مهمتهم في محاولة اقتحام بيت عجلان. وفي تحقيق هذه الروايات لا بد من الإجابة على بعض التساؤلات عن كيفية وصول الملك عبدالعزيز إلى مكان نوم الرجل، وهل كان ينام في صحن البيت، أم في مكان مكشوف مع أن دخول الملك عبدالعزيز إلى الرياض كان في شهر يناير الشديد البرودة من فصل الشتاء، ثم ما هو موقف الرجل، وهل علم بهم أم أنه حُمل هو وزوجته نائمين، وهو أمر مستبعد، وهل جرى حديث بين الملك عبدالعزيز وبين الرجل، أرغم خلاله الرجل على السكوت، ثم أجبر على الدخول إلى الغرفة مع زوجته وأغلق عليهما الباب، وكيف لم يستطع ذلك الرجل طلب الاستغاثة خلال عملية دخول الرجال السبعة إلى منزله أو بعد أن تركوه إلى بيت عجلان؟.

وفي غياب الروايات المحققة، وفي سعينا لتحليل هذه الأحداث والإجابة عن بعض هذه التساؤلات يجدر التنبيه إلى أن طبيعة المجتمع، والتقاليد المتعارف عليها في ذلك الوقت، والعلاقة بين السكان رجالاً ونساء، وطريقة الحديث والتعامل بينهم، تختلف عمّا يجري في الوقت الحاضر،

= أن يحبسْهم في إحدى الغرف ويحكم إغلاق بابها عليهم، ونسي أن يضع حارساً يراقبهم، فتركهم أحراراً في بيتهم، ولولا لطف الله لكان في وسع جويسر أن ينم عليهم فيتقرب إلى الحاكم عجلان ويحصل منه على مكافأة، ولكن الله سلم. والواقع أن هذا خلاف الرواية المشهور عن الملك عبدالعزيز نفسه كما ذكرنا، كما أنه يتنافى مع أسباب الحيطة والحذر التي حرص عليها الملك عبدالعزيز منذ خروجه من الكويت. ومع قبول رواية عطار فإنها تُحمل على محمل الثقة في علاقة الملك عبدالعزيز مع جويسر التي أشرنا إليها سابقاً والله أعلم.

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص١٢٤؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٩١.

فالعلاقة مستقاة من طبيعة العيش في الصحراء في بيوت الشعر التي عرفها سكان بلاد نجد وكانوا يقيمون فيها في بعض الفترات من السنة، خاصة في فصل الربيع طلباً للكلأ. ومن هنا كانت هذه العلاقة تأخذ شكل البساطة والعفوية والثقة المطلقة. كما يجدر التنبيه إلى طريقة بناء البيوت في ذلك الوقت وتجاورها دون فواصل وسهولة الانتقال من منزل إلى آخر مما سهل على الملك عبدالعزيز الوصول إلى بيت عجلان من خلال البيوت المجاورة.

نجحت الخطوة الثانية بدون عقبات وأصبح الجميع قاب قوسين أو أدنى من خوض المعركة الفاصلة مع عجلان واستعادة الرياض، وهنا أدرك الملك عبدالعزيز أن الخطوة القادمة تتطلب عدداً أكبر من المقاتلين لمقابلة عجلان ورجال حاميته الذين كان عددهم أكبر من عدد رجاله، ولهذا بعث عبدالعزيز بن جلوي وأخاه فهد ليستدعيا الفرقة الثانية من جيشه البالغ عددهم ثلاثة وثلاثون رجلاً حيث أصبح عدد المتواجدين للمهمة التاريخية أربعين مقاتلاً.(١) وهذا يوضح ما يظهر من بعض الروايات من تناقض في عدد الرجال الذين كان لهم الشرف في استعادة الرياض، الذي أوضحنا سابقاً تحليلاً لتفاوته من خلال الروايات وبيان حقيقة هذا التفاوت. وهنا ومن خلال هذا التحليل لسير العملية البطولية لا يظهر أي تناقض، حيث إن عدد الرجال الذين صحبوا الملك عبدالعزيز عند قدومه إلى الرياض ستون رجلاً، ثم أبقى عشرين منهم في الشقيب، وثلاثة وثلاثين منهم في الشمسية، ودخل هو والستة الباقون إلى الرياض، ثم استلحق القسم الثاني كما ذكرنا فأصبحوا أربعين، لكن الروايات، في خضم نشوة الفرح بالانتصار سكتت عن دور العشرين المنتظرين في الشقيب.

وفي المرحلة ما قبل الأخيرة تقدم الملك عبدالعزيز مع الستة الأوائل وتسلقوا جدار بيت عجلان بطريقتهم الخاصة حيث تسلقوا على أكتاف بعضهم حتى استطاع الأعلى تسلق السور ثم أمسك بالستة واحداً تلو الآخر حتى نزلوا كلهم داخل سور بيت عجلان. أما الرواية الأخرى، وهي الأقرب إلى الواقع، أنهم تسلقوا السور بواسطة جذع نخلة حملوه من إحدى المزارع، ثم استخدموا الحبال في عملية النزول إلى هدفهم. وعندما وجدوا الخدم في المنزل أمسكوا بهم وأغلقوا عليهم إحدى الغرف حتى لا

---

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، المصدر السابق، ص ١٢٥؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ، ج١، ص ٩١؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٥.

ينكشف أمرهم. وتلافياً لاختلاف الروايات حول هذا الموضوع تسعفنا رواية القائد عبدالعزيز نفسه عن تفاصيل المرحلة المهمة والحاسمة، حيث يذكر أنهم تسللوا إلى محل نوم عجلان وتركوا خمسة من رفاقهم عند الباب وواحداً معه الشمعة (السراج) للإضاءة، ثم دخل هو وفي يده البندقية وليس فيها إلا طلقة واحدة. لم تكتمل المهمة لأن عجلان لم يكن موجوداً وقتها في البيت وإنما كان فيه امرأتان نائمتان، هما زوجة عجلان وأختها زوجة أخيه، وكان يظن أن النائمين هما عجلان وزوجته ففوجئ بالموقف ثم أخذ يسأل زوجة عجلان عن زوجها.(١) ولم تشر الرواية إلى موقف زوجة عجلان، وهل كانت تؤيد مسعى الملك عبدالعزيز، لكن رواية الريحاني تذكر أن المرأتين استوتا قاعدتين دون خوف، ثم يذكر ما دار من حوار بين الملك عبدالعزيز وبين زوجة عجلان وخوفها عليه.(٢) وعلى كل الأحوال فإنه يفهم من هذه الرواية ومن الإجابة على التساؤلات السابقة أنهما عرفتاه، وأنه حصل على معلومات قيمة من زوجة عجلان أفادته كثيراً في عملية الترصد لزوجها، حيث أخبرته أنه نائم مع جنوده داخل حصن المصمك، وأنه عادة يأتي إليها بعد طلوع الشمس وارتفاعها ثلاثة أرماح، ثم طلب من أتباعه أخذ المرأتين إلى غرفة الخدم وأغلقوا الباب عليهما.(٣) وحيث إن موعد خروج عجلان لم يحن بعد، بل بقي عليه وقت طويل نسبياً فقد استفاد منه الملك عبدالعزيز ورفاقه الستة بإحداث فتحة في سور بيت عجلان على البيت المجاور ليتمكن أتباع الملك عبدالعزيز الذين كانوا تحت قيادة أخيه محمد من الدخول إلى ساحة البيت.

عملية استعادة الرياض:

وانتظاراً للساعة الحاسمة، إن صح التعبير في هذا الموقف، أمضى الملك عبدالعزيز ورفاقه باقي

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن هذه العملية على لسان الملك عبدالعزيز نفسه انظر: حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ص ٢٢-٢٣.

(٢) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، المصدر السابق، ص٢٢؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٥؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٩١-٩٢، حيث يذكر تفاصيل ما دار من حديث بين الملك عبدالعزيز وزوجة عجلان، والمعلومات التي حصل عليها خلال الحديث عن عجلان وتحركاته.

(٣) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص٢٢؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص٤٨.

الليل في منزل عجلان. يقول القائد عبدالعزيز نفسه عن هذه السويعات "فلما اجتمعنا في المحل استقرينا وتقهوينا وأكلنا من تمر معنا ونمنا قليلاً ثم صلينا الصبح وجلسنا نفكر ماذا نعمل". [١] وبعد صلاة الفجر صعد الملك عبدالعزيز ومعه خمسة عشر رجلاً من رفاقه إلى غرفة في أعلى المنزل بها فتحة مواجهة لقلعة المصمك يستطيعون من خلالها مراقبة باب المصمك. وفي الصباح فتح باب المصمك وخرج الخدم إلى بيوتهم، كما أخرج السواس الخيل أمام المصمك. وفي الوقت نفسه خرج عجلان من القلعة كعادته يريد الذهاب إلى منزله، وقد توقف يستعرض الخيل ومعه عشرة من حرسه، بينما أغلق باب القلعة وتركت الخوخة مفتوحة. [٢] حانت الفرصة المنتظرة وتقابل الملك عبدالعزيز وجهاً لوجه مع عجلان الذي فوجئ بهذا الرجل الذي سمع عنه قبل رؤيته، أما رجال عجلان فقد هربوا إلى داخل الحصن عبر الخوخة. حاول عجلان ضرب الملك عبدالعزيز بسيفه لكنه عاجله بطلقة من بندقيته لم تصبه في مقتل لكن سيفه سقط من يده، ثم هرب مسرعاً يريد الدخول إلى القلعة من خلال خوخة الباب الصغيرة لكن الملك عبدالعزيز أدركه وقد أدخل نصف جسمه، وعندها حاول الملك عبدالعزيز جرّه من رجله، لكن عجلان حاول إبعاده برجله الأخرى. ويشرح الملك عبدالعزيز الموقف بقوله: "أما جماعته فقاموا يرموننا بالنار ويضربوننا بالحصى أيضاً، ضربني عجلان برجله على شاكلتي ضربة قوية، أنا يظهر أني غشيت من الضربة فأطلقت رجله فدخل". حاول فهد بن جلوي ضرب عجلان بحربة معه لكنها أخطأته واستقرت بالباب حيث لا زالت موجودة إلى اليوم شاهدة على هذه الملحمة العظيمة، ثم حاول الملك عبدالعزيز اللحاق بعجلان داخل المصمك لكن أصحابه منعوه خوفاً عليه. وحيث إن الأمر لا يحتمل التأخير، وقد يتغير الموقف وتنقلب حالة الهجوم إلى دفاع، خصوصاً وأن رجال عجلان، الذين صعدوا إلى أحد الأبراج، ما زالوا يطلقون الرصاص على الملك عبدالعزيز وجماعته، كان لزاماً القيام

(١) انظر كيف قضى الملك عبدالعزيز ورفاقه الوقت خلال هذه الساعات رواية عنه في: حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ص ٢٠-٢٤؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٩٣؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ص ٤٨-٤٩.

(٢) الخوخة الباب الصغير في وسط الباب، وهو لا يتسع لأكثر من شخص واحد يدخل أو يخرج. ويذكر الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٩٣، أن هذا الاسم (الخوخة) معروف في بلاد الشام أيضاً. ويذكر عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ٢٤٥ أن باب المصمك باب ضخم وكبير لا يفتح إلا للإبل عندما تدخلها والحمير والبغال، أما الرجال فيدخلون إلى الحصن ويخرجون منه من الخوخة وهي نافذة صغيرة محكمة الإغلاق.

بعمل حاسم ينهي الملحمة. وهنا كان دور عبدالله بن جلوي الذي دخل إلى حيث كان عجلان فأطلق عليه الرصاص فأرداه قتيلاً. وبعد ذلك فتح الملك عبدالعزيز ورفاقه باب القلعة عنوة حيث حصل قتال بينهم وبين رجال الحامية وكان عددهم كبيراً فقتل أكثرهم ولم يسلم سوى عشرين منهم، وفي رواية أخرى لم يسلم سوى سبعة رجال فقط، هم الذين تحصنوا في الجهة الشمالية الشرقية من المصمك وطلبوا الأمان فبعث إليهم الملك عبدالعزيز فأمنهم على أنفسهم فاستسلموا له.(١) ورغم قوة هذه الملحمة وطول فترة القتال نسبياً إلا أن عدد من قتل من أتباع الملك عبدالعزيز كان قليلاً، حيث قتل من أتباعه رجلان هما زيد بن زيد وفهد بن الوبير، كما جرح ثلاثة رجال هم عبدالعزيز بن مساعد وإبراهيم النفيسي وصالح بن سبعان.(٢) وقد ورد في الوثائق البريطانية خبر عن استعادة الملك عبدالعزيز للرياض ذكر فيه أنه تم في يوم ١٥ يناير حيث قتل قائد حامية ابن رشيد وخمسون من أتباعه، واستولى على مائتي بندقية بالإضافة إلى أسلحة أخرى، وجمال وخيل.(٣) وهكذا انتهت ملحمة الرياض الكبرى في صباح يوم الخامس من شوال عام ١٣١٩هـ/ ١٥ يناير ١٩٠٢م في غضون ساعة من الزمن، بينما استغرق الإعداد لها، وخطوات تنفيذها عدة أشهر، كما كان لها آثار استمرت بعد ذلك وما زالت قائمة حتى الوقت الحاضر، ولله الحمد والمنة.(٤)

استيقظ أهل الرياض على مناد وقف على مرتفع وأخذ ينادي "الله أكبر، الحكم لله ثم لعبد العزيز ابن عبدالرحمن. حقاً استيقظ أهل الرياض على حكم جديد، لكنه ليس غريباً عليهم فاستبشروا خيراً وتوافدوا يؤيدون ويبايعون الملك عبدالعزيز ويقدمون له ما يريد من مساعدة مادية أو معنوية. وبعد أن تمت عملية استعادة الرياض بعث الملك عبدالعزيز فهد بن جلوي على جواد من خيل عجلان إلى رفاق

---

(١) ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٦.

(٢) انظر تفاصيل الهجوم على قصر المصمك وما جرى فيه من قتال على لسان الملك عبدالعزيز نفسه في: حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص٢١؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص ٩٩٧-١٠٠؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٦؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٦؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ص٥٢-٥٣.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق البريطانية؛

I.O.R. L /P & S / 7 /142. from F. S. Pelam, 31 January 1902.

(٤) انظر عن الدروس المستفادة من استعادة الملك عبدالعزيز للرياض في: العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص٥٣-٥٥.

الملك عبدالعزيز المرابطين في الشقيب خارج الرياض ليبشرهم ويطلب منهم القدوم.[١] أما الملك عبدالعزيز فإنه إن نسي التعب والسهر والغربة فإنه في هذه اللحظات وفي خضمّ نشوة النصر لم ينس والده، الذي كابد معه مر العيش أكثر من عشر سنوات، ولم ينس مساعدة أمير الكويت له فأرسل إليهما الأمير ناصر بن سعود مبشراً بهذا النصر المبين، وطلب من والده إرسال مساعدة له من الرجال والذخيرة مع أخيه سعد بن عبدالرحمن لكي يواصل المشوار الذي بدأه باسترداد الرياض.[٢] وقد استجاب والده الإمام عبدالرحمن والشيخ مبارك إلى طلبه حيث وصلته المساعدة من الكويت بعد شهر مع أخيه سعد قوامها مائة رجل وبعض الذخيرة، وقد استفاد الملك عبدالعزيز من هذه الذخيرة ومما كسبه خلال استعادته الرياض التي منها مئتي بندقية. وكان مما بعثه إليه شيخ الكويت قوله: "ولدي العزيز، تولاك الله، وعافاك، وقواك، وجعل النصر دائماً أخاك".[٣] وخلال هذا الوقت القصير شاع خبر استعادة الرياض في بلاد نجد فجاء القريبون مبايعين، أما البعيدون فقد بعثوا أناساً نيابة عنهم. وقد بلغ أتباع الملك عبدالعزيز في هذه المدة الوجيزة حوالي ألف رجل من أهل نجد.[٤]

ولا شك أن الملك عبدالعزيز كان يدرك قوة خصمه ابن رشيد، ولم تغرّه مشاعر شبابه أو تلهه نشوة النصر، بل بدا أكثر حذراً وأشد حرصاً. وكان يعلم أن مواصلة الكفاح لضم باقي البلاد لا تقل أهمية، وإن بدت أقل صعوبة، من عملية استعادة الرياض التي لا تعدو أن تكون إحدى مدن نجد التي وقعت تحت سلطة ابن رشيد، ولعلمه بأن ابن رشيد الموجود في هذا الوقت في الحفر لن يسكت على ضياع جزء مهم من سلطته. ولهذه الأسباب بدأ الملك عبدالعزيز، وبمساعدة أهل الرياض، بإعادة بناء سور المدينة الذي سبق أن هدمه ابن رشيد عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م بعد هزيمة الإمام عبدالرحمن بن فيصل في آخر معاركه مع ابن رشيد، وقد اكتمل البناء في فترة قياسية استغرقت حوالي خمسة أسابيع.[٥] وفي الوقت

---

(١) ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٦؛ البديوي، محمد منير، (١٣٩٧)، مرجع سابق، ص ٩٠.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٦؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٠٠.

(٣) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٢٣؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٧؛ السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٤) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص٢٥.

(٥) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص ٩٠، ١٢٣؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٦؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٦؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٥؛ البديوي، محمد منير، (١٣٩٧)، مرجع سابق، ص ٧٠، ٩١. وتذكر=

نفسه قام الملك عبدالعزيز ببعض الترتيبات العسكرية اللازمة شملت إعادة ترتيب الجيش رغم محدودية عدده.

أصداء استعادة الرياض:

رغم أهمية استعادة الملك عبدالعزيز للرياض، والآثار السياسية والحربية، المحلية والدولية التي نتجت عنه، إلا أنه لم يُحدث صدى كبيراً في السياسة الدولية.[١] ولتلمس أسباب هذا التحجيم نعتقد أن هناك عدة عوامل اجتمعت فكانت حجاباً غطى تأثير وصدى هذا الحدث على المستوى السياسي منها:

أولا: لا شك أن أهم هذه العوامل هو الطريقة التي نفذت بها العملية، إذ أن الملك عبدالعزيز استخدم استراتيجية السريّة والسرعة والمفاجأة، وخاصة في المرحلة الأخيرة من عملية استعادته للرياض كما رأينا، وهو بلا شك عامل قلل من انتشار خبر هذا الحدث سواء في مراحل الإعداد له أو في استراتيجية تطبيقه وحتى في الزخم الذي صاحب نجاحه.

ثانياً: موقف ابن رشيد غير المكترث، وخاصة في أول الأمر، قلل من صدى استعادة الملك عبدالعزيز للرياض. فعلى الرغم من أن أحد أتباع عجلان استطاع الهرب من قصر المصمك ونزل من سور القصر إلى الخارج، وأسرع لإبلاغ أمير المجمعة عبدالله بن عسكر الذي أخبر ابن رشيد وكان يومئذ في حفر الباطن يفاوض حكومة بغداد لتساعده على الهجوم على الكويت، لكنه لم يظهر الاهتمام المطلوب.[٢] والواقع أن ابن رشيد في هذه اللحظات كان يتنازعه عاملان أولهما ما يختلج في صدره من

= بعض هذه المصادر أنه أتم بناء السور في أربعين يوماً. ولمزيد من المعلومات عن سور الرياض، ومراحل بنائه، وبواباته، منذ عهد الدولة السعودية الأولى حتى عهد الملك عبدالعزيز يرحمه الله. انظر: الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(١) لا يعني هذا أن استعادة الرياض وقيام الدولة السعودية المعاصرة بقيادة الملك عبدالعزيز لم يكن لها صدى في العالم الإسلامي. لقد كتبت كثير من الصحف والكتب عن هذا الإنجاز الكبير في وقته. وقد ذكرنا في ثنايا هذا البحث عدة مقالات وردت في مجلة المنار. وكذلك ما دونه الريحاني من لبنان، والألوسي من العراق، وهما معاصران للملك عبدالعزيز، من شرح واف لهذه الأحداث.

(٢) لقد كانت الدلائل تشير إلى عزم ابن رشيد الهجوم على الكويت، ومن هذه الدلائل تقرير يفيد بهجرة بعض سكان الكويت إلى مصر والشام بسبب تعديات ابن رشيد قبل وبعد الهجوم المذكور. وقد تبين من التحقيق الذي أجرته السلطات العثمانية حول هذا الموضوع أن حوالي أربعمائة من العشائر قد اتجهوا إلى الشام حيث أقروا بأنهم فروا

الحيرة والحسرة والاستغراب في السرعة التي تم بها هذا الحدث حتى أنه قلل من شأن خصمه بعبارات تدل إما على الغرور والتكبر، أو على هول المفاجأة، لكنه على كل حال دفع ملكه وسلطانه ثمناً لغروره، كما سيأتي تفصيله لاحقاً. وثانيهما أنه أراد تحجيم هذا الحدث لكي لا يفت في عضد رجاله وجنده الذين سئموا الحروب وويلاتها وجنحوا للراحة والحياة الهانئة. وتدل الأحداث التالية، كما سنرى لاحقاً، على صواب هذه النظرية إذا تمعنا في نتائج الجولات التالية من القتال حيث أصبحت الهزائم تلاحق ابن رشيد أينما اتجه.

والواقع أن موقف ابن رشيد في هذا الوقت أصبح حرجاً، فمن جهة أدى تأزم علاقته مع أمير الكويت منذ فترة إلى منع وصول المؤن والأسلحة التي كانت تأتيه من الكويت أو عن طريق مينائها. ومن جهة أخرى كان ابن رشيد يعرف ويلاحظ أن كثيرين من أهل نجد، ومن رعاياه على وجه الخصوص، ذوي الممتلكات الموروثة قد انتقلوا بسبب ما ساد حكمه من قسوة وجشع وسوء إدارة. وقد اضطر، إزاء وضعه السياسي والعسكري المتردي، وأمام التفوق العسكري والسياسي للملك عبدالعزيز، أن يطلب، على عجل، في أواخر عام ١٣١٩هـ/ مارس ١٩٠٢م مساعدة الوالي العثماني في البصرة، وأن يلح في الطلب، لكي يستطيع الوقوف في مواجهة خصمه، وقد اعترف أنه لا يستطيع مواجهته لوحده. ولشحذ همة الدولة العثمانية في سرعة إجابة طلبه أوضح في رسالة إلى الصدر الأعظم في القسطنطينية أن الحكومة البريطانية تخطط لإقامة علاقات وثيقة بوسط الجزيرة العربية عن طريق كل من ابن سعود وشيخ الكويت.(١) ورغم إلحاح ابن رشيد إلا أنه لم يجد مساندة فورية وفعالة من قبل الوالي العثماني في البصرة. وتذكر بعض الروايات أن من أسباب هذا التلكؤ اتصال الملك عبدالعزيز بالوالي العثماني في البصرة يخبره بعملية استعادة الرياض وفي الوقت نفسه يعبر عن احترامه للسطان وولائه للدولة العثمانية.(٢) ولاشك أن هذه الخطوة بادرة طيبة وذكية من الملك عبدالعزيز لكي يتقي غضب الدولة العثمانية في هذا الوقت بالذات حيث إن إمكاناته المادية والعسكرية ما زالت ضعيفة.

من== تعديات ابن رشيد وأن قسماً منهم بقي في الشام وقسماً آخر توجه إلى مصر. انظر: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٥**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، ١٨ رجب ١٣١٩هـ.

(1) Lorimer, J.G, (1986), op. cit. p. 1144.

لوريمر النسخة المعربة، ص ١٧٠٠.

(٢) إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ١٧٦.

ثالثاً: كان من المفترض أن يكون الشيخ مبارك الصباح، شيخ الكويت، أكثر فرحاً وأن يُظهر الابتهاج ويبرز صدى انتصار ابن سعود باستعادته الرياض من غريمه ابن رشيد. ولا شك أن استعادة الملك عبدالعزيز للرياض، في الوقت الذي تعتبر انتصاراً للأسرة السعودية، فإنها تعتبر كذلك مكسباً يسير لصالح ابن صباح في هذا الوقت بالذات حيث مني بهزيمة قاسية من ابن رشيد في العام الماضي، وكان يفترض أن يستغل هذا الحدث لصالحه سياسياً. ولا يبدو أن ذلك كان غائباً عن ذهن ابن صباح، لكن الوضع السياسي لبلاده وتحالفه مع بريطانيا ربما كان له دور في عدم إظهاره ما يستحقه هذا الحدث من صدى حربي وسياسي، حيث كانت موالاته لبريطانيا قد جلبت له نقمة الدولة العثمانية، لكنها لم تستطع أن تعبّر عن هذه النقمة بأسلوب القوة، ولذلك اكتفت بأن تظهر ولاءها لابن رشيد.(١) ولخوف بريطانيا من نتائج المجابهة بين الشيخ مبارك وابن رشيد ضغطت على الدولة العثمانية لتمنعها عن تقديم مساعدة حربية لابن رشيد. ويكفي الشيخ مبارك لكي يظهر ويعلن صدى استعادة الملك عبدالعزيز للرياض أن بريطانيا حمته من البحر وحماه الملك عبدالعزيز من البر.(٢)

رابعاً: أما صدى هذا الحدث لدى الدول الكبرى التي لها نفوذ في المنطقة، وخاصة الدولة العثمانية

---

(١) كان الشيخ مبارك الصباح يواجه في هذا الوقت عدة مصاعب، منها موقف ابن رشيد أمير حائل الذي انتقم لهجوم ابن صباح عليه في موقعة الصريف بأن سار نحو الكويت، ثم أرسل حملة وصلت إلى الجهراء. كما أن الدولة العثمانية لا تقل عنه غضباً على ابن صباح لتحالفه مع بريطانيا. ففي شعبان من عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م وصلت إلى ميناء الكويت باخرة حربية عثمانية قادمة من البصرة وعلى متنها نقيب أشراف البصرة، رجب النقيب، ومعه ضابط كبير هو أخو والي البصرة، وعند مقابلة مبارك عرضا عليه أن يختار أحد أمرين؛ إما أن يسافر إلى استانبول ليكون أحد أعضاء مجلس شورى الدولة، أو يختار بلداً غير الكويت، على أن تتحمل الحكومة العثمانية إعاشته، فإن رفض الأمرين أخذ من قصره بالقوة. ولا شك أن هذين الخيارين أحلاهما مرٌّ، ولذلك طلب الشيخ مبارك من الوفد العثماني التريث، ثم لجأ إلى حليفته بريطانيا، حيث أرسل برقية إلى المقيم البريطاني في بوشهر يخبره بالحال، وقد استجابت بريطانيا سريعاً وأرسلت مركباً حربياً مع ضباط بريطانيين وصل على وجه السرعة إلى ميناء الكويت وأكد لمبارك حمايته. وعندما علمت الدولة العثمانية طلبت من مبعوثيها تجنب المجابهة مع بريطانيا، ثم غادرت الباخرة العثمانية الكويت. وبهذا استطاع الشيخ مبارك أن يضمن بقاءه. وقد حاول، وبمساعدة من البريطانيين المتواجدين في عرض البحر، مقابلة ابن رشيد في الجهراء لكن ابن رشيد أدرك أن الوقت غير مناسب فرجع إلى الحفر. انظر عن تفاصيل هذا الموقف: الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص١٢٠-١٢١.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ص١٢٧-١٢٨.

وبريطانيا فلم يكن بحجم الحدث، رغم معرفتهما بأسبابه وتطوراته ونتائجه الأولية. أما بريطانيا، فعلى الرغم من متابعتها لاستعادة الملك عبدالعزيز للرياض والأعمال الحربية التي قام بها بعد ذلك، إلا أنها فضلت مراقبة الأحداث عن بعد.(١) وقد أفادت التقارير العثمانية التي كشفت عنها الوثائق أن هناك اهتماماً بريطانياً خفياً بما يجري في بلاد نجد على يد الملك عبدالعزيز، حيث تشير تلك الوثائق إلى تستر الموظفين الإنجليز في البصرة والكويت بالبحوث التجارية، بينما هدفهم الحقيقي هو لقاء ابن سعود والتدخل في شؤون الحدود.(٢) وعلى الرغم من أن بريطانيا لا تحتاج إلى التخفي عندما ترغب في اتصالها بالملك عبدالعزيز، فإن الواقع أن بريطانيا كان يهمها بالدرجة الأولى مصالحها في الخليج وعلى طول سواحله ولم تكن تهتم لما يجري داخل شبه الجزيرة العربية إلا بالقدر الذي يؤثر على نفوذها هناك، ولذلك كانت تتحاشى التدخل في شؤون وسط الجزيرة العربية التي ربما تجرها إلى صراع مع القبائل هناك.(٣) أما الدولة العثمانية فإن سياستها تقوم على دعم نشاط ابن رشيد في شبه الجزيرة العربية باعتباره حليفها الاستراتيجي الوحيد في المنطقة، رغم أنها لم تكن متحمسة لأعماله الحربية، وخاصة ما يمس مناطق نفوذ بريطانيا. وعلى سبيل المثال وعدت الدولة العثمانية ابن رشيد بمساعدته عندما كان يخطط للقيام بحملة على الكويت، لكنها تقاعست في إرسال المدد حتى أن المساعدات التي وعدت بإرسالها له من العراق ظلت ستة أشهر في الطريق بين بغداد والبصرة رغم قصر المسافة نسبة إلى المدة الزمنية، وكانت تأمل في أن يُحل الموضوع سلمياً. وقد وصف الريحاني موقف الدولة العثمانية هذا

---

(١) مما يدل على اهتمام بريطانيا الحذر بما جرى في بلاد نجد على يد الملك عبدالعزيز، تلك التقارير التي كان يبعثها وكلاؤها في منطقة الخليج عن الأحداث أولاً بأول. انظر على سبيل المثال: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق البريطانية، انظر الوثائق التاية ومصدرها:

I.O.R. L /P & S / 7 /142. from F. S. Pelam, 31 January 1902.

I.O.R. L / P & S / 20 / C 239, Further movements of Ibn Rashid, (2) Ibn Saud in the field again and captures Riadh, January- Novembdr 1902.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٠**، تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٨ ذي القعدة ١٣٢٢هـ.

(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص٤٠. انظر كذلك:

Troeller, G., (1976), The Birth of Saudi Arabia)Britain and the Rise of the House of saud(, London, pp. 36-42.

وكذلك موقف بريطانيا من ابن رشيد بقوله: "ظلت الأولى مذبذبة مراوغة، واستمرت الثانية مراقبة ومن وراء الستار حاكمة بأمرها". (١)

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١١٧، ١٢٧. وبخلاف موقفها من الملك عبدالعزيز واستعادته الرياض، فإن بريطانيا رمت بكل ثقلها لمساعدة الشيخ مبارك أمام خصمه ابن رشيد. وتفيد الوثائق البريطانية والعثمانية عن إعلان بريطانيا، من جانب واحد، عن حمايتها للكويت حتى قبل أن تعلن ذلك رسمياً، بل إن البحرية البريطانية أنزلت مدافع ومعدات عسكرية لمساعدة الشيخ مبارك. وقد دفع هذا الإجراء الدولة العثمانية إلى الاحتجاج على بريطانيا وطلب سحب تلك المدافع. وقد تطور الأمر إلى حد أن السفن الحربية البريطانية تصدت لقوارب التفتيش العثمانية مدعية أن بريطانيا ستعلن الحماية على الكويت، وأنها ستحارب إذا ما تم إخراج أي قوات أو مهمات إلى البر. انظر: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-٣١**، من مجلس الوزراء إلى السلطان، تاريخ ١٤ جمادى الأول ١٣١٩هـ. وانظر كذلك: إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٥ هامش ٧ نقلاً عن:

PRO, FO. 371 / 149 / XC / A /3722. Appendix no. 1. Agreement with the SK. of Koweit.

وفي تطور للمسألة تصدى قائد أحدى السفن البريطانية لنقيب البصرة وزملائه، وأعلن عدم اعترافه بتبعية الكويت للدولة العثمانية انظر عن هذا الموضوع: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-٢٦**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٥ رمضان ١٣١٩هـ. وقد احتجت الدولة العثمانية على بريطانيا لإنزال مدافع إلى الشاطئ الكويتي وطلبها سحب تلك المدافع. انظر الوثائق التالية: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-٢٣**، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ٢٥ رمضان ١٣١٩هـ؛ **وثيقة رقم ٢/٧-٢٧**، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ٢ شوال ١٣١٩هـ؛ **وثيقة رقم ٢/٧-٢٢**، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ٨ شوال ١٣١٩هـ؛ **وثيقة رقم ٢/٧-٢٥**، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ١٩ شوال ١٣١٩هـ.

المبحث الثالث

منطقة الرياض ومرحلة امتداد الدولة

إن استعادة الرياض، رغم أهميتها، لم تكن كافية لحماية الملك عبدالعزيز، لأنها تحتاج إلى تعزيز مادي ومعنوي لاستعادة الحكم السعودي بكل أبعاده السياسية وامتداده المكاني، ومن هنا كان الملك عبدالعزيز يدرك أن عليه بذل جهود كبيرة للحفاظ على الرياض، رمز الدولة الجديدة، وتعزيز دفاعاتها، وفي الوقت نفسه العمل على بناء كيان الدولة بضم المناطق القريبة منها، ثم الامتداد إلى مناطق أخرى. لقد عادت الرياض مرة أخرى عاصمة للدولة السعودية المعاصرة مثلما كانت عاصمة للدولة السعودية الثانية، كما تبوأت منطقة الرياض بحدودها الحالية الصدارة في أولويات اهتمام الملك عبدالعزيز في مرحلة بناء كيان الدولة الجديدة مثلما كانت نقطة انطلاق كل من الدولة السعودية الأولى والثانية.

البيعة لعبد العزيز بالإمامة:

وتحقيقاً للاستراتيجية التي خطط لها الملك عبدالعزيز من تمكين سلطته في الرياض، ووضع الخطط اللازمة لضم مناطق جديدة تدعم كيان الدولة، في هذا الوقت بالذات، ولهذا السبب رغب أن يكون والده بجانبه في هذه الفترة المهمة من عمر الدولة. وهذه الخطوة من جانب الملك عبدالعزيز تعبر عن حرصه على رد الجميل لوالده والاستعانة بخبرته في هذه الفترة المهمة من مراحل توحيد البلاد. ولهذا أرسل إلى والده يستدعيه للقدوم إلى الرياض واستلام زمام الحكم بعد أن نجح في استعادة الرياض وتأمين ظهره من الجنوب. وفي طريقه إلى نجد سلك الإمام عبدالرحمن طرقاً غير مأهولة إمعاناً في الحذر، ولكي يتقي عيون ابن رشيد. وعلى بعد ثلاثة أيام خرج الملك عبدالعزيز وأعوانه على رأس قوة قوامها خمسمائة من الفرسان المسلحين لاستقبال والده، الإمام عبدالرحمن، بعد غيبة طويلة تزيد على عشر سنوات قضى أغلبها في الكويت. وهناك في الطريق أقيمت خيمة للقاء المنتظر، حتى إذا تقابل الوالد مع ابنه سارا سوياً إلى الرياض حيث استقبلا استقبالاً حافلاً.(١) كانت لحظة معبرة توحي بالوفاء

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٢٨؛ سعيد، أمين، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٠.

والاحترام والتواضع عندما أرسل الملك عبدالعزيز وهو في القصر إلى والده في بيته قائلاً: "الإمارة لكم وأنا جندي في خدمتكم". [١] أما الإمام عبدالرحمن الذي عركته الحياة، وصاغته التجربة، فقد رأى أن الدولة الجديدة تحتاج إلى همة الشباب، ونشاطهم، وتحمل التنقل في سبيل توحيد البلاد، وهي صفات مهمة في هذه المرحلة بالذات، ولذلك فقد رأى أن ابنه عبدالعزيز هو الرجل المناسب لقيادة هذه الدولة، ولهذا عزم على التنازل عن الحكم له، وكان قراره نهائياً، بل إنه قال لابنه إذا كان قصدك من استدعائي إلى الرياض لأتولى الإمارة فيها فهذا غير ممكن، وفضّل أن يخرج من الرياض إذا ألحّ عليه بذلك. يقول فاسلييف: "ويجمع المؤرخون العرب والأوربيون على أن الأب والابن كانا يفهمان بعضهما جيداً، وكانت الثقة بينهما قد ساعدت على استقرار الدولة الجديدة". [٢] ومع رفض الإمام عبدالرحمن تولي الحكم معتقداً أن دوره قد انتهى وأن ابنه عبدالعزيز لديه قابليات الحكم ومؤهلاته، ورفض ابنه عبدالعزيز تولي الحكم مع وجود أبيه الذي يعتبره أولى وأحق منه بالحكم، تأزم الموقف مما استدعى تدخل العلماء وأهل الحل والعقد وألحّوا على الملك عبدالعزيز وأخبروه بأن على الولد أن يطيع والده، ثم قالوا للإمام عبدالرحمن أنت والد عبدالعزيز فأنت رئيس عليه وبالتالي على أهل نجد. وبهذا الحل الوسط وافق الملك عبدالعزيز على تولي الحكم بشرط أن يكون والده مشرفاً عاماً على أعماله يرشده إلى مافيه خير البلاد. [٣] يقول روي لبكتشر: "إن علاقة الإمام عبدالرحمن بابنه التي استمرت قرابة ثلاثين عاماً حتى وفاته قلَّ أن نجد لها مثيلاً في علاقة أفراد الأسر الحاكمة مع بعضهم. لقد كانت علاقة ود وإكبار وإعزاز متبادلين، كما كانت علاقة تشاور مفيد في جميع الشؤون المهمة، تدعمها رغبة خالصة من الأب بالاعتراف بزعامة الابن، ورغبة مثلها من الابن بوضع الأب في أسمى مراتب الإجلال في كل مناسبة عامة. [٤] وهكذا تنازل الإمام عبدالرحمن عن الحكم لابنه عبدالعزيز لكنه أراد أن يضفي على تنازله

---

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٩؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ، ج١، ص ١٣٠.

(٢) فاسلييف، (١٩٨٦م)، مصدر سابق، ص ٢٥٢.

(٣) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٩؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص١٣٠؛ عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ٢٧٠.

(٤) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١ ص ١٢٩. وانظر كذلك:

Lebkicher, Roy, (1950), **Background of Arabia and the Middle East.**, New York, p. 47.

المبدأ الشرعي الذي قامت عليه الدولة منذ تأسيسها. ففي اجتماع عام في الرياض في سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م حضره العلماء والوجهاء تمت البيعة لعبد العزيز في باحة المسجد بعد صلاة الجمعة حيث أعلن الإمام عبدالرحمن تنازله عن حقوقه في الإمارة لأكبر أبنائه الملك عبدالعزيز، وبايعه بالإمامة، وتبعه الناس في البيعة، وتخلى له عن قصر آل سعود ثم أعطاه سيف سعود الكبير الذي تتوارثه الأسرة. وبذلك تمت البيعة بالإمامة للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م.[(١)] وعلى الفور نهض الإمام عبدالعزيز وارتجل كلمة مختصرة، لكنها كانت كلمة جامعة مانعة حيث اختصرت سياسته في الحكم التي أكد فيها أنه سيكون الحاكم المؤمن بالله، المخلص لدينه، الذي يعمل لنشر كلمة التوحيد، ويقيم أحكام الدين، ويحارب البدع والخرافات. ثم قال: "أما وإن أبي وأنتم جميعاً قد ألزمتموني بهذه البيعة فأنا أشترط لقبولها ثلاثة شروط. الأول: أن يكون والدي رقيباً على كل أعمالي وأقوالي، يرشدني إلى ما فيه خير الأمة، ويردعني عن كل ما يراه ضاراً بمصالحها، وأن يحاسبني حساباً عسيراً عن كل خطأ أقع فيه بقصد أو بغير قصد. الثاني: أن يقوّم كل فرد وبخاصة العلماء كل اعوجاج فيَّ. الثالث: أن يكون الجميع عوناً لي فيما يكون فيه صلاح الأمة وخيرها". ثم وقف الإمام عبدالرحمن وختم الاجتماع بكلمة ضافية نصح فيها ابنه عبدالعزيز في أمور الدنيا والآخرة.[(٢)] وقد استمرت العلاقة بين الوالد وابنه حيث ظل الإمام عبدالرحمن بجوار ابنه عبدالعزيز يمده بمشورته وتجاربه وحكمته إلى أن توفاه الله في يوم ١٢/ ١٢/ ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م.[(٣)] وتعليقاً على هذا التواصل والتقدير بين الأب وابنه الذي استمر حتى وفاة الإمام عبدالرحمن، يروي العقاد أن الملك عبدالعزيز قال: "رحمة الله على والدي، لقد كان يعاملني كأنني أنا الوالد وهو الولد. وما رأيت قط معاملة كهذه بين الآباء والأبناء أو بين الاخوة والأقربين".[(٤)]

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ١٣٠-١٣١؛ سعيد، أمين، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٠. ومن أوصاف هذا السيف أن نصله دمشقي، وقبضته محلاة بالذهب، وقرابه مطعّم بالفضة.

(٢) للمزيد عن خطبة الامام عبدالرحمن في هذه المناسبة انظر: عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ص٢٧٠-٢٧١.

(٣) الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ٢٦٢.

(٤) العقاد، عباس محمود، (١٤ صفر ١٣٦٥هـ/ ١٨ يناير ١٩٤٦م)، مصدر سابق، ص٤.

استراتيجية استعادة كيان الدولة:

لم يضع الملك عبدالعزيز الوقت بعد استعادته الرياض بل أخذ يقوم بإجراءات عملية لتمكين سلطته الجديدة حتى قبل أن يعود والده، الإمام عبدالرحمن إلى الرياض.[١] والواقع أن أُولى مهماته، بل أهمها، هو تحصين الرياض ونقل المواجهة مع ابن رشيد إلى منطقة أبعد لتشتيت قوته. لقد امتزجت الحنكة بالتجربة في تخطيط الملك عبدالعزيز للمعارك القادمة، حيث أدرك أن ابن رشيد لا يستطيع التأخر وأنه سيهاجم الرياض لاعتقاده أن ابن سعود موجوداً بها، لكن الملك عبدالعزيز حصّن الرياض تحت قيادة والده الإمام عبدالرحمن واتجه من الحاير إلى الحوطة، إحدى بلدان منطقة الرياض، ليتم ما بدأه في ضم المناطق هناك من جهة، وليكون بعيداً عن قوات ابن رشيد من جهة أخرى.[٢] وكما سنرى لاحقاً، نجحت خطة الملك عبدالعزيز عندما قدم ابن رشيد إلى الرياض مهاجماً لكنها استعصت عليه. كما أصيب بخيبة أمل عندما علم أن الملك عبدالعزيز قد غادرها إلى الجنوب. وحفظاً لماء الوجه، ومحاولة للحاق بخصمه واصل ابن رشيد مسيره إلى حيث يتمركز الملك عبدالعزيز مع قواته في جنوب منطقة الرياض.

ومع أن منطقة الرياض تضم بلاداً كثيرة إلا أن الملك عبدالعزيز في سعيه لضم بلاد جديدة للدولة الوليدة كان يعتمد على خطة استراتيجية حربية وسياسية في وقت واحد، وهي خطة كان لها الفضل بعد الله في تمكنه من إعادة كيان الدولة بثبات وقوة. لقد كانت تحكم الملك عبدالعزيز في خططه لضم مناطق جديدة عدة اعتبارات. لقد كانت استراتيجيته تقوم على ضم المناطق التي يعلم، أو يغلب على ظنه أنها موالية للحكم السعودي. ومن الناحية الميدانية كانت خططه تقوم على كسب سريع للبلاد لتوسيع رقعة الدولة الجديدة، وكسب الأنصار المؤيدين لها القادرين على حمايتها. ومن الأمور الجوهرية التي فكر فيها الملك عبدالعزيز في هذه المرحلة هو العمل على ضم المناطق البعيدة عن السيطرة العسكرية المباشرة لابن رشيد، وعن نفوذه السياسي. ومن هذا المنطلق، ورغم أن بلاد الوشم، وسدير، والشعيب، والمحمل، وهي مناطق شمال وشمال غرب منطقة الرياض كانت من المناطق الموالية للدولة السعودية منذ

---

(١) كانت عودة الإمام عبدالرحمن إلى الرياض بعد مضي فترة من الوقت استطاع الملك عبدالعزيز خلالها أن يلقى تأييداً من معظم بلاد جنوبي منطقة الرياض دون عناء.

(٢) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ٢٥.

تأسيسها، وأن ضمها إلى الدولة ليس بالأمر الصعب ولا يحتاج إلى قوة كبيرة، إلا أنها كانت قريبة من نفوذ ابن رشيد حيث تقع في الطريق إلى حائل، قاعدة ابن رشيد، وأي حملة في هذا الاتجاه ستنبه ابن رشيد، ولهذا وجه خططه في المرحلة الأولى من بناء الدولة إلى منطقة جنوب وجنوب غرب منطقة الرياض؛ لأنها تتحقق فيها كل الاعتبارات التي تناسب الاستراتيجية التي وضعها الملك عبدالعزيز في هذه المرحلة. فمنطقة جنوبي نجد بعيدة عن حكم ابن رشيد، وتحرك الملك عبدالعزيز إليها لن يثير انتباه خصمه على الأقل في مراحله الأولى. ومن جهة ثانية كان بُعد هذه المنطقة عن حكم ابن رشيد قد جعل سكانها يتمتعون بحرية أكثر، مما يمكنهم من معرفة طبيعة تحركات الملك عبدالعزيز ومدى قوته وبالتالي يستطيعون الانضمام إليه دون خوف. والأمر المهم الذي لم يغب عن ذاكرة الملك عبدالعزيز هو أن معظم زعماء بلاد جنوبي نجد وسكانها كانت لهم مواقف مشرّفة، خلال عهد الدولة السعودية الأولى والثانية، عندما صمدوا أمام حملات محمد علي باشا، الذي ينفذ سياسة الدولة العثمانية الحليف الاستراتيجي لابن رشيد. يضاف إلى ذلك أن بلدان جنوبي نجد كانت مأوى لكثير ممن ارتحلوا عن الرياض إما قسراً، أو رغبة في العيش في مكان آمن بعيد عن الخضوع للحكم الأجنبي، حتى ولو كان بصورة وطنية، كما هو الحال في حكم خالد بن سعود. ومن أمثال هؤلاء الإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية، وأفراد من الأسرة السعودية، أو من أسرة آل الشيخ، أو حتى من عامة الناس.[١] وبهذه النظرة التي تعتمد على الاستفادة من دروس الماضي ومعطيات الحاضر استطاع الملك عبدالعزيز تنفيذ خطته بضم بلاد جديدة من جهة، ولم يضطر إلى التحرش بابن رشيد من جهة أخرى.

أما ابن رشيد فكان في الحفر منذ أربعة أشهر يتفاوض مع الدولة العثمانية في كيفية معاقبة أمير الكويت ثم بدأ يطلب منهم المساعدة للتصدي لابن سعود رغم أنه تظاهر بأنه لم يول أمره أي أهمية في ذلك الوقت رغم استعادته الرياض.[٢] يقول ضاري بن رشيد: "أما عبدالعزيز بن رشيد فلما بلغه الخبر حقّره وتكبّر، وقال: خله يتحصن ويسوي كل ما عنده، وأنا أجيه، ولم يقل إن شاء الله".[٣] ويذكر

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦١.

(٢) ويعلل أمين سعيد، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٦، سبب عدم وصول الحملة المرابطة في البصرة بأن الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت أرسل رسولاً استطاع التفاهم مع والي البصرة وأرضاه حتى ألغى الأخير سفر الحملة.

(٣) الرشيد، ضاري بن فهيد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٨.

الزركلي أن ابن رشيد لم يهتم للأمر لأنه كان يرى أن الكويت هي الأصل والرياض فرع، فإذا قضى على الأصل سقط الفرع.[(١)] ويذكر سعود بن هذلول أنه على الرغم من مشورة عقلاء قومه له بسرعة القضاء على ابن سعود قبل أن يعظم أمره ويكثر أنصاره إلا أنه لم يكترث وقال قولته المشهورة في كتب التاريخ "لا يهمكم أمره فهو أرنب محجورة وأهلها مقيمون ومتى ما فرغنا من مهمتنا التي جئنا إلى هنا من أجلها أتيناه في عقر داره وقتلناه وجميع من معه".[(٢)] وعلى العكس من ذلك يذكر فاسلييف أن ابن رشيد عندما علم بنبأ سقوط الرياض بيد الملك عبدالعزيز "استولى عليه الهياج وأقسم بأن يثأر من أعدائه التقليديين ونزح من الفرات الأوسط إلى حائل ليجمع العساكر ويتوجه إلى الرياض، إلا أن الاستعدادات استغرقت عدة أشهر.[(٣)] وتبعاً لمجريات الأحداث فإن الرواية الأولى هي الراجحة وتتناسب مع آخر رواية فاسلييف التي تذكر أنه أمضى وقتاً في الاستعداد.

ورغم ما يبدو من عدم اكتراث ابن رشيد بهذا الأمر، أو عدم استعداده للتحرك بسرعة فإن مما لا شك فيه أنه فوجئ بهذه التطورات التي حدثت في الرياض وما حولها، وأنه دفع الثمن غالياً نتيجة توانيه واستهانته بالموقف، خصوصاً بعد أن بدأت أخبار انتصارات الملك عبدالعزيز في جنوب منطقة الرياض المعنوية والعسكرية تظهر للعيان ويتناقلها الركبان. وبعد أن أفاق من هول الصدمة التي أحدثتها استعادة الملك عبدالعزيز السريعة الحاسمة للرياض سوّى أموره الداخلية، ولم ينتظر النجدة التي طلبها من الدولة العثمانية بعد أن أصابه اليأس من سرعة وصولها، بل بدأ يحشد قواته.[(٤)] ولكي يستفيد من

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٢٦.

(٢) ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٣) فاسلييف، (١٩٨٦م)، مصدر سابق، ص ٢٥٢.

(٤) لقد كان موقف الدولة العثمانية في هذا الوقت الحرص على تجنب التصادم مع بريطانيا، ولذلك عملت ما في وسعها لمنع الحرب والنزاع بين ابن رشيد وأتباعه وبين مبارك الصباح بأي وسيلة، لأنها تعلم أن بريطانيا ستتدخل لصالح الشيخ مبارك بناء على الاتفاقية التي عقدها مع بريطانيا. ولمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-١٥**، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ٢ شوال ١٣٢٠هـ؛ وتقرير عن العلاقات الانجليزية العثمانية حول الكويت، دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-٢٠**، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ٦ جماد الأول ١٣١٧هـ؛ وتقرير عن تدخل بريطانيا في الكويت وطلب كل من فرنسا والمانيا اقامة مبان رسمية عثمانية لتعزيز نفوذها، دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-٢٨**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١ ربيع الآخر ١٣١٩هـ. =

الوقت، بدأ ابن رشيد يخطط لاستعادة الرياض التي تعتبر رمز الحكم السعودي حيث لا يمكن مقاومة الملك عبدالعزيز إلا بإخراجه منها. ومنذ ذلك الوقت بدأ يحشد قواته من حائل نفسها، ومن بادية شمر والقصيم، حيث استنفر أتباعه منها ومن بلاد الوشم وسدير والمحمل والشعيب، ثم غادر حائل في شهر ربيع الأول ١٣٢٠هـ/ يونيو ١٩٠٢م، متنقلاً في المناطق القريبة من الرياض، فأقام على ماء رغبة من قرى المحمل، التي تبعد عن الرياض ١٨٠ كيلاً، قرابة شهرين.(١) وكان ابن رشيد في هذه الفترة يتحين الفرصة للهجوم على الرياض ومحاصرتها، حيث أرسل من هناك سالم السبهان على رأس حملة من أهل القصيم لمهاجمة ضرما من الجهة الجنوبية الغربية، كما طلب من وكيله في الأحساء سعد الحازمي أن يستلحق قبائل العجمان وآل مرة لمهاجمة ضرما من الجهة الجنوبية الشرقية. ثم انتقل إلى بلدة الحسي فأقام فيها حوالي شهر، لكن جيشه تأثر من الوباء العام الذي نزل ببلاد نجد في هذا العام حيث توفي بقضاء الله ثم بسببه أعداد كبيرة، منهم عبدالله بن عثمان بن عبدالجبار من أهل المجمعة، ومحمد بن عبدالعزيز بن شبانة(٢) وكان ابن رشيد يقصد من وراء تلك التحركات واستقطاب جموع القبائل محاولة تطويق الرياض من الشمال الغربي والجنوب الشرقي استعداداً لمهاجمة حامية الملك عبدالعزيز في الرياض.(٣) وقد تذمر ابن رشيد من أن كثيراً من القبائل التي كان يظنها موالية له انضمت إلى الملك

= وهناك مجموعة من الوثائق عن محاولة الدولة العثمانية عن طريق والي البصرة اقناع الشيخ مبارك ونصحه بعدم وقوعه تحت التأثير الأجنبي والتقليل من تأثير الممارسات البريطانية. انظر مثلاً؛ تقرير عن سفر نقيب أشراف البصرة إلى الكويت لهذا الغرض، دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٤**، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ١٤ رجب ١٣١٧هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٤**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٢ شعبان ١٣١٧هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٦**، من والي البصرة إلى الباب العالي، تاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩١٥م؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٩**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١ رمضان ١٣١٧هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-١٤**، برقية عاجلة عن الأوضاع في الكويت، من والي البصرة إلى الصدر الأعظم، تاريخ ١٣ اغسطس ١٩١٧م.

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٦٥.

(٢) ابن ناصر، عبدالرحمن، (ت ١٣٩٠هـ) **عنوان السعد والمجد فيما استطرف من أخبار الحجاز ونجد**، ج١، صورة مخطوطة، دارة الملك عبدالعزيز، ص ٥٧، وهو يسمي هذا المرض الرّجز. ؛ ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ٩٢؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ١٣٣؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٧؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٤

(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ص ٦٤-٦٥.

عبدالعزيز. وعندما لم تنجح محاولاته في الهجوم على الرياض عاد إلى حفر العتك الواقعة شمال الرياض على بعد حوالي ١٨٠ كيلو متراً ليقوم بمنع الإمدادات التي تصل إلى الملك عبدالعزيز من الكويت. وقد علل بعض المؤرخين سبب رجوع ابن رشيد بعد أن وصل إلى مشارف الرياض بعجزه عن اقتحامها، أو أنه أراد أن يفرض حصاراً اقتصادياً عليها بقطع الطريق بينها وبين الأحساء والكويت، أو لأنه برجوعه إلى الحفر أراد أن يستميل بعض القبائل إلى صفه مثل العجمان وآل مرة لكي يستفيد منها عند هجومه على الرياض وذلك بأن تهاجم المدينة من الجنوب الشرقي بينما يهاجمها هو من الشمال.[1] وفي الحقيقة فإن كل تلك الاحتمالات واردة، وخاصة الثاني والثالث، يضاف إليها أن ابن رشيد قصد من وراء خطته هذه معرفة مدى قوة ابن سعود، ومدى تمكنه من السيطرة على الرياض، ومدى تحصينها، وذلك لكي يستطيع حشد القوة التي يحتاجها لمجابهة الملك عبدالعزيز. ويبدو أن ابن رشيد لم يطل المكث في الحفر حيث عاد مسرعاً لحصار الرياض كما سيأتي تفصيله لاحقاً.

أما بالنسبة للملك عبدالعزيز فإنه، من خلال تجربته العسكرية، ومن خلال مجريات الأمور، كان يعلم أن مسألة قيام ابن رشيد بحملة عسكرية على الرياض هي مسألة وقت، وأنه كان يتوقع وصول هذه الحملة منذ استعادته للرياض، ولذلك كان لابد له من أن يعد العدة ويأخذ بكل أسباب القوة الممكنة سواء للدفاع عن الرياض أو لمقاومة ابن رشيد فيما لو توغل جنوباً لقتاله. وفي هذا الوقت كان الملك عبدالعزيز قد أرسل إلى والده والشيخ مبارك يخبرهم بالوضع العسكري، ويطلب قدوم والده لمساعدته فجاءه في الوقت المناسب كما ذكرنا سابقاً. وفي هذا المجال يقول الملك عبدالعزيز: "أرسلت لوالدي ولمبارك أن ابن رشيد لا بد مقبل علينا ولا أستطيع المكث في الديرة (يعني الرياض) وليس من آمنه عليها إلا والدي فليحضر فجاء الوالد بعد غزوة قام بها على شمر وكان القيظ وصل وأصبح عندنا ١٥٠ خيالاً من أهل نجد وبلغني الخبر أن ابن رشيد نزل ثادق..."[2] ومن جهة أخرى، استفاد الملك عبدالعزيز من عامل الوقت فأسرع بإرسال أخيه محمد وابن عمه عبدالله بن جلوي إلى المناطق الجنوبية للاستعانة بالدواسر وآل مرة في أطراف الأحساء قبل أن يستنجد بهم أعوان ابن رشيد، وقد نجحت خطة الملك

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدرسابق، ص ص١٢٩-١٣٠؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٢) آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦؛ الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٩٦.

عبدالعزيز في استقطاب هذه القبائل، بينما فشل ابن رشيد بسبب سوء تقدير الوقت. ولم يكتف الملك عبدالعزيز بذلك بل أرسل بعض رجاله لتتبع حركات ابن رشيد ومعرفة مدى قوته.

وفي هذا الوقت كان الإمام عبدالرحمن قد عاد إلى الرياض وأخذ دوره حامياً للعاصمة ومدافعاً عنها باعتبارها، بعد أن عادت لتوها، عاصمة للدولة السعودية الوليدة. وفي المجال الحربي لجأ الملك عبدالعزيز إلى خطة التمويه الحربي، والحرب خدعة كما يقال، عندما اتفق مع والده على خطة، أو كما يذكر الريحاني حيلة تجعل ابن رشيد يقترب من معسكرهم فيشتبكون معه ويقضون عليه، أو على الأقل يحولون دون تنفيذ خطته.[١] وتنفيذاً لهذه الخطة جمع الملك عبدالعزيز قواته وغادر الرياض بعد أن حصنها وأناب عنه والده في الدفاع عنها، بل إنه كما تذكر بعض الروايات، بعث إلى معسكر ابن رشيد من يشيع عن مدى تخوفه من ملاقاة ابن رشيد، وعن وجود خلاف بينه وبين والده. واكتملت فصول هذا التمويه ببث إشاعة بأن الإمام عبدالرحمن كان راغباً في المسالمة وطلب الأمان لأهل الرياض من ابن رشيد، وأن ابنه عبدالعزيز خرج إلى الجنوب غاضباً لأنه لم يوافق على رأي أبيه.[٢] وحيث إن الملك عبدالعزيز يحسب لكل أمر حسابه فقد أمر أحمد السديري الموجود على رأس سَرِيّة في الدلم بأن يستعد للذهاب إلى الرياض معه لو هاجم ابن رشيد الرياض، أما إذا لم يهاجم واتجه إلى الخرج فليتعقبه أهل الرياض.[٣] وهكذا، فبالإضافة إلى خطة التمويه التي أشرنا إليها، فإنه يمكن القول إن خطة الملك عبدالعزيز الحربية والاستراتيجية كانت تقوم على خطين متوازيين هما الدفاع عن الرياض في كل الأوقات، والثاني مواصلة العمل لضم البلاد النجدية. ولا شك أن العمل وفق هذه الاستراتيجية أمر مهم لإثبات قدرته على قيادة هذه الدولة في هذا الوقت بالذات، لكنه أمر يحتاج إلى إمكانات كبيرة عسكرية وبشرية.

ضم بلاد جنوبي منطقة الرياض:

وتنفيذاً للاستراتيجية الحربية التي سار عليها الملك عبدالعزيز امتداداً لنهج آبائه وأجداده في بناء

---

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص١٣٠.

(٢) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ٢٥؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، المصدر السابق، ص ١٣٠؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص ١٣٤-١٣٥.

(٣) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، المصدر السابق، ص ١٣٠. والسَرِيّة عدد من الجيش بين مئة وخمسمائة مقاتل. انظر نفس المصدر ص ١٣٤.

الدولة، بدأ بضم بلاد جنوبي نجد أولاً وهي المناطق الجنوبية من منطقة الرياض حالياً. وقد أثبتت الأحداث نجاح خطته، عندما طبق الاستراتيجية التي تبناها على أرض الواقع، حيث تمكن، بعد أن استعاد الرياض وحصّنها، أن يستعيد المناطق الجنوبية من نجد كلها في الوقت المناسب. فقد قدم عليه أهل الخرج برئاسة أميرهم عبدالله بن ناصر الحقباني وبايعوه على السمع والطاعة. وقد أبقى الملك عبدالعزيز الحقباني أميراً عليهم، كما أسند أمر القضاء إلى عبدالعزيز بن صالح الصرامي.[١] وتتبين أهمية هذه المنطقة من كونها تضم عدداً من البلاد التابعة لمنطقة الرياض حالياً مثل بلاد الخرج والحريق والحوطة والأفلاج ووادي الدواسر. ورغم كبر مساحة هذه البلاد إلا أن الملك عبدالعزيز تمكن من ضمها إلى حكمه في أقل من ستة أشهر.[٢] وبهذا استطاع أن يضم منطقة كبيرة بين الرياض والربع الخالي كانت بمثابة عمق داخلي له عندما يهاجمه ابن رشيد.[٣] ويعزى هذا النجاح السريع الذي أحرزه الملك عبدالعزيز في هذه المناطق إلى تأييد أهل هذه البلاد له بعد أن عرفوا سرعة نجاحه في استعادة الرياض، بالإضافة إلى ما كان يتمتع به من صفات شخصية من حصافة الرأي، والعدل، والكرم، والسخاء، والشجاعة. ومن جهة أخرى فإن بُعد هذه المناطق عن مركز ابن رشيد، وضعف نفوذه هناك، وعدم موالاة القبائل له، كلها عوامل كانت وراء نجاح الملك عبدالعزيز في هذه المناطق وفوق ذلك توفيق الله له. ولا يخفى أن الشجاعة في مثل هذه المواقف تتطلب قدراً كبيراً من الحكمة، وكانت حكمة الملك عبدالعزيز المقترنة بالشجاعة قد مكنته من أن يقدّر الوقت الذي يجب أن يتقدم فيه، ولا يتعجله قبل أوانه. ومن الأمور المهمة التي قام بها الملك عبدالعزيز في هذه المنطقة اهتمامه بالعلاقات بين القبائل ودراسة الصلات بينها، والإلمام بعاداتها وتقاليدها، وأسباب القوة والضعف لديها، وعوامل الانسجام بينها مما أوجد طاقة معنوية بالإضافة إلى القوة المادية.[٤]

---

(١) الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٩٦. وانظر كذلك: السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٢٧. وانظر كذلك:

Lebkicher, Roy, (1950), op. cit., p. 47.

(٢) الرشيد، ضاري بن فهيد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٣) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٨؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٢٧؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٤) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ج١ ص ١٢٥؛ البديوي، محمد منير، (١٣٩٧)، مرجع سابق، ص ٩٩. وانظر: Lebkicher, Roy, (1950), op. cit., p. 46.

وبعد نجاحه السريع في بلاد جنوبي نجد اتجه الملك عبدالعزيز إلى المناطق الواقعة غرب منطقة الرياض والمسماة عالية نجد حيث توجد فئات من البادية، ولم يكن يقصد القيام بحملات منظمة ضد البلدان والقرى في تلك المناطق، بل كان يهدف من هذا التحرك إلى إظهار قوته أمام تلك القبائل البعيدة عن نفوذ ابن رشيد وهي خطوة تنظيمية أكثر منها عسكرية، فإما أن يستفيد من ولاء وخضوع هذه القبائل له، أو لإظهار قوته ونفوذه. (١)

المواجهة في الدلم والسلمية:

وكما كان متوقعاً ترك ابن رشيد حفر العتك، وقصد الرياض حيث نزل أولاً في بنبان على بعد ٦٠ كيلاً عن الرياض، ثم بعث استطلاعاته. وبعد ذلك تحرك بجموعه متوجهاً إلى قرب الرياض وذلك في شهر ربيع الأول ١٣٢٠هـ/ منتصف عام ١٩٠٢م. (٢) وهناك فوجئ بما لم يكن يتوقعه فالرياض كانت محصنة تحت قيادة الإمام عبدالرحمن ومعه حوالي ألف رجل مسلح، وبذلك كانت أكثر منعة مما عهدها أو توقعها، كما عرف أن غريمه الملك عبدالعزيز يستعد لملاقاته في الخرج. ولأنه وطّن نفسه على ملاقاة ابن سعود، أبت عليه عزته أن يظهر الذل فترك الرياض واتجه بقواته إلى الخرج حيث قام بحملات محدودة على بعض القبائل، ثم مرّ ببلدة السلمية حيث ترك فيها حامية صغيرة. وبعد ذلك واصل سيره حتى وصل إلى بلدة نعجان التي تبعد حوالي ١١٠ كيلاً جنوب الرياض، على مسيرة ساعتين من الدلم، حيث اتخذها مركزاً له. وقد كانت قوات ابن رشيد تتكون من أربعة آلاف مقاتل، وأربعة آلاف ذلول، وأربعمائة فارس. (٣)

أما الملك عبدالعزيز الذي كان في الحوطة في هذا الوقت فقد استعد للمواجهة حيث أخذ يستجمع قواته من البلاد المؤيدة له مثل الحوطة والحريق. وكان الأمير على الدلم في ذلك الوقت أحمد السديري، أحد أخوال الملك عبدالعزيز، وقد استطاع الملك عبدالعزيز أن يجمع بني تميم ويتصالح معهم وبعد ذلك ساعدوه. ورغم أنه لاقى صعوبة في بعض المناطق التي كان يوجد فيها مؤيدون لابن رشيد إلا أنه

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٦٤.
(٢) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ٢٥.
(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٦٨؛ الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص١٠٢.

استطاع استمالة بعضهم بالإقناع، وبعضهم بالتهديد، وبعضهم بالمال حتى استطاع أن يجمع ما بين ثمانمائة إلى ألف مقاتل.[١] كما استطاع أن يجمع قريباً من هذا العدد من الحريق بعد أن بعث أخاه سعداً إليهم، فأصبح جيشه يقارب ألف وخمسمائة رجل. وبعد أن استعد للقتال وزع قواته على البلدان في إقليم الخرج على النحو التالي: سعد بن عفيصان على رأس سرية في بلدة السلمية، ومحمد السديري على رأس سرية في الدلم، وعبد الله بن جلوي على رأس سرية في بلدة العُلَيَّة[٢] ومعه أفراد من قبيلة آل شامر، وسعد بن عبدالرحمن بن فيصل في الحريق يستجمع من انضم إلى الجيش السعودي.[٣]

وبعد أن علم الملك عبدالعزيز بوصول ابن رشيد بقواته إلى بلدة نعجان سار بجيشه الذي بلغ تعداده ألفي مقاتل وعسكر في ماوان ليكون محطة تجمع لقواته، ثم غادر ماوان واتجه إلى الدلم في الليل حيث وصلها قبل الفجر ونزل ضيفاً على أميرها، وهناك قدم عليه أخوه سعد بمن معه من مقاتلي أهل الحريق. ورغم المساعي التي بذلها الملك عبدالعزيز لجمع أكبر قوة لمجابهة عدوه، إلا أن قوة الطرفين ما زالت غير متكافئة، حيث يبلغ جيش ابن رشيد حوالي أربعة آلاف ذلول، وأربعمائة خيال، بالإضافة إلى الجنود المدربين، بينما كانت قوات الملك عبدالعزيز أقل من ذلك في عدد المقاتلين البالغ عددهم حوالي ألفي مقاتل وأربعين خيالاً فقط، كما تنقصه الكثير من الإمكانات العسكرية. يضاف إلى ذلك الإعياء الشديد الذي لاقاه الملك عبدالعزيز حيث مضى عليه سبعة أيام لم ينم فيها.[٤] وفي ظهر اليوم التالي بدأت أولى المعارك بعد مناوشات بين الجانبين في نخيل الدلم تغلبت الخبرة والشجاعة وحسن التدبير لدى الملك عبدالعزيز على الكثرة. ورغم محاولات ابن رشيد لاستقطاب أهل الدلم عندما أرسل لهم رسلاً

---

(١) انظر عن هذه الأحداث: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٥؛ حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص٢٠؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٣٦؛ الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، المرجع السابق، ص ٩٧.

(٢) يقول عنها ابن خميس، خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ص ١٧٥-١٧٩، هي قلعة اليمامة الحصينة، وهي تشكل أكبر هضبة في جبل اليمامة، وأمنعها وأكثرها أودية وأشدها ارتفاعاً. وهي وإن كانت داخل سلسلة جبال طويق، إلا أنها مفصولة عنه من جهاتها الأربع بفجاج تجعلها تتربع وحدها وتشرف على ما حولها. وهي تطل على وادي نساح من الجنوب، وعلى وادي نعام والحريق وأسفل الحوطة من الشمال.

(٣) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣١؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٨.

(٤) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، المصدر السابق، ص ١٣٢؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ١٣٦.

وأغراهم بالمال والسلاح. وقال في رسالة ترغيب وجهها لهم: "الحامي (أي السور) سنبنيه لكم والبندقية ببندقيتين والريال عنه ريالين" لكن أهالي الدلم رفضوا عرض ابن رشيد وبنوا سور بلدتهم بأنفسهم، وأقاموا عليه القلاع في خلال شهر حيث انتهى بناؤه قبل أن يصل ابن رشيد، ثم ردوا على ابن رشيد جواباً على رسالته تظهر مدى ثقتهم بربهم واتكالهم عليه بقولهم "الحامي بنيناه، والسلاح شريناه، والفلوس يخلفها الله، حاربين والله عليك عوين". [١] وهكذا استطاع الملك عبدالعزيز بإيمانه القوي بالله، ثم بصبره وحسن تخطيطه، وموالاة الأهالي هناك له، من التغلب على خصمه ابن رشيد في معركة عرفت بمعركة الدلم في شهر ربيع الأول عام ١٣٢٠هـ/ يونيو ١٩٠٢م. [٢] وتأتي أهمية هذه المعركة من حيث كونها أول مرة تتم المواجهة العسكرية مباشرة بين الطرفين، حيث إن الملك عبدالعزيز استطاع استعادة الرياض قبل ستة أشهر دون مواجهة عسكرية مباشرة مع ابن رشيد الذي كان في وقتها في مقر إمارته في حائل كما أوضحنا سابقاً. ورغم هول المفاجأة من هزيمة جيشه وتشتت قواته وتفرقها في بلاد الخرج، إلا أن ابن رشيد لم ييأس من إحراز نصر على الملك عبدالعزيز خصوصاً بعد أن جاءته نجدة من بلدة نعجان. وفي الوقت نفسه وصلت إمدادات إلى ابن سعود من الدلم ومعها الذخيرة. وكان وصول هذه الإمدادات إلى الطرفين قد ألهب الحماس بين المقاتلين؛ عندما استؤنف القتال بين الجانبين من جديد في أرض تسمى المحمدي شمال الدلم حيث تمركزت قوات الملك عبدالعزيز. فبينما وقف أهل الدلم والحوطة الموالين للملك عبدالعزيز جنوبي المحمدي، تمركز ابن رشيد وجيشه شمالي المحمدي واستمر القتال إلى الليل. [٣] وقد كانت خسائر ابن رشيد في هذه المعركة قتل سبعة وجرح خمسة عشر وأسر ثمانية، بالإضافة إلى فقده الكثير من أسلحته. أما جيش الملك عبدالعزيز فقد خسر ثلاثة قتلى وجرح سبعة آخرين. [٤] ويذكر سعود ابن هذلول أن القتال استمر سجالاً بين الطرفين مدة شهر ونصف كانت الغلبة في معظم الوقت للملك عبدالعزيز حيث خسر ابن رشيد كثيراً من جنوده، ثم رحل ماراً بالسلمية. [٥]

---

(١) الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٩٨. وقد روى هذه المعلومات عن رجال ثقات منهم: ناصر بن راشد اليمني، وعبد العزيز بن محمد الصرامي، وسليمان بن ناصر الحقباني.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣٢؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٣٦.

(٣) الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٤) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٣٧ .

(٥) ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٨.

ونتيجة لمعركة الدلم السابقة بدأ اليأس يدب في نفوس قوات ابن رشيد، فعندما قابلته سرية من جيش الملك عبدالعزيز بقيادة سعد بن عفيصان واشتبكت معه لم يستطع الصمود فصدته عن البلدة وتراجع. وقد تأزم موقف ابن رشيد بعد أن نزل في جنوده، دون غيرهم، مرض مات منهم بإذن الله ثم بسبب هذا المرض وهم في بلاد الخرج وفي أثناء رحيلهم عدد كبير من الجنود.(١) وقد ألجأت هذه الأسباب ابن رشيد إلى التعجيل بالرحيل عائداً إلى الشمال حيث مقره السابق في الحفر. أما الملك عبدالعزيز فقد وطد نفوذه في مناطق جنوبي نجد؛ وأكد العهد بينه وبين بني تميم على الولاء والمساندة، كما دخلت كل البلاد في هذه المنطقة تحت نفوذه وأهمها الحوطة والحريق والدلم والسلمية والخرج والأفلاج، ثم عاد إلى عاصمته الرياض. ويعلل بعض المؤرخين سبب رجوعه إلى نفاد ذخائره حيث لم يبق منها ما يكفيه لمطاردة ابن رشيد.(٢) ولا يبدو هذا تعليلاً كافياً، لأن من المستبعد أن تنفد ذخيرة الملك عبدالعزيز من أول مواجهة، وهو القائد العارف باحتياجات القتال، وكان يعرف الأثر السلبي لقلة الذخيرة في جيشه. يضاف إلى ذلك أنه كان بإمكان الملك عبدالعزيز، لو كان يعتزم مطاردة ابن رشيد، أن يتزود بما يكفيه من الذخيرة من الرياض ثم يتعقب ابن رشيد الذي ارتحل إلى الشمال. ودون التفكير في تحميل النصوص ما لا تحتمل فإن الواقع أنه حصل نقص، وليس نفاداً في ذخيرة الملك عبدالعزيز التي تسمى في ذلك الوقت (الفشك)، لكن ذلك حصل في أثناء المعارك ولم يكن سبباً في اضطرار الملك عبدالعزيز إلى وقف القتال، وفي وقتها تدارك الموقف بسرعة عندما بعث رجالاً إلى الحوطة لجلب ما يحتاجه من الذخيرة. وفي هذه الأثناء هاجمهم ابن رشيد في الوقت نفسه الذي كان يجمع أمتعته منهزماً حيث اتجه إلى الخرج، وقد تبعه الملك عبدالعزيز ونازله في السلمية فأخرجه منها، ولكنه لم يتعقبه بسبب قلة خيله وركائبه.(٣) ومن جهة أخرى وتعزيزاً للرواية السابقة فإننا نعتقد أن هدف الملك عبدالعزيز في هذا الوقت هو تعزيز سلطته في بلاد جنوبي منطقة الرياض، ولم يحن الوقت لفتح جبهة جديدة قبل أن

---

(١) آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٥؛ ابن ناصر، عبدالرحمن، (ت١٣٩٠هـ)، مصدر سابق، ص ٥٩.

(٢) ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٨؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ١٣٧.

(٣) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ٢٦؛ آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د. ت.)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦؛ الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٩٧.

تقوى سلطته في هذه البلاد. ومن الدلائل الأخرى، أن الملك عبدالعزيز لم يبتدىء مهاجمة ابن رشيد في بلاد الخرج حتى يتبعه عند انهزامه، وإنما العكس هو الصحيح فابن رشيد هو البادئ بالهجوم حيث قطع في سبيل ذلك الفيافي والقفار. وهناك نقطة مهمة وهي أن انسحاب ابن رشيد بهذه السرعة إلى معقله قد يكون وراءه استراتيجية حربية وذلك لجر الملك عبدالعزيز إلى جهات أكثر ملاءمة لجيش ابن رشيد في وقت يحتاج فيه الملك عبدالعزيز إلى وقت طويل للوصول إليه تكون قواته قد أنهكت. ولأنه يعرف التوقيت المناسب للحرب إقداماً وتراجعاً فهو يدرك أن الوقت لم يحن وقد تأتيه طعنات من الخلف لو ابتعد عن الرياض.

وعلى العموم فإن معارك الدلم والسلمية قللت من السمعة والهيبة العسكرية التي كان ابن رشيد يتمتع بها قبل هذه المعارك. كما أن هذه المعارك غيرت ميزان القوى في الجزيرة العربية، خاصة بين القبائل التي بدأت تغير ولاءها إلى جانب الملك عبدالعزيز، بعد أن كانت سمعة وهيبة ابن رشيد هي المسيطرة على الساحة السياسية والعسكرية. ولكي يحفظ ابن رشيد ما بقي له من هيبة قام بحملات على بعض القبائل قرب الكويت، بل إنه حاصر الكويت نفسها مما دعا الشيخ مبارك الصباح أن يستنجد بالملك عبدالعزيز الذي هب لمساعدته، حيث سار على رأس حملة من العارض ثم انضمت إليه بوادي الأحساء من العجمان، وآل مرة، وبني خالد، وبني هاجر، والعوازم، والمناصير، وسبيع، والسهول، حتى بلغ جيشه قرابة عشرة آلاف مقاتل وخمسمائة خيال، كما سار معه حملة كويتية قوامها أربعة آلاف مقاتل على رأسها جابر بن مبارك الصباح. يقول الزركلي: "وما كان ابن سعود في سيره، هذه المرة، متخفياً أو ساتراً وجهته وغايته". [١] ولا شك أن قدرة الملك عبدالعزيز على حشد هذه الجموع الكثيرة من أكبر القبائل تعبّر عن مقدرته الكبيرة على استقطاب الموالين له من جهة، كما تعبر عن مدى التأييد الذي تكنه هذه القبائل للأسرة السعودية من جهة أخرى.

وعندما علم ابن رشيد بوجهة الملك عبدالعزيز غيّر خطته وقصد الرياض لكنه تظاهر أنه عائد إلى حائل، وأغار على عرب السهول. ورغم أن مهمة الملك عبدالعزيز انتهت برجوع ابن رشيد عن مهاجمة الكويت، لكنه أصابه القلق عندما بلغه أن ابن رشيد أغار على الرياض فعزم على العودة بسرعة لمقاومة

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٣٩. وانظر عن تحركات كل من الملك عبدالعزيز، وابن رشيد في هذه الفترة: ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٩.

ابن رشيد، لكن البشرى وصلته قبل أن يتحرك بأن غارة ابن رشيد على الرياض فشلت حيث استعدوا بالقوة اللازمة بعد أن أنذرهم رجل من السهول بقرب هجوم ابن رشيد عليهم، وقد كان على رأس المدافعين عن الرياض الإمام عبدالرحمن، وعبد الله بن سعود بن صنيتان، ومحمد بن حسن بن مشاري، وإبراهيم بن ثنيان، وكثير من عرب سبيع، وبعد أن تمكن حماة الرياض من صد ابن رشيد عنها، أرسلوا بالخبر إلى الملك عبدالعزيز. وقد استبشر بهذه النتيجة وعاد إلى الكويت حيث اصطحب بقية عائلته التي كانت لا تزال موجودة في الكويت. أما ابن رشيد فلم يرد أن يرجع بدون قتال، حيث نزل في السويدي جنوب الرياض وأخذ جنوده يعيثون في الأرض فساداً، يقطعون النخيل ويخرّبون المزارع، فاشتبك معهم أهل الرياض وأوقعوا فيهم بعض الخسائر في الأرواح.[(١)]

ضم بلاد شمالي منطقة الرياض:

كان انتصار الملك عبدالعزيز على ابن رشيد في أول مواجهة عسكرية بينهما في الدلم عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م وما تبعها من أحداث، ثم رجوعه عن مهاجمة الكويت، وفشل غارته على الرياض، كل هذه الأحداث المتتابعة تعتبر دعماً معنوياً واستراتيجياً للملك عبدالعزيز في جهوده لإعادة كيان الدولة السعودية المعاصرة. ومن جهة أخرى زادت هذه التطورات الحربية من عزيمة المؤيدين للدولة السعودية، كما ثبطت من عزيمة المناوئين لها.

وبعد أن استطاع الملك عبدالعزيز أن يؤمن مناطق جنوبي نجد وجه اهتمامه إلى ضم المناطق الواقعة شمالي بلاد نجد، وأهمها بلاد الوشم وسدير التابعة لمنطقة الرياض حالياً. ومنذ أن نجح الملك عبدالعزيز في استعادة الرياض وما تلاها من انتصارات في بلاد جنوبي منطقة الرياض تشجع الموالون للدولة السعودية في المناطق الأخرى وبدؤوا يمهدون لعودة الحكم السعودي لمناطقهم، ومن هذه المناطق بلاد الوشم وسدير التي كان غالب أهلها يودون عودة الحكم السعودي.

---

(١) ويذكر الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣٤، أن ابن رشيد عندما فشل في الهجوم على الرياض نقل معسكره إلى نخيل تبعد ساعة عن المدينة، ويبدو أن المقصود بها نخل السويدي، وأقام هناك ثلاثة أيام دون أن يأتي بحركة. ولمزيد من التفاصيل عن الأحداث في هذه الفترة راجع: ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٩؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ١٣٩-١٤١. وانظر المزيد من الدروس المستفادة من معارك جنوبي نجد في: العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٧٢-٧٤.

ضم شقراء وثرمدا:

عندما بلغ ابن رشيد أن الملك عبدالعزيز يخطط لضم القصيم أراد أن يقطع عليه خط الرجعة وأن يثبت وجوده في الأقاليم الشمالية من منطقة الرياض، خاصة إقليمي الوشم وسدير، فسار إلى الوشم عن طريق ضرما. ويبدو أن ولاء معظم أهل الوشم للدولة السعودية قد خيب آمال ابن رشيد. ففي شهر ذي القعدة عام ١٣٢٠هـ/ فبراير ١٩٠٣م، وبمساعدة من مساعد بن سويلم الذي كان قد أرسله الإمام عبدالرحمن لنجدتهم ولتأكيد ضم بلاد شمال الرياض إلى الدولة السعودية، قام بعض أهل شقراء المؤيدون للدولة السعودية على عبدالله الصويغ، أمير شقراء من قبل ابن رشيد، وأخرجوه من بلدتهم بعد أن ضجروا من تصرفاته وتعديه على بعض الناس، فسار هو وأتباعه على ركائبهم وأخذوا حاجاتهم قاصدين المجمعة، ولم يتعرض لهم أهل شقراء بسوء، وبذلك دخلت شقراء تحت نفوذ الدولة السعودية برغبة من أهلها.(١)

وكان أمير ثرمدا مشاري بن عبدالرحمن العنقري يقف في صف ابن رشيد، وعندما علم بإخراج أهل شقراء لعبد الله الصويغ وأعوانه لحقهم رسوله فأدركهم قرب بلدة أشيقر وطلب منهم العودة إلى ثرمدا. وبعد عدة أيام أرسل إليهم الإمام عبد الرحمن سرية دخلت البلدة وتمكنت بمساعدة من بعض أهالي ثرمدا من القبض على عبدالله الصويغ واثني عشر رجلاً من أعوانه حيث قتلوهم بعد ذلك جزاء خروجهم على الدولة، كما قبضوا على أمير ثرمدا مشاري العنقري ونقل إلى الرياض حيث سجن هناك.(٢)

وعندما علم ابن رشيد بما حل بأتباعه في شقراء وثرمدا أسرع في مهاجمة مساعد بن سويلم في ثرمدا حتى تمكن من إخراجه منها، فاتجه ابن سويلم إلى شقراء فتحصن بها انتظاراً لنجدة تأتيه من الرياض، لكن ابن رشيد حاصره هناك. ورغم هذه التحركات التي قام بها ابن رشيد، إلا أنه يبدو أنه كان متألماً لفقد نفوذه في منطقة الوشم، وأصبح خائفاً من فقد أهم منطقة بقيت تحت نفوذه وهي منطقة

---

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣٥.

(٢) بقي مشاري العنقري في سجنه بالرياض حتى توفي في عام ١٣٢٢هـ. وللمزيد من المعلومات عن الأحداث في هذه الفترة راجع: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٦؛ العُبيِّد، محمد العلي، (مخطوط) مصدر سابق، ص ١٢٤؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ١٤٣-١٤٤؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، المصدر السابق، ص ص ١٣٤-١٣٥؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٥٩؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٨.

القصيم، ولذلك بدأ بالقيام بإجراءات دفاعية، حيث عزز موقفه في كل من بريدة وعنيزة. وفي الوقت نفسه كان ابن رشيد ما يزال يأمل في تغيير الوضع القائم في منطقة الوشم وسدير لصالحه من خلال قيامه ببعض الحركات العسكرية بعيداً عن مجابهة مكشوفة مع الملك عبدالعزيز. ولتحقيق هذا الهدف بعث سرية قوامها أربعمائة مقاتل بقيادة حسين بن جراد لترابط في إقليم السر، ثم توجه إلى العراق يستنجد بالدولة العثمانية لمساعدته ضد الملك عبدالعزيز، وفي الوقت نفسه أراد أن يستنهض القبائل الموالية له وخاصة شمر. وقد حفزت إجراءات ابن رشيد هذه الملك عبدالعزيز على أخذ زمام المبادرة وإظهار مدى قوة الدولة وخاصة في إقليم الوشم. ففي شهر ذي الحجة عام ١٣٢١هـ/ فبراير ١٩٠٤م سار الملك عبدالعزيز إلى الوشم على رأس حملة قوامها نحو خمسمائة رجل من أهل العارض، كما كان معه عدد من رجال عتيبة، وفي شقراء انضم إليه زعماء القصيم، آل سليم وآل أبا الخيل وأتباعهم وعددهم نحو مائتين وخمسين رجلاً. وفي الطريق علم بنزول حسين بن جراد وأتباعه في فيضة السر، وحيث إن وجودهم في منطقة أصبحت موالية للدولة السعودية يعتبر عملية عدائية من قبل ابن رشيد، لذلك صمم الملك عبدالعزيز على طردهم من هناك وإثبات وجود الدولة السعودية وهيمنتها على منطقة الوشم بأكملها. ولذلك توجه الملك عبدالعزيز من شقراء لمقابلة ابن جراد بالقرب من الفيضة حيث فاجأوه قبل أن يقوم بأي عمل عسكري، وقد جرى بين الطرفين مجابهة في الثامن عشر من شهر ذي الحجة قتل فيها حسين بن جراد وابن عمه حمود وعدد من جيشه، كما غنم الجيش السعودي ركائبهم وأسلحتهم وأثاثهم، وبعد ذلك رجع الملك عبدالعزيز إلى الرياض.[(١)]

ولا شك أن موقعة فيضة السر ضد ابن جراد نبهت الملك عبدالعزيز إلى أن ابن رشيد ما زال يملك القوة والإمكانات التي تؤهله لقلب موازين القوى في المناطق التي ما زالت حديثة عهد بالانضمام إلى الدولة السعودية، ولذلك بدأ الملك عبدالعزيز يخطط فعلياً لضم منطقة القصيم كي يؤمن منطقة الوشم وسدير من جهة، ولكسب مواقف أهل القصيم الذين ما زالوا في قبضة ابن رشيد من جهة أخرى. وعلى العموم فقد بينت هذه الأحداث مدى نفوذ الملك عبدالعزيز في مناطق شمال نجد حيث تمكن من

---

(١) تذكر بعض المصادر، ومنهم آل بسام، أن وقعة فيضة السر ضد حسين بن جراد كانت في شهر ذي القعدة. انظر عن هذه الأحداث: ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص؛ الريحاني؛ أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣٧؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، المصدر السابق، ص ٢٠٨؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ج١، ص ١٤٥؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، المرجع السابق، ج٢، ص ص ٧٦-٧٧.

ضم بلاد شقراء وثرمدا بالإضافة إلى تمكن مساعد بن سويلم من ضم إقليمي المحمل والشعيب ودخولهما تحت النفوذ السعودي بدون مقاومة تذكر.(١)

والواقع أن الملك عبدالعزيز لم يجد صعوبة في ضم تلك المناطق لسببين: أولهما، أن أغلب أهل هذه المناطق كانوا دائماً موالين للحكم السعودي، وثانيهما، أن أهلها اطمأنوا لقوة الملك عبدالعزيز بعد انتصاره على قوة ابن رشيد في الدلم والسلمية وما تبعهما من أحداث.

استعادة ثرمدا:

وكما كان متوقعاً فإن ابن رشيد لم يهدأ له بال وهو يرى البلاد التابعة له تتهاوى الواحدة تلو الأخرى بيد الملك عبدالعزيز في وقت وجيز، ولذلك بدأ يعد خططه لاستعادة ما يمكن استعادته من مناطق شمال نجد. فبعد أن هاجم بعض القبائل في منطقة الوشم توجه إلى شقراء وحاول استمالة أهلها لكنه فشل، فتركها وتوجه إلى ثرمدا حيث تمكن من استردادها وعين عليها أحد أتباعه، وهو عبدالله بن عسكر، ثم بعث سرية بقيادة سالم بن سبهان مع حوالي سبعين فارساً فأغاروا على شقراء وحاصروا سرية للملك عبدالعزيز بقيادة مساعد بن عبدالمحسن بن سويلم وبعض الموالين للدولة السعودية من أهل بلدان الوشم وسدير وعددهم حوالي مائة وخمسين رجلاً، وقد استطاع أهل شقراء أن يصدوهم فتوجهوا إلى بلدة أشيقر، وفي اليوم التالي أغاروا مرة ثانية على شقراء فقاومهم أهل البلد وهزموهم فرجعوا إلى ثرمدا.(٢)

ولتثبيت وجوده هناك، أمر ابن رشيد ببناء قصر في ثرمدا ليتحصن فيه أتباعه، ثم توجه إلى شقراء في أول شهر صفر عام ١٣٢١هـ/ مايو ١٩٠٣م، ونزل في قصورها المعروفة في الفيضة، ثم حصل بينه وبين أهلها قتال، وبعد ذلك أمر أن يحضر إليه من كل بلد من إقليم الوشم عدة رجال. وفي هذا الوقت أرسل سرية مع أحد عبيده، ويسمى عطا الله، للهجوم على المقاتلين من أهل شقراء المرابطين في المرقب

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ، ج١، ص ص ١٤٣-١٤٤؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، المرجع السابق، ج٢، ص ص٦٩-٧٠.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ، ج١، ص ص ١٤٣-١٤٤؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٦؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٨.

الشمالي وعددهم ستة رجال، وقد فاجأت السرية المرابطين وهم نائمين، لكنهم تنبهوا للهجوم وقاوموا المعتدين وقتلوا قائد السرية، كما قام أهل شقراء بعد ذلك بتحصين المرقب وزيادة بنائه. وعندما يئس ابن رشيد من خضوع أهل شقراء قطع نخيل الفيضة ونخل السفيلاء المعروفة هناك، ثم تركها في آخر شهر صفر وتوجه إلى القصيم. وقبل رحيله وضع في القصر الذي بناه في ثرمدا عدة رجال من الموالين له برئاسة حمد بن سليمان بن عسكر أمير المجمعة.(١)

وإزاء هذا الموقف الجديد والخطير في الوقت نفسه، بدأ الملك عبدالعزيز، بعد رجوعه من الكويت، يخطط لاحتواء الموقف ومساعدة الحامية السعودية في شقراء، وفي الوقت نفسه العمل على دعم نفوذ الدولة في هذه البلاد، حيث قام على رأس حملة عسكرية إلى شقراء، وما إن وصل إلى حريملاء حتى بلغه الخبر أن ابن رشيد فك الحصار عن شقراء ورحل إلى الغاط، لكن الملك عبدالعزيز واصل مسيره حتى وصل إلى شقراء وثبت نفوذه هناك.(٢) ومن الخطوات السريعة التي قام بها في هذا المجال إرساله سرية بقيادة عبدالله بن جلوي مع عدد من الجنود إلى ثرمدا، حيث كانت سرية لابن رشيد لا تزال هناك، فقام ابن جلوي بإعطاء الأمان لأهلها إذا استسلموا بدون قتال، وهي السياسة التي طبقها الملك عبدالعزيز في حروبه كلها تقريباً. ويبدو أن أهلها لم يستجيبوا فاضطر عبدالله بن جلوي لمحاصرتها خمسة عشر يوماً حتى استطاع دخولها، ثم تحصن بعض مقاتليها في داخل قصر ثرمدا مدة ثلاثة أيام فهجم عليهم بالليل مما اضطرهم إلى إخلاء البلدة، كما هرب الباقون من خلال ثغرة فتحوها في جدار القصر. وقد قتل في هذه الواقعة عدة رجال من أهل ثرمدا، بينما قتل من أتباع عبدالله بن جلوي خمسة رجال من بينهم منصور بن حمزة الذي كان له دور كبير في حروب الملك عبدالعزيز، وكان من الستين الذين كان لهم الشرف في استعادة الرياض.(٣)

ضم بلدة القصب:

أرسل الملك عبدالعزيز كتاباً إلى أهل القصب يخبرهم بعزمه القدوم إليهم، وقد وصل في عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، حيث نزل في شمالها الغربي في مكان يسمى قَطْر. وهناك قدم له أمير بلدة

---

(١) آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣٥.

(٣) آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، المصدر السابق، ص ٢٠٦؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، المصدر السابق، ص ١٣٥؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ص ٥٩-٦٠؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٩.

القصب وأهلها الطاعة والولاء، وبعد إقامته عندهم عدة أيام غادر الملك عبدالعزيز بلدة القصب.[١]

ضم بلاد سدير:

كانت بلاد سدير موالية للدولة السعودية، وكان فيها سريتان الأولى في بلدة الروضة تحت قيادة فهد ابن إبراهيم بن مشاري، أحد الستين الذين شاركوا في استعادة الرياض، والثانية في جلاجل تحت قيادة مساعد السديري. وخلال الفترة الأخيرة من الأحداث التي شهدتها بلاد الوشم ارتحل ابن رشيد، الذي كان متوجوداً في بلاد سدير، من الغاط إلى القصيم عندما علم باستسلام ثرمدا، وكان قد حاصر بلدة الروضة. ويبدو من مجمل الأحداث أن ابن رشيد كان يتحاشى مقابلة الملك عبدالعزيز في حرب مكشوفة، ولذلك فإنه عندما علم بهزيمة أعوانه في ثرمدا وأن الملك عبدالعزيز يستعد لمهاجمته بقوات يقودها بنفسه أسرع ابن رشيد لفك الحصار عن بلدة الروضة. وفي الوقت نفسه أرسل سريتين إلى بلاد سدير إحداها إلى المجمعة، والأخرى إلى بلدة الروضة. ومرة أخرى استغل ابن رشيد فرصة عودة الملك عبدالعزيز إلى الرياض حيث قام بحملة من القصيم متجهاً إلى قبائل عتيبة، وقحطان، الموالية للملك عبدالعزيز، ثم حاصر بلدة التويم في سدير ونصب عليها المدافع لكنه لم يتمكن من دخولها. وبعد عدة أيام من حصارها تركها واتجه إلى القصيم ليرتب دفاعاته لعلمه أن القصيم سيكون خط المواجهة المقبلة بينه وبين الملك عبدالعزيز.[٢] وعندما علم الملك عبدالعزيز جهز قوة كبيرة كان هو على رأسها متجهاً إلى بلاد سدير، وفي ثادق بلغه أن أهالي الوشم بالتعاون مع أمير شقراء أحمد السديري سبقوا لنجدة بلدة التويم وتمكنوا من رد قوات ابن رشيد عنها حيث رحل إلى الأرطاوية، بينما رحل الملك عبدالعزيز إلى بلدة جلاجل، ومن هناك أخذ يضع الخطط لاستعادة القصيم.[٣] ولتمكين هيبة الدولة هناك جهز الملك عبدالعزيز أربع سرايا لتخليص بلاد الوشم وسدير من قوات ابن رشيد. فبعث سريتين بقيادة أحمد السديري إحداهما إلى بلدة الروضة في سدير حيث تمكن من هزيمة سرية ابن رشيد الموجودة فيها ثم عين

---

(١) الحميضي، ناصر عبدالله عبدالعزيز، (١٤١٢هـ)، **القصب**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٣٣، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص٥٧.

(٢) آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٧؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٦٠.

(٣) استمرت العمليات الحربية بين الملك عبدالعزيز وابن رشيد التي تلت هذه المرحلة وما بعدها حتى تم ضم القصيم. وللمزيد من المعلومات انظر: ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، المصدر السابق، ص ٦٠-٦١.

عليها فهد بن إبراهيم بن مشاري، والثانية ذهب بها إلى المجمعة لكنه لم يتمكن من استعادتها بسبب موالاة بعض أهلها لابن رشيد. أما السرية الثالثة فقد تمكنت من استعادة بلدة الغاط، وتمكنت السرية الرابعة من استعادة بلدة جلاجل.(١)

ضم المجمعة:

وهكذا دخلت بلاد الوشم وسدير تحت الحكم السعودي ما عدا بلدة المجمعة التي تأخر انضمامها إلى الدولة السعودية بعض الوقت رغم قناعة أهلها بأن مصيرهم مرتبط بالبلاد الأخرى في منطقة سدير. وقد حاول الملك عبدالعزيز استقطاب أهلها للدخول في طاعته، ففي طريقه إلى القصيم بلغه أن ابن رشيد ارتحل إلى القصيم ماراً بالزلفي، فسار الملك عبدالعزيز من ثادق إلى جلاجل فأقام فيها عشرين يوماً، ثم غادرها على رأس جيشه إلى المجمعة، وهناك اتفق مع أهل المجمعة على التسليم له إذا استولى على القصيم.(٢) وبحسب وضع المجمعة يبدو أن سلطة ابن رشيد فيها ما زالت قوية، وأن معظم أهلها ما زالوا موالين لابن رشيد، إما خوفاً أو طمعاً، ولهذا بقيت المجمعة خارج نفوذ الدولة السعودية.(٣) وحيث إنها لم تقم بأي عمل عدائي ضد الدولة السعودية فقد ترك الملك عبدالعزيز أمر عودتها إلى الحكم السعودي للزمن. ولم يطل هذا الزمن فقد تطورت الأحداث بعد ضم الملك عبدالعزيز القصيم ومقتل عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، حيث تولى إمارة حائل في عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م سلطان بن حمود بن رشيد بعد مؤامرة دبرها للتخلص من الأمير السابق متعب بن عبدالعزيز بن رشيد، ورغم تظاهره بالمسالمة وطلب الصلح من الملك عبدالعزيز، إلا أنه كان يبطن خلاف ذلك، حيث بدأ يعقد تحالفات مع بعض الزعماء، ومع بعض رؤساء القبائل ضد الملك عبدالعزيز الذي كانت كفته هي الراجحة. ودون الدخول في التفاصيل التي لا تدخل في نطاق هذا البحث، وقعت معركة بين رجال الملك عبدالعزيز وجنود بعض زعماء القبائل الموالية لابن رشيد، وخاصة فيصل الدويش بمساعدة من رجال حامية ابن رشيد في المجمعة، وقد انتهت هذه المعركة بانتصار الجيش السعودي. وبذلك انضمت المجمعة نهائياً للدولة

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ١٤٤؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣٥؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، المصدر السابق، ص ٦٠.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣٦.

(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٩.

السعودية في شهر ربيع الأول عام ١٣٢٥هـ/ أبريل ١٩٠٧م.(١)

ضم الزلفي:

تعتبر الزلفي إحدى بلدان سدير حسب التنظيمات الإدارية في عهد الملك عبدالعزيز(٢). ومن خلال الأحداث السابقة تبين رجحان كفة الملك عبدالعزيز حيث كان الموالون للدولة السعودية يتسابقون للدفاع عن بلادهم ضد قوات ابن رشيد. وفي هذا الوقت أراد الملك عبدالعزيز أن يدعم صمودهم فتوجه إلى بلاد سدير في شهر شعبان ١٣٢١هـ، حيث نزل على بلدة جلاجل، ثم ارتحل منها إلى بلدة حرمة. ومن هناك قام عثمان بن محمد بن ناصر من أهل الزلفي مع عدد من الرجال من أهل الرياض وهاجموا محمد ابن راشد آل سلمان أمير الزلفي وقتلوه، ثم أرسلوا إلى الملك عبدالعزيز يستحثونه بسرعة القدوم إليهم، وكان على مشارف الزلفي عندما جاءه الرسول، وكان معه في ذلك الوقت آل سليم زعماء عنيزة وآل أبا الخيل زعماء بريدة الذين قدموا من الكويت ووافوا الملك عبدالعزيز في سدير. وفي أول شهر رمضان عام ١٣٢١هـ/ ديسمبر ١٩٠٣م وصل الملك عبدالعزيز إلى الزلفي. وعندما علم ابن رشيد بوجود زعماء القصيم برفقة الملك عبدالعزيز في الزلفي أراد أن يثبت وجوده وسيطرته على بلاد القصيم فبعث فهيد آل سبهان إلى عنيزة ومعه سبعين رجلاً وطلب منهم الإقامة في قصرها ففعلوا. ولما كان الملك عبدالعزيز يحسب لكل خطوة حسابها، أدرك أن المجابهة مع ابن رشيد في القصيم لم تحن بعد، وأن البقاء في الزلفي غير ممكن بسبب القحط الذي حل بالبلاد في ذلك الوقت، لذلك طلب من زعماء القصيم المرافقين له التوجه إلى الوشم في يوم ٢٥ من شهر رمضان، وعندما وصلوا إلى بلدة القصب طلب منهم التوجه إلى شقراء للإقامة فيها فارتحلوا إلى هناك، بينما عاد الملك عبدالعزيز إلى الرياض.(٣)

---

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٦٩؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢١٥.

(٢) كانت الزلفي تابعة لإمارة سدير حسب التنظيم الإداري الذي كان معمولاً به في عهد الملك عبدالعزيز وقد استمر هذا الوضع حتى عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م؛ حيث قسمت المملكة إلى إمارات ترتبط بوزارة الداخلية؛ وفيها أصبحت الزلفي تابعة لإمارة منطقة الرياض ومازالت. راجع: العتيبي، إبراهيم بن عويض، (١٤١٧هـ)، **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز، ١٣٤٣-١٣٧٣هـ**، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ص ص ١٩٦-٢٠٢؛ أبو العلا، محمود طه، (١٩٧٢م)، **جغرافية شبة جزيرة العرب**، جـ٢، جغرافية المملكة العربية السعودية، مؤسسة سجل العرب، الطبعة الثانية، القاهرة، ص ص ١٥٢-١٥٣.

(٣) آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، المصدر السابق، ص ص ٢٠٧- ٢٠٨.

وهكذا يتضح من هذه العمليات الحربية مقدرة قوات الملك عبدالعزيز من أخذ زمام المبادرة والتغلب على قوات ابن رشيد التي أصابها الوهن وانحطت معنوياتها بسبب الهزائم المتلاحقة التي مُنيت بها في بلاد جنوبي نجد أولاً، ثم في بلاد الوشم وسدير ثانياً. ويبدو أن ابن رشيد اقتنع في النهاية بعدم جدوى مواجهة ابن سعود في مناطق موالية له، لكنه مازال يتحين الفرص لمهاجمة تلك البلدان. أما الملك عبدالعزيز فإنه بعد أن سوى أمور بلاد الوشم وسدير وولى قائده أحمد السديري على إمارة شقراء، عاد إلى الرياض يتابع تحركات ابن رشيد من جهة، ويخطط لعملياته الحربية المستقبلية، التي تدل استراتيجيته الحربية على أنها ستكون في القصيم، من جهة أخرى.

وبذلك يتضح من مجمل حملات الدولة السعودية على بلاد شمال نجد أن ميول أهلها كانت مع الدولة السعودية وأن ما واجهته من مقاومة كان مصدره ولاة ابن رشيد على بعض بلدان هذه الأقاليم. وهذا يبين السر في أن كثيراً من بلاد الوشم وسدير انضمت تلقائياً إلى الدولة السعودية دون أن تحتاج إلى حملات عسكرية مثل أشيقر، وضرما، ومرات، والغاط، وغيرها من البلاد الصغيرة.

ومن جهة أخرى استطاع الملك عبدالعزيز خلال هذا الوقت أن يلقى تأييد معظم القبائل وولاءها في الجنوب والشرق والشمال، مثل عتيبة، والدواسر، وسبيع، والعجمان، وآل مرة، ومطير، ولم يبق خارج الدائرة سوى قبائل قحطان، وحرب، والضفير، وشمر، لكنها جميعاً انضمت إلى الركب بعد ذلك.(1) وهكذا خضعت كل بلاد نجد الوسطى والجنوبية والشمالية، التي تضم أقاليم الرياض، والخرج، الوشم، وسدير، والشعيب، والمحمل، والزلفي إلى الحكم السعودي بزعامة الملك عبدالعزيز ابن عبدالرحمن الفيصل آل سعود بعد ثلاث عشرة سنة من خروج والده الإمام عبدالرحمن الفيصل آخر حكام الدولة السعودية الثانية. وبذلك أصبحت منطقة الرياض، كما كانت في السابق، عصب الدولة السعودية الحديثة التي انطلق منها الملك عبدالعزيز يضم ويوحد بقية بلاد شبه الجزيرة العربية.

وابتداءً من منتصف الثلاثينات من القرن الرابع عشر الهجري/ أوائل القرن العشرين الميلادي تبلورت الخريطة السياسية للدولة السعودية في عهد الملك عبدالعزيز، وقد تم ذلك بعد أن ضم إلى منطقة الرياض أغلب منطقة نجد، وخصوصاً بعد ضمه منطقة القصيم الغنية بمواردها الاقتصادية ونشاطها

---

(1) Lorimer, J.G, (1986), op. cit. p. 1144.

لوريمر النسخة المعربة، ص ١٧٠٠.

التجاري وكثرة سكانها. ورغم أن ابن رشيد ما زال يسيطر على منطقة جبل شمر متخذاً من حائل مقراً له، إلا أن الملك عبدالعزيز أدرك أن الوقت لم يحن بعد للتصدي له مفضلاً التريث وضم مناطق جديدة تزيد من قوة الدولة اقتصادياً واستراتيجياً، المتمثل بمنطقة الأحساء وساحلها الشرقي. وقد تحقق ذلك بالفعل في بداية الأربعينات من القرن نفسه وبالتحديد في عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، وفي عام ١٣٣٨هـ تمكن من استعادة بلاد عسير في جنوب غرب المملكة. وفي عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م تمكن الملك عبدالعزيز من إستعادة جبل شمر، وفي الفترة نفسها بدأ يوجه اهتمامه إلى الحجاز الذي اكتمل ضمه إلى الدولة السعودية في عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م.

ورغم أن عملية ضم البلاد بعضهاإلى بعض وتوحيدها في دولة واحدة احتاجت وقتاً وجهداً طويلاً، إلا أن المحافظة على هذا الكيان، وتعزيز الروابط بين أبنائه، لا يقل عن توحيد البلاد أهمية، بل إنه يعتبر صمام الأمان لبقاء هذه الوحدة عامرة بإذن الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. لقد واجه الملك عبدالعزيز بعض المشكلات الناتجة عن الإرث السياسي والاجتماعي الذي تولد عبر سنوات من الفوضى والإحن، وانعدام الأمن خلال الفترة التي أعقبت سقوط الدولة السعودية الثانية. وقد حدثت بعض هذه المشكلات خلال عملية توحيد البلاد، وبعضها الآخر نشأ بالتدريج حتى تفاقم خطرها فيما بعد. ولخطورة هذه المشكلات من جهة ولحرص الملك عبدالعزيز على تماسك بناء الدولة فقد عالجها بما عرف عنه من حزم وحكمة وروية.

المبحث الرابع

بعض الجوانب الإدارية والحضارية في منطقة الرياض

كانت الأساليب الحضارية الحديثة في منطقة الرياض عند قيام الدولة السعودية المعاصرة تقليدية، بعضها اعتمد على ما تعارف عليه الناس في البلاد، وبعضها كان محاكاة لما هو موجود في البلاد المجاورة على أطراف شبه الجزيرة العربية، مثل بلاد الشام والعراق. وقليل منها أُقتبس من البلاد المجاورة خارج الجزيرة العربية. وتمشياً مع خطة هذا الكتاب سنتناول البدايات الأولى لهذه الجوانب الحضارية خلال فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة من زاوية تاريخية بحتة؛ ليكون توطئة لما سيُبحث بشكل أعمق في الفصول التالية من هذا الكتاب. وسنركز على منطقة الرياض قدر الإمكان، إلا ما كان له ارتباط لا يمكن إيضاحه إلا من خلال التطرق إلى الأساليب الحضارية في الدولة بشكل عام.

الجوانب الإدارية:

لقد ارتبط النظام الإداري في بداية عهد الملك عبدالعزيز بما كان سائداً في عهد الدولة السعودية الأولى والثانية، حيث كان الإمام في الغالب هو رأس السلطة الإدارية، وهو الذي يعين الأمراء في الأقاليم، ويصدر إليهم تعليماته وتوجيهاته مباشرة. وقد استمر هذا النهج في عهد الملك عبدالعزيز حيث ينوب أمراء الأقاليم عن الملك في إدارة أقاليم الدولة، ويعتبر أمير الإقليم ممثلاً شخصياً له، وكان يمارس الصلاحيات المحددة التي تصدر إليه من ولي الأمر، ما عدا أمور الدولة العسكرية والسياسية فيتولى أمورها الملك بنفسه، مما حقق وحدة أقاليم الدولة.(١) وخلال عملية توحيد البلاد التي استمرت حوالي خمساً وعشرين سنة لم يحدث تطور واضح للنظام الإداري بمفهومه الحديث في الدولة السعودية المعاصرة، وخاصة في إقليم نجد، حيث كان الملك عبدالعزيز يتّبع طريقة المجالس المفتوحة للعامة والخاصة، بالإضافة إلى أن تواجده في الرياض كان يساعد على سرعة اتخاذ القرارات الإدارية.(٢)

---

(١) الجهني، عيد مسعود، (١٤٠٤هـ)، **مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية**، دار تهامة، جدة، ص ص ٦١-٦٢.

(٢) الشعيبي، صالح المحمد، (١٤٠٧هـ)، **ملامح السياسة المالية والإدارية في المملكة العربية السعودية**، مكتبة الخريجي، الرياض، ص ٤٧.

وبعد توحيد البلاد وتعديل اسمها إلى المملكة العربية السعودية بموجب مرسوم ملكي بتاريخ ٢١ جماد الأولى عام ١٣٥١هـ/ سبتمبر ١٩٣٢م، وفيه أقرت الأقسام الإدارية التي كان معمولاً بها من قبل. ومن بين عدة أقاليم تشملها المملكة، يُعد إقليم نجد المركز الرئيس للسلطة العليا برئاسة الملك عبدالعزيز وكان يشرف على الأمور الإدارية فيها ولي العهد الأمير سعود بن عبدالعزيز، ومقره في مدينة الرياض، وهو يرتبط مباشرة بالملك، ويرجع إليه جميع أمراء ورؤساء هذا الإقليم.(١)

وقد قسم إقليم نجد إلى عدد من الإمارات الكبير، التي يتبعها عدد من الإمارات الصغيرة. وبالنسبة لإمارة منطقة الرياض كانت تسمى إمارة نجد أو العارض ومقرها الرياض ويتبعها عدد من الإمارات مثل: إمارة الرياض، الحوطة، الحريق، وادي الدواسر، الوشم، سدير، المحمل.(٢)

وتعتبر منطقة الرياض من أهم المناطق الإدارية في المملكة العربية السعودية، حيث كانت نواة الدولة السعودية المعاصرة عند قيامها على يد الملك عبدالعزيز، وفيها عاصمة الدولة، ولذلك سرعان ما تطورت لتشمل عدداً من البلدان التابعة لإمارة هذه المنطقة. ويعتبر أمير المنطقة، وعلى نطاق أدنى أمير المدينة أو القرية، هو الحاكم الإداري، وهو المسؤول الأول عن جميع أمورها الداخلية، وإليه يرجع القاضي والمسؤول المالي، كما كان يشرف على تنفيذ الأحكام الشرعية، وتطبيق الأنظمة والتعليمات التي تصدر إليه من ولي الأمر.(٣)

وأول من تولى إمارة منطقة الرياض من أبناء الملك عبدالعزيز هو صاحب السمو الملكي الأمير ناصر ابن عبدالعزيز، وذلك عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م وكان عمره آنذاك ثمانية عشر عاماً. وقد بذل جهوده لتطوير العمل الإداري في هذه الإمارة من النظام التقليدي القديم إلى الأخذ بالأساليب الحديثة في الإدارة في ذلك الوقت. وكان ذا شخصية قوية تمكن من بسط سلطة الدولة ممثلة في شخصية الأمير مما

---

(١) صحيفة أم القرى، عدد ٤٠٦ تاريخ ٢٢ جماد الأولى ١٣٥١هـ؛ العتيبي، إبراهيم بن عويض الثعلي، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٩٦-٢٠٢؛ أبو العلا، محمود طه، (١٩٧٢م)، مرجع سابق، ص ص ٥١٢-٥١٣.

(٢) ورد ذلك في التقسيمات الإدارة للمملكة بموجب المرسوم الملكي الصادر في ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ/ سبتمبر ١٩٣٢م. راجع: صحيفة أم القرى، العدد ٤٠٦ بتاريخ ١٣٢١هـ.

(٣) صادق، محمد توفيق، (١٣٨٥هـ)، **تطور الحكم والإدارة في المملكة العربية السعودية**، معهد الإدارة العامة، الرياض، ص ٢٤.

أدى إلى بث الأمن في مدينة الرياض وما حولها، وفي جميع البلاد التابعة لإمارة منطقة الرياض. وقد ظل الأمير ناصر بن عبدالعزيز أميراً للرياض حتى عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م.(١)

وفي ١ ربيع الآخر عام ١٣٦٦هـ، ٢٢ فبراير ١٩٤٧م عين الملك عبدالعزيز صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز أميراً لمنطقة الرياض، حيث كان هذا المنصب أول عمل حكومي قام به وكان عمره عشرين سنة. وخلال عمله في الإمارة عمل كل جهده للرفع من مستوى العمل الإداري في إمارة منطقة الرياض، وساهم مع والده في إقامة نظام إداري مبني على العدالة الاجتماعية وتطبيق الشريعة الإسلامية. وقد استمر الأمير سلطان بن عبدالعزيز في عمله حتى عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.(٢)

وبعد الأمير سلطان، وخلال عهد والده، تولى صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز إمارة الرياض عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م، وكان عمره في ذلك الوقت سبعة عشر عاماً. وقد ظل في منصبه هذا حتى عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.(٣)

وفي بداية عهد الملك سعود عين صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أميراً لمنطقة الرياض عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م، خلفاً لأخيه الأمير نايف بن عبدالعزيز، وكان عمره آنذاك تسعة عشر عاماً. وقد استمر أميراً لمنطقة الرياض حتى عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.(٤)

وفي عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م عهد الملك سعود إلى صاحب السمو الملكي الأمير فواز بن عبدالعزيز إمارة منطقة الرياض مدة عام، وخلفه الأمير بدر بن سعود بن عبدالعزيز لمدة عام أيضاً.(٥)

---

(١) انظر: البديوي، محمد منير، (١٣٩٧)، مرجع سابق، ص ٢٨٤؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، **الرياض**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٣٧، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ص٧٩-٨٤، ص ٥٢.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، (١٤١٦هـ)، **سلطان بن عبدالعزيز**، موسسة أعمال الموسوعة، ج ١٣، ص ٥٣؛ الإعلام الداخلي، (١٤٠٩هـ)، **هذه بلادنا**، وزارة الإعلام، المملكة العربية السعودية، الرياض، ص ٤١.

(٣) انظر: البديوي، محمد مني، (١٣٩٧هـ)، مرجع سابق ٢٨٥؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٥٢؛ أمانة مدينة الرياض، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٤) إمارة منطقة الرياض، أوراق خاصة؛ البديوي، محمد منير، (١٣٩٧هـ)، مرجع سابق، ص ٢٨٤؛ الكليب، فهد ابن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٥٢؛ أمانة مدينة الرياض، مرجع سابق، ص ص ٢٨-٢٩؛ صحيفة الندوة، العدد ١٤٩٩ بتاريخ ١٣/ ٧/ ١٣٧٣هـ.

(٥) البديوي، محمد منير، (١٣٩٧هـ)، مرجع سابق، ص ٢٨٤؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ) مرجع سابق ص ٥٢؛ آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف، **آل الشيخ**، الطبعة الثانية، الرياض ص ص ٣١-٣٢؛ المكي، عبدالفتاح حسين، (١٤٠٧هـ)، **تاريخ أمراء البلد الحرام، عبر عصور الإسلام**، مكتبة المعارف، الطائف ص ص ٤٩٣-٤٩٦.

في عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م عاد صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أميراً لمنطقة الرياض للمرة الثانية وما زال يقوم بهذه المهمة حتى الوقت الحاضر. [١]

أمير منطقة الرياض: الأمير سلمان بن عبدالعزيز:

ولد صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز في مدينة الرياض في ٥/ ١٠/ ١٣٥٤هـ الموافق ٣١/ ١٢/ ١٩٣٥م. وتربى في قصر والده في الرياض، وتلقى تعليمه الشرعي على أيدي كبار العلماء والمشايخ، كما زادت حصيلته العلمية والثقافية بالاطلاع في شتى جوانب المعرفة. أما التعليم النظامي فقد تلقاه في مدارس الرياض على يد كبار المعلمين في ذلك الوقت. وقد أهلته تربيته الدينية والعلمية واطلاعه الخاص لأن يكون وجهاً ثقافياً مميزاً، واسع الاطلاع في شؤون السياسة والاتجاهات الدولية. وهو يقرأ كثيراً وله ذاكرة قوية جداً، ويعد حجة في تاريخ المملكة العربية السعودية، ومرجعاً لأسرة آل سعود في شؤونهم كافة.

ولصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض الذي أمضى زهرة شبابه في خدمة هذه المنطقة ودرتها الرياض منذ أكثر من أربعين عاماً له جهود دؤوبة في العمل المخلص لتنمية هذه المنطقة وتطويرها. ليس هذا فحسب بل إن نشاط سموه لم يقتصر على العمل الرسمي بل كان له باع طويل في العمل الإنساني، حيث كانت الرياض مركز نشاط خيري داخلي وخارجي يشرف عليها الأمير سلمان.

والواقع أنه خلال عمله الطويل في إمارة منطقة الرياض - الذي بدأ منذ تعيينه نائباً لأمير منطقة الرياض في ١٢/ ٧/ ١٣٧٣هـ فأميراً لها في ٥/ ٨/ ١٣٧٤هـ حتى الوقت الحاضر، عدا عامي ١٣٨٠ و١٣٨١هـ عندما عين الأمير فواز أميراً لمنطقة الرياض- بذل الأمير سلمان بن عبد العزيز جهوداً متواصلة في سبيل تطوير هذه المنطقة. ومع أن مدينة الرياض حظيت بجهد خاص من الأمير سلمان باعتبارها عاصمة البلاد ومنطلق وحدتها، إلا أنه لم ينس بقية مدن (محافظات ومراكز) منطقة الرياض، حيث كان يتابع تطورها ويقوم بزيارات تفقدية لها بين الحين والآخر حتى أصبحت مدناً عصرية تنعم بكل مظاهر التقدم والحضارة.

أما مدينة الرياض فقد كانت محل اهتمام حكومة هذه البلاد بدءاً بالملك عبد العزيز، ثم أبنائه من

---

(١) إمارة منطقة الرياض، أوراق خاصة.

بعده: الملك سعود، ثم الملك فيصل، ثم الملك خالد يرحمهم الله جميعاً. والآن يتواصل الاهتمام بمدينة الرياض في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يحفظه الله -. وبجانب ذلك كله كانت الرياض في عيني ابنها البار الأمير سلمان بن عبد العزيز يباهي بها أرقى عواصم العالم. ومع أن التطور من السمات الطبيعية لكل البلاد، إلا أن مدينة الرياض سبقت عصرها بسنوات، بل فاق تطورها كل تخيل، حتى أن من رآها قبل بضع سنوات ثم رآها ثانية لا يكاد يعرفها. إن الجيل الحاضر الذي شاهد التطور الذي تعيشه مدينة الرياض في الوقت الحاضر يدرك ما تعنيه هذه السطور، بل يعتقد أن هذه الكلمات لا تفي بحق من سهر الليالي لخدمة هذه المدينة وسكانها. إن ما تحقق لمدينة الرياض كان بفضل الله ثم بجهود مخلصة وصادقة وحثيثة من لدن حكومة خادم الحرمين الشريفين عامة، ومن ابنها البار سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز بخاصة.

لقد واكب اهتمام سموه بمدينة الرياض تطور هذه المدينة على مر السنين. فعندما تم انتقال وزارات الدولة إلى العاصمة الرياض في عهد الملك سعود يرحمه الله، كان الأمير سلمان يدرك ما تعنيه هذه النقلة الكبيرة لمكانة الرياض ولذلك هيأ السبل لتشييد المباني اللازمة لهذه الصروح الإدارية. وعندما تم انتقال السفارات إلى مدينة الرياض كان الأمير سلمان سباقاً للتفاعل مع هذه النقلة النوعية لمدينة الرياض منذ أن فكرت الدولة في هذا الانتقال، حيث خطط لها حيّاً نموذجياً جديداً يحمل نمط البناء المعماري الأصيل النابع من بيئة هذه البلاد حتى أصبح هذا الحي معلماً بارزاً من معالم مدينة الرياض. وعندما ضاقت جامعة الملك سعود بسبب كثرة الطلبة الملتحقين بها، والإقبال عليها جاءت فكرة إنشاء مدينة أكاديمية كبيرة في منطقة مهمة من مدينة الرياض، وكان الأمير سلمان هو الذي حمل هم هذا المشروع العملاق حتى رأى النور خلال بضع سنوات. ولم يقف اهتمام الأمير سلمان عند هذا الحد بل كان له دور رائد في إنشاء المدينة الجامعية لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، منذ كان هذا المشروع فكرة، حيث كان يقوم بنفسه مع بعض المسؤولين بالبحث عن الأرض المناسبة حتى وقع الاختيار على الأرض التي أقيم عليها مشروع المدينة الجامعية الضخم الذي شيد في مدخل إلى مدينة الرياض للقادم عن طريق مطار الملك خالد الدولي. وفي مجال المشروعات الصحية كان الأمير سلمان حريصاً على إقامة المستشفيات، سواء منها التابعة لوزارة الصحة أم التابعة للجهات الحكومية الأخرى، أم متبناة من قبل القطاع الخاص، وقد انتشرت المشروعات الصحية من مستشفيات عامة ومتخصصة ومستوصفات

وغيرها في أنحاء مدينة الرياض.

كان الأمير سلمان ولا يزال يتابع جميع التطورات التي شهدتها مدينة الرياض خلال الأربعين سنة الماضية، ولهذا كان حريصاً على متابعة هذه التطورات عن قرب من خلال ترؤسه للمجالس العليا المهتمة بمنطقة الرياض. فبعد صدور نظام المناطق أصبح الأمير سلمان بن عبد العزيز، بحكم كونه أميراً لمنطقة الرياض رئيساً لمجلس منطقة الرياض الذي يقوم بالتخطيط ومتابعة جميع المشروعات المقترحة على قائمة التنفيذ. وفيما يتعلق بالمصالح الحكومية الخدمية في منطقة الرياض فإن الأمير سلمان يتولى مجالس إداراتها ولجانها العليا، فهو رئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، التي صدر قرار مجلس الوزراء رقم ٧١٧ وتاريخ ٢٩/ ٥/ ١٣٩٤هـ بإنشائها، وفي ٢٠/ ١/ ١٣٩٥هـ حددت قواعد عمل الهيئة وأنيط بها رسم السياسة العليا لتطوير مدينة الرياض، وإقرار برامج الخدمات الحضارية ومتطلبات خطط التنمية لكافة الوزارات والمصالح والمؤسسات العامة والخاصة، وكيفية تنفيذ برامجها. والواقع أن الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض كانت ولا تزال وراء كل المشروعات الحيوية التي أقيمت وتقام في هذه المدينة الكبيرة. كما أنه يرأس مجلس إدارة مصلحة المياه والصرف الصحي بمنطقة الرياض، ويرأس مجلس إدارة مكتبة الملك فهد الوطنية، وهو رئيس مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز، كما أنه الرئيس الأعلى للجنة المنظمة لمعرض المملكة بين الأمس واليوم الذي أقيم في عدد من الدول العربية والأوربية وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وهو الرئيس الشرفي والمؤسس لمركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة، والرئيس الشرفي لمركز الأمير سلمان الاجتماعي.(١)

ولم تقتصر اهتمامات الأمير سلمان على الإشراف على الأعمال الحكومية التي تخص مدينة الرياض، بل إنه يتابع أعمال القطاع الخاص في مدينة الرياض ويشجعها، مثل اهتمامه بمتابعة أعمال الغرفة التجارية والصناعية بالرياض، وتشجيع المصانع الوطنية وتسهيل ما يعترضها من معوقات، وكذلك تذليل المصاعب التي تعترض الشركة الموحدة للكهرباء في المنطقة الوسطى، وغير ذلك من الاهتمامات التي يوليها الأمير سلمان لمنطقة الرياض التي قل أن يستطيع شخص آخر متابعتها.

ومع كل هذه الأعمال والمشاغل لم ينس الأمير سلمان بن عبد العزيز الجوانب الإنسانية، بل أولاها قدراً كبيراً من اهتمامه ومتابعته. ولم يقصر الأمير سلمان نفسه على الاهتمام والمتابعة للأعمال الإنسانية

---

(١) إمارة منطقة الرياض، أوراق خاصة.

في منطقة الرياض، أو في داخل المملكة فحسب، بل كان حريصاً على مدّ يد العون لكل المسلمين الذين هم بحاجة إلى دعم ومساعدة، اقتناعاً ومبادرة منه شخصياً، وتحقيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي الذي نادى به الإسلام، وتتويجاً لسياسة المملكة العربية السعودية منذ عهد مؤسسها الباني الملك عبد العزيز -يرحمه الله- حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ يحفظه الله ـ ولا أعتقد أن أحداً، داخل المملكة أو من رعايا البلدان التي نالها عطف سموه، يجهل مثل هذه الأعمال الخيرية والجهود الموفقة لخدمة أناس صعبت عليهم الحياة أو تسلطت عليهم أياد الكفر والطغيان. ونحن نذكر نماذج منها هنا للتذكير ببعضها دون حصرها. فالأمير سلمان هو رئيس جمعية البر بالرياض التي امتدت يدها لتمسح دمعة الفقير والمحروم، وما زال يوليها اهتمامه، ودعمه المادي والمعنوي، ويتابع استثمار مشروعاتها حتى أصبحت جمعية تكاد تعتمد على نفسها مادياً. وهناك جمعية الأطفال المعاقين التي ولدت وترعرعت بدعم وتشجيع من سموه، وكذلك مركز الأمير سلمان الاجتماعي وغيرها من المشروعات الإنسانية التي تخدم مدينة الرياض خاصة وبلاد منطقة الرياض عامة.

أما المشروعات والمساعدات الإنسانية التي تبناها أو أشرف عليها الأمير سلمان بن عبد العزيز لتقديم العون لمن هم بحاجة إليها في خارج المملكة فأكثر من أن تحصى. ومنذ عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م كان العمل الإنساني يحظى باهتمام سمو الأمير سلمان منذ أكثر من أربعين عاماً، حيث ترأس عدداً من اللجان والهيئات الرسمية والمحلية لجمع التبرعات لمساعدة المحتاجين والمتضررين من السيول والزلازل والكوارث في العالم العربي والإسلامي. ففي عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م رأس لجنة التبرع لمنكوبي السويس، كما ترأس اللجنة الرئيسية لجمع التبرعات للجزائر. وفي عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م ترأس سموه اللجنة الشعبية لمساعدة شهداء ومجاهدي فلسطين، وترأس اللجنة الشعبية لمساعدة أسر شهداء الأردن. وفي عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م رأس اللجنة الشعبية لإغاثة منكوبي الباكستان في أعقاب الحرب بين الهند وباكستان، وفي هذا العام ترأس اللجنة الشعبية لدعم المجهود الحربي في مصر وسوريا في أعقاب اندلاع حرب رمضان عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م بين العرب وإسرائيل.

وفي عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠، ونتيجة للغزو الروسي الغاشم على دولة أفغانستان، وما نتج عنه من المحنة التي لحقت بشعب أفغانستان المسلم مما أدى إلى سقوط آلاف القتلى والجرحى، وتشريد آلاف السكان من قراهم، وما خلفته هذه الحرب الجائرة من آلاف اليتامى والأرامل، فقد ترأس سمو الأمير

سلمان الهيئة العامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان . وقد بادر سموه منذ الوهلة الأولى لمسح دمعة اليتامى وتضميد جراح الثكلى، وعلاج الجرحى من خلال المساعدات النقدية والعينية، وكان يتابع أحوالهم من خلال مكتب رعاية المجاهدين الأفغان، كما سهل مهمة مكتب الهيئة بالرياض . وفي عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ترأس سموه اللجنة المحلية لجمع التبرعات لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . ونتيجة لغزو العراق للكويت عام ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م وما سببه ذلك الغزو من نزوح أعداد كبيرة من أفراد الشعب الكويتي وغيرهم إلى المملكة تكونت لجنة برئاسة الأمير سلمان بن عبد العزيز لتقديم العون والمساعدة للكويتيين الذين قدموا إلى المملكة . وفي عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م رأس سموه اللجنة المحلية لتلقي التبرعات للمتضررين من الفيضانات في بنجلادش . وفي عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ترأس سموه الهيئة العليا لجمع التبرعات لمتضرري الزلزال الذي وقع في مصر في ذلك العام . كما كان له جهود في مساعدة المتضررين من الجفاف في الصومال، وقد ترأس سموه لجنة التبرعات للصومال .

ومن الأعمال الإنسانية الكبيرة الملموسة التي أشرف عليها الأمير سلمان في السنوات الأخيرة جهوده الخاصة لمساعدة شعب جمهورية البوسنة والهرسك الذي عانى من المحنة التي تعرض لها على يد القوات الصربية منذ عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م . وقد تشكلت في هذا العام عدة لجان في مختلف مدن المملكة تشرف عليها جميعاً اللجنة العليا لمساعدة شعب البوسنة والهرسك التي يرأسها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز . ولم يكتف سموه بعمل اللجنة العليا في الرياض بل أمر بإنشاء لجنة فرعية في الميدان هناك في البوسنة حتى قبل أن تتوقف المعارك، وذلك حرصاً على تتبع حاجات الناس عن قرب، وتوزيع المساعدات على المسلمين البوسنيين الذين تضرروا وتهدمت منازلهم من جرّاء العدوان الصربي الغاشم عليهم . وبعد إحلال السلام في البوسنة بادر سموه بدعم إعمار البلاد من بناء المساجد والمدارس والمنشآت الحضارية والمدنية، والطرقات والبيوت ومساعدة السكان، مما كان محل تقدير السكان عامة وحكومة البوسنة بشكل خاص مما دعاها إلى منح سموه أعلى وسام في البلاد . وما زالت هذه اللجنة تقوم بعملها على خير ما يرام بفضل جهود الرجال المخلصين . ولا شك أن عمله هذا في مجال المساعدات الإنسانية يعتبر دعماً لقضايا العالم الإسلامي ومناصرة المسلمين في كل مكان .

وفي خضم هذه الأعمال الإنسانية الجليلة لا يمكن أن ننسى إشراف سمو الأمير سلمان المباشر ودعمه ورعايته لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية المنبثقة عن رابطة العالم الإسلامي، وفروعها المتعددة في

بعض مدن المملكة ومنها مدينة الرياض .

وبعد فهذه لمحة موجزة عن أعمال سمو الأمير سلمان أمير منطقة الرياض الرسمية والوطنية والإنسانية الداخلية والخارجية سجلناها هنا لتكون مدخلاً لما سيأتي من مباحث مفصلة في الفصول القادمة عما تم في منطقة الرياض من مشروعات حيوية تخدم سكان منطقة الرياض في الحاضر والمستقبل .

فئات السكان وحياتهم الاجتماعية :

والواقع أن تطور الأساليب الحضارية في أي مجتمع ينبع من طبيعة ذلك المجتمع ، ومن هنا فإن التركيبة السكانية والاقتصادية في منطقة الرياض هي جزء لا يتجزأ من طبيعة المجتمع في بلاد نجد التي تشمل امتداداً جغرافياً يمتد من الربع الخالي جنوباً إلى حدود العراق وبلاد الشام شمالاً ، ومن الأحساء شرقاً إلى الحجاز وعسير غرباً .[١] وفي بلدان تحفها الصحراء من جوانبها المختلفة مثل بلاد منطقة الرياض ، نجد التركيبة الاجتماعية للسكان يحكمها التكوين الاقتصادي لبلاد نجد في تلك الفترة ، الذي يقاس عادة بحجم الأراضي التي تخص تلك المجتمعات السكانية سواء الحاضرة أم البادية . ولا شك أن الحياة الاقتصادية للسكان تتأثر بمدى ما يملكه أهل الحاضرة من أراض زراعية ، وما يستوطنه البدو من أراض برية حيث يربون ما بحوزتهم من الماشية التي تربى في المنازل والمزارع مثل الأبقار والخيول ، أو التي تربى في البراري مثل الأغنام والإبل .[٢]

وتبعاً للوضع الاقتصادي لبلاد نجد انقسم السكان في منطقة الرياض إلى عدة أقسام : فهناك فئة البدو الرحل ، الذين يمتهنون حرفة الرعي أغلب العام ، وهناك فئة شبه الرعاة ، وهم الذين يمتهنون الرعي ثم يتحولون إلى جني المحاصيل عند نضجها ، وهناك فئة الحضر الذين يعيشون في القرى وأكثرهم يمتهنون حرفة الزراعة ، والفئة الرابعة هم فئة الحضر الذين يعيشون في المدن وأغلبهم يمتهنون التجارة والحرف اليدوية . أما عدد السكان في منطقة الرياض في بداية عهد الملك عبدالعزيز فلم يكن من السهل تحديده بدقة نظراً لغياب المعلومات الإحصائية الرسمية أو شبه الرسمية . وليس من السهل كذلك تحديده

---

(١) أبو علية ، عبدالفتاح حسن ، (١٣٩٦هـ) ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

(2) Bertram, Thomas, (1932), Arabia Felix, Across the Empty Quarter, of Arabia, Charles Scribneis Sons, New York, p. 267.

بالتقريب بسبب صعوبة تحديد العوامل التي يمكن أن تتخذ كوسائل لمعرفة عدد السكان. وأمام هذا الواقع كان الاعتماد على وسائل أخرى لمعرفة عدد السكان بالتقريب وهو ما توفر لدينا. وأقرب هذه الوسائل إلى التناول، أو لعلها الوحيدة في تلك الفترة المبكرة من عمر الدولة السعودية المعاصرة، هي البحث في مصادر الرحالة، أومصادر الدول الأجنبية، مع الاعتراف سلفاً بأنها قد لا تكون دقيقة بالقدر الذي يستطيع الباحث أن يبني عليها حقائق تاريخية أو اقتصادية أو غيرها، لكنها تساعد على وصف حالة السكان كدراسة تاريخية. وقد قدرت المصادر البريطانية عدد السكان في بلاد نجد في عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٤م، بحوالي مليون نسمة، وأنّ ثلاثين بالمائة منهم كانوا يسكنون منطقة القصيم، إلا أن تلك المصادر لم تحدد سكان منطقة الرياض.[١] كما أفادت تلك المصادر أن نسبة البدو في بلاد نجد عالية، وهذا لا يبعد عن الحقيقة، حيث من الواضح أن البدو يشكلون نسبة أكثر من الحضر في المجتمع النجدي في تلك الفترة المبكرة من عهد الدولة السعودية المعاصرة، وقد تصل نسبتهم إلى الثلثين، لكن هذه الأعداد وكذلك النسب غير ثابتة. وفي دراسة للأوضاع الاجتماعية في نجد، ذكر ضابط عثماني رافق الجيش العثماني خلال تواجده في بلاد نجد في الفترة بين عامي ١٣٢٠-١٣٢٢هـ/ ١٩٠٥-١٩٠٦م، قدر عدد السكان في بعض بلاد منطقة الرياض من بدو وحضر، كما يلي: في بلاد الوشم خمسة وعشرين ألفاً، وفي بلاد سدير عشرين ألفاً، وفي العارض خمسين ألفاً، وفي الخرج سبعة آلاف، وفي الفرع تسعة آلاف، وفي الأفلاج ووادي الدواسر قدر عددهم باثنين وثلاثين ألف نسمة.[٢] وفي مقال نشرته جريدة أم القرى عن موضوع الهجر ذكرت أن ثلث القبائل النجدية تركت الحياة البدوية وانتقلت إلى الحياة الحضرية بفضل الله ثم بفضل المشروع الكبير الذي قام به الملك عبدالعزيز لتوطين البادية في الثلاثينات من القرن الرابع عشر الهجري، كما سيأتي تفصيله.[٣] ومهما كان عدد السكان، ومهما

---

(١) أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤ عن:

India Office, No. T 21489. India Government General Staff, Military Report on Arabia, p. 70.

(٢) صابان، سهيل، (١٤١٧هـ)، دراسة لكتاب عثماني (تركي) عن الأوضاع الاجتماعية في نجد، **مجلة مكتبة الملك فهد**، المجلد الثاني، العدد الثاني، ص ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) هيئة التحرير، الهجر في جزيرة العرب، مئتا مدينة ودسكرة حديثة: طريقة جلالة الملك في تحضير القبائل وتخطيط الهجر، **أم القرى**، (السنة الخامسة، العدد ٢١٨، الجمعة ٢٠ رمضان ١٣٤٧هـ/ ١ مارس ١٩٢٩م) مكة المكرمة. وانظر عن السكان في المملكة في ذلك الوقت وكذلك توطين البادية: الشامخ، أحمد عبدالرحمن، (١٤٠١هـ)، =

بلغت نسبة البدو بينهم، إلا أنه من المؤكد أن هذه النسبة تختلف من منطقة إلى أخرى مما يوحي بأن منطقة الرياض، قد تكون أكثر سكاناً، ونسبة الحضر بينهم أكثر من نسبة البدو نظراً لكبر مساحة المنطقة من جهة، ولتعدد المدن والقرى فيها من جهة أخرى. (١)

التوطين وتنمية المجتمع:

فيما يتعلق بتنمية المجتمع كان الملك عبدالعزيز حريصاً، في كل حركاته وسكناته، على بناء الجبهة الداخلية بناء متماسكاً، وتأصيل مبدأ التعاون والتكامل بين بلاده المترامية الأطراف. ولم يفت على الملك عبدالعزيز أن ذلك التكامل يعتمد بالدرجة الأولى على ترابط المجتمع بكل فئاته، والعمل على نشر الوعي والمعرفة بين أفراده، ومن هنا جاءت أهداف بناء الهجر لأبناء البادية وربطهم بالأرض والولاء لله ثم للوطن، بدلاً من حياة التنقل والترحال. والواقع أن فكرة مشروع الملك عبدالعزيز لتوطين البادية الذي أطلق عليه اسم الهجر، نسبة إلى تلك المجمعات السكنية التي أنشئت خصيصاً لسكان البادية لكي يجتمعوا فيها، تعود إلى الوقت الذي بدأ فيه توحيد البلاد السعودية، خاصة أن نسبة كبيرة من المجتمع في بداية عهد الدولة السعودية الحديثة هم من البادية، وأن نسبة كبيرة من جيشه في ذلك الوقت هم من رجال البادية الذين أطلق عليهم فيما بعد الإخوان (٢) (أخو من طاع الله).

= **توطين البدو في المملكة العربية السعودية** "الهجر"، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، ص ص ١٠-١٤. وعن فئات السكان في تلك الفترة وأحوالهم انظر: أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤ عن:

Guarmani, Carlo, (1904), **Northern Najd**, Translated from the Italian by Lady Capel Curo, London, p.xxxiii.

(١) لمزيد من التفصيل عن سكان منطقة الرياض، يرجى الرجوع إلى الفصل الأول من الجزء الخامس من هذا الكتاب.

(٢) عبارة الإخوان بمعناها العام جاءت من الأخوة في الله التي ربطت بين أفراد الجماعة الإسلامية الأولى التي قامت على يد الرسول صلى الله عليه وسلم متمثلة قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ حيث أقامت مجتمعاً أخوياً إسلامياً. وفي العصر الحديث عرف هذا اللفظ في بلاد نجد منذ عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان يطلق على طلاب العلم والمرتبطين به، وكذلك المتحمسين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان هذا اللقب منتشراً بين الحاضرة ثم صار يرتبط لفظه ويدل على أهل البادية الذين استوطنوا الهجر التي أقامها الملك عبدالعزيز، خاصة بعد=

والواقع أن هناك عدداً من العوامل التي ساعدت على نجاح مشروع الملك عبدالعزيز لتوطين البادية ونقله من حيز الفكرة إلى واقع ملموس تمثل في الهجر التي انتشرت في أماكن متعددة في منطقة نجد، ومنها عدد كبير في منطقة الرياض. ومن تلك العوامل حرص البدو واندفاعهم إلى تحقيق ما يعتقدون أنه نافع، وكذلك الحماسة الدينية الذي تميز به سكان تلك الهجر. وإضافة إلى ذلك، كان وجود العلماء والمرشدين بين ظهراني سكان تلك الهجر تشجيعاً معنوياً لهم وحافزاً لغيرهم لكي ينضمّوا إليهم. ومن العوامل التي ساعدت على نجاح المشروع الأعطيات التي كان يبذلها الملك عبدالعزيز لأفراد تلك القبائل، من الأموال والحبوب والبن والشاي وغيرها، وكذلك التسهيلات اللازمة للزراعة من البذور والأغراس. ثم إن توزيع الأراضي المجاورة للهجر مجاناً على البدو القادمين حديثاً إلى الهجر جعلهم يعيشون مطمئنين. ولا شك أن هذه العوامل كانت مشجعة على الاستقرار والاستغناء عن حياة التنقل، وممارسة مهنة الزراعة في تلك الهجر. وقد لاقت هذه التسهيلات هوى في نفوس هذه الفئة من السكان ففضلوها على حياة الترحال طلباً للعشب. وكانت الخطوة التالية للملك عبدالعزيز هي إقناع رؤساء القبائل بالقدوم إلى الرياض وأخذ العلم الشرعي في مساجدها على يد العلماء، ثم يرجع هؤلاء إلى قومهم أكثر حماسةً للاستقرار. وقد رافق كل تلك العوامل رغبة شديدة من الملك عبدالعزيز شخصياً في إنجاح مشروع التوطين بكل الوسائل حتى إنه كان يشرف على تنفيذ خطوات هذا المشروع بنفسه. وكان

= أن اهتم الملك عبدالعزيز بتعليمهم علوم الدين، وبعد أن أصبحت الهجر تضم أفراداً من قبائل شتى يجمع بينهم الحرص على تعلم الدين وتعليمه فتحمسوا لذلك وأسموا أنفسهم الإخوان إشارة إلى رباط الأخوة الدينية الذي يجمعهم. انظر مزيداً من التفاصيل عن موضوع الإخوان ونشاطاتهم في: الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ص ٢٥٨-٢٦٦؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص ٢٥٩-٢٦١؛ وهبه، حافظ، (١٣٨٧هـ)، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص ص ٢٨٩-٣٠٨؛ آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٥٩-٢٦١؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٢١١-٢١٢، ٢٨٣-٢٨٤؛ وانظر كذلك؛ أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٦هـ)، **الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ١٤٢، ١٥٥-١٦٤؛ وليمز، كنث، (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م)، مصدر سابق، ص ص ١٧٣-٢٠٤. وانظر كذلك:

Philby, J., (October 1926), The Triumph of the Wahhabis, Journal of Central Asian Society, vol. xiii, part iv, pp. 260-262, 299-301.

يعتقد أن مستقبل الجزيرة العربية يتوقف على نجاح المشروع، لأن البلاد ستستفيد من الأعداد الكبيرة الهائلة من أولئك الرحل في النهضة التي بدأت تتضح معالمها شيئاً فشيئاً.(١) ومما يؤكد ما كان يخطط له الملك عبدالعزيز في مجال التنمية البشرية ونقل المجتمع السعودي بجميع فئاته إلى مرحلة العلم والتطور الحضاري بما يتمشى مع العقيدة الإسلامية أنه كان يرى التدرج في تنفيذ سياساته الداخلية ولم يكن يتعجل الأمور. يقول أمين الريحاني بعد أن تحدث عن مزايا الهجر "قلت مرة لعظمة السلطان: وستكون الهجرة الثانية من الجهل إلى العلم إن شاء الله، فتؤسس المدارس ويتعلم الإخوان شيئاً من العلوم التي من شأنها أن تحسن الصناعة والتجارة والزراعة في البلاد، فأجاب عظمته: كل شيء يجيء في وقته".(٢) وبالفعل فإنه مع الوقت اندمج جميع فئات السكان في حياة مستقرة وأصبح الكثير منهم أصحاب مهن، وموظفين في الدولة، وعمالاً في الشركات مثل شركة أرامكو للتنقيب عن البترول التي استقطبت مئات العمال من أبناء تلك الفئة. ومع هذا الإقبال منهم على الأعمال المدنية إلا أنهم كانوا يعزفون عن بعض الحرف اليدوية مثل الحدادة والنجارة والقصابة والحلاقة والخياطة وغيرها.(٣) والواقع أنه ليس البدو وحدهم الذين يعزفون عن مثل هذه الحرف بل إن كثيراً من الحضر لا يمتهنونها. وعلى كل فإن البدو والحضر لديهم حرفهم الخاصة بهم التي أهمها الزراعة والتجارة لدى الحضر، والرعي لدى البادية.

وتذكر أغلب المصادر التاريخية أن أول هجرة أقيمت في هذا المشروع، وفي منطقة الرياض هي هجرة الأرطاوية عام ١٣٣٠هـ الموافق ١٩١٢م.(٤) وما هي إلا بضع سنوات حتى انتشرت الهجر في أنحاء البلاد حتى وصل عددها في عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م إلى مائة واثنتين وعشرين هجرة.(٥) بل إن

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن هذه العوامل راجع: أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٦هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٤٣-١٤٥.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ٢٦٣.

(٣) الشامخ، أحمد عبدالرحمن، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ١٢.

(٤) هجرة الأرطاوية تابعة لقبيلة مطير، وهي تقع إلى الشمال من المجمعة وإلى الشمال الشرقي من الزلفي على بعد ما يقرب من ستين كيلو متراً منهما. وقد سميت بهذا الاسم لأن الأرطا، الشجر المعروف الذي ترعى الإبل أهدابه ويستفاد منه حطباً، ويكثر في جوارها. انظر: آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د. ت.)، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٢١؛ وهبه، حافظ، (١٣٨٧هـ)، مصدر سابق، ص ٢٨٩.

(٥) هيئة التحرير، الجمعية العمومية في نجد، **أم القرى**، (السنة الخامسة، العدد ٢٠٨، ٦ رجب ١٣٤٧هـ،) مكة المكرمة. ولمعرفة تاريخ إنشاء الهجر، وقائمة بأسمائها، وأمرائها، وقبائلها، وما تستطيع كل هجرة أن تشارك به في=

بعض المصادر والمراجع تذكر أن عدد الهجر خلال الفترة بين ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م حتى عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م بلغ مئتي هجرة، أصغرها يتجاوز عدد سكانها ألفي نسمه.[(١)] ويمكن الجمع بين اختلاف الرقمين بنظرة أصحاب تلك المصادر إلى المعايير التي بنوا عليها تقدير العدد، فبعضهم يقصر العدد على الهجر الكبيرة ذات العدد الكبير من السكان، بينما يدخل بعضهم في هذا العدد أي هجرة حتى ولو كانت مزرعة، أو هجرة لم تسكن، أو قليلة العدد، وربما اعتمدت بعض هذه المصادر في تحديد العدد على ما اشتهر من تلك الهجر، أو كان لها دور في إمداد الدولة بالرجال وقت الحرب، أو غيرها من العوامل. وعلى كل حال فإن هذه الهجر سرعان ما أصبحت حواضر لأهل البادية الذين لم يستقروا بعد يجدون فيها كل ما كان ينقصهم من كسب العيش. وإدراكاً من الملك عبدالعزيز لأهمية العلم في حياة الشعوب وسبيلاً لتقدمها حرص على إقامة حلقات العلم في تلك الهجر وندب العلماء إليها في أوقات معينة في السنة لتعليم أبناء البادية الذين استقروا في تلك الهجر أحكام الدين ومبادئ القراءة والكتابة التي كانت تحظى بإقبال من أهل الحاضرة في تلك الفترة. وقد كان اهتمام الملك عبدالعزيز بالعلم والثقافة من الأمور التي كانت تلازمه حتى في فترة كفاحه لتوحيد البلاد، وقد ظهر ذلك من خلال حرصه على نشر الكتب الدينية ودعم العلماء والمدارس وتخصيصه فترات من يومه للاستماع إلى أشخاص يقرؤون عليه في كثير من الكتب الشرعية والتاريخية وغيرها ويحضر أحياناً حلقات الذكر والعلم. وقد كان لمنطقة الرياض نصيب وافر من تلك الهجر حيث إن أول هجرتين بنيتا في هذه المنطقة هما هجرة الأرطاوية قرب الزلفي، وهجرة الغطغط؛ حيث تعتبران أهم الهجر لقدمهما وكثرة سكانهما.

= جيش الدولة راجع: الزامل، عبد الله العلي، (١٣٩٢هـ)، **أصدق البنود في تاريخ آل سعود**، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت، ص ص ١٢٠ - ١٢٨؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ص ٤٥٤-٤٥٦؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص ٢٦٥-٢٦٨؛ وهبه، حافظ، مصدر سابق، ص ٢٨٩؛ أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٦هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٤٦-١٤٧، ٢٦٧-٢٧٢. وانظر كذلك: درويش، مديحة، (١٤٠٠هـ)، **تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين**، ص ١٥٦-١٦٠؛ البديوي، محمد منير، (١٣٩٧م)، مرجع سابق، ص ٢٦٧.

(١) هيئة التحرير، الهجر في جزيرة العرب، مئتا مدينة ودسكرة حديثة؛ طريقة جلالة الملك في تحضير القبائل وتخطيط الهجر، **أم القرى**، (السنة الخامسة، العدد ٢١٨، الجمعة ٢٠ رمضان ١٣٤٧هـ/ ١ مارس ١٩٢٩م) مكة المكرمة؛ الشامخ، أحمد عبدالرحمن، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ١٣.

استتباب الأمن:

الأمن من المطالب الضرورية لكل المجتمعات الإنسانية؛ ليستقيم نظامها السياسي والاجتماعي، وتستطيع بالتالي مواكبة تطور الحياة بكل أبعادها. وإذا كان هذا عاماً في كل المجتمعات، فإنه يضاف إليه في البلاد السعودية الضرورة الدينية، المتمثلة بنشر الشريعة، والعمل بحدودها، وحماية الضرورات الخمس (الدين والعقل والنفس والعرض والمال).

والواقع أن مجتمع شبه الجزيرة العربية كانت تغلب عليه قسوة الصحراء، وشظف العيش؛ ولذلك كان الأمن في هذه البلاد، قبل حكم الملك عبدالعزيز، مضطرباً، وكانت وسيلة أهله للعيش تقوم على السلب والنهب، والإغارة على القبائل الأخرى؛ وقد انعكس ذلك على حالة الأمن التي بلغت درجات عالية من الانفلات. كان المسافرون لا يستطيعون أن ينتقلوا من مكان إلى آخر دون أن يحتموا بصاحب نفوذ، أو يدفعوا «الخوة» إلى رئيس كل قبيلة يمرون في ديارها.

وعندما أراد الله الخير لهذه البلاد، استعاد الملك عبد العزيز الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، مبتدئاً مهمة جليلة، هي إعادة توحيد البلاد على أسس من العدل، والأمن؛ كما كانت في عهد آبائه وأجداده. ورغم انشغاله بعملية توحيد البلاد، إلا أنه جعل جل همه منصباً على إيجاد السبل التي تقضي على حالة عدم الأمن، وإلى رفع المعاناة التي يتعرض لها المسافرون وإلى دفع القلاقل والقضاء على الاضطراب الناتج عن انعدام الأمن. ومن يعرف واقع البلاد قبل العهد السعودي يدرك أن تحقيق الأمن يعتبر ضرباً من الخيال، لكن الملك عبدالعزيز جعل الخيال حقيقة. وللحق نقول إنه لم ينجح في مسعاه بالسهولة التي يعتقدها البعيدون عن واقع المجتمع، بل كان الحزم، وإقامة حدود الشريعة بكل أوامرها، ونواهيها هو العامل الحاسم في نجاح الملك عبد العزيز[(١)] لقد وفق الله الملك عبد العزيز؛ لأنه لم يتهاون أو يتوانى في تطبيق الأحكام الشرعية بحق المجرمين، وقطاع الطريق، الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فساداً. لقد أعلنها الملك عبدالعزيز صريحة أن «دستور دولته هو كتاب الله وسنة نبيه، ولن يحيد عنهما قيد أنملة، وسوف يضرب بيد من حديد، وبلا رحمة، ولا شفقة على كل من تسول له نفسه العبث بالأمن، أو محاولة تعكير صفوة»[(٢)].

---

(١) قزاز، حسن عبد الحي، (١٤١١هـ)، **الأمن الذي نعيشه، ج١**، الطبعة الثانية، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ص٣٣٦، ٣٣٧.

(٢) جمعة، رابح لطفي، (١٤٠٢هـ)، **حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز**، دارة الملك عبدالعزيز الرياض، ص٥٣.

لقد نجحت خطة الملك عبدالعزيز في تحقيق الأمن، وإقامة العدل بين الناس؛ لأنه يطبق حكماً ربانياً. وإذا كان العدل أساس الملك، فإن الأمن أول مظهر من مظاهر العدل. يقول أمين الريحاني: «إن الأمن في نجد لا يحتاج إلى إثبات... إن له أكبر دليل، وأقطع حجة في أهل البلاد أنفسهم، المسافرين من قطر إلى قطر، وفي القوافل التي تسير أربعين يوماً في ملك ابن سعود من طرف إلى طرف، من القطيف مثلاً إلى أبها، أو من وادي الدواسر إلى وادي السرحان، دون أن يتعرض لها أحد من البدو أو الحضر، دون أن تسأل من أين وإلى أين»[١]. ويقول أمين محمد سعيد: «وقد تم للملك عبد العزيز -بفضل الله، ثم بسياسة الحزم، والعزم، والشدة التي يسير عليها في إدارة بلاده الواسعة- إقرار الأمن على منوال غير معروف في أعظم البلاد رقياً وحضارة، فاطمأن الناس على أرواحهم، وأموالهم، في غدوهم، ورواحهم حتى ندر وقوع الحوادث العادية؛ والفضل في ذلك يعود إلى يقظته وأخذه بالشدة المجرمين، وقاطعي الطريق، والعابثين بالأمن فلا يرحمهم، ولا يشفق عليهم، ولا تنفع عنده فيهم شفاعة»[٢].

لقد وصف عدد من معاصري الملك عبد العزيز حالة الأمن قبل عهده مقارنة بما أصبحت عليه في ظل حكمه. يقول الكاتب الألماني ليوبولدايس عن حالة الأمن التي استتبت في عهده: بدأ ابن سعود عمله في التشديد على توطيد الأمن العام في بلاده، ومن قبله كانت شبه جزيرة العرب كلها شبكة من اللصوص، وكانت قبائل البدو يشن بعضها الغارة على بعض، وتنهب القوافل؛ وكانت الطرق غير آمنة. فلما جاء ابن سعود منع البدو أن يتقاتلوا فيما بينهم، وأمر بأن تحل الخلافات بين القبائل بقضائه، أو قضاء أمرائه فيها، وجعل المجرمين يشعرون بأن نصوص الشريعة شديدة على مثل هؤلاء؛ غير أنه لم يلبث أن أيقن أن الإكراه وحده لا يكفي، فشرع يبث في نفوس شعبه أخلاق الإسلام وفضائله، وبعث بالمعلمين، والوعاظ إلى مختلف القبائل ليعلموا البدو القراءة والكتابة، ويحثونهم على التمسك بالدين، وآدابه في عزم وإخلاص، وكانت ثمرة ذلك صغيرة في السنوات الأولى، ولكنها تمت تدريجياً، وأينعت وآتت أكلها»[٣]. ويصف ديجوري حالة الأمن في المملكة بقوله: «إنها ليست مبالغة

---

(١) الريحاني، أمين، (د.ت)، مصدر سابق، ص٥٥٨.

(٢) سعيد، أمين محمد، (١٣٥٢هـ)، **ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم**، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ص١٢٣.

(٣) الغلامي، عبدالملك، (١٤٠٠هـ)، مصدر سابق، ص ص ٢٠٨، ٢٠٩.

أن تقول إن الأمن في المملكة العربية السعودية ربما يكون الأفضل في العالم قاطبة، وبكل تأكيد فإنه بدون مقارنة أفضل من الأمن الموجود في عدد من الدول الغربية في فترة السلم. ويروى أن القافلة ربما يسقط منها كيس من القهوة في وسط الصحراء، وأن صاحبها عندما يعود بعد بضعة أشهر سيجدها دون أن يمسها أحد من البدو العابرين»[(١)].

هذه أمثلة لما كان عليه واقع الأمن في البلاد قبل حكم الملك عبدالعزيز، وما أصبحت عليه في خلال فترة حكمه بفضل الله، ثم بجهوده المتواصلة لحفظ الأمن في جميع أنحاء البلاد حتى أصبح مثار إعجاب القاصي والداني. لقد تغير الحال في عهده فتبدل الخوف بالأمن، وأخذ قطاع الطريق بالشدة والحزم، ومن أساليبه في تحقيق الأمن أنه اعتبر القبائل المقيمة على الطرق مسؤولة عن الجرائم التي تقع في أراضيها، وأنزل بالسارقين عقوبة قطع اليد، فلم يمض غير قليل حتى ساد الأمن واستقرت الطمأنينة في تلك الربوع[(٢)].

هذا هو أساس سياسة الملك عبدالعزيز في جميع أجزاء بلاده، ومنها منطقة الرياض، لقد كانت هذه المنطقة تضم بلاداً متعددة يقطنها الحضر من السكان، كما تضم قبائل مستوطنة، وقبائل رحل، كما أن هناك فئات من أهل البادية استوطنوا الهجر التي أقامها الملك عبدالعزيز في أنحاء متفرقة من البلاد بلغت أكثر من مئة وعشرين هجرة. وإذا كان الأمن في المدن والقرى الكبيرة يسهل تحقيقه بالحزم والشدة؛ وإن الوصول إلى مزعزعي الأمن سهل بحكم تواجدهم في البلاد، فإن تعقب أهل البادية في صحاريهم أكثر تعقيداً. وبفضل سياسته النيرة، وأفكاره الطموحة أدرك أن بعث الدعاة، والمرشدين، والمعلمين إلى سكان الهجر يحقق أكثر من هدف:

الأول: تحقيق طموحات سكان الهجر في التعليم، والثقافة، والفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية، وتطبيق واجباتهم الدينية على الوجه الصحيح[(٣)].

الثاني: تمكين الدولة من تحقيق سياساتها في حث هؤلاء السكان على الاستقرار، والتخلي عن عادة

---

(1) De Gaury Gerald A, (1943), Saudi Arabian Note Book, Cairo, P. 18.

(٢) الغلامي، عبدالملك، (١٤٠٠هـ)، مصدر سابق، ص٢١١؛ وانظر مجموعة من الإجراءات التي قام بها الملك عبدالعزيز للقضاء على الجريمة وإحلال الأمن في ربوع المملكة بصفة عامة، وأمن الحج والحجاج بصفة خاصة: الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ). مصدر سابق، ج٢، ص٤٥٠.

(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ج٢، ص٣٣١.

التنقل، وتربية المواشي؛ وهي وسائل يتم من خلالها تحقيق الأمن؛ ذلك الهدف الاستراتيجي للملك عبدالعزيز. وقد قامت الدولة من جانبها بعدد من الإجراءات التي تحقق هذين الهدفين، منها: تحضير البدو، وتوفير آلات الزراعة لهم، وحفر الآبار الارتوازية، وتزويدهم بالطعام الضروري عند الحاجة، وتسجيل القبائل وفروعها في سجلات خاصة، وربط أفراد كل قبيلة بشيخها واعتباره مسؤولاً عن سلامة قبيلته وتصرفات أفرادها[١]. وقد نجحت هذه الفكرة إلى درجات عالية، وتحقق ما يتمناه الملك عبدالعزيز في قيام مجتمع مترابط، متمسك بالعقيدة الإسلامية. وحيث إن عدداً كبيراً من الهجر تقع في منطقة الرياض، فقد تحقق الأمن في ربوع هذه المنطقة منذ وقت مبكر من عمر الدولة السعودية المعاصرة.

أما التشكيلات الإدارية المتعلقة بالأمن في منطقة الرياض فلم تكن موجودة في الفترة الأولى من تاريخ الدولة السعودية المعاصرة. ورغم تأسيس مديرية الشرطة العامة في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ أواخر عام ١٩٢٥م، التي سميت فيما بعد مديرية الأمن العام، إلا أن عملها كان مقصوراً على الأمور الأمنية في مكة المكرمة، وخاصة في موسم الحج[٢]. وفي ٣ صفر عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، صدر أمر الملك عبدالعزيز إلى نائبه في الحجاز، الأمير فيصل، بتوحيد جميع إدارات الشرطة في المملكة ووضعها تحت رئاسة واحدة يكون مقرها مكة المكرمة[٣]. وفي ٢٩ ربيع الأول عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، صدر نظام الأمن العام؛ الذي تضمن تحديداً واضحاً لتنظيم الإدارات التابعة لها، وأقسامها، وواجباتها، وتشكيلات الأمن العام في بعض المدن، ومنها الرياض، ترتبط كلها بمديرية الأمن العام من الناحية النظامية[٤].

أما وزارة الداخلية فقد أنشئت عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٠، لكنها دمجت، بعد ثلاث سنوات من إنشائها، في ديوان مجلس الوكلاء، ولم تعد هيئة مستقلة إلا في عام ١٣٧٠هـ[٥] وقد أصبحت منذ ذلك الوقت

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤٥٠.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤٥٤-٤٥٥، الغلامي، عبدالملك، (١٤٠٠هـ)، مصدر سابق، ص ص ٢١٣-٢١٤.

(٣) الأحيدب، عبدالعزيز بن محمد، (١٣٩٧هـ)، **ظاهرة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز**، مطابع الإشعاع، الرياض، ص١٤٠.

(٤) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ) مصدر سابق، ج٢، ص٤٥٥؛ الأحيدب، عبدالعزيز بن محمد، (١٣٩٧هـ)، مرجع سابق، ص١٤١.

(٥) للمزيد من المعلومات عن التنظيمات الأمنية راجع: العتيبي، إبراهيم بن عويض الثعلي (١٤١٧هـ)، مرجع سابق ص ٤٣٠.

الجهة المسؤولة عن جميع ما يتعلق بالأمن الداخلي؛ ومنها: الأمن العام، وسلاح الحدود، وخفر السواحل، ومصلحة المطافئ، وغيرها من الأجهزة التي تهتم بالشؤون الداخلية.

وهكذا يتضح أن الأمن، بكل أبعاده، كان محل اهتمام الملك عبدالعزيز منذ وقت مبكر من عمر الدولة السعودية المعاصرة، وقد تطور مفهوم الأمن، وازدادت مسؤولياته مع التطور الذي شهدته المملكة في مختلف المجالات حتى الوقت الحاضر.

النظام المعماري:

ومن المجالات التي تشهد على التطور الحضاري في بداية عهد الملك عبدالعزيز مجال البناء والعمران. والواقع أن أساليب البناء في بداية عهد الدولة السعودية المعاصرة وما قبله كانت مأخوذة من البيئة المحلية، كما أن مؤونة البناء تعتمد كلياً على المواد الموجودة في التربة، وأهمها الطين، ولم يكن أهل البلاد يعتمدون على المواد المصنوعة خارج بلادهم. وتكاد أنماط البناء في بلاد منطقة الرياض، وفي عموم بلاد نجد تتشابه بحيث يصعب تمييز أنماط البناء في بلد عن الآخر في منطقة الرياض أو في بقية مناطق نجد. ففي بلاد منطقة الرياض خلال بداية عهد الدولة السعودية المعاصرة وحتى الستينات والسبعينات من القرن الرابع عشر الهجري، كان البناء تقليدياً وتغلب عليه البساطة. وكانت طريقة البناء لا تسير على نظام موحد، فالبيوت متلاصقة ومتجاورة، لكن طريقة بنائها واتجاهاتها تتم حسب ظروف العوامل المناخية واتجاهات الرياح والشمس. وتكثر في المدن الشوارع الضيقة والأزقة المتعرجة بحيث لا يتسع أغلبها إلا للسير على الأقدام، أو الدواب، كما أن كثيراً من تلك الشوارع في بلاد منطقة الرياض مسقوفة بحيث لا ينفذ إليها النور أو تنتشر فيها أشعة الشمس.

أما مؤونة البناء فكانت محلية صرفة حيث لا يستعمل فيها غير الطين واللبن المخلوط بالتبن لكي يتماسك عند نزول الأمطار، ولم تكن تستعمل الحجارة في البناء إلا نادراً وفي أساس البناء غالباً. وكانت الأبواب تصنع محلياً حيث تُعمل الأبواب الصغيرة والمتوسطة من خشب الأثل، بينما تعمل الأبواب الكبيرة والبوابات من جذوع النخل. أما أبواب الحصون والقصور فتلبّس عادة بالحديد وتبنى أساساتها من الحجارة. وكانت البيوت تضم عدداً من الحجرات بحسب الحالة الاجتماعية والمالية لصاحب المنزل، وتبنى غالباً من طابقين، طابق أرضي يحتوي على قاعة كبيرة للضيوف تسمى ديوانية وهي المكان المعد لاستقبال الضيوف، وكان الناس يعتنون بتزيينه حيث يُطلى داخله بالجص ويُنقش عليه أشكال من الدوائر أو المربعات أو المثلثات، كما أن سقف الديوانية يُصبغ بالألوان اللامعة السوداء أو

الحمراء أو بهما معاً، أما المكان المعد للضيوف في الدور الثاني فيسمى الروشن. ولا تستخدم النوافذ المطلة على الخارج ما عدا واحدة تكون أعلى مدخل البيت وفيها ثقوب يستطيع صاحب البيت معرفة الطارق قبل أن يفتح له، وتسمى طرمة أو طارمة أو منظرة حسب ما كانت تعرف به في كل بلد. كما كان البيت يحوي حوشاً للماشية التي قل أن يخلو منها بيت، وأكثر ما كان يقتنى منها البقر والغنم.[(١)]

ومن النماذج التاريخية للبناء في منطقة الرياض قصر المصمك، وقصر الحكم وقصر المربع، والسور المحيط بالرياض، وهو مبني من الطين واللبن أقامه الملك عبدالعزيز بعد استعادته الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م. ويوجد في سور الرياض أبواب من جهات مختلفة، ويسمي أهل الرياض الباب دروازة. فمن جهة الشرق هناك باب الثميري نسبة إلى رجل من أهل حريملاء قتل عند هذا الباب عند قيام الدولة السعودية الأولى، وفي نفس الجهة يوجد كذلك باب القري نسبة إلى قري هناك يستقى منه الماء. ومن جهة الشمال هناك باب آل سويلم وهو منسوب إلى هذه الأسرة المعروفة، وهي من أشهر أسر الرياض، حيث كانت تسكن بجوار هذا الباب. ومن الجهة الجنوبية هناك باب دخنة لمجاورته لبئر تعرف بهذا الاسم كان يجلب منها ماء الشرب لأهل الرياض. وفي الجهة الغربية هناك باب المذبح، وقد عرف بهذا الاسم لأن الجزارين يذبحون المواشي خارجه ثم تنقل للبيع في داخل الرياض. وفي الجهة الجنوبية الغربية هناك باب الشميسي نسبة إلى محلة تقع خارج المدينة.[(٢)] وفي بلاد الخرج وتحديداً في بلدة السيح يوجد معلم بارز من معالم الخرج وهو قصر الملك عبدالعزيز الذي تم بناؤه في عام ١٣٥٩هـ/

---

(١) الجاسر، حمد (١٣٨٦م)، مرجع سابق، ص ص١١٧-١١٩؛ إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، مرجع سابق، ص ص ٥٦-٥٧؛ الوشمي، أحمد بن مساعد، (د.ت.)، **الرياض مدينة وسكاناً، كيف كانت وكيف عاشوا**، مطابع الحرس الوطني، الرياض، ص ص ٢٧-٣٠. وقد تختلف طريقة البناء وتخطيط البيت، وما تحتويه غرفة الضيوف من بلد إلى آخر في منطقة الرياض. ولمزيد من المعلومات عن طريقة بناء البيوت وصور عن بعض المباني في تلك البلاد انظر: الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ص١٨١-١٨٧؛ العمار، محمد ابن إبراهيم بن عبدالله، (١٤٠٨هـ)، **شقراء**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ١٧، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ص ٩٣-١٠٢؛ القباني، محمد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، **ضرما**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٣٨، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض ص ص١٤٥-١٥٢.

(٢) انظر عن سور وبوابات الرياض القديمة مع صور لها: الجاسر، حمد (١٣٨٦)، مرجع سابق، ص ص ١٢٠-١٢١؛ الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص ٢٠٧-٢١٤؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ١٠٣- ١٠٤؛ الوشمي، أحمد بن مساعد، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص ١٣-١٤؛ إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، مرجع سابق، ص٥٦.

١٩٤٩م وهو يتكون من خمس وحدات متماثلة من حيث التصميم ومواد البناء وعدد الطوابق. وهناك قصر أبو جفان الذي يقع شمال شرق الخرج ويبعد عنها حوالي ٨٠ كيلاً، وقد بني في عهد الملك عبدالعزيز عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م. وهناك قصر الإمام تركي بن عبدالله في ضرما. وهناك قصر سويّد ابن علي وكذلك بقايا مبنى الإمارة في عهد الإمام فيصل بن تركي في جلاجل.(١)

ولا شك أن التطور العمراني وطريقة البناء وتصميمه قد أخذ يحل تدريجياً محل الأنماط القديمة في بلاد منطقة الرياض. وسنركز على إيراد بعض ملامح التطور في مدينة الرياض كنموذج للتطور العمراني في البلاد الأخرى في منطقة الرياض مع الأخذ في الاعتبار فارق المكانة والإمكانات. فمنذ منتصف القرن الرابع عشر الهجري أخذت مدينة الرياض في التطور العمراني والاتساع المكاني حتى اختلفت عن الرياض القديمة التي لم يبق منها إلا آثارها. لقد ازداد عدد السكان في مدينة الرياض تدريجياً حتى إنه في آخر عهد الملك عبدالعزيز بدأ العمران خارج أسوار الرياض القديمة ثم توسع في جميع اتجاهاتها شرقاً وغرباً ثم شمالاً.

ومن المظاهر الجديدة في ذلك الوقت بناء قصر المربع في الجهة الشمالية من الرياض، وقد أطلق عليه هذا الاسم لإحاطته بأبراج مربعة، وهو مبني من الطين واللبن حيث اتخذه الملك عبدالعزيز عام ١٣٥٨هـ سكناً له. أما القصر القديم، الذي سمي فيما بعد قصر الحكم، فقد بقي لاستقبال الضيوف.(٢) أما خدم الملك عبدالعزيز فقد كان لهم محلة خاصة في الجهة الشرقية من المدينة تعرف باسم حلة الأحرار. وبجوارها من جهة الشمال والشرق محلة أغلب سكانها من أهل القصيم ولذلك أصبحت تدعى حلة القصمان(٣). ونتيجة للتوسع الذي شهدته الرياض، وبناء محلات خارجه، أزيل سور الرياض في عام

(١) انظر وصفاً وصوراً لهذه القصور وغيرها كنماذج من البناء في بلاد منطقة الرياض في: الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ص ٥٦-٥٩؛ الأحيدب، إبراهيم بن سليمان، (١٤٠٩هـ)، **جلاجل**، سلسلة هذه بلادنا، رقم٢١، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ص ١٠٠-١٠٢؛ القباني، محمد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ص ٦٢-٦٣.

(٢) بُني قصر المربع في عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، أما قصر الحكم فقد أسسه الإمام تركي بن عبدالله حيث سكن فيه، ثم سكنه بعده ابنه الإمام فيصل بن تركي، وبعد استعادة الرياض سكن فيه الملك عبدالعزيز بعد توسعته وإدخال بعض الإصلاحات فيه. وللمزيد من المعلومات عن قصر المربع وقصر الحكم ووصفهما وصورهما انظر: الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٠٠-١٠١.

(٣) عن أسماء أحياء الرياض القديمة راجع: الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ص ٨٥-٨٧.

١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م فدخلت هذه المدينة منذ ذلك الحين في طور جديد، وبدأت في الاتساع، ثم انفتح باب التطور العمراني في الرياض حيث كثرت فيها القصور المشيدة المجهزة بالآلات الكهربائية، وزاد سكانها، فأعيد تخطيطها حتى أصبحت تشمل مساحة واسعة من الأرض، كما دخلتها وسائل الحضارة الحديثة حيث أقيمت فيها الحدائق، وحلقة لسباق الخيل، وملاعب لكرة القدم، واستاد رياضي. أما التنظيم الإداري المنوط به خدمة هذه المدينة فقد تم في عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م عندما تأسست إدارة بلدية الرياض للعناية بتنظيم المدينة وخدمات النظافة العامة والخدمات البلدية الأخرى. وفي عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م حصلت نقلة نوعية في مدينة الرياض وخاصة تطوير مهام بلدية الرياض عندما تولى إدارتها الأمير فهد الفيصل حيث أصبح من مهام البلدية تطوير المدينة في مختلف الجوانب العمرانية والتطويرية. ولمزيد من التنظيم والاستفادة من خبرات الشخصيات المدنية والأهلية في مدينة الرياض أنشئ مجلس بلدي يشرف على مشروعات المدينة وإصلاحاتها.(١)

وسائل الخدمات الحديثة:

أما التطور في الوسائل الحديثة لخدمة السكان مثل الكهرباء، ووسائل الاتصال، وجلب المياه إلى المنازل، والعناية الصحية، والطرق المعبدة في بلاد منطقة الرياض فلم تكن معروفة في بداية عهد الدولة السعودية الحديثة. وبعد استكمال توحيد البلاد وتلاحم أبنائها، بدأ الملك عبدالعزيز يبذل جهوده في سبيل الإعمار والأخذ بالأساليب الحديثة في جميع مناحي الحياة بما يخدم البلاد وأهلها ولا يتعارض مع الشريعة الإسلامية. وقد تحقق في عهده الشيء الكثير، وما بقي أو استجد قام أبناؤه من بعده باستكماله على تلك الأسس حتى الوقت الحاضر.

لم تكن الكهرباء معروفة في بلاد نجد حتى وقت متأخر من القرن الرابع عشر الهجري. وكان الناس يستخدمون في الإنارة الوسائل البدائية، حيث كانوا قبل استخدام مشتقات البترول التي تأتي من الخارج يستخدمون دهن المواشي في إناء صغير من الصفيح يبرز منه فتيل من قماش يشعل بالنار. وبعد استيراد الكيروسين بدأ استخدامه للإنارة في السراج، الذي كان يسمى في بعض بلاد منطقة الرياض سراج أبو دنان، ثم استخدم السراج المعروف الآن، بالإضافة إلى الأتاريك التي توقد بالكيروسين وتضغط

(١) عن البلدية وتطورها انظر: الجاسر، حمد (١٣٨٦)، مرجع سابق، ص ص ١١٦، ١٢٠-١٢٣؛ الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ٢٠٥؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ص ٢٩٩-٣٠١؛ إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، المرجع السابق، ص ٥٨.

بالهـواء، وهي أكثـر إضـاءة من السـراج. وفي فتـرة لاحـقـة تم توزيع الإضـاءة على الطرق والمداخل والشوارع الرئيسية والأحياء الهامة، وكان يقوم بالإشراف عليها موظفون مختصون لمراقبتها وتزويدها بالوقود. وكانت الإضاءة في الشوارع مقصورة على منطقة قصر الحكم، وشارع الثميري، وكانت الإضاءة تبدأ قبيل صلاة المغرب حتى الصباح الباكر. وقد بقيت منطقة الرياض على هذا الوضع حتى أواخر عهد الملك عبدالعزيز عندما بدأت جهود الدولة لإيصال الخدمات العصرية إلى البلاد، وخاصة في مدينة الرياض باعتبارها عاصمة الدولة. وعندما أنشئت محطات الكهرباء كانت صغيرة الحجم قليلة الأحمال وقد استخدمت في أول الأمر للإضاءة فقط، حيث أنشئت في مدينة الرياض في أواخر عهد الملك عبدالعزيز محطة الشميسي لإنارة القصور والمباني الحكومية وبعض المنازل، ثم تطورت خدمة الكهرباء فأسست شركة كهرباء الرياض وضواحيها عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، ثم أنشئت شركة مساهمة لإقامة محطة كهربائية سميت شركة الكهرباء الوطنية وذلك عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.[١]

أما المياه فكانت تجلب إما من آبار داخل المنازل، أو من آبار عامة ومزارع خارج البيوت. ومن أشهر الآبار في ذلك الوقت بئر الثميري، وبئر المريقب، وبئر في حلة القصمان، وبئر في بيت الطبيشي. وكانت المياه تسحب بواسطة الدلو الذي يملأ أقل من الصفيحة ويجلب بواسطة الأيدي، أو بواسطة الدواب (السواني). كما وجد في ذلك الوقت السقا الذي يحمل المياه على الدواب ويبيعها على الأهالي بأجرة زهيدة. ولتبريد الماء للشرب كانت القرب المصنوعة من جلد الأغنام هي المستخدمة في معظم بلاد منطقة الرياض، وفي بعض البلاد يستخدم الزير للتبريد وهو مصنوع من الفخار.[٢] ومع التطور الذي شهدته البلاد السعودية في مختلف المجالات، كان نصيب الماء فيها وافراً. ففي عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م تم إيصال المياه إلى مدينة الرياض من مناطق خارج البلد، حيث أصبحت تتغذى على المياه المجلوبة من وادي العرض (الباطن) ومن السويدي، ثم من الحاير، هذا بالإضافة إلى حفر الآبار المتعددة التي تعمل عليها مضخات يتدفق منها الماء بكميات كبيرة تفي بحاجة السكان الذين تزايد عددهم مع مرور الوقت.[٣]

---

(١) انظر عن الإنارة والكهرباء في مدينة الرياض: الجاسر، حمد (١٣٨٦)، مرجع سابق، ص ص ١٢٥-١٢٦؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٢) العمار، محمد بن إبراهيم بن عبدالله، (١٤٠٨هـ)، مرجع سابق، ص ص ٩٧-٩٨.

(٣) انظر عن المياه في مدينة الرياض في الماضي والحاضر: الجاسر، حمد (١٣٨٦)، مرجع سابق، ص ص ١٢٤-١٢٥؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ص ٢٦٩-٢٧٣.

ولم تكن وسائل الاتصال معروفة في منطقة الرياض، لكن وسائل الاستماع عبر الراديو من محطات خارجية كانت تعرف على نطاق ضيق. ففي مدينة الرياض كان لدى الملك عبدالعزيز موظفين يلتقطون الأخبار العربية والدولية من الراديو أو من اللاسلكي (المبرقات) وينقلونها إليه، لكي يكون على صلة بما يجري في المنطقة العربية، أو العالم من أحداث سياسية، أو حربية، وكان يعقّب عليها تعقيباً موجزاً، مما يدل على بعد نظره حيث كان يتابع أخبار العالم أولاً بأول. (١)

أما الخدمات الصحية في منطقة الرياض في بداية عهد الدولة السعودية المعاصرة فكانت متواضعة، وكانت الأمراض المعدية تفتك بالناس مثل الجدري، والحصبة، والطاعون، والملاريا، والسل، والالتهابات المعوية والرئوية، والسعال الديكي، حيث كان لكل مرض اسم يعرف به محلياً، وكان من طرق الوقاية عندهم عزل المريض عن الأصحاء. أما العلاج فكانوا يستشفون بالقرآن الكريم، والأدعية النبوية، كما كانوا يستخدمون الكي والحجامة والفصد، وكثير منهم يعتمد على ما يسمى بالطب الشعبي وهو التداوي بالأعشاب والنباتات مثل الكبريت والحبة السوداء والصبر، والحلتيت، والمر، والشيح، والكحل. أما الكسور فكان هناك أناس متخصصون في تجبير الكسور. (٢) وبالإضافة إلى الطب الشعبي كان يوجد على نطاق ضيق، بعض الأطباء الذين يحملون الشهادات الطبية الحديثة. ففي عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م قدم إلى بلاد نجد الطبيب الأمريكي لويس ديم بناء على دعوة من الملك عبدالعزيز، حيث عالج بعض المرضى في بعض المدن، وقام بإجراء بعض العمليات الجراحية في كل من الرياض وشقراء وغيرها. كما أن بعض الأطباء الأجانب يقومون برحلات عبر الجزيرة العربية ويقيمون في المدن بعض الوقت، وهناك بعض الأطباء الذين يأتون لأعمال أخرى ويمتهنون الطب. وبعد استقرار الدولة اهتم الملك عبدالعزيز بالجوانب الصحية في البلاد، حيث بذل جهوداً كبيرة للأخذ بالأساليب الحضارية النافعة. وكان أول عمل قام به في هذا المجال إنشاء مصلحة الصحة العامة في عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، واستقدم الأطباء المهرة، كما أمر بجلب أمصال التطعيم ضد الأمراض، وأدخل خدمة المشافي المتنقلة. وفي الرياض أسس مستوصفاً لمعالجة الأمراض وصرف الأدوية بالمجان. وفي عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩هـ

---

(١) العقاد، عباس محمود، (١٤ صفر ١٣٦٥هـ/ ١٨ يناير ١٩٤٦م)، مصدر سابق، ص ٤.

(٢) انظر عن التداوي والأمراض في منطقة الرياض في بداية عهد الدولة السعودية المعاصرة: الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ١١١؛ القباني، محمد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ص ٨٥-٨٨.

أنشئ أول مستوصف في مدينة الرياض في محلة القري[١]، وبعد ذلك أنشئت مستشفيات أخرى، تبعاً لحاجة السكان وازدياد عددهم، مثل المستشفى العسكري، ومستشفى الشميسي الذي سمي فيما بعد المستشفى المركزي، ومستشفى الملك عبدالعزيز الذي كان يسمى مستشفى طلال. كما افتتحت بعض المستوصفات في مختلف بلاد منطقة الرياض.[٢]

وفي مجال المواصلات والنقل كانت الدواب هي وسيلة النقل داخل البلدان أو بينها، وبعد مضي فترة من حكم الملك عبدالعزيز بدأ استخدام السيارات. وخصص عدد منها صمم تصميماً خاصاً لنقل الطرود والبريد. أما الطرق فلم تكن معبدة. وضمن اهتمام الدولة في مختلف المجالات شهدت المواصلات نقلة نوعية بشق الطرق المعبدة التي تصل مناطق المملكة المترامية الأطراف، كان نصيب منطقة الرياض وافراً بسبب موقعها المتوسط في المملكة، كما ربطت بلدان منطقة الرياض مع بعضها بالطرق المعبدة. وفي داخل العاصمة الرياض تم تعبيد الطرق والشوارع ومنها الطريق الذي يربط المطار بوسط البلد بعد أن كان مرصوفاً بالحجارة، وكذلك بعض الشوارع المهمة. كما استفادت منطقة الرياض من وسائل النقل البحرية نظراً لقربها من المنطقة الشرقية حيث توجد الموانئ على الساحل الشرقي للمملكة. وفي مجال النقل والمواصلات الجوية، أنشئ مطار الرياض لخدمة المسافرين من بلاد منطقة الرياض كافة. كما تم تشييد الخط الحديدي الذي يربط بين الرياض والمنطقة الشرقية، حيث افتتح الملك عبدالعزيز هذا الخط في عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م.

العناية بالتعليم والمكتبات:

حرص الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ منذ دخوله الرياض على الاهتمام بالعلم والعلماء. والواقع

---

(١) ذكر فلبي هذا المستوصف، وذكر أنه بدأ العمل عام ١٩٢٩م، وكان يديره الطبيب أحمد يس، ويساعده الصيدلي الطبيب نديم، كما ذكر إحصائيات عن عدد المرضى، وعن الأمراض التي تعالج، راجع:

Philby, H., (1946), **A Pilgrim In Arabia,** Robert Hale Limited, London, P115.

(٢) انظر عن الطب والتطبيب في مدينة الرياض وفي غيرها من بلاد منطقة الرياض: السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ص ٨٢-٨٣؛ الوشمي، أحمد بن مساعد، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص ١٢٥-١٢٨؛ إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، مرجع سابق، ص ٢٠٦. وانظر عن التطور الحديث في المجالات الصحية في مدينة الرياض: الجاسر، حمد (١٣٨٦)، مرجع سابق، ص ١٢٦؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ص ٢١٧-٢٣٤.

أن اهتمامه بالعلم نابع من حرصه الشخصي واهتمامه به، حيث كان له مجالس علم يلتقي فيها بالعلماء. ومن عاداته بعد العشاء أنه يجلس كل ليلة للاستماع إلى أجزاء من كتب التفسير والحديث أو كتب الأدب والتاريخ. ومع ذلك فإنه يعترف بأنه لم يكن ضليعاً في المسائل الفقهية الدقيقة، حيث يقول: "إن الغزوات والحروب لم تدع لي وقتاً للتبحر في العلوم". ومن جهة أخرى، كان الملك عبدالعزيز متحدثاً طلقاً يتحدث بغير تكلف، وكانت أحاديثه تدور غالباً حول الذكريات التاريخية والمواعظ الدينية والتعقيب على الحوادث المهمة، والمسائل العالمية، وكان دائماً يستشهد بالآيات القرآنية، ويروي الأحاديث النبوية، وفي بعض الأحيان يروي الأبيات من الشعر.(١)

وإذا كان هذا حال الملك عبدالعزيز في حبه للعلم فإن له جهوداً أخرى في مجال تشجيع العلم والتعليم كما هي سنة أسلافه من آل سعود الذين كانوا يغدقون على طلبة العلم كثيراً من الفضل، فيقررون لهم من المرتبات الشهرية ما يقوم بحاجتهم ليتفرغوا لتحصيل العلم، ولذلك كان طلاب العلم يأتون إلى الرياض من جميع أنحاء المملكة لطلب العلم ثم يعودون إلى بلادهم، حتى إنه قلّ أن يوجد في بلاد نجد عالم أو قاض لم يتلق العلم في الرياض على يد علمائها من آل الشيخ وغيرهم.(٢)

كان التعليم الديني، في تلك الفترة المبكرة من عمر الدولة السعودية المعاصرة، وحتى ضم الحجاز، هو الغالب على ثقافة الناس من الحاضرة في بلاد منطقة الرياض كافة من حفظ القرآن الكريم وتعلمه، وتعلم العلوم الشرعية مثل التفسير، والحديث، والفقه، والفرائض، وكذلك دراسة ما يخدم العلوم الشرعية مثل اللغة العربية، والأدب، والنحو. وكان يطلق على من يتولى التعليم من العلماء في كل قرية تقريباً من بلاد نجد المطوع، وبالإضافة إلى التعليم كان المطوع يقوم بالإمامة والخطابة. وعندما يتعلم الطالب القراءة والكتابة يسافر إلى المدن الكبيرة مثل الرياض لمتابعة التحصيل العلمي على أيدي مجموعة من العلماء المشهورين. وكان الطلاب يهتمون، بالإضافة إلى العلوم الشرعية بدراسة التاريخ.(٣) وبذلك يمكن القول أن التعليم في ذلك الوقت يتم عبر ثلاث مراحل هي: الكتاتيب، وحلقات المساجد، والرحلات لطلب العلم. وكان أكثرها انتشاراً مرحلة الكتاتيب حيث توجد في كل البلاد في المدن والقرى. وكانت الدراسة في هذه الكتاتيب تتم عادة في حُجُرات داخل المسجد أو

---

(١) العقاد، عباس محمود، (١٤ صفر ١٣٦٥هـ/ ١٨ يناير ١٩٤٦م)، مصدر سابق، ص ص ٤، ١٣.

(٢) الجاسر، حمد (١٣٨٦)، مرجع سابق، ص ١٢٧.

(٣) صابان، سهيل، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ص ١٧٥.

ملاصقة له، وتبدأ الدراسة عادة عند شروق الشمس حتى الضحى، ثم يعود الطلاب للدراسة بعد صلاة الظهر إلى العصر، حيث يدرس الأولاد الصغار مبادئ القراءة والكتابة. ومما يلاحظ على هذه الكتاتيب أن الإقبال عليها لم يكن كبيراً، ولذلك فإن عدد الطلاب الذين ينتظمون فيها محدود، ومن ينتظم منهم لا يستطيع أن يكمل دراسته بسبب حاجة الأب لأبنائه في أعماله لكسب العيش، وخاصة الزراعة. ولهذا السبب فإن عدد الملمين بالقراءة والكتابة من الحضر قليل جداً، أما البدو فإن نسبة الذين يقرؤون أو يكتبون أقل من ذلك بكثير، أما تعليمهم على يد العلماء الذين كان يبعثهم الملك عبدالعزيز إلى هجرهم فكان يتركز على تلقينهم العلوم الشرعية اللازمة لهم.[١] أما التعليم في حلقات المساجد فيكثر في المدن وعلى أيدي نخبة من العلماء والمشائخ، حيث يوجد في كل مسجد حلقة أو أكثر لتعليم العلوم الشرعية واللغة العربية.

وقد برز في كل مدينة وقرية في منطقة الرياض عدد من العلماء المبرزين. ففي الرياض كان التعليم يتم في مسجد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف حيث يوجد فيه خمس حلقات في أوقات مختلفة، وفي المسجد الجامع الكبير، وفي مسجد النعيمي، وفي مسجد ابن شلوان، ثم انتقل التعليم إلى حجرات بجانب المساجد. ومع مرور الوقت استمر الاهتمام بالتعليم الشرعي من جانب الدولة والحرص من جانب الأهالي. أما الرحلات العلمية فكانت مقصورة على عدد محدود من الطلاب القادرين مادياً، والمبرزين علمياً من بين طلاب الحلقات.

أما التعليم الحديث الذي يجمع بين التعليم الشرعي ودراسة العلوم الحديثة، الطبيعية والنظرية، فقد بدأ أولاً على أيدي بعض المهتمين والمثقفين من أهل بلاد منطقة الرياض وغيرها من بلاد نجد الذين سافروا إلى البلاد المجاورة في الحجاز والشام حيث تعلموا هناك العلوم الحديثة، ثم عادوا إلى بلادهم وعملوا على افتتاح بعض المدارس الخاصة والأهلية، على نطاق ضيق، حيث كان لها أثر في نشر التعليم في تلك المرحلة. أما على النطاق الرسمي فقد بدأ التعليم النظامي يدخل إلى البلاد مع فتح المدارس الحكومية. ومما يلاحظ أن التعليم الرسمي ظل فترة طويلة أقرب في منهجه إلى الكتاتيب، التي تعتمد على طريقة الحفظ خاصة القرآن الكريم والعلوم الشرعية الأخرى. كما تدرس فيها بعض العلوم الحديثة مثل الحساب. وقد استفادت منطقة الرياض كغيرها من مناطق المملكة من هذه الخدمات، وخاصة بعد تأسيس مديرية المعارف عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م إذ أنشئت أول مدرسة نظامية في عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٠م

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

عندما أمر الملك عبدالعزيز بفتح مدرسة بجوار قصر الحكم (في الديرة) سميت مدرسة الأبناء، يدرس فيها الأمراء وأتباعهم، وبعض أبناء الموظفين في القصر. واقتداء بوالده افتتح الأمير سعود (الملك فيما بعد) مدرسة لأبنائه في عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٩م سميت مدرسة الأنجال.[(١)] وفي عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م أسس الأمير منصور بن عبدالعزيز مدرسة عامة في المربع. وفي عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م أسست مدرسة الأيتام، ثم ضمت بعد سنة واحدة إلى المدرسة التي أسسها الأمير منصور. وبعد ذلك توالى فتح المدارس الابتدائية حيث افتتحت المدرسة التذكارية (الأهلية) عام ١٣٦٧هـ، والمدرسة العزيزية بالظهيرة عام ١٣٦٨هـ، والمدرسة الفيصلية في الشميسي عام ١٣٦٩هـ، والمدرسة السعودية بالمربع عام ١٣٧٠هـ، والمدرسة المحمدية بدخنة عام ١٣٧٠هـ.[(٢)] وفي عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م افتتحت أول مدرسة ثانوية في مدينة الرياض. وبعد ذلك توالى إنشاء المدارس النظامية الحكومية في مدينة الرياض وفي غيرها من مدن منطقة الرياض. ومن اهتمام الملك عبدالعزيز بالتعليم عامة وحرصه على نشر العلم الشرعي بخاصة، تم إنشاء المعهد العلمي بالرياض في عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م؛ حيث أوكل مهمة الإشراف عليه إلى الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي البلاد السعودية، وبعد ذلك افتتحت معاهد مماثلة له في المملكة.

وقد نالت البلاد الأخرى في منطقة الرياض نصيبها من التعليم الحكومي، ففي عام ١٣٦٠هـ / ١٩٤٠م افتتحت في شقراء أول مدرسة ابتدائية هي مدرسة أبو بكر الصديق، وفي الخرج افتتحت أول مدرسة حكومية نظامية عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٢م. وفي الزلفي افتتحت أول مدرسة ابتدائية في عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م. وفي كل من الدوادمي وجلاجل افتتحت أول مدرسة ابتدائية في عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م. وفي كل من روضة سدير والأفلاج افتتحت أول مدرسة ابتدائية في عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م،

---

(١) يذكر آل الشيخ أن تاريخ افتتاح الملك عبدالعزيز لأول مدرسة كان عام ١٣٥٤هـ، وقد تولى إدارتها الشيخ أحمد العربي حتى عام ١٣٥٦هـ، ثم جاء بعده الشيخ عبدالله خياط الذي استمر حتى عام ١٣٧٣هـ. أما مدرسة الأنجال فقد تولى إدارتها الشيخ عبدالله بن حسين بن غانم حتى عام ١٣٦٣هـ حيث تولى بعده الشيخ عثمان الصالح. وفي عام ١٣٧٣هـ ضمت المدرستان في مدرسة واحدة سميت معهد العاصمة النموذجي. انظر: آل الشيخ، عبدالعزيز بن حسن، (١٤١٢هـ)، **لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية**، مكتبة العبيكان، الرياض، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) راجع: الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٩٧.

ثم تتابع إنشاء المداس في كل بلد من بلاد منطقة الرياض بعد ذلك.(١)

أما التعليم الجامعي في منطقة الرياض فقد بدأت بوادره في وقت متأخر نسبياً، بل في السنة التي توفي فيها الملك عبدالعزيز، وقد اقتصر ولا يزال على مدينة الرياض نظراً لقرب بلدان منطقة الرياض من مدينة الرياض، أو من المناطق الأخرى المجاورة التي يوجد فيها تعليم جامعي مثل القصيم. وقد كان نواة التعليم الجامعي في مدينة الرياض كلية الشريعة التي افتتحت للدارسة في عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، وكلية اللغة العربية التي افتتحت في عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م، وبعد ذلك أصبحت هاتان الكليتان والمعاهد العلمية تضمها هيئة مستقلة تسمى الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية؛ وهي نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وفي عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م أنشئت جامعة الملك سعود، وتوالى بعد ذلك إنشاء الكليات المدنية والعسكرية والتقنية وغيرها، كما سيأتي تفصيله في الجزء السابع.

أما المكتبات في منطقة الرياض في بداية عهد الدولة السعودية المعاصرة فكان أغلبها مكتبات خاصة. ويأتي في طليعة هذه المكتبات، المكتبة الخاصة بالملك عبدالعزيز، والموجودة في قصر الحكم، التي تضم نوادر المخطوطات التي ورثها الملك عبدالعزيز عن آبائه، إضافة إلى ما يصل إليه عن طريق

---

(١) عن بدايات التعليم في المساجد والكتاتيب، وكذلك بداية التعليم الحكومي في بلاد منطقة الرياض راجع: آل الشيخ، عبدالعزيز بن حسن، (١٤١٢هـ)، ص ص ١٠٠-١٠٣؛ السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٧٣؛ الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ٧٩؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٦٣-٢١٦؛ الشهيل، عبدالله بن محمد، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ٢٠٠، ٢٣٨-٢٤٣؛ الوشمي، أحمد بن مساعد، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص ٧١-٧٢؛ الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ص١٠٣-١١٥؛ العمار، محمد بن إبراهيم بن عبدالله، (١٤٠٨هـ)، مرجع سابق، ص ١٣٧؛ المسعود، عبدالرزاق بن أحمد اليوسف، (١٤٠٨هـ)، **الزلفي**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ١٣، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ٨٢؛ أبا بطين، عبدالله بن محمد بن عبدالله، (١٤١٢هـ)، **روضة سدير**، سلسلة هذه بلادنا رقم ٣١، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ٨٣، الطخيس، سعد بن محمد بن سعد، (١٤١٢هـ)، **الدوادمي**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٣٥، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ٨٤؛ الدوسري، إبراهيم بن صالح بن راشد، (١٤١١هـ)، **الأفلاج**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٢٧، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ص ١١٣- ١١٩؛ القباني، محمد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٨٢؛ الأحيدب، إبراهيم بن سليمان، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص ٦٧-٧٨؛ الدبل، محمد بن سعد، (١٤٠٨هـ)، **الحريق**، سلسلة هذه بلادنا، رقم١٠، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ص ٥٨-٥٩؛ الحميضي، ناصر عبدالله عبدالعزيز، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص ص ٦١-٦٧.

الإهداء أو الشراء.[١] ليس هذا فحسب بل إن من اهتمام الملك عبدالعزيز بالكتب أنه خصص في قصر الحكم خزانة خاصة بالكتب المطبوعة والمخطوطة التي توزع مجاناً على طلبة العلم والمستفيدين. ومن جانب آخر كان هناك مكتبات خاصة بالعلماء يحتفظون بها في منازلهم كعادة العلماء في كل البلاد، وكان الإطلاع عليها ووقفها يتم من خلال صاحب المكتبة الذي يحرص على اقتناء الكتب الشرعية والعربية وما يفيد من الكتب الثقافية. ومن هذا المنطلق كانت الاستفادة منها مقصورة على طلبة العلم والعلماء الذين يجتمعون في تلك البيوت العلمية. وقد كانت مدينة الرياض مأوى لكثير من العلماء وطلبة العلم، وكانت العادة أن العالِم إذا توفي أحضرت كتبه إلى الرياض ليطلع عليها العلماء. ومن أشهر المكتبات الخاصة في مدينة الرياض مكتبة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، ومكتبة الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، ومكتبة الشيخ حمد بن فارس، ومكتبة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. أما المكتبات العامة في مدينة الرياض فقد أنشئت في وقت متأخر من عهد الملك عبدالعزيز، حيث أنشأ الأمير مساعد بن عبدالرحمن الفيصل أول مكتبة عامة في الرياض في عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م وكان يسمح للعامة بدخولها والاستفادة منها. وفي عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م أنشئت المكتبة السعودية تحت إشراف الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم توالى بعد ذلك إنشاء المكتبات العامة والحكومية.[٢]

بداية تطور الزراعة والصناعة:

في مجال الزراعة والصناعة كانت بلاد منطقة الرياض كغيرها من بلاد نجد خاصة، والبلاد السعودية عامة، تعتمد على الوسائل البدائية في الزراعة والإنتاج الحيواني رغم التفاوت النسبي في طبيعة الاعتماد على تلك الوسائل. وحتى عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٥م كانت الطريقة المستخدمة في بلاد منطقة الرياض لجلب المياه هي السواني، والأدوات المستخدمة في هذه العملية من البكرات والدلاء

(١) يوجد ما تبقى من هذه المكتبة الآن في دارة الملك عبدالعزيز. وللمزيد من المعلومات عن حرص الملك عبدالعزيز على العلم وتشجيعه، وسجلاً وافياً لما تحتوية مكتبة الملك عبدالعزيز الخاصة من مؤلفات طبعت على نفقته الخاصة، ومؤلفات أهديت له، ومؤلفات نادرة، بالإضافة إلى فهرس لجميع محتوياتها انظر: السماري، فهد بن عبدالله، (١٤١٧هـ)، **مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

(٢) الجاسر، حمد (١٣٨٦)، مرجع سابق، ص ص ١٣٠-١٣١؛ الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ٧٩؛ الشهيل، عبدالله بن محمد، (د.ت.)، ص ص ٢٤٦-٢٤٧.

والأرشية تسمى عدة، بينما تسمى الحيوانات التي تسير ذهاباً وإياباً لجر هذه العدة سانية. [١] وفي منطقة الرياض لم يكن الإنتاج الزراعي يتعدى الحبوب والتمر وبعض الخضراوات، بينما يعتمد السكان على الحيوانات التي يستخدمونها في حياتهم للتنقل، ونقل الأمتعة، ومصدراً للحوم. أما الصناعة فكانت يدوية وبدائية تكفي لسد حاجة السكان اليومية في ذلك الوقت. [٢] ومع بداية عهد الدولة السعودية الحديثة اهتم الملك عبدالعزيز، بعد أن وطد أركان دولته وبعد أن أنعم الله عليه باكتشاف البترول، بالنواحي الزراعية والصناعية وغيرها من وسائل التقدم والرقي في البلاد، حيث استقدم الخبراء في مجال الزراعة والصناعة واستجلب الآلات الزراعية والصناعية وأعفى تلك الآلات من الرسوم الجمركية، بل إن الدولة في عهده اشترت مكائن زراعية لتوزيعها على المزارعين بلا ثمن. [٣] وقد شهدت البلاد بداية جادة للمشروعات الزراعية والصناعية حيث برزت تلك المشروعات للعيان كدليل على ذلك الاهتمام. ومن تلك المشروعات مشروع الخرج الزراعي الذي أمر الملك عبدالعزيز بإنشائه في الخرج عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م، وكذلك إنشاء المصانع الحربية في الخرج في عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م. [٤]

---

(١) عن الزراعة وتطورها في منطقة الرياض راجع: الوشمي، أحمد بن مساعد، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص ١٠٠-١٠١؛ العمار، محمد بن إبراهيم بن عبدالله، (١٤٠٨هـ)، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٢) السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٨١-٨٢. وانظر نماذج للحرف والصناعات المحلية في منطقة الرياض على سبيل المثال: في ضرما انظر: الطخيس، سعد بن محمد بن سعد، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص ص ٧٦-٨١؛ وفي الأفلاج انظر: الدوسري، إبراهيم بن صالح بن راشد، (١٤١١هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٣٨-١٤٥؛ وفي جلاجل انظر: الأحيدب، إبراهيم بن سليمان، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص ١١٤-١٢٢؛ وفي الحريق انظر: الدبل، محمد بن سعد، (١٤٠٨هـ)، مرجع سابق، ص ص ٥٥-٥٨؛ الحميضي، ناصر عبدالله عبدالعزيز، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص ص ٨٦-٨٩.

(٣) إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

(٤) انظر عن هذين المشروعين: الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٥٠-١٥٢، ١٥٧.

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

إمارة منطقة الرياض، أوراق خاصة.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-٥**، من وزارة المالية إلى السلطان، تاريخ ٨ ذي الحجة ١٣١٧هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-٨**، من وزارة الداخلية إلى السلطان، تاريخ ١٣١٧هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-١١** تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١٤ جماد أول ١٣٢٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-١٢**، تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١٤ ربيع الأول ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-١٣**، من الصدر الأعظم إلى السلطان، تاريخ ١٤ ربيع الأول ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-١٤**، برقية من والي البصرة إلى الصدر الأعظم، تاريخ ١٣ أغسطس ١٩١٧م.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-١٥**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٢ شوال ١٣٢٠هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-٢٠**، تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٦ جماد الأول ١٣١٧هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-٢٢**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٨ شوال ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٣**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٢٥ رمضان ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٤**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٢ شعبان ١٣١٧هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٥**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١٩ شوال ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٦**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٥ رمضان ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٧**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٢ شوال ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٨**، تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١ ربيع الآخر ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٩**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١ رمضان ١٣١٧هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٠**، تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٨ ذي القعدة ١٣٢٢هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣١**، من مجلس الوزراء إلى السلطان، تاريخ ١٤ جمادى الأول ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٢**، تقرير من مجلس الوزراء إلى السلطان، تاريخ ٧ محرم ١٣١٨هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٤**، تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١٤ رجب ١٣١٧هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/٧-٣٥،** من رئيس الكتاب إلى السلطان، ١٨ رجب ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٦،** من والي البصرة إلى الباب العالي، تاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩١٥م.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق البريطانية:

142. from F. S. Pelam, 31 January 1902. / 7 /P & S /I.O.R. L

C 239. / 20 /P & S /I.O.R. L

ثانياً: المخطوطات:

آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ تقريباً)، **كتاب تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق،** نقله عن الأصل الخطي نور الدين شريبة، سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، صورة مخطوطة في دارة الملك عبدالعزيز.

ابن ناصر، عبدالرحمن، (ت ١٣٩٠هـ) **عنوان السعد والمجد فيما استطرف من أخبار الحجاز ونجد،** ج١، صورة مخطوطة، دارة الملك عبدالعزيز.

الذكير، مقبل عبدالعزيز، (ت ١٣٦٣هـ)، **مخطوطة العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية،** صورة مخطوط لدى دارة الملك عبدالعزيز، مصورة عن نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، كلية الآداب.

السلمان، عبدالله بن عبدالرحمن، (مخطوط) **تاريخ بعض حوادث وقعت في نجد،** ١٢٨٤-١٣٤٤هـ.

العُبيّد، محمد العلي، (ت ١٣٩٩هـ)، **النجم اللامع للنوادر جامع، أخبار وأشعار من القرنين الثالث عشر والرابع عشر،** صورة مخطوط لدى دارة الملك عبدالعزيز.

القاضي إبراهيم بن محمد بن عبدالله، (ت ١٣٤٦ هـ)، **مخطوط القاضي،** ١٢٩٠ - ١٣٤٥هـ.

ثالثاً: المصادر العربية والمعرّبة:

آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله بن عد المحسن، (١٣٧٩هـ)، **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد**، ج١، مطابع الرياض، الرياض.

آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د.ت.)، **تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان**، مطابع مؤسسة النور للطباعة والنشر، الرياض.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د.ت.)، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر**، وزارة المعارف، الرياض.

بنواميشان، (١٣٨٥هـ)، **عبدالعزيز آل سعود، سيرة بطل ومولد مملكة**، ترجمة عبدالفتاح ياسين، دار الكاتب العربي.

حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، **البلاد العربية السعودية**، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

خزعل، حسين خلف الشيخ، (د. ت.)، **تاريخ الكويت السياسي، عصر الشيخ مبارك**، ج٢، دار الكتب، بيروت.

الرشيد، ضاري بن فهيد، (١٣٨٦هـ)، **نبذة تاريخية عن نجد**، منشورات دار اليمامة، الرياض.

الريحاني، أمين، (د. ت.)، **ملوك العرب**، دار الجيل، بيروت.

الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، **نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما**، مؤسسة الريحاني، بيروت.

الزامل، عبد الله العلي، (١٣٩٢هـ)، **أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود**، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت.

الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، دار العلم للملايين، بيروت.

سعيد، أمين محمد، (١٣٥٢هـ)، **ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم**، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، **صقر الجزيرة**، المجلد الأول، مكة المكرمة.

الغلامي، عبدالملك، (١٤٠٠هـ)، **الملك الراشد**، دار اللواء، الرياض.

فاسلييف، (١٩٨٦م)، **تاريخ العربية السعودية**، ترجمة خيري الضامن وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو.

فلبي، سنت جون، (د.ت.)، **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، (السلفية)**، تعريب عمر الديراوي، المكتبة الأهلية، بيروت.

مجلة المنار، مجلد ٥، ج١١، ومجلد ٧، ج١٩.

لوريمر، ج.ج. (١٩٧٦م)، **دليل الخليج**، القسم التاريخي، مكتب سمو أمير دولة قطر.

وزارة الخارجية، (١٣٧٠هـ)، **مجموعة المعاهدات في الفترة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م-١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م**، ج١، مكة المكرمة.

وليمز، كنث، (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م)، **ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز**، تعريب كامل صمويل مسيحه، المطبعة الأدبية بيروت.

وهبه، حافظ، (١٣٨٧هـ)، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

وهبه، حافظ، (١٣٨٠هـ)، **خمسون عاما في جزيرة العرب**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة.

رابعاً: المراجع العربية والمعرّبة:

أمانة مدينة الرياض، **معجم أسماء شوارع مدينة الرياض وميادينها**، جـ١، دار الشبل، الرياض.

آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف، (١٣٨٨هـ)، **آل سعود**، الرياض.

آل الشيخ، عبدالعزيز بن حسن، (١٤١٢هـ)، **لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية**، مكتبة العبيكان، الرياض.

آل الشيخ، عبدالعزيز بن محمد، (١٤١١هـ)، **المختار من مجلة المنار، صفحات من مواقف الملك عبدالعزيز وصور من جهاده**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض.

أبا بطين، عبدالله بن محمد بن عبدالله، (١٤١٢هـ)، **روضة سدير**، سلسلة هذه بلادنا رقم ٣١، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

أبو العلا، محمود طه، (١٩٧٢م)، **جغرافية شبه جزيرة العرب**، الجزء الثاني، جغرافية المملكة العربية السعودية، مؤسسة سجل العرب، الطبعة الثانية، القاهرة.

أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٤هـ)، **الدولة السعودية الثانية**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٦هـ)، **الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

الإعلام الداخلي، (١٤٠٩هـ)، **هذه بلادنا**، وزارة الإعلام، المملكة العربية السعودية، الرياض.

الأحيدب، إبراهيم بن سليمان، (١٤٠٩هـ)، **جلاجل**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٢١، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الأحيدب، عبدالعزيز بن محمد، (١٣٩٧هـ)، **ظاهرة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز**، مطابع الإشعاع، الرياض، ص١٤٠.

أم القرى، هيئة تحرير جريدة أم القرى، (الجمعة ٢٠ رمضان ١٣٤٧هـ/ ١ مارس ١٩٢٩م)، الهجر في جزيرة العرب، مئتا مدينة ودسكرة حديثة: طريقة جلالة الملك في تحضير القبائل وتخطيط الهجر، **أم القرى**، السنة الخامسة، العدد ٢١٨.

إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، **أمراء وغزاة، قصة الحدود والسيادة الإقليمية في الخليج**، دار الساقي، لندن.

ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ)، **معجم اليمامة**، مطبعة الفرزدق، الرياض.

ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، **تاريخ ملوك آل سعود، الرياض**، مطابع المدينة، الرياض.

البديوي، محمد منير أحمد، (١٣٩٧هـ)، **المتوكل على الودود عبدالعزيز آل سعود،** مطابع نجد التجارية، الرياض.

التويجري، عبدالعزيز بن عبدالمحسن، (١٩٩٧م)، **لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز دراسة وثائقية،** رياض الريس للكتب والنشر، بيروت.

الجاسر، حمد (١٣٨٦)، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ،** منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

جمعة، رابح لطفي، (١٤٠٢هـ)، **حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز،** دارة الملك عبدالعزيز بالرياض.

الجهني، عبدمسعود، (١٤٠٤هـ)، **مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية،** دار تهامة، جدة.

الحميضي، ناصر عبدالله عبدالعزيز، (١٤١٢هـ)، **القصب،** هذه بلادنا، رقم ٣٣، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الخضيري، ناصر بن فارس: المقبل، مقبل بن تركي، (١٤١٥هـ)، دراسة عن الرجال الذين دخلوا الرياض مع الملك عبدالعزيز عند استردادها عام ١٣١٩هـ، **الدارة،** السنة العشرون، العدد الثالث.

الدبل، محمد بن سعد، (١٤٠٨هـ)، **الحريق،** سلسلة هذه بلادنا، رقم ١٠، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، **الخرج،** سلسلة هذه بلادنا رقم ٤٠، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الدوسري، إبراهيم بن صالح بن راشد، (١٤١١هـ)، **الأفلاج،** سلسلة هذه بلادنا، رقم ٢٧، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

رحمو، محمد إبراهيم، (١٤٠٢هـ)، **أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه،** دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

الرشيد، عبدالعزيز، (١٩٧٨م)، **تاريخ الكويت،** دار مكتبة الحياة، بيروت.

الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د. ت.)، **قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي، وروعة الحاضر**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض.

السعدون خالد محمود، (١٤٠٣)، **العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩-١٣٤١هـ/ ١٩٠٢-١٩٢٢م**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، **توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

السماري، فهد بن عبدالله، (١٤١٧هـ)، **مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

الشعيبي، صالح المحمد، (١٤٠٧هـ)، **ملامح السياسة المالية والإدارية في المملكة العربية السعودية**، مكتبة الخريجي، الرياض.

الشهيل، عبدالله بن محمد، (د. ت.)، **فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة ١٣٣٣-١٣٥١هـ/ ١٩١٥-١٩٣٢م**، دار الوطن للنشر والتوزيع، الرياض.

صادق، محمد توفيق، (١٣٨٥هـ)، **تطور الحكم والإدارة في المملكة العربية السعودية**، معهد الإدارة العامة، الرياض.

الطخيس، سعد بن محمد بن سعد، (١٤١٢هـ)، **الدوادمي**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٣٥، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الطربين، أحمد، (يوليو ١٩٧٦)، عبدالعزيز آل سعود منشئ دولة وباعث نهضة، **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية**، العدد السابع، السنة الثانية.

الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل، (١٤١٣هـ)، **مسائل من تاريخ الجزيرة العربية**، مؤسسة دار الأصالة، الرياض.

العتيبي، إبراهيم بن عويض الثعلي (١٤١٧هـ)، **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٤٣هـ/ ١٣٧٣هـ)**، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الطبعة الأولى الرياض.

العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية،** ج ٢، مكتبة العبيكان، الرياض.

العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠١هـ)، **نشأة إمارة آل رشيد،** عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض.

العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، **معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد،** مكتبة العبيكان، الرياض.

العمار، محمد بن إبراهيم بن عبدالله، (١٤٠٨هـ)، **شقراء،** سلسلة هذه بلادنا، رقم ١٧، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

العمروي، عمر بن غرامة، (١٤٠٦هـ)، **المعالم الجغرافية والتاريخية لمواقع الملك عبدالعزيز الحربية،** مطابع الفرزدق التجارية.

القباني، محمد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، **ضرما،** سلسلة هذه بلادنا، رقم ٣٨، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

قدورة، زاهية، (د.ت)، **شبه الجزيرة العربية: كياناتها السياسية،** دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

قزاز، حسن عبدالحي، (١٤١١هـ)، **الأمن الذي نعيشه،** جـ١، الطبعة الثانية، دار العلم للطباعة والنشر بجدة.

الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، **الرياض،** سلسلة هذه بلادنا، رقم ٣٧، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، **الرياض ماض تليد وحاضر مجيد،** دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض.

المارك، فهد، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، **من شيم الملك عبدالعزيز،** الرياض.

المسعود، عبدالرزاق بن أحمد اليوسف، (١٤٠٨هـ)، **الزلفي،** سلسلة هذه بلادنا، رقم ١٣، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

المكي، عبدالفتاح حسين، (١٤٠٧هـ)، **تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام**، مكتبة المعارف، الطائف.

الموسوعة العربية العالمية، (١٤١٦هـ)، موسسة أعمال الموسوعة.

الوشمي، أحمد بن مساعد، (د.ت.)، **الرياض مدينة وسكاناً، كيف كانت وكيف عاشوا**، مطابع الحرس الوطني، الرياض.

خامساً: المصادر والمراجع الأجنبية:

Bertram, Thomas, (1932), **Arabia Felix, Across the Empty Quarter of Arabia,** Charles Scribneis Sons, New York.

Bidwell, Robin, (1971), **The Affairs of Kuwait** 1896-1905, Foreign Office Confidential print, vol. 1., part III, London.

Blunt, Lady Ann, (1881), **Pilgrimage to Najd: the Cradle of the Arab Race, a Visit to the court of the Arab Amir and our Persian campaign,** 2 vols., John Murray, London,

De Gaury, Gerald, (1943), **A Saudi Arabian Note Book,** Cairo.

Graves, Philip, (1941), **The Life of Sir Percy Cox**, London.

Habib, John. S. (1978), **Ibn sauds Warriors of Islam, The Ikhwan of Najd and their Role in the Creation of the Saudi Kingdom, 1910-1930,** Leiden.

Habib, John. S. (1970), **The Ikhwan Movement of Najd: Its Rise, , And Decline,** PH.D., The University of Michigan.

Guarmani, Carlo, (1904), **Northern Najd**, Translated from the Italian by Lady Capel Curo, London, India Office.

Lebkicher, Roy, (1950), B**ackground of Arabia and the Middle East**., New York.

Lorimer, J.G, (1986), **Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia,** Archive Edition.

Musil, Alois, (1928), Northern Nejd. **American Geographical Society**. Oriental Explorations and Studies, No. 5, New York.

Peretz, Don, (1983), **The Middle East Today**, Praeger Publishers, New York.

Philby, J., **APilgrim In Arabia,** Robert Hale Limited, London, P.115.

Philby, J., (October 1926), The Triumph of the Wahhabis, **Journal of Central Asian Society**, vol. xiii, part iv.

Philby, J. B., (1932), **Saudi Arabia**, Arro Press, New York.

Troeller, G., (1976), **The Birth of Saudi Arabia (Britain and the Rise of the House of Saud),** London.

ملحق رقم (١)

(أسماء الرجال الثلاثة والستين الذين اشتركوا في عملية استعادة الرياض)

١-محمد بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود.

٢- عبدالله بن جلوي بن تركي آل سعود.

٣- عبدالعزيز بن جلوي بن تركي آل سعود.

٤- فهد بن جلوي بن تركي آل سعود.

٥- عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود.

٦- عبدالعزيز بن عبدالله بن تركي آل سعود.

٧- عبدالله بن سعود بن عبدالله (صنيتان) آل سعود.

٨- فهد بن إبراهيم بن مشاري آل سعود.

٩- ناصر بن سعود بن فرحان آل سعود.

١٠- سعود بن ناصر بن سعود بن فرحان آل سعود.

١١- إبراهيم بن عبدالرحمن بن محيذيف (من أهالي الرياض).

١٢- إبراهيم بن عبدالرحمن النفيسي (من أهالي الرياض).

١٣- ثلاب العجالين الدوسري.

١٤- حترش العرجاني.

١٥- حزام بن خزام المجالين الدوسري.

١٦- حشاش العرجاني.

١٧- خليفة بن عبدالرحمن بن بديع (من أهالي الدرعية).

١٨- زايد البقشي السبيعي.

١٩- زيد بن محمد بن زيد (من أهالي الرياض).

٢٠- سطام أبا الخيل المطيري.

٢١- سعد بن بخيت التركي (من أهالي الرياض).

٢٢- سعد بن عبدالرحمن بن نجيفان (من أهالي الرياض).

٢٣- سعد بن عبدالله بن عُبيِّد (من أهالي ملهم).

٢٤- سعد بن هديب (من أهالي الدلم).

٢٥- سعيد بن بيشان الدوسري (من أهالي الدرعية).

٢٦- سلطان العبد العزيز (من أهالي الرياض).

٢٧- شايع بن شداد السهلي.

٢٨- صالح بن إبراهيم بن سبعان (من أهالي الرياض).

٢٩- طلال بن عجرش السبيعي.

٣٠- عبداللطيف بن حسين المعشوق (من أهالي الرياض).

٣١- عبدالله أبو دريب السبيعي.

٣٢- عبدالله بن حسين بن جريس (من أهالي العمارية).

٣٣- عبدالله بن شنار الدوسري.

٣٤- عبدالله بن عثمان الهزاني (من أهالي نعام).

٣٥- عبدالله بن عسكر (السيد) من أهالي الرياض).

٣٦- عبدالله بن علي بن خنيزان (من أهالي الرياض).

٣٧- عبدالله بن محمد الجطيلي (من أهالي عنيزة)

٣٨- عبدالله بن مرعيد السبيعي.

٣٩- عبيد (أخو شعوا) الدوسري.

٤٠- عبيد بن صالح بن مشخص (عويبيل) (من أهالي الرياض).

٤١- فالح بن مجلاد الفويجح السبيعي.

٤٢- فرحان السعود (من أهالي الرياض).

٤٣- فهد بن عبدالعزيز بن معمر (من أهالي العيينة).

٤٤- فهد بن علي المعشوق (من أهالي الرياض).

٤٥- فيروز العبدالعزيز (من أهالي الرياض).

٤٦- ماجد بن مرعيد السبيعي.

٤٧- محمد بن حسين المعشوق (من أهالي الرياض).

٤٨- محمد بن رشيد بن قماع (من أهالي الرياض).

٤٩- محمد بن شعيل الدوسري.

٥٠- محمد بن عامر الوبير العجمي.

٥١- محمد بن هزاع (من أهالي الدرعية).

٥٢- مسعود المبروك (من أهالي الرياض).

٥٣- مسلم بن مجفل السبيعي.

٥٤- مطلق بن جفَّال السبيعي.

٥٥- مطلق بن محمد بن عجيبان (من أهالي الرياض).

٥٦- مطلق المغيربي (من أهالي الرياض).

٥٧- معضد بن خرصان الشامري.

٥٨- مناور العنزي (من أهالي الرياض).

٥٩- منصور بن فريج (من أهالي الرياض).

٦٠ منصور بن محمد بن حمزة (من أهالي الرياض).

٦١- ناصر بن عبدالله بن شامان المليحي (من أهالي الدرعية).

٦٢- نافع الحربي.

٦٣- يوسف بن صالح بن مشخص (من أهالي الرياض).

فهرس الجزء الثالث
منطقة الرياض خلال التاريخ الحديث والمعاصر

فهرس الأشكال

هذا العمل العلمي الموسوعي يعدُّ خير دليل على تسجيل النقلة الحضارية في المملكة العربية السعودية، وهو أحد ثمار الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة على يد جلالة الملك عبد العزيز يرحمه الله- وهو مثل بقية الأعمال التي أنتجت يتصف بالموضوعية والعلمية وكتابة الحقائق بصدق وأمانة وتجرد.

وسيكون هذا العمل العلمي التوثيقي معيناً لكل من يدرس المنطقة مستقبلاً. كما سيكون عوناً ودليلاً للجهات التنفيذية والتخطيطية في إمارة المنطقة والجهات الحكومية الأخرى.

لقد كُتب عن منطقة الرياض ومدينة الرياض الكثير من الدراسات، لكن هذا الكتاب يتصف بخصائص تميزه عن كل ما سبقه. فهو بأجزائه الثمانية يتميز بالشمولية والموضوعية والعلمية. فشموليته وموضوعيته تتضح من تغطيته لموضوعات كثيرة تاريخية وجغرافية سكانية وعمرانية واقتصادية واجتماعية.

ويمتد تاريخياً ومكانياً إلى أعماق بعيدة فهو يغطي تاريخ المنطقة لعدة قرون، ويغطي مكانياً كل محافظات منطقة الرياض، أما علميته فتتمثل في أنه كتب وأشرف عليه من قبل أكاديميين متخصصين في مجالهم، ومر بمراحل مراجعة وتدقيق وتحكيم علمي تجعله يتسم بدرجة عالية من الدقة العلمية.

والله ولي التوفيق

المشرف العام

ردمك ٠-٤٠-٦٦٠-٩٩٦٠ (مجموعة)